

حسين قاسم العزیز

البيحية

أو انتفاضة الشعب الأذربيجاني
ضد الخِلافة العباسية

رسالة لشيخ الدكتوراه
من جامعة موسكو
عام ١٩٦٦

مكتبة النهضة - بغداد
دار الفارابي - بيروت

وزارة التعليم العالي والمتوسط الخاص

لجمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفياتية

معهد اللغات الشرقية

الناج لجامعة موسكو الحكومية (المبماة باسم لومونوسوف)

حسين قاسم العزيز

(العراق)

البابكية

انتفاضة الشعب الازريجان
ضد الخلافة العباسية

رسالة مَرشحة

لِنَيْل لِقَبْ دُكتوراه (كانديدات) في

العلوم التاريخية

المُرشدان العلميان :

الدكتور به.أ. بلاييف

الدكتور ض.م. بونياتفوف

موسكو ١٩٦٦

مقدمة

دراسة موجزة للموضوع ولمصنادر البحث

البابكية او انتفاضة الشعب الاذربيجاني ضد الخلافة العباسية حدث مهم لا في تاريخ القفقاس في القرون الوسطى فحسب ، وانما في حياة الخلافة كلها . ولم تأت هذه الاهمية من طول المدة التي استغرقتها ولا من سعة الاراضي التي شملتها ولا من كونها خاتمة انتفاضات الخِزْمِيَّة الجسام فقط ، وانما ايضا لما لها من آثار جسيمة في كيان الخلافة العباسية ، حيث زعزعت ذلك الطود الشامخ ونخرته فتركته خاويا عاجزا عن أن يقف على قدميه أو يستعيد ما كان له من سابق عز وهيبة وجلال وسلطان . فكانت الانتفاضة كزوبعة هوجاء مدمرة عصفت بشجرة سحق حقوق مهيبة تركتها منخورة ضعيفة .

والخلافة العباسية وان خرجت منتصرة من حروبها مع البابكيين ، لكنها فقدت عزها وهيبتها وجلالها حتى تجرأ الكندي المسيحي على التهكم بالعلماء المسلمين وفي قصر الخليفة المأمون بالذات ملوحا بانهزام الجيوش العباسية امام قوى بابك ، بل وتجراً الغلمان الاتراك على الخلفاء أنفسهم فيما بعد وكان نشوء واستقلال الامارات الاقطاعية في الاطراف هو اسلوب تطور الاقطاع ونمو اللامركزية نتيجة فقدان هيبة الخلافة وضعف السلطة المركزية . ولئن تعرضت الخلافة في السابق الى انتفاضات وارهاصات ، الا ان جلال السلطان وهيبة الخلافة لم يتعرضا لسوء ، أما من جراء الانتفاضة البابكية فان السوء شمل الخلفاء أنفسهم اذ أصبحوا ألعوبة بيد الاتراك ، الذين أصبحوا ذوي شأن نتيجة شعورهم بأهمية دورهم في القضاء على الانتفاضة . ولحق الضرر بالخلافة ذاتها حيث اقتطعت اجزاء من تلك الامبراطورية الواسعة لتتكون منها امارات ذات كيانات اقطاعية وراثية مستقلة فعليا وذات ارتباط ديني بالخلافة (حيث ظل الاعتراف بالخليفة العباسي اميرا للمؤمنين فقط . وكان نشوء هذه الامارات اسلوبا لتطور الاقطاع ونمو اللامركزية .

تناول موضوع الانتفاضة مؤرخو العصور الوسطى بأسلوب يتفاوت بين خفة وحدة التهجيم عليها سواء من أدركها منهم أو من تلاهم ، وغالبيتهم تعرضوا لها بايجاز عدا الطبري ومن نقل عنه كابن الاثير وقد اختلفوا في الجوانب التي تطرقوا اليها فبعضهم تكلم عن الفعاليات الحربية وآخرون عن حياة بابك وغيرهم عن نشاط

النُخْرمية وجلهم تطرقوا الى موضوع الانتفاضة عرضا الا واقد بن عمرو التميمي الذي ألف كتابا - كما يخبرنا ابن النديم (١) - عن حياة بابك ، لكن هذا الكتاب لم يصل الينا مع الاسف . ولقد تميزت كتابات مؤرخي العصور الوسطى بالطابع المعادي للانتفاضة لأن المؤرخين كانوا يكتبون ما يلائم أذواق الحكام والأمراء وذوي اليسار من الناس ، وهؤلاء هم الذين يكرمون الكتاب على مؤلفاتهم ، وكان لخوف المؤرخين من السلطة ولانحدارهم الطبقي ولعدم تعرفهم على الاساس الحقيقي للانتفاضات الجماهير - وذلك منتظر من مؤرخي تلك الحقبة - ولسيطرة الاوهام وتضليلات السلطة الاقطاعية ، كان لكل ذلك أثر في موقفهم المعادي من الانتفاضات فكانوا يتهمونها بشتى النوعات والصفات الكريهة ويلحقون بها تهما وأباطيل لكي يبرروا قساوة السلطة عند التكنيل والبطش والافناء بجماهير الشعب المنتفضة . وأقوى حجة دامغة وأكبر ذريعة تتخذ لستر الاعمال الوحشية ، هي اتهام المنتفضين بمقاومة الدين الاسلامي والعنصر العربي والاخلاق الفاضلة .

والعلماء البرجوازيون الحاذقون الحاقدون على الانتفاضات الجماهيرية كرروا اتهامات مؤرخي العصور الوسطى رغم ادراكهم ان تلك الروايات الضعيفة مدسوسة وهم يبرقون نواياهم ببهرجة علمية براقعة وذلك باستخدام أسانيد مؤرخي القرون الوسطى المعادية ، فتراهم يرددون فرية الاباحة ومشاعية الزوجات والليالي الماجنة وأطلقوا عليها الشيوعية (كذا !) .

والملاحظ انهم لا يهتمون بحال الشعوب وما تلاقيه من تعسف واستغلال فعندما يبحثون مواضيع الجزية والخراج والضرائب الاخرى يوجهون جل اهتمامهم الى مسميات الضرائب وكميته وتاريخ وضعها وتطورها ومقاديرها العامة والخاصة . ولكن ما هو تأثيرها في حياة الناس ؟ هل كانت مذلّة مهينة ومرهقة ؟ لقد قام المستشرقون الغربيون بأعمال عظيمة في احياء المخطوطات العربية ونشرها وبذلوا جهودا جبارة ، ولكن مع تلك الاعمال الجسيمة كانت تتسرب مفاهيم وآراء العلماء البرجوازيين في معاداة الحركات الجماهيرية ، ولقد بهرت أسماء لامعة مثل نولوكه وفلوكل وكريم ومولر وميور وغيرهم ، انفاس بعض المؤلفين السوفييتيين فوقعوا في شباكه نتيجة اعتمادهم في دراساتهم على مؤلفات هؤلاء العلماء ، ولربما كان لجهل البعض منهم اللغة العربية من عذر في اجترارهم للتهمة التي استخلصها المستشرقون الغربيون من بعض مصادر القرون الوسطى ، ولا يخفى ان المصادر السننية وخاصة الحنبلية هي أشد المصادر عداء للفرق والمذاهب الاسلامية وغير الاسلامية على أساس أن السلطة كانت دائما تحتضن المذهب السنني بينما مصادر المعتزلة والخوارج والشيعة والاسماعيلية تعتبر مصادر فرق مناهضة للسلطة .

لقد دأب الكتاب الايرانيون خطأ على اعتبار بابك ثائرا قوميا ايرانيا نادى بتحرير

(١) الفهرست - طبعة فلوكل - ليبزك ١٨٧١ - ٧٢ ج ١ ص ٣٤٣ ، القاهرة - ص ٤٩٤ .

ايران وتخليصها من نير الاستعباد الاجنبي على اساس ان آذربيجان مقاطعة ايرانية وان بابك والخرمية ايرانيون صرف (٢) . وخير ما تلاحظ هذه الآراء لدى صديقي (٣) وخليلي (٤) ونفيسي (٥) . وفات هؤلاء ان بابك عراقي الاصل (والده من المدائن) ومولده ومنشأه في آذربيجان (أمه آذربيجانية) والخرمية من أجناس مختلفة كالإيرانيين والديلمة والآذربيجانيين ومن غيرهم .

لم يعن - مع الاسف - بأمر هذه الانتفاضة المهمة عناية جديرة بحقها ، فليس هناك كتاب مخصص لها (ما عدا كتاب حياة بابك الذي ألفه واقد والذي لم يصل إلينا وما عدا كتيب صغير ألفه تومارا (٦) ونبذة مختصرة في كتيب صغير ألفه يامبولسكي (٧) ، وانما هنالك أبحاث عرضية في بطون المصادر والمراجع والموسوعات وفي المجلات ، واذا استثنينا جوزي (٨) تومارا ويامبولسكي وبونياتوف (٩) ، فان أكثر البحوث والمقالات خالية من التحليل العلمي النزيه ويكثر فيها التشويه ومسح الحقائق وتنطلق من وجهة نظر معادية . فلأجل اكمال الصورة الحقيقية لواقع الانتفاضة ، بقدر ما هو متيسر من المصادر والمراجع ، وضعنا نصب أعيننا دراسة الانتفاضة وحياة قائدها من جوانب مختلفة بأسلوب علمي من وجهة نظر عربية لتضاف الى أبحاث من وجهات نظر مختلفة ولا يمكن ان تكون هذه الدراسة كاملة ما لم يعثر على كتاب واقد بن عمرو التميمي وما يعثر عليه في المستقبل من مصادر تعود للمتفضين او المعبرة عن وجهة نظرهم او القريبة اليهم (١٠) .

ان اهم القضايا التي عالجها البحث هي التالية :

١ - ما علاقة (البابكية) الخرمية بالمزدكية ؟ وهل هناك اهداف لدى المنتفضين

- (٢) لاحظ بونياتوف - آذربيجان في القرن السابع - التاسع ص ٣٥ - ٣٦ .
- (٣) G. H. Sadighi. Les Mouvements Religieux Iraniens. Paris. 1938.
- (٤) خليلي ، عباس ، ايران واسلام . طهران ، ١٣٣٦ (باللغة الايرانية) .
- (٥) نفيسي ، سعيد ، آذربيجان قهرماني بابك خرم دين (بالآذربيجانية) .
- (٦) تومارا ، م . ، بابك ، موسكو ، ١٩٣٦ .
- (٧) يامبولسكي ، ز . اي . ، انتفاضة بابك ، باكو ، ١٩٤١ .
- (٨) جوزي ، بندلي صليبي ، بابك والبابكية ، اخبار الجامعة الباكوية الحكومية ، نمرة ١ ، باكو ، ١٩٢١ (باللغة الروسية) و « من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام » ، دار الروائع ، بيروت .
- (٩) مجموعة مقالات في مجلة اخبار اكااديمية علوم آذربيجان السوفيتية ، الاعداد ٢ ، ٤ ، ٥ ، ٧ ، ٩ ، ١٩٥٩ - ١٩٦١ ، و آذربيجان في القرون السابع - التاسع ، باكو ، ١٩٦٥ م (باللغة الروسية) .
- (١٠) وحتى يعثر على تلك المصادر تظل دعوة الدكتور طه حسين تناشد المؤلفين (وایسر ما يجب على المؤرخ المحقق ان يسمع او يقرأ ما تحدث به او كتبه المنهزمون والمتنصرون جميعا) - الشیخان - ص ٨ - ٩ .

لإعادة المجد الكسروي والديانة الزرادشتية ؟ أم أن الخرمية غطاء أيديولوجي لمعارضة الفلاحين الثورية ضد الاستغلال الاقطاعي في القرون الوسطى ؟ هل للقضية علاقة بمعالجة الأراضي ؟

٢ - هل للعوامل الاقتصادية من أثر في سوء معاملة العرب لاهل البلدان المفتوحة (أهل الذمة ، الموالي) واحتتار السلطة والاستقرارية العربية للشعوب المغلوبة ؟ وهل الشعوبية - بطابعها التقدمي في العصر الأموي حينما نادى الجماهير بالمساواة بين الشعوب ، وبطابعها الرجعي حينما تبنتها الاستقرارية الإيرانية لتحقير شأن العرب القدامى بدافع من تعارض مصالحها مع مصالح الاستقرارية العربية حول النفوذ ، هل كانت الشعوبية رد فعل لتلك المعاملة ؟

٣ - ما علاقة احترام مركز المرأة الذي نادى به المزدكيون ومن ثم الخرميون بالإباحة والمجون والاستهتار ؟

٤ - مدى تطبيق البابكيين للأهداف التي سعى إليها الخرميون ؟

كانت الانتفاضة واحدة من أعظم انتفاضات الفلاحين الجماهيرية ، ولئن ساهمت فيها فئات أخرى مختلفة ، لأسباب تتعلق بها وبمجموع وضع الانتفاضة فإن ذلك لم يغير من طبيعتها كنضال طبقي ضد الاستغلال الاقطاعي وما يرتبط به من تسلط حكومي ، لأن غالبية المنتفضين هم من الفلاحين المرهقين بأوزار الاستغلال الاقطاعي والجور الحكومي معا وقد رفعوا راية النضال بوجه السلطة والاقطاع معاً هادفين التحرر من ربة عبودية الخنوع الاقطاعي والاستغلال الوحشي ومن الضرائب الجائرة واتخذوا تعاليم الخرمية الدينية (التي هي فرقة دينية متطورة عن المزدكية في العهد الاسلامي) غطاء أيديولوجيا وسلاحا فكريا لانتفاضتهم الاقتصادية الاجتماعية بوجه الاقطاع والسلطة الممثلة لصالحه فهي وان اتخذت الاطار الديني شكلا لمعارضتها الثورية الا انها في مضمونها انتفاضة اقتصادية اجتماعية (من حيث الأهداف التي سعت إليها والقاعدة التي اعتمدت عليها) . وان نكران طابعها الطبقي وتصوير مضمونها بالعنصرية والطائفية (١١) والقومية (١٢) يتناقض وأهدافها في التحرر من الجور الاقطاعي وفي تحسين احوال المساهمين فيها معاشيا وفي احترام مركز المرأة المتمدني . ان فريسة إعادة المجد الساساني والدين الزرادشتي أريد بها إثارة المسلمين على المعدمين المنتفضين ولتشويه حقيقة الانتفاضة القائمة لأسباب اقتصادية واجتماعية والمعارضة أهدافها مع مصالح الاستقرارية الاقطاعية والسلطة . واليوم يحلو للكتاب البرجوازيين تكرار تلك المعزوفة لاختفاء طابع

(١١) يصر الدوري ، عبد العزيز في مختلف كتبه على اعتبار الانتفاضة سعت لحياء الدين الجوسي ولإعادة مجد إيران الساساني .

(١٢) كما يصور ذلك بعض المؤلفين الإيرانيين ولا شك ان الحركة القومية غير معروفة بعدد في القرون الوسطى .

الانتفاضة الطبقي • ولكن جل الجهد المبذول يتلشى امام الحقائق الناصعة التي تبرز بين طيات المصادر لتعلن عن التعسف والجور والاستغلال •

لما كانت البابكية قد اتخذت تعاليم الخرمية اطارا ايدولوجيا لنضالها فقد تحتمت الضرورة لدراسة القضايا الفلسفية والدينية لمعرفة تطور البابكية الخرمية عن المزدكية، والاطلاع على الديانة الايرانية وما نجم عنها من حركات وفرق دينية مناهضة كالمناوية والمزدكية ، ولتمييز الزندقة عن الخرمية ، هذا بالاضافة الى دراسة القضايا الاقتصادية لمعرفة تطور أساليب الانتاج وتأثيرها في تغيير العلاقات الاجتماعية وما ينجم عنها من أزمات وأثرها في التطور التاريخي للحركات الفكرية والاجتماعية • ومن الطبيعي ان الدراسات الماركسية – اللينينية التي قامت على التحليل العلمي الدقيق لحوادث التاريخ، واستخلصت نتائج باهرة في تحديد الطابع الطبقي في النضال المستمر بين المستغلين والمستغلين في كل العهود وأوضحت الاشكال التي اتخذتها المعارضة الثورية ضد الاقطاع في القرون الوسطى والغطاء الايدولوجي للحركات المناهضة • ان هذه الدراسات تعطي امكانية جيدة لتفهم العلاقات الاجتماعية بصورة صحيحة وترشد الى طبيعة التطور التاريخي وعمله الحقيقية والى تحديد طابع كل حركة أو انتفاضة أو ثورة كما وتفتح آفاقا واسعة لتحليل الحوادث تحليلا علميا •

الفصل الأول

تحليل المصادر والمراجع
المبادئ الأيديولوجية والحركة الباطنية

لم ينصرف البحث الى دراسة الفعاليات الحربية للانتفاضة فقط ، وانما توسعت الدراسة لتشمل الظروف الاقتصادية والاجتماعية لجميع المساهمين في تلك الانتفاضة لمعرفة الدوافع الحقيقية ولما كانت الخرمية فرقة متطورة عن المزدكية تحتم دراسة المزدكية والمجتمع الذي نشأت فيه والديانة الزرادشتية التي ناهضتها المزدكية . لهذا امتد البحث من القرن الثاني الميلادي الى القرن التاسع الميلادي ثم نظرة سريعة على القرون الثلاثة التي اعقبت نهاية الانتفاضة .

ودراسة هذه الحقبة الطويلة بمواضيعها المختلفة أوجبت ضرورة الاطلاع على مختلف انواع المصادر التاريخية والدينية والفلسفية والاقتصادية . ولما كانت آذربيجان وأرمينيا قد احتلتا من قبل الرومان – البيزنطيين والساسانيين ومن ثم من قبل العرب فقد دخل تاريخ شعوب هذه البلدان ضمن تاريخ تلك الدول (١٣) فكان علينا ان ندرس تاريخ الحروب الرومانية البيزنطية – الساسانية والفتوحات الاسلامية . ولما كانت مصادر ومراجع البحث كثيرة ومتشعبة فاننا سنقتصر الكلام على تلك التي عنت بأمور الانتفاضة مشيرين أحيانا الى غيرها .

لا يخفى ان آذربيجان منقسمة الى شمالية وجنوبية وان الكلام اذ يدور الان حول آذربيجان بصورة عامة فعند البحث لوحظت الاماكن حسب تقسيماتها الادارية بدقة .

لم تقتصر ميادين الانتفاضة على آذربيجان لوحدها بل امتدت رقعتها الى الاجزاء الشرقية من أرمينيا والى الشمال الغربي من ايران لهذا كان من الضروري الاطلاع بقدر المستطاع على المصادر الايرانية والارمنية والسريانية لعمل موازنة بينها وبين المصادر

(١٣) تاريخ الاتحاد السوفيتي (بالروسية) ، القسم الاول ، موسكو ، ١٩٦١ ، ص ٤١ .

الاسلامية وان كانت لا تختلف عنها بطابعها المعادي للانتفاضة . مما لا يخفى على أحد ان أقرب المصادر العربية الى سلطة الخلافة هي المصادر السنية وهي المعبرة عن لسانها في أغلب الاحيان وأشد المؤرخين السنيين تعصبا ضد الفرق المناهضة هم الحنابلة أما مصادر الفرق الاخرى فأقل غلوا في تعصبا ضد المنتفضين على السلطة . وإذا خفف المؤرخ السني من حدة تهجمه على المنتفضين اتهم بالمروق عن فرقته .

كانت فترة الانتفاضة الطويلة مليء بالحوادث الجسام والحروب المفزعة ولقد صور الشعراء تلك الاحداث والاماكن والاشخاص بروائع من الصور الشعرية الفنية ، ولئن كان الشعراء متملقين متزلفين للسلطة والى الحكام والقواد وصوروا الحوادث والانتصارات من وجهة نظر السلطة الحاكمة فان تلك الاشعار التي تمتليء بها دواوين الشعراء مليء بأسماء الجبال والوديان والمعارك المهمة ولهذا درسنا دواوين الشعراء أبى تمام ، حبيب بن أوس الطائي (١٤) ، والبحري ، أبو عبادة ، الوليد بن عبيد بن يحيى (١٥) ، وعلي بن الجهم (١٦) وغيرهم بالاضافة الى مطالعة ديوان الحماسة (١٧) فيما يخص الاشعار المتعلقة بانتفاضات أخرى ومطالعة كتب أدبية أخرى كالبيان والتبيين للجاحظ (١٨) والكامل للمبرد (١٩) والعقد الفريد لابن عبد ربه (٢٠) والاغاني لابي الفرج الاصبهاني (٢١) ، وما تزخر به بطون المصادر التاريخية المختلفة وقد جمعنا القصائد في ملحق ألحقناه في آخر البحث .

تنقسم مصادر البحث الى عربية وفارسية وأرمنية وسريانية والعربية هي التي كتبت باللغة العربية سواء كان المؤرخون عربا أم سواهم واما الفارسية والارمنية والسريانية فهي التي كتبت بلغات اهلها . ولما كان مؤرخو القرون الوسطى لا يعنون بالتاريخ لذاته ولما كانوا يلمون بمعارف عديدة – على الاغلب – فانهم كانوا يحشرون مواضيع مختلفة مع المواد التاريخية كالفقه والادب والفلسفة والفلك والتنجيم ، لهذا قلما تخلو المصادر من التنوع وهذا ما يخلق الصعوبة احيانا في تحديد المصادر بالنسبة الى موضوعاتها .

١ – المصادر العربية : – وبصورة عامة يمكن تصنيفها الى تاريخية ودينية وأدبية وجغرافية . والمصادر التاريخية هي التي تعنى بصورة اكثر بالحوادث التاريخية وأهم مؤرخي هذه المصادر حسب تسلسلهم الزمني :

- (١٤) ديوان أبى تمام ، بشرح الخطيب التبريزي ، وتحقيق محمد عبده عزام ، جزءان ، القاهرة .
- (١٥) ديوان البحري ، طبعة هندية ١٣٢٩هـ .
- (١٦) ديوان علي بن الجهم ، بتحقيق خليل مردم بك ، دمشق ١٩٤٩م .
- (١٧) ديوان الحماسة ، مختصر شرح العلامة التبريزي ، جزءان ، القاهرة ، ١٩٥٥م .
- (١٨) البيان والتبيين ، بتحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة ١٣٦٩هـ .
- (١٩) طبعة ليبزك ، ١٨٦٤م .
- (٢٠) بتحقيق محمد سعيد العريان ، ط ٢ ، ثمانية اجزاء ، القاهرة ، ١٩٥٣ .
- (٢١) جزء ٢١ ، القاهرة ، ١٩٠٤م .

ابن قتيبة الدينوري ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، المعروف بابن قتيبة ، ولد في عنقوان الانتفاضة البابكية (في عام ٢١٣هـ او ٢١٥هـ / ٨٨٩م) وهو إيراني الاصل مؤرخ وأديب ولكنه يعني بالقضايا الادبية اكثر من اهتمامه بالحوادث . ولهذا فانه لم يرتب كتابه عيون الاخبار (٢٢) على تسلسل الحوادث اما بقية كتبه كالمعارف (٢٣) وادب الكاتب (٢٤) وأنساب العرب في كتاب المغرب وملوك الشام والحيرة (٢٥) والشعر والشعراء (٢٦) فقطغى عليها القضايا الادبية ، واما كتاب الامامة والسياسة المنسوب اليه فمشكوك بأمره وله كتاب « فضل العرب » (٢٧) غير مطبوع أوضح فيه رده على الشعوبية وأذكر دعواهم للمساواة بين الشعوب واحتقرهم رغم إيرانيته ولربما لتوليته قضاء الدينور اثر في ذلك ثم عدل عن رأيه واعتبر جميع الشعوب متساوية .

البلاذري ، ابو العباس ، احمد بن يحيى بن جابر بن داود توفي عام ٢٧٩هـ / ٨٩٢م وأصله على الاغلب من ايران مؤرخ البلاط العباسي كان يعتمد الدقة في اسناد الرواية ، وكتابه فتوح البلدان ، (٢٨) لم يسر فيه وفق تسلسل الحوادث وانما قسمه حسب البلدان والمقاطعات ، وهو حافل بتاريخ الفتوحات الاسلامية وصيغ الامان ومقادير الضرائب ويتطرق الى الخراج ويعدد الاقطاعات التي اقطعت في عهود مختلفة (كما في الصفحات ٢٤٦ - ٣٨٤) ويتكلم عن نزوح القبائل العربية واستيطانها في الاماكن الجديدة . ومع انه من أقرب الناس عهدا الى الانتفاضة حيث كانت في ايام شبابه فانه لم يكتب عنها الا تلميحا . اما كتابه انساب الاشراف ، (٢٩) فاستفادتنا منه بالنسبة للانتفاضة محدودة .

الدينوري ، ابو حنيفة ، احمد بن داود . (توفي عام ٢٨٢هـ / ٨٩٥م) ختم الدينوري كتابه الاخبار الطوال (٣٠) بوفاة الخليفة العباسي المعتصم ومع ذلك فان الحوادث المذكورة عن الانتفاضة البابكية رغم الاخطاء والاختلافات فانها مقتضبة وقليلة التحامل على قائد الانتفاضة وجماعته .

(٢٢) ٤ مجلدات طبعة كوتنكن ، ١٨٩٩م ، والقاهرة ، ١٩٢٥ - ١٩٣٠م .

(٢٣) طبعة رغوتينغين ، ١٨٥٠ م ، والقاهرة ، ١٩٦٠م .

(٢٤) طبعة ليدن ، ١٩٠٠م ، والقاهرة ، ١٣٠٠هـ .

(٢٥) طبعة كوتا ، ١٧٧٥م .

(٢٦) طبعة دي غويه ، ليدن ، ١٩٠٤م .

(٢٧) نقل عنه الآلوسي ، محمود شكري ، بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، القاهرة ١٩٢٣م .

ج ١ ص ١٦٩ ، ١٧١ ، ونشره كرد علي ، محمد بأجمعه ضمن كتاب رسائل البلغاء .

(٢٨) طبعة ليدن ١٨٦٦م .

(٢٩) ج ١ ، القاهرة ١٩٥٩ ، ج ٤ و ج ٥ ، القدس ١٩٣٦ ، ج ١١ ، باعثناء اهلوارت ، ليدن

١٨٨٣م .

(٣٠) باعثناء جورجاس ، ليدن ، ١٨٨٨م ، ووضع فهرسه وقدم له كراتشكوفسكي في ليدن ،

١٩١٢م .

اليقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب الكاتب المعروف بابن واضح الاخباري (متوفي بعد ٢٩٢ هـ) ألف كتابه التاريخ (٣١) على التسلسل الزمني ويقول ليسترنج بان اليعقوبي انهى كتابه التاريخ في سنة ٢٦٠هـ/ ٨٧٤ م (٣٢) وتنتهي حوادثه - كما أشار بونياتوف - بسنوات ٨٧٢ - ٨٧٣ م (٣٣) . وكتاب التاريخ اهتم بالفتوح والضرائب وانتفاضات الشعوب ويحتوي على تفاصيل جيدة ومهمة عن ولادة وعمال البريد والخراج في ارمينيا وآذربيجان وفيه ذكر عن حوادث الانتفاضة باقتضاب وكمؤرخ شيعي لا يتحامل بشدة على معارضي السلطة . امتازت كتاباته بخفة تهجمها على الانتفاضة وعلى بابك .

الطبري ، ابو جعفر ، محمد بن جرير بن زيد بن خالد بن كثير الأملي الاصل (من طبرستان في شمال ايران) ولد بأمل اثناء الانتفاضة المازيارية وبعد سقوط البذ مركز الانتفاضة البابكية بعامين (حيث ولد في عام ٢٢٤ هـ) وتوفي في عام ٣١٠ هـ (٣٤) ويعتبر بعد أبي حنيفة الدينوري من أقل المؤرخين السنيين تحاملا على بابك ويمتاز كتابه، تاريخ الرسل والملوك (٣٥) الذي ألفه على السنين ، بكثرة تفاصيل حوادث فعاليسات الانتفاضة ولا سيما في اعوامها الاخيرة وهذا ما تنتقص اليه المصادر الاخرى المعاصرة لتاريخ الطبري . لكن الطبري لم يهتم بالسنوات السابقة لمجيء بابك كما وانه غير دقيق في اختيار رواياته اذ يحشر الشيء ونقيضه ويأتي بالغث والسمين ولكن رغم ذلك فان بين طيات صفحات تاريخه الكثير من المعلومات المفيدة لا عن تاريخ الانتفاضة البابكية والانتفاضات الخرمية فحسب بل وحتى تاريخ ايران في عهد الاكاسرة وذلك لمعرفته اللغة الفارسية ومطالعة الخدائي نامه (٣٦) الذي ترجمه ابن المقفع عن الفارسية ، وغيرهامن الكتب المترجمة . والطبري فقيه وأديب ومحدث ومؤرخ وتلمس اثر ذلك في مؤلفاته المختلفة . (بدلا عن الخدائي نامه كتب الباحث الهندي خدابخش - الحضارة الاسلامية - ص ١٧٧ - ٨) خطأ الشاهنامه) .

المسعودي ، ابو الحسن، علي بن الحسين بن علي الهذلي البغدادي متوفي ٣٤٦هـ/ وكتابه مروج الذهب ومعادن الجوهر (٣٧) ذو أهمية تاريخية من ناحية انه كان يقرن الحوادث التاريخية بمشاهداته الشخصية وان كان يصدق كل ما يسمع وقد زار مناطق الخرمية وشاهد طوائفهم وكتب ما شاء له خياله ان يكتب . اما الحوادث التاريخية فانه

- (٣١) جزءان ، طبعة ليدن ، ١٨٨٣م ، ٣ اجزاء طبعة النجف ، ١٣٥٨هـ .
 (٣٢) كي ليسترنج ، بغداد ، ص ٢٦٩ . *Le Strange, Guy, Bagdad, London, 1900, p. 269.*
 (٣٣) بونياتوف ، آذربيجان في القرون السابع - التاسع ، باكو ، ١٩٦٥ ، ص ٨ (باللغة الروسية) .
 (٣٤) انظر ابن النديم ، الفهرست ، ص ٣٤٠ .
 (٣٥) طبعة دي غويه ، ليدن ، مطبعة بريل ١٨٧٩ - ١٨٨٥م ، وطبع القاهرة بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم - دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٠م .
 (٣٦) حول ذلك لاحظ دننت ، دانيل - الجزية والاسلام ، (الترجمة العربية) ص ٤٧ .
Dennet, Danel G., Conversation and the Poll Tax in Early Islam, Combridge, 1950.
 (٣٧) طبعة القاهرة ، ١٩٥٨م .

قلما يعنى بتدقيقها وكتبه في الحقيقة خليط بين الجغرافية والتاريخ والادب والاساطير كما في الشبيه والاشراف (٣٨) واخبار الزمان (٣٩) وفي كتابه مروج الذهب اخبار وافية عن اسر بابك وجلبه الى سامراء واعدامه الا ان طابع الارتباك واضح عليها كما وانها تخلو من التحامل على الانتفاضة وقائدها . ولا اعلم سر اعجاب خدابخش الهندي بالمسعودي حتى اعتبره اعظم من الدينوري والبلاذري والطبري (٤٠) .

الاصبهاني ، ابو عبدالله ، حمزة بن الحسن ، ايراني متعصب ضد العرب ، ولد حوالي ٢٧٠ هـ وتوفي حوالي ٣٦٠ هـ صاحب كتاب تاريخ سني ملوك الارض والانبياء (٤١) ، يعتقد محفوظ ، حسين على ان هذه التسمية ناقصة ويجب ان تكون (تواريخ سني ملوك الارض والانبياء اولي الامر) (٤٢) . وقد اخطأ سمينوف Simonov, A. A. في تسمية الكتاب (في كتابته بالروسية) (٤٣) . وكتاب تاريخ سني ملوك الارض والانبياء على صفحه واختصاره له اهميته ، كما لاحظ ذلك لويس (٤٤) ، لان مؤلفه اطلع على مصادر ايرانية كثيرة وخاصة حول تاريخ الساسانيين .

ابن النديم ، أبو الفرج ، محمد بن اسحق الوراق البغدادي . ويعرف أيضا بابن أبي يعقوب النديم ، توفي ٣٨٥ هـ / ٩٩٥ م . ويعتبر كتابه الفهرست (٤٥) موسوعة علمية عنى بكل ابواب المعرفة في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي تكلم فيه عن لغات العالم المعروفة في زمانه واسلوب كتابتها وعن الشرائع والنحو والادب ويسمى كل باب مقالة وتنقسم هذه الابواب الى ٣٢ فرعا ويسمى كل فرع فنا وقد احتوى هذا الكتاب على دراسات - وان لم تكن كاملة ومنظمة ودقيقة - مفيدة لا يمكن الاستغناء عنها . لقد خصص ابن النديم الباب التاسع للمذاهب والمعتقدات وفي الفرع الاول من هذا الباب تكلم عن المانوية والمزدكية والخرمية وعن بابك . لكن ابن النديم خلط بين المزدكية والخرمية حيث سمي المزدكية بالخرمية الاولى . وقد اعتمد قسم من المؤرخين والباحثين

(٣٨) طبعة ليدن ، ١٨٩٣

(٣٩) طبعة القاهرة ، ١٩٣٨ م .

(٤٠) خودابخش ، الحضارة الاسلامية ، ترجمة الخربوطلي ، علي حسني . القاهرة ١٩٦٠ م ، ص ١٧٩ .

(٤١) طبعة ليبزك ، ١٨٤٤ م ، وطبعة برلين ١٣٤٠ هـ / ١٩٢١ - ٢ م .

(٤٢) في مقاله عن الاصبهاني حمزه بن الحسن ، مجلة سومر - مجلد ١٩ - بغداد ، ١٩٦٣ ، ص ٨٥ - ٦ .

(٤٣) فقد ذكر سمينوف اسم الكتاب تاريخ سنيين ملوك الارض والانبياء ، وهذا خطأ مطبعي كما نظن . لقد ذكر ذلك في مجلة مسائل التاريخ والدين والاحاد ، العدد ٥ لسنة ١٩٥٨ ، ص ٣٥٥ .

(٤٤) لويس ، برنارد ، اصول الاسماعيلية ، ترجمة جلو ، خليل أحمد والرجب ، جاسم محمد ، القاهرة ، ص ٥٤ .
The Origins of Ismailism, Bernard, Lewis.

(٤٥) طبعة ليبزك ، ١٨٧١ - ١٨٧٢ م وهي طبعة فلوكل ، وطبعة القاهرة ، مطبعة الرحمانية .

على كتابات ابن النديم كثيرا ويعتبر العالم الالماني فلوكل (٤٦) أول من استخدم اقوال ابن النديم . لقد كتب ابن النديم عن حياة بابك منذ مولده حتى توليه قيادة الفرقة الخرمية وختمها بحفل زواج بابك من ارملة القائد السابق جاويدان ، اما بعد ذلك فقد لزم ابن النديم الصمت والسبب كما يبدو انه اعتمد فقط على مصدر واحد (نسبه الى واقد بن عمرو التميمي) ربما تنتهي معلوماته الى هذا الحد . ورغم تحامل واقد فان الرواية غنية بأحداث قلما تطرق اليها الآخرون وقد رسمت صورة لحالة الخرمية قبل تولي بابك قيادتها . انتهت حياة ابن النديم في نهاية القرن الرابع وقد اعتبرنا كتابات مؤرخي القرنين الثالث والرابع الهجري اهم المصادر لانها اقرب عهدا الى حوادث الانتفاضة وهناك مصادر مهمة كثيرة رجعنا اليها تعود الى ازمان متأخرة من اجل ضبط التواريخ والاسماء والمواقع وقد استفدنا كثيرا من كتاب العيون والحدائق وهو مؤلف مجهول (٤٧) ورغم صغره واختصاره (طبعت فصول منه ولا تزال الفصول الباقية غير مطبوعة) فهو يحتوي على معلومات دقيقة كما ، وان كتاب الكامل في التاريخ (٤٨) لابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد الجزري (١١٦٠ - ١٢٣٣ م) غني بتفاصيل حوادث الانتفاضة وهو ان اعتمد على سابقه الا انه لديه تفاصيل اضافية عن الحوادث وعن أسر بابك ومحاكمة الافشين لم تكن موجودة لدى من سبقه من المؤرخين .

أما المصادر الدينية وهي التي تعنى بالامور الفقهية والمالية والفرق الدينية فهي مهمة من ناحية دراسة الاحوال الاقتصادية والاجتماعية وان كانت غير معبرة بصورة دقيقة عن واقع الحال لان السلطة ما كانت تتقيد بما يفترضه رجال الدين وكان الفقهاء مختلفين حسب مذاهبهم ويحاولون التوفيق بين النصوص وبين رغبات السلطان ورغم ذلك فقد زودتنا كتبهم بمواد غزيرة عن الضرائب وكمياتها وانواعها وعن الخراج والاقطاع ومعاملة اهل الذمة . لقد وجه ليون كيتاني Leone ceatani (٤٩) وبيكر G. H. Becker (٥٠) وولهاوزن J. Wellhausen (٥١) نقدهم الشديد الى فقهاء المسلمين واعتبروهم

(٤٦) حيث حقق وطبع كتاب الفهرست .

(٤٧) *Historia Chalifatus Al-Motasimi, C. Sandenbergh, Matthissen, Luduni*

Batvorum, E. J. Brilli, 1849

وهو كتيب صغير لا تتجاوز صفحاته ٧٥ صفحة من القطع الصغير لمؤلف مجهول يظن انه من القرن الرابع الهجري والكتيب هو

الجزء الثالث من تاريخ الخلفاء من كتاب العيون والحدائق في اخبار الحقائق .

(٤٨) المطبعة الازهرية ، القاهرة ، ١٣٠١ هـ ، وطبعة القاهرة ايضا ، ١٩٣١ - ١٩٤٠ .

(٤٩) كيتاني ، ليون ، حوليات الاسلام ، ميلانو ، ١٩١٢ ج ٥ ص ٢٨٠ - ٥٣٢
Leon Caetani, Annali Dell'Islam, Melano, 1912 V, pp. 280 - 532.

انظر دننت ، دانييل ، الجزية والاسلام (مترجم) ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ٣٣
Daniel, G. Dannet, Conversation and the Poll Tax in Early Islam, p. 33.

(٥٠) G. H. BECER - Die Entstehung Von USR and Harag Land in Agypten
«Islamstudien, 1 p. 219; Z. A. XVIII, 302-303

انظر دننت ، الجزية والاسلام ، ص ٤١

(٥١) J. Wellhausen, Das Arabische Reich und Sein sturz, Berlin, 1902

وقد ترجم Margaret Grahamweir الكتاب الى الانكليزية *The Arab Kingdom and its Fall, Calcutta, 1927.* والى العربية يوسف العش ، الدولة العربية وسقوطها ،

دمشق سنة ١٩٥٦ ، وايضا محمد عبد الهادي ابو ريدة (تاريخ الدولة العربية الى نهاية العصر الاموي) ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

انظر دننت ، الجزية والاسلام (مترجم) ، ص ٢٩ . وقد اعتمدنا النسخة التي ترجمها يوسف العش .

مزورين لواقع الحال . وقد استنكر دننت تهجم هؤلاء على الفقهاء ويرى بأن الفقهاء والمؤرخين المسلمين كانوا يبذلون الجهد في محاولة رسم ما كان جاريا بالفعل فسي الولايات المختلفة (٥٢) ، ويرى لوكيكارد بأنه لا يمكن أن يؤخذ بصورة موثوقة بأن السياسة التطبيقية قد اتبعت جداول الفقه بالتفصيل (٥٣) . وأهم المصادر الدينية التي تعنى بالامور المالية هي : - كتاب الخراج (٥٤) للقاضي ابي يوسف ، يعقوب بن ابراهيم (١١٣هـ - ٧٣١م / ١٨٢هـ - ٧٩٨م) ، وكتاب الخراج (٥٥) ليحيى بن ادم بن سليمان القرشي الاموي بالولاء (متوفى ٢٠٣) ، وكتاب الاموال (٥٦) للقاسم بن سلام ، ابو عبيد (١٥٤هـ - ٢٢٤هـ) ، واختلاف الفقهاء (٥٧) للطبري ، والاحكام السلطانية (٥٨) للماوردي ، وابو الحسن ، علي بن محمد بن حبيب (٤٥٠هـ - ١٠٥٨م) . واما الكتب الدينية التي تعنى باختلاف الفرق الاسلامية وغيرها وهذه مهمة بالنسبة لدراسة تاريخ الفرق الخرمية من ناحية منشئها وتطورها وأهم كتب الفقهاء والمتكلمين التي تبحث في الفرق هي مقالات المسلمين (٥٩) للاشعري ، ابو الحسن ، علي بن اسماعيل ، (٢٦٠هـ / ٨٧٤م - ٣٢٤هـ / ٩٣٦م) ، وكتاب التنبيه والرد (٦٠) للملطي ، ابو الحسين محمد بن احمد (متوفى ٣٧٧هـ / ٨٨٩م) ، وكتاب الفرق بين الفرق (٦١) للبغدادى ، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد ابن عبد الله (متوفى ٤٢٩هـ / ١٠٣٧م) وهو من متكلمي الاشعرية وقد اعتمد على الاشعري كثيرا ويذكره دائما بـ قال أستاذنا الجليل أبو الحسن . . . والبغدادى قليل العناية بتدقيق الحوادث والاماكن والاسماء وكتابه مفعم بالشتائم والردود المقذعة على الخرمية وبابك ولقد صدق الرازي ، فخر الدين اذ قال عنه انه شديد التعصب على المخالفين ولا يكاد ينقل مذهبهم على الوجه الصحيح (٦٢) . فاذا كان هذا حاله مع الفرق الاسلامية فكيف يا ترى يكون موقفه مع غيرها ؟ . لقد حشى كتابه بتهم وأباطيل ضد البابكية وهو الذي ابتدع رواية « الليلة الماجنة التي يطفي فيها الخرميون النور ويبتزون النساء (كذا) » وظلت تتكرر هذه الفرية بعده . ولا يختلف عنه كثيرا

(٥٢) الجزية والاسلام ، (مترجم) - ص ٤١ .

(٥٣) لوكيكارد ، الضريبة الاسلامية ، ص ٧٢ .

Frede Lokkegaard, *Islamic Taxation in the Classic Period*, Copenhagen, 1950, p. 72

(٥٤) طبعة بولاق ، ١٣٠٣ هـ ، وطبعة القاهرة ، ١٣٨٢ هـ .

(٥٥) طبع القاهرة ، ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٨ م وقد ترجم الكتاب الى الانكليزية Ben Shemsh, Aharon

باسم *Taxation in Islam* طبع ليدن ، ١٩٥٨ م ، وقدم له كويتن Goitein

وذكر في مقدمته (ان كتاب ابي يوسف اعمال قضائية بينما كتاب يحيى انما هو كتاب

حديث) ص . . . الا ان تسمية الكتاب وما احتواه من امور مالية تدلان

على ان الكتاب مخصص لمعالجة الامور المالية وما الاحاديث المروية الا لاثبات وجهات النظر .

(٥٦) طبع القاهرة ، ١٩٥٣ .

(٥٧) نشره شاخت ، ليدن ، ١٩٣٣ م .

(٥٨) القاهرة ، ١٩٦٠ م ، والاحكام السلطانية لابي يعلى الحنبلي (٤٥٨ هـ) ، القاهرة ، ١٣٥٧ هـ .

(٥٩) طبعة ريتز ، الاستانة ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ .

(٦٠) القاهرة ، ١٩٤٩ .

(٦١) القاهرة .

(٦٢) مقال لفخر الدين الرازي طبعه وعلق عليه بول كراوس

Kraus, Paul , *Les «Controverses» de Fakhr Al-Din Razi*, B. I. E., VIX 205 F F and

212 F F. لاحظ - لويس - أصول الاسماعيلية (مترجم) - ص ٦٤ .

الاسفراييني أبو المظفر ، محمد بن طاهر ، صاحب كتاب التبصير بالدين وتمييز الفرقة الناجية من فرق الهالكين (٦٣) ٠ ومن الكتب المهمة عن الفرق كتاب الملك والنحل (٦٤) ، للشهرستاني ، أبو الفتح محمد ، بن عبد الكريم ولد ٤٦٩هـ / ١٠٧٧م وتوفي ٥٤٨هـ / ١١٥٣م ، وفيه ابحاث غزيرة عن المانوية والمزدكية ، الا ان الشهرستاني قد اغفل أمر بابك نهائيا ويقول فلوكل ان الجميع كانوا ينتظرون منه ان يكتب عن بابك (٦٥) ، والشهرستاني أخف لهجة في نقده للفرق من سابقه ومع ذلك فان الرازي ، فخر الدين يتحفظ في الاعتماد على كتاب الملل والنحل ويقول بان الشهرستاني كان متحاملا على الفرق لانه نقل معلوماته عن البغدادي الذي كان شديد التعصب على المخالفين (٦٦) ٠ ومن كتب الفرق أيضا كتاب اعتقادات فرق المسلمين والمشركون (٦٧) ، للرازي ، فخر الدين وهو مقتضب جدا ٠ وكتاب تلبيس ابليس (٦٨) لابن الجوزي ، أبو الفرج ، عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله بن حمادي القرشي التيمي البكري ، الحنبلي (٥١٠هـ - ٥٩٧هـ) ، ويعتبر كتابه نقد العلم والعلماء او كما هو مشهور تلبيس ابليس عبارة عن ردود مقذعة عنيفة على أصحاب الفرق والبدع وهو كحنبلي شديد الحقد على الفرق السنية الاخرى فما بالك بغيرها وكتابه يحتوي على حوادث مبتسرة هزيلة مخطوءة ٠

وأما المصادر الجغرافية فقد عنت بوصف البلدان وطرق المواصلات فيها وإبعاد المسافات بالفراسخ (الفرسخ = ٨ كيلومتر) بين المدن وثروات البلاد والضرائب المستحصلة وأحوال الناس ووصف معاشهم ولغاتهم وأسواقهم وعاداتهم وهي ذات مواضع نافعة واكثرتها سنكتفي بذكرها وأهمها كتاب البلدان (٦٩) لليعقوبي ومختصر كتاب البلدان (٧٠) لابن الفقيه ، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني (ألفه بعد ٩٠٢م) ، وكتاب المسالك والممالك (٧١) لابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (متوفى ٩١٣م) ويمكن اعتبار كتاب الخراج وصناعة الكتابة (٧٣) لأبي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (متوفى ٣٢٧هـ) من الكتب الجغرافية أيضا وقد ألفه حوالي ٩٢٨م ، والرسالة الثانية (٧٤) للخزرجي ، أبو دلف مسعر بن المهلهل ، الذي زار المناطق

(٦٣) القاهرة ، ١٩٤٠م ٠

(٦٤) طبعة القاهرة ، ٤٨ ، ١٩٤٩م ٠

(٦٥) مجلة جمعية الاستشراق الالمانية ، بابك ، ٥٣١

Flugel, G., Babek, Seine Abstammung and Erstes Auftreten, ZDMG, 1869, S. 531.

(٦٦) انظر الهامش ٦٢ ٠

(٦٧) (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر) ، ١٩٣٨ ٠

(٦٨) القاهرة ٠

(٦٩) نشره دي غويه ، ١٨٩٢ ٠

(٧٠) ليدن ، ١٣٠٢ هـ ٠

(٧١) ليدن ، ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩م ٠

(٧٢) ليدن ، ١٩٢٧ ٠

(٧٣) ليدن ، ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩م ٠

(٧٤) رسالة ابي دلف الثانية ، موسكو ، ١٩٦٠ ٠

الشرقية وتجول في أرمينيا وآذربيجان في ٣٠ - ٤٠ القرن العاشر الميلادي وقد لاحظ بأن المحمرة من الخرمية يعقدون أعلامهم على جبل البست (٧٥) في عام ٩٣٣م كتب الاصطخري ، أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي كتابه مسالك الممالك (٧٦) وقد نقله عن صور الاقاليم للبلخي وفي عام ٩٥١م باشر بن حوقل محمد العمل في مؤلف الاصطخري وأخرج كتابه المسالك والممالك (٧٧) ، معتمدا على صور الاقاليم أيضا .
لقد أشرنا في حينه الى كتب المسعودي التي هي أقرب الى الجغرافية من التاريخ .
وبين أعوام ٩٨٥ - ٩٩٧م كتب المقدسي ، أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر (ولد ٩٤٦هـ - وتوفي ١٠٠٠م) كتابه أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم (٧٨) وأعظم عمل جغرافي قام به الحموي ، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت (ولد ٥٧٤هـ / ٥٧٥هـ - ١١٧٩م وتوفي ٦٢٦هـ - ١٢٢٩م) حيث لخص معلومات البلاذري والطبري والجغرافيين السابقين وأضاف اليها مشاهداته الشخصية في كتابه معجم البلدان (٧٩) .
أما المصادر الادبية التي ذكرت سابقا فقد أفادتنا في عكس جوانب من الانتفاضة وفي دراسة الشعوبية .

ب - المصادر الفارسية : وهي التي كتبت بالفارسية وهذه قليلة ومتأخرة عن عهد الانتفاضة حيث كان القرنان الثالث والرابع عصر المؤلفات العربية وبعدها بدأت الترجمة والتأليف بالفارسية .

وقع بأيدينا مصدران احدهما (سياست نامه ، أو سير الملوك) (٨٠) ألف في نهاية القرن الخامس الهجري (٤٨٥هـ) والثاني (تاريخ طبرستان) (٨١) ألف في بداية القرن السابع الهجري (٦١٣هـ / ١٢١٦م) . ألف كتاب سياست نامه ، وزير السلجوقيين ألب ارسلان وملکشاه ، نظام الملك ، الخواجه أبو علي الحسن بن علي وقد ترجم زاخودير هذا الكتاب ترجمة جيدة الى اللغة الروسية (٨٢) كما وان هيوبيرت دارك Hubert Dark قد اعتنى بطباعة السياسة نامه اعتناء جيدا (٨٣) . يحتوي هذا الكتاب على مواضيع كثيرة خصصت للهرطقة (من الباطنية والخرمية والمزدكية) وتطرق الى انتفاضات الخرمية ومنها البابكية وقد أشار الى أن خرمية جرجان رفعوا أعلاما حمراء (أي محمرة) (٨٤) في عهد الخليفة المهدي . وقد اتهم الخرمية مكررا

(٧٥) ن . م . ، ص ١٣ .

(٧٦) باعثناء دي غويه ، ١٨٧٢ .

(٧٧) ليدن ، ١٨٧٣ .

(٧٨) باعثناء دي غويه ، ١٨٧٧ .

(٧٩) بيروت ، ١٩٥٠ .

(٨٠) طبعة باريس ، ١٨٩١ .

(٨١) انظر عنه اعمال بارتولد ، القسم الاول ، موسكو ، ١٩٦٣ ، ص ٦٢٦ .

(٨٢) موسكو ، ١٩٤٩ .

(٨٣) طهران ، ١٣٤٠ / ١٩٦٢ م .

(٨٤) النص الفارسي ، ص ٢٩٠ ، والترجمة الروسية ص ٢٢٤ .

اقوال سابقه بالمجون والاستهتار وهتك الاعراض . وفائدته تنحصر في ذكر تفاصيل الانتفاضة البابكية التي لم ترد عند الطبري وغيره من مؤرخي القرنين الثالث والرابع . وألف كتاب تاريخ طبرستان ، ابن أسفنديار بهاء الدين محمد بن حسن ، وقد طبع باعتناء عباس اقبال بمجلدين (٨٥) وترجمه الى الانكليزية عن نسخة محفوظة بالمتحف البريطاني - براون - Browne (٨٦) وهو وان كان من المصادر المتأخرة الا انه غني بحوادث طبرستان وخاصة انتفاضة المازيار وخرمية طبرستان ولو انه يتوسع في خياله حتى تصبح الحوادث التاريخية قصصا مسلية كما في قصة افشاء المازيار الى عبد الله بن طاهر سر مؤامرة الافشين لسم الخليفة المعتصم حيث لعب خيال ابن اسفنديار فيها واسعا ، اذ كيف تيسر للمازيار وهو في الاسر أن يعلم باليوم الذي سيقدم فيه الافشين على الامر ؟ وكيف يسمي المازيار الواثق والمتوكل وهما لما يسميا بهذين الاسمين بعد ؟ ولم يخف ابن اسفنديار عداؤه للمتفضين أبدا .

ج - المصادر الارمنية والسريانية : نظرا لامتداد رقعة الانتفاضة الى الجزء الشرقي من أرمينيا ومساهمة قسم من الشعب الارمني في الانتفاضة كان لزاما علينا ان ندرس أحوال الشعب الارمني وتاريخه في العهود السابقة وفي أيام الانتفاضة لمعرفة العوامل والدوافع التي أدت الى مساهمة الارمن بتلك الانتفاضة وفي غيرها والمصادر العربية غنية المواد حول أرمينيا وسكانها وخيراتها وولاتها وانتفاضاتها ولكسن تلك المصادر تعكس انطباع المؤرخين العرب فقط . ان أهم المصادر الارمنية التي استخدمت في البحث هي : تاريخ الخلفاء (٨٧) لمؤلفه كيفوند ، فارتابيد (المعلم) والذي عني بعرض مآسي الشعب الارمني وما قاساه من اضطهاد وظلم من بين مجمل تاريخ القفقاس منذ ٦٦١م - ٧٨٨م فقد وصف حرق الامراء الارمن في كنيسة ناخجيفان من قبل الامويين وتلاشي مقاومة أبناء الشعب بعد فقدان الامراء الاقطاعيين الارمن حيث وصف حالة الشعب البائس بأنهم أصبحوا كالانعام المقدمة للذئاب وليس أمامهم الا ان يلتجئوا بزفرتهم وآهاتهم الى السماء (ص ٢٣ - ٢٤) . لقد أمدنا كيفوند بمعلومات عن فداحة الضرائب وحرق المدن وعن الانتفاضات في العهد الاموي وأوائل العهد العباسي . ويعتبر تاريخ اغوان (٨٨) لمؤلفه كاكناكاتافاسي ، موسيا من المصادر المهمة لا عن تاريخ أرمينيا فحسب ولكن عن القفقاس برمته ولا سيما القسم الثالث منه ويعطي هذا القسم معلومات طيبة عن بابك (أو بابان أو باب - كما تسميه المصادر الارمنية) والحروب العديدة التي خاضها وكان يطلق عليه بالوحش والقاتل وجميع الصفات التي

(٨٥) طهران ، ١٣٢٠ ش ، ١٩٤١ م .

(٨٦) ليدن ، لندن ، ١٩٠٥ .

(٨٧) ترجمه عن الارمنية بترمان ، سانتبطسبرغ ، ١٨٦٢ .

(٨٨) توجد ترجمتان للكتاب من الارمنية أحدها ترجمة باتكانوف ، ك الى الروسية وقد اعتمد على نسخة شاخاتوني الخطية فقط ، والاخرى ترجمة داوست *Gi. J. F. Dowsett* الى اللغة الانكليزية

The History of the Caucasian Albanians, by Movses Dasxuranci, London, 1961.

ويثمن بونيباتوف ترجمة داوست لانها اعتمدت على اكثر من ٤٠ نسخة خطية في مكتبات العالم ، بونيباتوف ، اذربيجان في القرون السابع - التاسع ص ١٢ .

تنم عن عدائه لبابك ولجماعته وقد بين الصلات التي توطدت بين بابك وفاساك أمير سونيك وعن زواج بابك بآبنة فاساك بعد وفاته وكان يعتبر بابك إيرانيا كأغلب المؤرخين الارمن ، وقد أعطى تفصيلات عن سهل بن سنباط وعلاقته ببابك . وعلى قلة المعلومات التي يعطيها فاردان في كتابه التاريخ العام (٨٩) فإنه لا يخفي حقه على بابك واتهمه بأنه ادعى الخلود وتصور بأنه إيراني من بغداد . وأما المؤرخ ميخائيل السرياني (٩٠)، والذي تحدث عن غزو بابك لاراضي أرمينيا ، فإنه يطلق على بابك ، كما يطلق عليه الارمن لقب المهدي ، ولا بد وان هذه التسمية تلتقي بصورة ما مع الفرضية الخاطئة التي أطلقها أبو حنيفة الدينوري من أن أصل بابك يعود الى أبي مسلم ، وتنسج الروايات في الخيال على أن أحد أحفاد أبي مسلم سيكون المهدي المنتظر والذي سيأخذ بثأر جده . وتحت تأثير هذه الرواية وقع ولا بد المؤرخون الارمن وميخائيل السرياني ، والمعلومات التي يعطيها ميخائيل عن غزو بابك لاراضي أرمينيا غير موضحة وانما تتكلم بصورة عامة .

المراجع : قدمت الدراسات الماركسية اللينينية الكلاسيكية ، التي قامت على أسس علمية وتحاليل دقيقة لتاريخ البشرية ، استنتاجات عظيمة تسلط أضواء كشافه على أحداث الماضي وتنير السبيل للتوصل الى حلول سليمة . وفي دراسة ينتظر منها ان تكون شاملة لانتفاضة فلاحية في القرون الوسطى لا غنى لها عن تلك الابحاث الاصلية في دراسة التطور التاريخي للبشرية .

وكم كان هاديا لنا في دراسة مشكلة التملك الاقطاعي للارض ، ذلك التحليل الرائع الذي دبجه أنكلز ، ف . في رسالته التي بعث بها الى رفيقه ماركس ، ك . (حزيران ١٨٥٣م) (٩١) حيث يقول فيها « ان انعدام الملكية الخاصة للارض يصبح مفتاحا لفهم الشرق بأجمعه . وفي هذا يكمن اساس تاريخه السياسي والديني كله . ولكن لماذا لم تصل شعوب الشرق الى مرحلة التملك الخاص للارض بل ولا الى التملك الاقطاعي ؟ خيل الي ان ذلك يفسر بشكل أساسي بالمناخ وبطبيعة الارض وبصورة خاصة في منطقة الصحراء الكبرى التي تمتد من الصحارى عبر بلاد العرب ، الفرس ، الهند ، التتر حتى أعالي الجبال الاسيوية . ان الشرط الاول للزراعة هنا هو طريقة الارواء الصناعية وهي اما أن تقوم به الجماعة او المحافظة او الحكومة المركزية » (٩٢) . وهذا ما أكدته ماركس ، ك . في بحثه الممتاز عن التملك البريطاني في الهند بقوله : « ان الظروف المناخية وطبيعة السطح . . . جعلت نظام الارواء الاصطناعي بالقنوات ومضخات الري أساسا للزراعة في الشرق » (٩٣) .

(٨٩) التاريخ العام ، فاردان ، ترجمه من الارمنية أمين ، ن .
موسكو ١٨٦١ .

(٩٠) *Kurdian H. Papek e Sahlihn sunbat. Pazmaveb. Venice, 1959, p. 15.*

(٩١) رسالة انجلز الى ماركس ، حزيران ١٨٥٣ ، كارل ماركس وفريدريك انجلز ، الرسائل المختارة
موسكو ، ١٩٥٣ ص ٥٧٤ .

(٩٢) ن . م . ، ص ٥٧٤ .

(٩٣) كارل ماركس وفريدريك انجلز المؤلفات المجلد التاسع الطبعة الثانية ص ١٢٢ .

لماذا اتخذ البابكيون تعاليم الخرمية اطارا ايديولوجيا لنضالهم ؟ هذا السؤال قد عثرنا على جوابه في مقولة انكلز في كتابه « الحرب الفلاحية في المانيا » ، والذي كان خير معين لنا في تفهم مشاكل فلاحى الشرق . يقول انكلز ، ف « اتخذت المعارضة الثورية للاقطاع في القرون الوسطى أشكالا مختلفة طبقا لظروفها الزمنية ، بشكل متدينين ، بشكل هرطقة مكشوفة ، وبشكل انتفاضة مسلحة » (٩٤) . لما كان الظلم والاستغلال والارهاق مستمرا فلم كان الفلاحون لا ينتفضون دائما ؟ ولم لا ينضمون بأجمعهم للانتفاضات ؟ هذان السؤالان المعقدان واللذان توقف عليهما مصير الانتفاضة البابكية وجدنا تفسيرهما في مقولة انكلز ، ف « حيث أرجع احجام الفلاحين عن الانتفاضات الى ما تعودوه من خنوع لاجيال عدة » الخ (٩٥) .

وفي المراجع التي اتبعت الاسلوب العلمي في مناقشتها للاحداث التاريخية مواد غزيرة عن تاريخ ايران والقفقاس كأبحاث بيكولفسكايا في كتابها « مدن ايران في ستهل القرون الوسطى » (٩٦) ، وكتابها (بيزنطية وايران على مشارف القرن السادس، والسابع » (٩٧) ، ومقالها في كتاب تاريخ ايران من الازمان القديمة الى نهاية القرن الثامن عشر » (٩٨) ، وان كنا لا نتفق مع بعض آرائها ، والتي لا يتسع المجال لذكرها هنا ، حيث ادرجت في البحث ، فان كتاباتها عن تاريخ ايران قبل الاسلام تتسم بالاصالة والجدية ، ولا شك ان معالجة دياكانوف لمشكلة المرأة الايرانية والحركة المزدكية في كتابه (مختصر تاريخ ايران القديم) (٩٩) قد اظهرت مبلغ العناية التي بذلها في مراجعة مختلف المصادر والمراجع والنصوص المهمة . ومن المواضيع التي اعتمدنا دراستها عن الحركة المزدكية مقال سمينوف ، ١٠١ في « مجلة مسائل التاريخ والدين والاحاد » (١٠٠) عن المزدكية وهو مقال ممتع رغم ان سمينوف يسمي الخرمية بالمزدكية الجديدة وهذه التسمية تجدها في كتاب « تاريخ القرون الوسطى » (١٠١) أيضا . وعلى الرغم من أن كتاب ايفانوف مختصر فانه يحتوي بين دفتيه على حوادث متسلسلة تتسم بالتركيز والتحليل العلمي الدقيق ، وقد أفادنا بآرائه لا عن تاريخ ايران ما قبل الاسلام فحسب ، بل وحتى في دراسة الانتفاضات التي قامت في العهود الاسلامية ومنها الخرمية والبابكية . فقد حلل ببراعة سبب فشل الحركة المزدكية (ان الحركة المزدكية أضعفت بظروفها ، لانها لم تستطع أن تعارض بنظام اجتماعي ، ذلك الذي ناهضته ، كائنا ما كان تقدما وشملت فقط قسما من السكان الكادحين - خاصة من أصل فارسي - مع ذلك هذه الحركة عزلت نفسها من امكانية الحلفاء - جماهير

(٩٤) انكلز الحرب الفلاحية في المانيا ، موسكو ، ١٩٥٢ - ص ٣٤ .

(٩٥) ن ٣١ ، ص ٣١ .

(٩٦) موسكو ، ١٩٥٦ -

(٩٧) موسكو - لينينغراد ، ١٩٦٤ .

(٩٨) لينينغراد ، ١٩٥٨ .

(٩٩) طبعة موسكو ، ١٩٦١ .

(١٠٠) العدد ٥ ، موسكو ، ١٩٥٨ .

(١٠١) لمؤلفه الاستاذ سمينوف ، ف ٥ ، موسكو ، ١٩٦١ .

الشعوب غير الايرانية المظلومة » (١٠٢) . وقد لاحظ ايفانوف بصواب ان نجاح الخلافة في حروبها قد أعان الاقطاعيين على خيانة بابك ، هؤلاء الذين قد انضموا في الاول للمتفضين ومن ثم قاموا ضدهم مساعدين العرب (١٠٤) .

ولا تخلوا اعمال وأبحاث العلامة بارتولد والباحث كريمسكي ومرشدي الاول الاستاذ الراحل بيلاييف ، وهي غزيرة ، من فوائد اعانتنا على تفهم احوال شعوب ايران واذربيجان وارمينيا في العهد الاسلامي ، فقد لاحظ بيلاييف ان الانتفاضة المنظمة تحت شعارات الفرق الخرمية الدينية نشدت المساواة الاجتماعية وتعميم الملكية (١٠٥) . ولا يقل عن ذلك كتاب زاخودير (تاريخ القرون الوسطى الشرقية » الخلافة والشرق الأدنى ») (١٠٦) ، وكتاب « تاريخ بلدان الشرق الاجنبية في القرون الوسطى » (١٠٧) حيث فيهما ابحاث قيمة عن تاريخ بلدان الشرق الاوسط مدروسة على اضاء التحليل العلمي ومثلها ابحاث ياكوبفسكي في « تاريخ ايران منذ الازمنة القديمة حتى نهاية القرن الثامن عشر » وفيه دراسات ضافية عن انتفاضات الخرمية والبابكية . وفي « العراق في حدود القرنين ٨ - ٩ » وهي اعمال السدورة الاولى للمستعربين (١٠٨) ، ومقاله المتمع عن انتفاضة المقنع في مجلة الاستشراق السوفيتية « انتفاضة المقنع ، حركة الناس المرتدين اردية بيضاء » (١٠٩) .

وهناك دراسة ممتعة لتاريخ القفقاس وردت في بداية كتاب تاريخ الاتحاد السوفيتي (١١٠) وفيها تحليل المجتمع القفقاسي في العهود المختلفة من الرق والاقطاع وتشمل دراسة الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، ومن الدراسات المهمة بحث الاستاذ بوليانسكي رغم انه غير مختص بتاريخ الشرق الاسلامي ويجهل العربية فانه قدم ابحاثا اقتصادية لتاريخ هذه البلدان في القرون الوسطى في كتابه « التاريخ الاقتصادي للبلدان الاجنبية في عهد الاقطاع » (١١١) ، الا ان بوليانسكي ظل لا يفرق بين ضريبة الخراج وضريبة الجزية حتى نهاية العصر الاموي اذ اعتبر بوليانسكي خطأ الجزية ضريبة على الارض والخراج ضريبة على الرأس . صحيح - كما لاحظ دننت (١١٢) - ان الجزية او الخراج يعنيان الضريبة بصورة عامة لو ذكرا مفردين ، ولكن في أواخر العهد الاموي تحدد مفهوم الضريبتين . ويعتقد بوليانسكي ان الفتح العربي سارع في تطوير الاقطاع ، ولكننا نرى العكس وهو ان الفتح العربي الذي اراد

(١٠٢) موجز من تاريخ ايران القديم ، موسكو ، ١٩٥٢ .

(١٠٣) ن.م. ، ص ٣٠ .

(١٠٤) ن.م. ، ص ٤٠ .

(١٠٥) تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٢١٦ .

(١٠٦) موسكو ، ١٩٤٤ .

(١٠٧) موسكو ، ١٩٥٧ .

(١٠٨) موسكو - لينينغراد ، ١٩٤٨ .

(١٠٩) موسكو - لينينغراد ، ١٩٤٨ .

(١١٠) موسكو ، ١٩٦١ .

(١١١) موسكو ، ١٩٥٤ .

(١١٢) الجزية والاسلام .

ان يفرض الارستقراطية القبلية قد جعل الاقطاع يسير بوتائر أبطأ . ومن اجل ان يبرهن على فضل العرب في انتشار التجارة وازدهارها في مختلف الربوع ، ضرب مثلا على استعمال كلمة بازار ظانا بأنها عربية بينما هي ليست بعربية وكان الحري ان يذكر انتشار كلمة تعريفة العربية وبقالية العربية .

لقد كتب الباحث الارمني ليو مجلدات ضخمة عن تاريخ ارمينيا (١١٣) تناول فيها لا تاريخ ارمينيا فحسب ، وانما كل ما يتعلق بتاريخ ارمينيا من احداث وصلات من قريب او بعيد . ومن المؤسف ان تغلب العناية بالكمية على الدقة العلمية فتاريخ ارمينيا الذي كتبه ليو قليل التحليل ضعيفه ويسرد روايات مؤرخي القرون الوسطى على علاقتها دونما تمحيص او تدقيق او تعليق ، بل ويردد مفترياتهم وأساطيرهم ، فعلى سبيل المثال لا الحصر كتب هذا الخلط العجيب عن منشأ الخَرمية في آذربيجان وعن قيادتها حيث يذكر عن جاويدان انه كان يدعى المهدي (لم تطلق عليه هذه التسمية الا عند مؤرخي الارمن حيث كانوا يطلقونها على قادة الخرمية في آذربيجان) ثم قتل وجاء من بعده هارون (المعروف لدى غالبية المصادر ان بابك تولى قيادة الخرمية بعد جاويدان) وقتل هارون وجاء من بعده بابك (١١٤) . ويعتبر ليو الانتفاضة البابكية ايرانية ، شأنه شأن مؤرخي العصور الوسطى الارمن (لكن الانتفاضة الفارسية لم تنل اي شيء من انتصار الامبراطور تيوفيل) (١١٥) ، كما وانه يردد تهم العلماء البرجوازيين عن مشاعية النساء لدى البابكيين ويبتكر لها مسميات فيسميها الشيوعية القديمة او البدائية (١١٦) (كذا !) . وفي محاضرة القاها الاكاديمي السوفييتي الارمني مانانديان وطبعت بكراس باسم « الانتفاضات الشعبية في أرمينيا ضد السيطرة العربية » (١١٧) يكرر تسمية الانتفاضة الآذربيجانية « بانتفاضة الفرق الفارسية » (١١٨) ، وان بابك دعا نفسه بالمهدي (١١٩) ويقول عن الانتفاضة انها سعت الى مشاعية الملكية والنساء والى الاطاحة بالحكم العربي واقامة الامبراطورية الفارسية السابقة (١٢٠) . هكذا وبكل بساطة وعدم ترو يقع العالم السوفييتي بشباك العلماء البرجوازيين بترديد معزوفتهم البالية حول مشاعية النساء واعادة المجد الساساني .

كان المنتظر من كتاب يؤلفه الآذربيجانيون عن تاريخ بلادهم ان يكون ينبوعا صافيا غزيرا بمعرفة احوال البلاد وتاريخها دقيقا في معلوماته ومتأكدا من صدق رواياته ، ولكننا وجدنا والالم يحز في نفوسنا ان كتاب تاريخ آذربيجان (١٢١) رغم

(١١٣) يرفان ، ١٩٤٧ .

(١١٤) ن.م. ج ٢ ص ٤٢٧ .

(١١٥) ن.م. ج ٢ ص ٤٣٦ .

(١١٦) ن.م. ج ٢ ص ٤٢٧ .

(١١٧) يرفان ، ١٩٣٩ - .

(١١٨) ن.م. ص ٢١ .

(١١٩) ن.م. ، ص ٢١ .

(١٢٠) ن.م. ، ص ٢١ .

(١٢١) المجلد الاول ، باكو ، ١٩٥٨ .

العناية والجهود التي بذلت لآخراجه بحلة قشبية ، جاء ثانويا مبتسرا جزر المعلومات وغير دقيق حتى في تعيين موقع البند - مركز وقلعة البابكيين - حيث جعلها « على منحدرات سبلان الشمالية » (١٢٢) وهذا الجبل يقع الى الشمال من اردبيل جنوب نهر كاراسو بينما تقع البند جنوب نهر أراكس وشرق رافده كيرخسو ، ويذكر عن وادي هشتادسر انه يقع قرب المراغة (١٢٣) بينما جبل وادي هشتادسر يقعان الى الشرق من البند ، ويذكر بأن الخرميين تعاقدوا مع الجورجيين (١٢٤) وليس هناك من مصدر أو مرجع واحد - سوى يامبولسكي - أشار الى ذلك ، كما وانه يردد اتهام الخرميين بالمرحين والمبتهجين (١٢٥) .

من الابحاث الطريفة عن معتقدات الارمن الدينية والحركات الهرطقية التي ظهرت في ارمينيا ابحاث امين ، ن . أو . « مختصر دين ومعتقدات الارمن الهرطقية » ، ولا تقل أهمية ابحاث العالم الروسي فازيليف المختص بشؤون بيزنطية (١٢٦) وقد أمدنا بمعلومات طيبة عن الحروب البيزنطية - العباسية وأشار الى ابواء الامبراطور تيوفيل لفلول الخرميين الذين التجأوا اليه بعد انكسارهم في معركة همذان ٢١٨هـ ، وأشار الى رسالة بابك الى امبراطور بيزنطية التي يناشده فيها توجيه جيوشه لمحاربة المسلمين لتخفيف الضغط عليه ، وقد اعتمد الباحث الروسي المتدين فازيليف على روايات الطبري كثيرا . ومينورسكي V. Minorsky في مؤلفه القيم « دراسات في التاريخ القفقاسي » القفقاسي - Studies in Caucasian History (١٢٧) وقد تكلم فيه عن حياة وعادات ولغات وتقاليد سكان بلاد القفقاس وقد أمدنا بمعلومات دقيقة عن اللهجات الآذرية والتاليشية في آذربيجان وعن أحوال القاعدة التي اعتمدها بابك في نضاله ضد الخلافة (١٢٨) وكذلك في تحقيقاته للمخطوطات التي نشرها (فصل من تاريخ الباب وشيروان - فصل باب الشادية من كتاب جامع الدول ، وحدود العالم Hudud Al-Alam) (١٢٩) . ترجم العالم الانكليزي سيل G. Sale القرآن الى اللغة الانكليزية (١٣٠) وكتب مقدمة حوالي ١٢٢ صفحة ختمها بملاحظات عن التاريخ الاسلامي وقد تطرق فيها الى انتفاضات الخرمية في ايران وما وراء النهر وفي آذربيجان (١٢٩ - ١٣٠) وهو يعتمد على السعودي وابن العبري (١٣١) كثيرا وقد

(١٢٢) ن . م . ، ص ١١٨ .

(١٢٣) ن . م . ، ص ١٢٠ .

(١٢٤) ن . م . ، ص ١٢٠ .

(١٢٥) ن . م . ، ص ١١٧ .

(١٢٧) لندن ١٩٥٣ ، وانظر مقاله المتمتع عن آذربيجان في الموسوعة الاسلامية ١م ، ص ١٨٨ .
The Encyclopaedia of Islam, V. I, p. 188.

(١٢٨) دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ١١٢ - ١١٣ .

(١٢٩) حدود العالم The Regions of the Word لندن ، ١٩٣٧ وقد قدم له بارتولد

ونشره وترجمه بالانكليزية مينورسكي . وتوجد نسخة خطية لحدود العام مع فهارس

لبارتولد في مكتبة لينينغراد .

(١٣٠) القرآن ، لندن ، ١٨٥٧ .

The Koran, Commonly Called the Al-Coran of Mohammed.

(١٣١) ابن العبري ، غريغوريوس (م . ٦٧٤ هـ / ١٢٨٦ م) ابو الفرج ابن هارون ، تاريخ مختصر

الدول ، طبعة اوكسفو رد ، ١٦٦٣ وطبعة بيروت ، ١٨٩٠ م .

علل تسمية بابك بالخرمي والخسرم دين (اما لانه كان من المحل القريب من آذربيجان المعروف بـ خورم Khorrem أو لانه سن دين المرح) ثم يقول بانه لم يعثر على أي تعاليم بشر بها ولكن يقال بأنه لم يعلم بأي دين معروف في آسيا (١٢٢) .

من الابحاث الوصفية لجغرافية بلدان الخلافة الشرقية اعتمدنا على الكتاب القيم
(أرض الخلافة الشرقية Lestrange, Guy وقد استفدنا منه في التعرف على

لمؤلفه ليسترانج ، كي Lestrange, Guy وقد استفدنا منه في التعرف على طبيعة أراضي ايران وآذربيجان ووصف جبالها وطرقها وفيه خرائط جيدة لتلك البلدان نقلنا بعضا منها . لقد اعتمد ليسترانج على المصادر العربية وخاصة اليعقوبي والمسعودي وبدرجة اساسية ياقوت الحموي . ولا يقل اهمية كتابه « بغداد (الطبعة الانكليزية - لندن ١٩٠٠ ، وترجمه كوركيس عواد باسم : « بغداد في عد الخلافة العباسية » ، بغداد ، ١٩٣٦) . لدراسة الاقطاع والانظمة المتبعة لجمع الضرائب المختلفة من جزية على النفس وخراج على الارض وعشر على التجارة وعلى الارض ولدراسة معاملة اهل البلد المفتوح الموالي ممن اسلم منهم وأهل الذمة ممن بقي على دينه من اجل ذلك راجعنا أيضا مؤلفات العلماء الغربيين والتي أولت المواضيع الأنفة الذكر العناية الجيدة من الدرس والتحصيل وان كانت تنطلق من وجهة نظر معينة وانها لم تعن بوقع الضرائب على السكان وتأثيرها فيهم بقدر ما اهتمت بالاسس القانونية والفقهية وجذور وتطور تلك الضرائب وتحديد مقاديرها وأهم المؤلفين الذين رجعنا اليهم فـون كريم Alfred Von Kremer « الحضارة الاسلامية ومدى تاثيرها بالمؤثرات الاجنبية » (١٢٣) Cultur-geschichte Tritton A. S. وترتون De Orients Untre Denghalifen, Wien, 1975 « أهل الذمة في الاسلام » (١٢٤) The Caliphs and Their Non-Muslim Subjects, London, 1930 ودنت (« الجزية والاسلام » - النسخة الانكليزية والترجمة العربية) ، ولوكيكارد « الجزية الاسلامية في العهد الماضي » .

ويعتبر كاب « ايران في عهد الساسانيين Christensen A., Iran sous les Sassanides, Paris, 1936 (١٣٥) لمؤلفه كريستنسن ، آرثر من المؤلفات النافعة والمراجع المعول عليها في تاريخ ايران لما قبل الاسلام ، فقد بذل كريستنسن جهودا مضنية لأكثر من ثلاثين عاما في التقصي والبحث المتواصل مشذبا ومضيفا حتى أخرجه ملما بدقائق الحوادث . وقد أمدتنا الدراسات التاريخية - الادبية والفنية بأبحاث ومعلومات مفيدة رغم تحيزها ضد الانتفاضات الشعبية مثل دراسات كل من

(١٢٢) سيل ، القرآن ، ص ١٣٠ .
(١٢٣) تعريب الدكتور مصطفى طه بدر ، القاهرة ، ١٩٤٧ م . (لقد ترجم خدابخش كتاب فون كريم من الالمانية الى الانكليزية تحت عنوان (الحضارة الاسلامية) في الجزء الاول من كتابه المسمى Contributions to the History of Islamic Civilisation وعنه

ترجم الدكتور مصطفى طه بدر الى العربية .
(١٢٤) ترجمة حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
(١٣٥) ترجمة يحيى الخشاب ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

دوزي (« موجز تاريخ الاسلام » ترجمه عن الفرنسية كيمنسكي ، بطرسبرغ ١٩٠٤)
 وميور Sir William Muir (« الخلافة نهوضها ، انحطاطها وسقوطها »
 The Caliphate, Its Rise, Decline and Fall (١٣٦) ، الذي أشار الى محاوره
 الكندي لعلماء المسلمين في قصر المأمون ، وقد قام ميور بترجمة تلك المحاوره الى
 الانكليزية ونشرها باسم («محاوره الكندي» The Apology of Al-Kindy (١٣٧) ،
 ومولر (« تاريخ الاسلام » ترجمته من الالمانية الى الروسية مدنيكوف) (١٣٨) ،
 وبالرغم من ان مولر سخر من تفسير فلوكل لكلمة خترم حسب المعنى الفارسي بماجن
 ومستهر واعتبر ذلك لا يعدو كونه ذكته مدرسية (١٣٩) ، فانه (مولر) لم يتورع عن
 اتهام « الشيوعيين - كذا حسب تعبيره - الذين قادهم بابك الفارسي » بالقساوة
 ومشاعية الزوجات (١٤٠) ، وآرنولد Arnold T. W. (« الخلافة » The Caliphate,
 Oxford, 1924) ، وبراون Browne Edw (« تاريخ الادب
 الايراني » A Literary of Persia from Firdaws to Sadi (١٤١) تناول فيه
 قسطا من انتفاضات الخرمية معتمدا على الـ « سياست نامه » ، وتراث ايران
 The Legacy of Persia لخبذة من المستشرقين الانكليز ، لاحظنا فيه الديانة
 الفارسية ومحاكمة الافشين ، حيدر بن كاؤوس ، ونيكلسون Nicholson R.
 « تاريخ الادب العربي A Literary History of the Arabs (١٤٢) ، وجب
 Gibb H. A. R. الاحتلال العربي لآسيا الوسطى The Arab Conquest of Central Asia
 Studies of the Civilisa- (١٤٤) و «دراسات عن المدنية في الاسلام»
 tion of Islam (١٤٥) وفيه فصل عن الشعوبية والزندقة (ص ٦٢ - ٧٢)
 ويتحدث جب عن الصراع بين الشعوبية والعرب فيقول « كان الصراع في القرنين
 الثاني والثالث الهجري لا صراعا بين مدرستين للادب ولا حتى صراع القوميات
 السياسي ولكنه صراع من اجل تحقيق اهداف الحضارة الاسلامية » (١٤٦) ، والعالم
 المجري كولدتسهير ، اجناس Goldziher I. في كتابه (« الدراسات المحمدية »
 Mohammadanische Studien) وكتابته (« العقيدة والشريعة في الاسلام » ، ترجمة
 علي حسن عبد القادر وآخرين - القاهرة - ١٩٤٦) ، والعالم الالماني بروكلمان
 Brockelmann « تاريخ الشعوب الاسلامية » (١٤٧) ، وأستاذ الفارسية في

- (١٣٦) - ادنبره ، ١٩٢٤
- (١٣٧) لندن ، ١٨٨١
- (١٣٨) - (بيتبرغ) ، ١٨٩٥
- (١٣٩) ص ١٦٩
- (١٤٠) ص ١٩٥
- (١٤١) ط ٣ لندن ، ١٩٢٠
- (١٤٢) ترجمة محمد كفاي وجماعته ، القاهرة ، ١٩٥٩
- (١٤٣) لندن ، ١٩٢٣
- (١٤٤) لندن ، ١٩٢٣
- (١٤٥) بوسطن ، ١٩٦٢
- (١٤٦) ن.م. ، ص ٦٢
- (١٤٧) ترجمة نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ، بيروت ، ١٩٤٨

جامعة كامبردج ليفي Levy Reuben («تركيب الاسلام الاجتماعي» The Social Structure of Islam) (١٤٨) ، والباحث الهندي امير علي Ameer Ali (« مختصر تاريخ العرب » A Short History of the Saracens) (١٤٩) ، وخبدا بخش الهندي « الحضارة الاسلامية » (١٥٠) . ان مقالة مارغليوث Margoliouth في الموسوعة الاسلامية المختصرة (١٥١) Short Encyclopaedia of Islam بعنوان « الخرمية » (١٥٢) دلت على كثرة المصادر العربية التي رجع اليها بالاضافة الى اشعار ابي تمام والبحري ، الا انه لم يناقش رواياتها كثيرا . ومن المراجع الغربية المهمة التي رجعنا اليها ابحاث المستشرق الانكليزي لويس ، برنارد Bernard Lewis « الاصول الاسماعيلية » The Origins of Ismailism (ترجمه الى العربية جلو ، خليل احمد والرجب ، جاسم محمد) (١٥٣) ، و « العرب في التاريخ » The Arabs in History, London, 1950 (١٥٤) ، ولا تخلو ابحاث العالم البرجوازي لويس من بعض التحليلات الصائبة اقتبسنا منها ما يشابه الحالة في الانتفاضة الخرمية فقد نقلنا مقولته حول احترام مركز المرأة الاسماعيلية وموقف المسلمين من تلك الحرية حيث قال « اعتقد اننا يمكننا ان نرفض بدون تردد الرأي القائل بأن الاسماعيليين قد طبقوا شيوعية النساء وتعلمنا الكتابات الدرزية بأن الاسماعيليين قد منحوا المرأة مركزا ساميا وحرا لم يمنحه اياها اهل السنة المعاصرون ، وربما كانت هذه الحرية النسبية للنساء الاسماعيليات هي التي تمثلت لاعين اهل السنة دعارة محضة » (١٥٥) . لقد اعتمدنا هذا التحليل البارع في الرد على اتهام الخرميين والبابكيين بمشاعية الزوجات ، لكن أبحاث لويس مفعة بوجهة النظر البرجوازية . من الكتب الشيقة التي امتازت بدقة التحليل العلمي الماركسي هو كتاب : نبذة عن تاريخ المادية في القرون الوسطى ، والمترجم الى اللغة الروسية لمؤلفه الباحث من المانيا الديمقراطية هيرمان لي (١٥٦) ورغم ان لي قد عني كثيرا بالفلسفة والفلاسفة ، لكن تحاليله الرائعة قد ساعدتنا كثيرا في تفهم وتحليل قضايا مهمة بالنسبة للفتوحات والضرائب ومعاملة الشعوب المغلوبة وان لم نتفق معه في بعضها .

دأب المؤلفون العرب ، الا ما ندر ، على تتبع خطى الباحثين البرجوازيين في كتابة ابحاثهم ونظرتهم للحركات المناهضة للسلطة نتيجة دراساتهم الغربية وكثرة انتشار مؤلفات العلماء والباحثين الغربيين بلغاتها الاصلية والتي يجيدها الكثيرون او المترجمة الى العربية ، وقلما تظهر ابحاث تاريخية تتسم بالتحليل العلمي والمنزه عن

(١٤٨) ط ٢ ، كامبردج ، ١٩٥٧ .

(١٤٩) نيويورك ، ١٩٥٥ .

(١٥٠) ترجمة علي حسني الخربوطلي ، القاهرة ، ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م .

(١٥١) لندن / بريل ، ١٩٥٣ .

(١٥٢) ن ٠ م ص ٢٥٧ - ٨ .

(١٥٣) القاهرة ، ١٩٤٧ .

(١٥٤) ترجمة نبيه امين فارس ، بيروت .

(١٥٥) اصول الاسماعيلية ، ص ٢٠٣ .

(١٥٦) ترجمة كرلوتا ، ز ، ف . وساتس أي ١٠٠ ، موسكو ، ١٩٦٢ .

التحزب والروح الشوفينية والطائفية • ان انتهاج الاسلوب اللاعلمي من قبل جمهرة من الباحثين العرب يعزى الى تصديقهم روايات مؤرخي العصور الوسطى دون تمحيص او تدقيق او تعمق في معرفة مدى اتصال هذا المؤرخ او ذاك بالسلطة والى اي فرقة او مذهب ينتمي كما ويرجع الى ضيق الافق والانحدار الطبقي وتهيب الرجعية والرأي المتزمت ومحاباة السلطة البرجوازية الرجعية • ورغم كل ذلك يعثر الانسان احيانا على كتابات نظيفة تعالج مواضيع حساسة بأسلوب منزه • ان ابحاث الاديب والمؤلف العراقي الآلوسي عن الشعوبية في أثره الادبي الرائع « بلوغ الارب في معرفة أحوال العرب » (١٥٧) دلت على اصالة وتجرد ، وقد تتبع اثره المؤلف المصري احمد امين في بحثه عن الشعوبية في « ضحى الاسلام » ، ولا تخلو كتابات طه حسين ، التي تغلب عليها النزعة الادبية رغم اعدادها لمواضيع تاريخية ، من لمسات انسانية ومحاولات جريئة لمعالجة قضايا حساسة وسط مجتمع ديني متحمس كما يلاحظ ذلك في « الشيخان ، ابو بكر وعمر بن الخطاب » و « مرآة الاسلام » و « الفتنة الكبرى ، ١ - عثمان بن عفان ، ٢ - علي وبنوه » (١٥٨) • الا ان كتابات طه حسين يعوزها التحليل الدقيق وتوضيح الرأي فبين تلافيف المحسنات البيانية يطوي فكرته بحيث يتعذر على القارئ البسيط ادراك مرامه • ولقد كان لجرجي زيدان الفضل في توجيه الانظار نحو الآثار الادبية والتاريخية ويعتبر كتابه (تاريخ التمدن الاسلامي) (١٥٩) من المراجع الادبية والتاريخية التي يمكن رغم قدمها ان يعول عليها أحيانا ، وبجهود مضنية أخرج رستم ، أسد كتابه (الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب) (١٦٠)، وقد اعتمدناه في مواضيع العلاقات العربية البيزنطية وانتفاضة توما الصقلي • وتمتاز كتابة حمزة عبد اللطيف (ابن المقفع) (١٦١) وعمر فروخ (ابن المقفع) (١٦٢) بأبحاث طبية •

ان الكتب الآتفة الذكر قد عكست لنا وجهة النظر العربية لاحداث القرون الوسطى ولا يمكن الاستغناء بأي حال من الاحوال عن وجهة نظر وانطباعات العسرب المعاصرين عن احداث الماضي سواء المنصفين انصاف المتحررين من قيود النظرة الضيقة او الرجعيين او التقدميين • يعتبر كتاب توما ، اميل (العرب والتطور التاريخي) (١٦٣) محاولة ناجحة في تحليل الحوادث التاريخية تحليلًا ماركسيا علميا ولكن توما كان يحث الخطى مسرعا من الماضي السحيق ليصل الى تاريخنا الحالى بكتاب ليس بكثير الصفحات مما ترك وراءه فجوات واسعة لم يتطرق اليها هذا الى اننا لم نتفق معه في قوله (وخلال القرنين الاولين من قيام الامبراطورية العربية الاسلامية تحطم الاقطاع او

(١٥٧) تحقيق الاثري ، محمد بهجت ، القاهرة ، ١٩٢٣ •

(١٥٨) القاهرة ، ١٩٥١ ، ١٩٥٣ •

(١٥٩) ٥ اجزاء ، القاهرة ١٩٠٢ - ١٩٠٥ •

(١٦٠) جزءان ، بيروت ١٩٥٥ - ١٩٥٦ •

(١٦١) ط ٢ القاهرة ، ١٩٤ •

(١٦٢) بيروت •

(١٦٣) ترجمة من الانكليزية الى العربية نقولا ، جبرا ، حيفا ، ١٩٦٢ •

على الاصح اقطاع فارس وبيزنطة (١٦٤) فكيف تحطم الاقطاع ؟ لقد كان الاقطاع في بدء نموه الا ان الفتح الاسلامي وما تلاه ومحاولة السلطة العربية فرض الارستقراطية القبلية قد جعل الاقطاع يسير بوتائر ابطأ .

يعتبر الباحث اللبناني المتأمر فليب حتي ، من اكثر الكتاب العرب تسلكا للنهج الغربي ولا سيما في الولايات المتحدة . ويعتبر كتابه (تاريخ العرب ، موجز) (١٦٥) وكتابه (تاريخ العرب ، مطول) (١٦٦) ، الذي وضعه بالاشتراك مع جرجي ، ادورد ، وجبور ، جبرائيل) من الابحاث التي تعكس وجهة النظر البرجوازية وقد اعتمد حتي على زيدان ، جرجي كثيرا . اما المراجع العربية التي اتسمت بشدة كراهيتها للحركات الشعبية وبشوفيتها وطائفيتها ، والتي رجعنا اليها في مواضيع مختلفة من التاريخ الاسلامي ، فتعود الى مؤلفين من اقطار مختلفة مثل : العدوي ، ابراهيم احمد (الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم) (١٦٧) واحمد ، محمد حلمي محمد (الخلافة والدولة في العصر العباسي) (١٦٨) وشبلي ، احمد (في قصور الخلفاء العباسيين) (١٦٩) وعبد العال ، محمد جابر (حركات الشيعة المتطرفين) (١٧٠) ، وشريف ، محمد بديع (الصراع بين الموالي والعرب) (١٧١) هؤلاء اذكروا على الشعوب قيامها بوجه السلطة ورددوا مشاعية الزوجات واعتبروا المانوية والمزدكية والخرمية اقامت الشيوعية . وتعتبر كتابات الباحث المصري ، حسن ، ابراهيم حسن (تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي) (١٧٢) ذات مستوى واطىء في التحليل وكذلك مؤلفات الخربوطلي ، علي حسني (تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي) (١٧٣) و (الدولة العربية الاسلامية) (١٧٤) وكذلك مؤلف زيدان ، عبد الكريم (احكام الذميين والمستأمنين) (١٧٥) وكراس الانسة رحمة الله ، مليحة (معاملة اهل الذمة في العصرين الاموي والعباسي The Treatment of the Dhimmis) (١٧٦) ، والذي حاولت فيه ان تنكر الاضطهاد والارهاق الذي كان يتلقاه اهل الذمة، رغم اعتراف الفقهاء بذلك . من الابحاث الاقتصادية التي يعتمد الرجوع اليها بحث الدوري ، عبد

- (١٦٤) ن . م . ص ٣٦ .
- (١٦٥) ط ٢ بيروت ، ١٩٥٤ .
- (١٦٦) ط ٢ ، بيروت .
- (١٦٧) القاهرة ، ١٩٥٨ .
- (١٦٨) القاهرة ، ١٩٥٩ .
- (١٦٩) القاهرة .
- (١٧٠) القاهرة ١٩٥٤ .
- (١٧١) القاهرة ، ١٩٥٤ .
- (١٧٢) القاهرة ، ١٩٥٣ .
- (١٧٣) القاهرة ، ١٩٥٩ .
- (١٧٤) القاهرة ١٩٦٠ .
- (١٧٥) بغداد ، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م .
- (١٧٦) بغداد ، ١٩٦٣ .
- (١٧٧) بغداد ، ١٩٤٨ .

العزیز (تاریخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري) (١٧٧) وبحث العلي ، صالح احمد (التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري) (١٧٨) فان ابحاثهما ذات أهمية وخاصة الفترة التي تناولها العلي .

اما المراجع التي كتبت عن الانتفاضة البابكية أو عن بابك ، سواء كانت الكتابة بصورة مستقلة أم ضمن مواضيع مؤلفاتهم لكن بصورة تفصيلية ، فمحدودة .

واول من تطرق للموضوع العالم الالماني فلوكل ، غوستاف Flugel, G. الذي كتب بحثا عن بابك في مجلة جمعية الاستشراق الالمانية تحت عنوان (بابك وأصله ومبدأ مقاومته Babek Seine Abstammung und Erstes Auftreten, ZDMG (١٧٩) تناول فيه نشأة الخرمية وأصل تكوينها وسبب تسميتها . والواجب الذي وضعه فلوكل نصب عينيه - كما يقول - ان يصف أظلم ناحية (أي نشأة الخرمية) اي بداية وأسس اسباب هذه الظاهرة ليهتدي بها وليعطي تلميذا صحيحا لتلك الحوادث (١٨٠) . لكن الحقيقة هي ان فلوكل سعى الى التشهير بالحركة وطعنها ، فوصم انصار بابك (الفاقدين للاخلاق ؟) (١٨١) وقال عن الخرمية انها نشأت عن الكلمة الفارسية (خرم) وتعني مرح وخرمي تعني مستهتر (١٨٢) ، وقال عنهم - مستخدما اقوال ابن النديم (حيث قام هو بتحقيق ونشر الفهرست - كما ذكرنا -) - ولهم مشاركة في الحرم والاهل لا يمتنع الواحد منهم من حرمة الاخر ولا يمنعه . (١٨٣) . ولا مجال هنا لذكر المناقشات الدائرة حول مصطلح الخرمية (١٨٤) والتهم التشهيرية فقد عالجها البحث بصورة كافية . لقد استخدم كتاب كثيرون كلمات فلوكل في توجيه الطعن للحركة قاصدين التشهير بالشيعوية العلمية الحالية ، لان هؤلاء الكتاب يعتبرون محاولات المزدكية والخرمية لمعالجة مشاكل الفلاحين وتوزيع الارض مشاعية عليهم اعتبروها شيوعية (حسب مفاهيمهم !) .

في عام ١٩١٣ صدرت الموسوعة الاسلامية باللغة الالمانية - Enzyklopaedie Des Islam (١٨٥) - وفيها مقال عن بابك تحت عنوان (بابك رئيس الفرقة الخرمية Babek Haupt Der Khurramiten sekte) (١٨٦) ، ولقد اعتبر المقال الاسم معربا عن بابك الايرانية . والمقال قصير وقد اعتمد رواية

.....
(١٧٨) بغداد ، ١٩٥٣ .

(١٧٩) ص ٥٣١ - ٥٤٢ .

(١٨٠) ن ٥٠٠ ، ص ٥٣١ .

(١٨١) ن ٥٠٠ ، ص ٥٣١ .

(١٨٢) ن ٥٠٠ ، هامش ص ٥٣١ .

(١٨٣) ن ٥٠٠ ، ص ٥٣١ .

(١٨٤) كتب بونياتوف ، ز . بحثا قيما ناقش فيه مصطلح الخرمية في مجلة اخبار الاكاديمية الانريبيجانية السوفيتية ، العدد ٣ لسنة ١٩٥٩ .

(١٨٥) المجلد الاول ، ليدن - لايبزك ، ١٩١٣ .

(١٨٦) ن ٥٠٠ ، ص ٥٦٨ - ٩ .

(١٨٧) ن ٥٠٠ ، ص ٥٦٩ .

ابن النديم عن نشأة بابك ورواية الطبري عن الحوادث ويشتمل على بعض الاخطاء والتي منها اعتباره تاريخ سقوط البذ يوم ١٨ رمضان ٢٢٢ هـ يصادف ٢٦ نيسان ٨٣٧ م (١٨٧) ، بينما هو يصادف ٢٤ آب ٨٣٧ م . ثم يذكر المقال (وبالرغم من الامان الذي اعطى لبابك فان المعتصم امر بقتله وتعذيبه) (١٨٨) والمعروف ان بابك رفض الامان بشمم . في عام ١٩٢١م ، نشر جوزي ، بنسدي صليبيه في باكو في مجلة اخبار جامعة باكو الحكومية ، مقالا عن بابك باسم بابك والبايكية ، وهي اول محاولة لدراسة الموضوع بأسلوب علمي فهي بادرة طيبة لكن المقال على قصره يحتوي على اخطاء تاريخية وعلمية فهو يعتبر خرمية جرجان مازياريه (١٨٩) وهو بهذا ينقل خطأ البغدادي ، ابو المنصور (الفرق بين الفرق) دونما تمحيص ، كما وانه يطلق كثيرا وبصورة خاطئة تعابير علمية حديثة على احداث قديمة فهو يصف المزدكية والخرمية بالشيوعية والحزب الشيوعي والتعاليم الشيوعية . (١٩٠) الخ . ولم يحاول تصحيح اخطائه عند كتابته لموضوع بابك في كتابه (من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام - باللغة العربية) (١٩١) .

في عام ١٩٣٦ م صدر في موسكو كتيب صغير تحت عنوان - (بابك) لمؤلفه تومارا ، وهذا اول مطبوع يظهر للوجود مخصص بصورة كاملة لبابك والانتفاضة البابكية ، ويعتبر الكتيب اكثر توفيقا في تحاليله العلمية من ابحاث جوزي . يقول تومارا انه لم يواجه مشاعية النساء طيلة تاريخ الحركة الخرمية بل وحتى القادة كانت لكل واحد منهم زوجة واحدة . ويقول بأن النساء الخرميات حررن من عبودية المنزل ونالت الاختيار الحر لزوجها (١٩٢) .

لكن بحث تومارا عدا قصره قليل التحاليل ويحتوي على اخطاء تاريخية عالجتا الكثير منها في البحث ونذكر البعض على سبيل المثال لا الحصر . يقول تومارا ان المخرمين الديالة لم يعاونوا جيرانهم الاندريجانين (١٩٣) ، ويعمل ذلك بمقولة انكلز حول احجام الفلاحين في العصور الوسطى عن الانتفاض نتيجة تعودهم الخضوع واقلعهم في اماكن عديدة عن استعمال السلاح . الخ والواردة في بحثه عن الحرب الفلاحية في المانيا ص ٣١ . ولكن مقولة انكلز كمبدأ عام صحيحة غير انها لا يمكن ان تستخدم لذكران حقيقة تاريخية حيث اشار كثير من المؤرخين الى مساهمة الديالة . ويذكر تومارا ان تيوفيل استائف فسي عام ٨٣٦ م هجوما على الجيوش العباسية ويقول بان هذا الهجوم مع الهجمات السابقة لم يخفف الضغط عن

(١٨٨) ن.م. ، ص ٥٦٩ .

(١٨٩) بابك والبايكية ، ص ٢٠٥ .

(١٩٠) ن.م. ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ .

(١٩١) القدس ، ١٩٢٧ .

(١٩٢) بابك ، ص ٢١ - ٢٢ .

(١٩٣) ن.م. ص ٨٨ - ٩ .

بابك (١٩٤) بينما المصادر تشير الى رسالة بابك التي وجهها الى امبراطور بيزنطة المتروك يحثه فيها على مهاجمة الحدود الاسلامية ويخبره بان الخليفة ارسل الى اذربيجان كل جيوشه حتى طباخه وخياطه ولكن الامبراطور الحاقه على كل انتفاضة شعبية لم يحرك ساكنا الا في عام ٨٣٧ بعد اندحار الانتفاضة وسقوط البذ . ويرد تومار معزوفة / كلمة (الخرمية) تعني بالعربية اناسا مرجين ذوي حياة ماجنة (١٩٥) . ايام العدوان الفاشستي الهتلري الغاشم على اراضي الاتحاد السوفياتي عام ١٩٤١م صدر في باكو كراس صغير بـ (٤٢ صفحة) باسم انتفاضة بابك (نبذة مختصرة) مؤلفه يامبولسكي وقلة مناقشته للروايات المختلفة وعدم تعرضه لحوادث عديدة تتطلب الشرح والتفصيل حول مناقشة اصل بابك والحياة العامة للخرميين ، فان البحث قد عالج مواضيع عديدة بتحليل علمية اوfer من سابقه ولو انه على ما يظهر قد طالع نصوص المصادر العربية مترجمة الى لغات اخرى وانه اورد آراء دون ان يسندها الى مصدر يذكر بان المنتفضين اتحدوا مع اخوانهم الارمن والجورجيين (١٩٦) . ولا نعلم من اين جاء بالجورجيين ؟ ومن المؤسف ان يصور يامبولسكي بابكا بالفاتك حيث يردد تهم مؤرخي العصور الوسطى ومفتريات العلماء البرجوازيين عنه فقد كتب عنه / اول شيء عمله بابك حينما اصبح على رأس الخرمية ، نظمهم للابادة الجماعية لانصار الخليفة العائشون في ذلك الوقت في اذربيجان / (١٩٧) . ان بابك لم يأمر بالقتل الجماعي لانصار الخلافة وانما امر بمهاجمة الحصون وتدميرها وان وجود الاف الاسرى في معسكره عند سقوط البذ لينفي صفة الفتك الجماعي .

وفي نفس العام كتب ابراهيموف اطروحة عن نضال الشعب الازربيجاني (باللغة الازربيجانية) وفي عام ١٩٤٣ م اصدر ابراهيموف وتوكرافسكي تحت عنوان (بسالة ورجولة الازربيجانيين) وفي عام ١٩٤٤ م كتب ابراهيموف عن بابك وقد خصصت كتابات ابراهيموف لتمجيد خرمية اذربيجان .

كتب الدوري ، عبد العزيز في عام ١٩٤٥ بحثا طريفا عن بابك والانتفاضة الازربيجانية وعن المايزار وتمرد منكجور الفرغاني في اذربيجان وقد عالج المواضيع معالجة طبية فاستخدم مصادر عديدة ، ولم يكن البحث مستقلا وانما كان متعلقا بالخليفة المعتصم في كتابه (العصر العباسي الاول) (١٩٨) وقد نهج الدوري نهجا جديدا في بحثه لم يؤلف لدى الباحثين العراقيين ولكن الدوري ، وهو المتتبع لخطى اساتذته المستشرقين الغربيين وقع في اخطاء رغم تظاهره باتباع الاسلوب العلمي

(١٩٤) ن.م. ص ١١٨ .

(١٩٥) ن.م. هامش ص ٧ .

(١٩٦) انتفاضة بابك ، ص ١١ .

(١٩٧) ن.م. ص ١٩ .

(١٩٨) بغداد ، ١٩٤٥ .

فاستنتج اسباب الانتفاضة كره الشعب للحكم العربي ، واستخلص بان اهداف البابكيين كانت مجرد محو الدين الاسلامي والقضاء على السلطان العربي لاعادة الدين المجوسي والمجد الساساني . ولم يتوان عن استخدام اقوال مؤرخي العصور الوسطى المعادية لاثبات وجهة نظره .

ان فرية اعادة المجد الساساني والدين الزرادشتي او المجوسي ، التي اطلقها مؤرخو القرون الوسطى ، اريد بها اثارة المسلمين على المدمين المنتفضين ولتشويه حقيقة الانتفاضة القائمة لاسباب اقتصادية واجتماعية والمتعارضة اهدافها مع مصالح الارستقراطية الاقطاعية والسلطة . واليوم يحلو للكتاب المبرجوازيين تكرار تلك المعزوفة لاختفاء طابع الانتفاضة الطبقي . ولكن جل الجهد المبذول يتلاشى امام الحقائق الناصعة التي تبرز بين طيات المصادر لتعلن عن التعسف والجور والاستغلال ان نكران طابع الانتفاضة الطبقي وتصوير مضمونها بالعنصرية والطائفية والقومية يتناقض واهدافها في التحرر من الجور الاقطاعي وفي تحسين احوال المساهمين فيها معاشيا وفي احترام مركز المرأة المتدني . لقد انكر الدوري العامل الاقتصادي الذي حرك الشعوب للانتفاض . لذا ظل الدوري وهو المعجب براء المؤلف الايراني صديقي Sadighi G. H. (١٩٩) يستخدم اقوال مؤرخي القرون الوسطى في حصر الانتفاضة في اطار العنصرية والطائفية وظل يكررها في مؤلفاته مثل (دراسات في العصور العباسية المتأخرة) (٢٠٠) و (مقدمة في صدر الاسلام) (٢٠١) و (الجذور التاريخية للقومية العربية) (٢٠٢) و (الجذور التاريخية للشعبوية) (٢٠٤) . ولقد اعتمد الدوري بعض اراء جوزي الخاطئة حيث وقع في نفس اخطائه حول مازيارية جرجان مثلا .

صدر في عام ١٩٤٨ مقال في مجلة العالم الاسلامي The Muslim World للباحث الامريكي رايت Edwin Wright تضمن العديد من الاول والثاني من التسلسل الدوري الثامن والثلاثين بعنوان بابك البذّي والافشين خلال اعوام ٨١٦ - ٨٤١ Babek of Badhdh and al-Afshin during the Years 816-841

(٢٠٥) تناول البحث فيه انتفاضة بابك منذ نشأتها حتى اندحارها - في العدد الاول من المجلة ثم محاكمة الافشين وما تعلق بها من قضية المازيار - في العديدين الاول والثاني - وينقل رايت Wright روايات ابن النديم والمسعودي وغيرهما نقلا

Les Mouvements Religieux Iraniens, Paris, 1938.

(١٩٩)

(٢٠٠) بغداد ، ١٩٤٥ .

(٢٠١) بغداد ، ١٩٤٩ .

(٢٠٢) بيروت ، ١٩٦٠ .

(٢٠٣) بيروت ، ١٩٦٢ ، وقد كتبنا ردا عليه في مقالنا (الشعبوية) في مجلة الغد العدد الثالث ، براغ .

(٢٠٤) مجلة الاداب اللبنانية العدد الثالث ، اذار ١٩٦٥ .

(٢٠٥) عدد كانون الثاني ١٩٤٨ ، واشنطن .

يكاد ان يكون تاما ، وقليل التعليق والمناقشة وهو اول من نبه الى ان ابن النديم
ينفرد بذكر بلال آباد كموطن لوالدة بابك ، حيث تذكر المصادر الاخرى موضعا اخر
(٢٠٦) . ويعتقد رايت ان بابك دعا الى المتعة والفرح لان فلسفته (خرم) السرور
(٢٠٧) .

كتب العالم الجيكي ايرجي تسييك في عام ١٩٥٢ م بحثا في مجلة الشرق الجديد

عن بابك / بابك الشخص الذي ارتعش امامه الخلفاء Irzi Ceipek, Babek, Muz
Pred Kterym Se - Trasli Chalifove, Novy Orient, Praha, 1952, S. 163-4.

في عام ١٣٣٣ شمسي المصادف ١٩٥٤ م اصدر الكاتب والباحث الايراني نفيسي ،
سعيد ، كتيباً صغيراً عن بابك باسم بابك الخرمي (بابك خرم دين دولار آذربيجان ،
تهران ١٣٣٣) وهو عبارة عن مقالاته السابقة ، وقد جمع نفيسي مقتبسات من
مصادر مختلفة وهو كغالبية الايرانيين يعتبر بابك بطلاً قومياً ايرانياً وقد ترجم كتابه
الى الازربيجانية باسم (اذربيجاني قهرماني بابك خرم دين ، باكو ١٩٦٠) وهي
النسخة التي اعتمدنا عليها .

صدر في دمشق في عام ١٩٥٧ كتاب (في التاريخ العباسي ، الجزء الاول)
لمؤلفه مصطفى شاكرو وفيه بحث عن بابك ضمن الكلام عن الخليفة المعتصم . والمؤلف
ترسم خطى الدوري في مؤلفه (العصر العباسي الاول) حتى كاد ان يكون (في
التاريخ العباسي) صورة طبق الاصل من (العصر العباسي الاول) وان حاول
مصطفى شاكرو التخلص من النظرة الشوفينية والطائفية ، فقد وقع في نفس اخطاء
الدوري .

في عام ١٩٥٨ م صدرت اعداد من مجلة بازمافيب Pazmaveb
(وبازمافيب بالارمنية تعني روايات عديدة) في البندقية بايطاليا وفيها مقالات لـ
(كورديان) ، حايك Kurdian H. (باللغة الارمنية) تحت عنوان بابك وسهل
بن سنباط / صفحة من تاريخنا في القرن التاسع (٢٠٨) وقد قسمت المقالات الى
ثلاثة اقسام ، القسم الاول عن بابك ، والقسم الثاني عن علاقة بابك بسهل بن سنباط
والقسم الثالث عن عيسى بن اصفهانوس ، وقد جمع فيها اقوال مؤرخي العصور
الوسطى الارمن والسرريان هذا بالاضافة الى استخدام نصوص من الترجمة الانكليزية
لحوادث ٨٣٣ - ٨٤٢ م من خلافة المعتصم من كتاب الطبري وقد قامت بهذه الترجمة
المه مارتن في سنة ١٩٥١م ، لم يناقش كورديان Kurdian H. الا في القليل
النادر .

كتب بونياتوف ، ضياء الدين موسايفيخ في عام ١٩٥٩ م مقالات عديدة
نشرت تباعاً في مجلة اخبار اكااديمية العلوم الازربيجانية السوفيتية المجلد الخامس

(٢٠٦) ن ٠٠ ص ٤٩ .

(٢٠٧) ن ٠٠ ص ٤٩ .

Kurdian H., Papeke Sahl Ibn Sunbat, Pazmaveb, Venice, 1958.

(٢٠٨)

عشر الاعداد الثاني والثالث والخامس والسابع والتاسع عن : منكجور ، مصطلح الخرمية ، محل وموقع مدينة وقلعة البذ ، بابك وبيرنطة ، ومعلومات جديدة عن موقع قلعة شاكي ، وكتب في عام ١٩٦١ مجددا في نفس المجلة ، المجلد السابع عشر في العددين الاول والرابع عن : كتاب تاريخ اغوان، وعن مدينتي وقلعتي البذ وشاكي وقد اتسمت كتاباته بالتحليل الماركسي العميق ودلت على مبلغ الجهد المبذول في التقصي والبحث بأناة وصبر وحيث مكنته معرفته للعديد من اللغات الاوروبية بالاضافة الى العربية والفارسية والتركية ولغته القومية الاذربيجانية والروسية ، مكنته من الاحاطة بالمصادر المختلفة ، فجاءت مناقشاته للاراء المختلفة دقيقة ومرتنة . وفي عام ١٩٦٥ صدر كتابه : آذربيجان في القرون السابع - التاسع (٢٠٩) وجاء حافلا بالمعلومات وقد خصص الفصل الخامس (وهو الاخير) لحركة جماهير آذربيجان ضد الخلافة ، تناول فيه بالتفصيل حياة بابك والفعاليات ومنشأ مصطلح الخرمية ، وقد تطرق الى كل صغيرة وكبيرة مسندة ومعززة بأقوال المؤرخين وقد ألحق بالكتاب ملحقا لما ترجمه من نصوص مختلفة الى اللغة الروسية .

صدرت في عام ١٩٦٠ طبعة جديدة للموسوعة الاسلامية (النسخة الانكليزية The Encyclopedia of Islam. New Edition, V. 1, Leiden. London, 1960, p. 844

وفيه مقال عن بابك ومن الطبيعي ان المقال لا يختلف كثيرا عما كتب في النسخة الالمانية (١٩١٣ م) سوى انهم حاولوا تصحيح تاريخ سقوط البذ فوقعوا في الخطأ مجددا حيث ذكروا ٩ رمضان ٢٢٢ هـ / ١٤ آب ٨٢٧م والصحيح هو ١٨ رمضان ٢٢٢ هـ / ٢٤ آب ٨٢٧م .

الفصل الثاني

الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي
للبلدان الشرقية الخاضعة للنفوذ العباسي
(أيران - أذربيجان - أرمينيا)

البابكية

انتفاضة الشعب الاذربيجاني ضد الخلافة العباسية

٢٠١ هـ / ٨١٦ م - ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م (١)

قامت في بداية القرن الثالث الهجري ، التاسع الميلادي انتفاضة واسعة في اذربيجان وفي القسم الشمالي الغربي من ايران وفي جزء من ارمينيا ، ضد الخلافة العباسية واستمرت حوالي (٢٠) عاما ناضلت الشعوب فيها تحت قيادة الشباب الباسل بابك ، نضالا مستميتا من اجل الحرية .

ولم تكن الانتفاضة وليدة الصدفة وانما لها جذورها التاريخية ، فهي كسائر انتفاضات الخرميين ، وليدة تراكمات احقاد المستغلين من فلاحين وبقية شغيلة المدن وصغار المتكسبين ، من باعة وتجار ، الذين كانوا يعانون ايضا ، كالفلاحين من شدة قساوة الاستغلال الاقطاعي والتعسف والجور الحكومي .

ولكي ندرك الاسباب الموضوعية للانتفاضة علينا ان ندرس تاريخ الحركات الخرمية التي هي فرقة متطورة عن المزدكية، وندرس تاريخ واحوال الشعوب المساهمة في الانتفاضة ، ولهذا فاننا سنعود القهقري ونتوغل في التاريخ ليتسنى لنا تتبع تطور كفاح هذه الشعوب ونضالاتها من اجل رفاهها وتحررها واستقلالها والدور التقدمي الذي لعبته في كفاحها ضد التسلط الاجنبي والاستغلال المحلي والاجنبي .

ويقينا اننا سنواكب ، في هذه الفترة الطويلة ، سير تطور وسائل واساليب الانتاج وتغيير العلاقات الانتاجية ، ومشاهدة اثر كل ذلك في بناء المجتمع وتكوينه السياسي والاجتماعي وتشخيص الصراع الطبقي والمفاهيم التي تستغل في تلك

(١) يذكر بلويانسكي ، خطأ ان بدء الحرب سنة ٨١٥ م ، التاريخ الاقتصادي ص ١٢٩ .

الميادين ، حتى اذا بلغنا عصر الانتفاضة البابكية تسر لنا تحديد العلاقة بين الحاكمين المتمثلة بسلطة الخلافة العباسية وبين المحكومين المتمثلة بالشعوب المحتلة .

لهذا سيتناول بحثنا في الفصل الثاني الوضع السياسي والاجتماعي والاقتصادي لبلدان ايران ، آذربيجان وارمينيا في اواخر العهد الساساني وفي عهد الفتوحات الاسلامية ، اي الراشدي ثم في العهد الاموي وبداية العهد العباسي .

الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للبلدان الشرقية الخاضعة للنفوذ العباسي (ايران ، آذربيجان ، ارمينيا) :

١ - الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي قبل الفتح الاسلامي :

١ - في ايران :

كانت ايران قبل الفتح الاسلامي امبراطورية تحكمها الارستقراطية الايرانية وعلى رأسها العائلة الساسانية ، ودينها الرسمي الزرادشتية ، وتركيبها الطبقي كان مجتمع العبيد ثم تحول الى مجتمع الاقطاع . فلقد ورثت الامبراطورية الساسانية تقاليد ونظم امبراطورية العبيد السابقة حيث استمر مجتمع العبيد سائدا لفترة طويلة في العهد الساساني حيث كان التقسيم الطبقي للمجتمع الايراني هو الاتي : - السادة الارستقراطيون ملاك العبيد وهم الطبقة السائدة والحاكمة والمستغلة وعلى رأسهم السلالة الساسانية . والعبيد وهم الطبقة المسودة المضطهدة المستغلة ومعهم الفلاحون الاحرار المنضمون في مشاعيات (مزارع مشاعية) والذين كانت حريتهم وارضيتهم مهددة دوما من قبل الارستقراطية ، وهناك الرحالة التجولون مع ماشيتهم في ربوع البلاد وهناك ايضا كادحو المدن ، غير ان التناقض الطبقي الاساسي كان بين الارستقراطية وبين العبيد . ثم بدأت تختلق في رحم ذلك المجتمع - مجتمع العبيد - نواة المجتمع الجديد (مجتمع الاقطاع) وبرزت للوجود في اواخر العهد الساساني بواكير النظام الاقطاعي بعد ان بلغت التناقضات اشدها في نهايات عهد العبيد ، يذكر الاستاذ ايفانوف ، م.س. بان (من اول الساسانيين حتى القرن الخامس كانت علاقات العبودية منتشرة على نطاق واسع وبصورة رئيسية بين سكان ايران الاحرار وكذلك الارتباطات القبلية ، ولكن وسط السكان الاحرار قد نشأت عملية التمايز الطبقي ، فغالبيتهم تحولوا الى طبقة الفلاحين التي بدأت تستغلها تدريجيا الارستقراطية الاقطاعية مالكة الارض وارستقراطية مالكة العبيد وكبار رجال الدين والعسكريون (٢) .

(٢) موجز تاريخ ايران ، ص ٢٧ .

هناك وثائق واثار نجد صداها في ادبيات ومصادر فارسية (٣) عن ظهور الاقطاع وفي مصادر عربية كثيرة ، كالحوار بين الملك بهرام بن بهرام بن هرمز وبين الموبذ حول الضرائب (٤) ، ومحاورة قباذ مع عجوز حول شريكها في البستان (٥) ، وتنظيمات كسرى الاول - انوشروان - المالية (٦) .

لقد اصبح التركيب الطبقي للمجتمع الايراني في الفترة الاخيرة من الحكم الساساني هو الآتي : - السادة الارستقراطيون ملاك الاراضي ومعهم صغار الملاكين - الدهاقين - وعلى رأس الجميع الاسرة الساسانية الحاكمة وكانوا جميعا الطبقة السائدة (حكام الولايات وقادة الجيش والقضاة وكبار رجال الدين من هذه الطبقة فقط) المستغلة المضطهدة لابناء الشعب ، والطبقة الثانية طبقة الفلاحين المسودة المستغلة المضطهدة ومعهم سائر الشغيلة من كادحي ابناء الشعب والعبيد . وبالرغم من بقاء بعض ملاكي العبيد فان التناقض الطبقي الاساسي في العهد الاخير هو التناقض بين الملاكين وبين الفلاحين .

لقد دفع الهبوط الاقتصادي ارستقراطي - اشراف - ايران ، مالكي الاعداد الهائلة من العبيد ، الى تشغيل عبيدهم في الزراعة ، ومنحهم قليلا من الحرية ، فلقد اصبحت الزراعة اكثر مجالا للكسب ، وهذا مما ساعد بصورة عامة على ظهور ازمة العبيد (٧) وادى الى التحول الى الاستغلال الجديد - الاستغلال الاقطاعي - .

غير ان النظام القديم - مجتمع العبودية - لم يختلف تماما ، بل ظل سائرا نحو نهايته والفساد ينخر في كيانه ويرافقه خلفه - النظام الجديد (النظام الاقطاعي) محتلا مواقعه التي انحسر عنها ، لقد كان نظام الرق يلفظ انفاسه ، لانه اصبحت عائقا للتقدم الاقتصادي ومسببا للضعف للسادة ومالكي العبيد . وكان النظام الاقطاعي - وريث مجتمع العبيد - في بداية نشوئه وتطوره . وبسبب تداخل نظام الرق مع نظام الاقطاع بعضهما مع بعض ، يحاذر كثير من المؤرخين تحديد صفة المجتمع الساساني (٨) لان النظام القديم كان في نهايته والنظام الجديد في دور بدايته ولا سيما في العهود الاخيرة حيث استمرت علاقات العبودية في مناطق غير كثيرة من ايران مع نشوء ونمو العلاقات الاقطاعية . يعتبر لويس المجتمع السابق (للحركات الدينية الهرطقية) مجتمعا اقطاعيا وقد (تحطم ذلك البناء الاقطاعي القديم) ، ولا

(٣) يرى دياكونوف ، م.م. (ان انعكاس وضعية الفلاحين جد ضعيف في المصادر الساسانية) مختصر تاريخ ايران القديم ، ص ٢٨٠ .

(٤) المسعودي ، مروج ، ج ١ ص ٢٥٣ . دياكونوف م.م. ، ص ٢٨٢ .

(٥) ابن حوقل ، المسالك والممالك ص ٢١٨ . ياقوت الحموي م ٣ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٦) الطبري ، تاريخ الرسل م ١ ج ٣ ص ٩٦٠ - ٩٦١ .

(٧) بيكوليفسكايا ، ن.١٠ ، مدن ايران ، ص ٢١٧ . بوليانسكي ، التاريخ الاقتصادي للبلدان الاجنبية ص ١٢٣ .

شك ان لويس قد اخطأ في افتراضه ان المجتمع السابق لظهور الفرق الدينية المناهضة للزرادشتية مجتمع اقطاعي وقديم (٩) ٠ والخربوطلي في اعتماده على كريمر قد وقع في الخطأ نفسه (١٠) ٠

لقد عانى الشعب الايراني طيلة عهود الرق من الظلم والاستغلال الطبقي حيث مارس الارستقراطيون أبشع أنواع الاستغلال بارهاقهم جماهير الشعب بمختلف انواع الاعمال الشاقة والاذلال وساقوا الجماهير باعداد هائلة ، الى الحروب ، التي كانت تقام سواء بين العائلات الارستقراطية الايرانية المتناحرة او بين الامبراطوريتين الايرانية والرومانية ووريثتها البيزنطية وفي ختام كل حرب ، يسوق السادة المنتصرون اعدادا هائلة من اسرى الحرب ليضيفوهم الى عبيدهم ٠

ولما اصبح هؤلاء العبيد لا يدرون ربها لاسيادهم ، بدأ الاسياد يفكرون بوسائل جديدة للربح ، بدأوا يفكرون بامتلاك الاراضي الواسعة وكثيرا ما كان الاكاسرة - الملوك الساسانيون (يهبون الاراضي ويقطعونها للامراء وخاصتهم ومن لاذ بهم) (١١) ، وتحول السادة ملاك العبيد الى طبقة ملاك الاراضي وهكذا تحول الاستغلال الطبقي من العبيد الى طبقة الفلاحين ، والذين بدأوا يفقدون حريتهم في زراعة الاراضي مشاعا ، اي تغير العلاقات الانتاجية لتغير القوى المنتجة ، ولم يسلم العبيد - طبعا - والرحالة وكادحو المدن وبقية الساكنين في المدن من حرفيين وباعة وصغار التجار - من تحمل اوزار وظلم السادة الاقطاعيين واصبح السادة اعداء لاقسام واسعة من جماهير الشعب لقد ادى سلب الاراضي من الفلاحين وتسليمها الى الاقطاعيين الى تحطيم المشاعية وتردي احوال الفلاحين ، ولا سيما وان الضريبة كانت تقع عليهم - على جماهير الشعب - وحدهم وكانوا ملزمين بدفع الضرائب

(٨) فعلى سبيل المثال يذكر دياكونوف ، م.م. (السؤال عن تركيب المجتمع الايراني الساساني معقد جدا وكشيء منتهى لم يقرر في العلم بعد) ، يختصر تاريخ ايران ، ص ٢٧٨ وذكر ايضا (ان تحليل حالة الفلاحين وتركيبهم الاجتماعي من المهمات الصعبة) ن.م. ص ٢٨٠ وتذكر بيكولفسكايا ، ن.١٠ (ان المسألة جد معقدة ولكن الامتناع عنها ممنوع) - مدن ايران ص ٢١١ ٠

(٩) لويس برنارد ، العرب في التاريخ ، ص ٦ - ٦٧ ٠
(١٠) اعتمد الخربوطلي في رأيه على (فون كريمر ، الحضارة الاسلامية ، ص ٧٨) ٠ وقد اعتبر الخربوطلي الدهاقين من الارستقراطية ، تاريخ العراق ، ص ٢٥٩ - ٢٦٠ ، لكن الدهاقين من صغار الملاكين وكانت مهمتهم جمع الضرائب ٠ يقول كريستنسن ، آرثر (فلم يكن اذن للدهقان ، قبل الفلاحين ، ما للسادة مالكي الاراضي من الارستقراطية الرفيعة) ايران ، ص ٩٩ - ١٠٠ ، ويقول كريستنسن ، آرثر عن الدهاقين ايضا (٠٠٠٠ وعلى هذا الاعتبار كانت وظيفة الدهاقين الاصلية ان يتسلموا الضرائب) ، ايران ص ١٠٠
(١١) السعودي ، مروج ج ١ ص ٢٥١ ٠ انظر بيكولفسكايا ، مدن ايران ، ص ٢١٢ ٠ راجع معجم متن اللغة (واقطعه قطيعة اعطاء طائفة من ارض الخراج تمليكاً او ارفاقاً - منفعة) ص ٥٩٧ المجلد الرابع ٠ وكذلك راجع المنجد (اقطع الامير الجند البلد جعل لهم غلته رزقا) ص ٦٧٦ ٠

الى الحكومة والى السادة الاقطاعيين وكان يقوم بجبايتها الدهاقين (١٢) . ونتيجة لهذه الاوضاع المزرية هاجر الفلاحون الى اقاصي البلاد تاركين الاراضي للاسياد هربا من الضرائب . ومهما تكن الاسطورة التي يرويها السعودي عن محاربة الموبذ للملك عن فحوى كلام اليوم فان في هذه الاسطورة تصوير لاستياء الناس من توزيع الاراضي على المقربين من الملك (نعم ايها الملك عمدت الى الضياع فانترزعتها من اربابها وعمارها وهم ارباب الخراج ومن تؤخذ منهم الاموال فاقطعتها الحاشية والخدم واهل البطالة وغيرهم (١٣) .

لقد كان للاستغلال الاقتصادي والارهاق الجسدي اثر في تنشيط المانوية والمزدكية - وهي حركات ومعارضات شعبية باطار ديني - بين جموع المستائين بسرعة واصبحت الاخيرة - المزدكية - وهي حركة فلاحية ضخمة - اول احتجاج لجماهير فلاحى ايران ضد الاستغلال فتذكر بيكوليفسكايا بان في الحركة المزدكية ساهمت مختلف جماعات الفلاحين . (١٤) . وكانت جموع الشعب تعاني من قساوة وظلم الملوك (١٥) ، واستغلال الارستقراطيين الفظيع وكان الملوك يسندون الارستقراطيين ورجال الدين ، لينالوا تأييدهم ، فأغفوه من الضرائب (والزموا الناس الجزية ما خلا اهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والهرابذة والكتاب ومن كان في خدمة الملك) (١٦) ويرى زاخودير : - ان اصلاحات كسرى الاول الفت بصورة رئيسية لمصالح اشراف الفرس . . ولهئة عليا من تجار ومرايى المدينة المنحدرين بدرجة كبيرة من العسكريين السريان (١٧) ويرى زاخودير ايضا : - ان هذه الاصلاحات عنت اقامة علاقات الانتاج القطاعية في ايران ، بعد سحق الحركة المزدكية ، فالفلاح المتحرر تحول الى فلاح تابع (١٨) .

وكانت الاراضي موزعة بين الاسر الارستقراطية وبين المعابد ورجال الدين وكان اوسعها للاسرة المالكة الساسانية . فيروي ابن حوقل محاورة بين الملك قباد وعجوز منعت طفلا من تناول فاكهة من بستانها : - فسألها قباد : لماذا ؟ فقالت العجوز لثا فيها وفي جميع الباغ (البستان) شريك غائب كريم ويقبح بالشريك الحاضر خيانة الشريك الغائب . قال قباد : - ومن الشريك ؟ قالت : الملك قباد له

(١٢) كريستنسن ، ايران ص ٩٣ ، ص ١٠٠ .

(١٣) السعودي ، مروج ، ج ١ ص ٢٥٣ .

(١٤) تاريخ ايران ص ٥٧ .

(١٥) ماجد ، عبد المنعم ، التاريخ ج ١ ط ٢ ص ١٩٢ .

(١٦) الطبري ، تاريخ الرسل م ١ ج ٣ ص ٩٦٢ . ويقول الدينوري (ووظف الجزية على اربع طبقات واسقطها عن اهل البيوتات والمرازية والاساورة والكتاب ومن كان في خدمة الملك) الاخبار الطوال ص ٧٢ .

(١٧) زاخودير ب.ن. تاريخ الشرق ص ١١ .

(١٨) ن.م. ص ١١ . ويرى دياكونوف (التوطيد المقبل للتركيب القطاعي كان في تثبيت اصلاحات وريث قباد - كسرى الاول -) نبذة تاريخ ايران ص ٣٠٩ .

لقد ارهقت جماهير الشعب بالضرائب الفادحة كالخراج والجزية وهدايا اعياد النوروز (٢٠) والمهرجان (٢١) وتشير المصادر الى ان ضريبة الخراج على الارض كانت حتى عهد انوشروان بطريقة المقاسمة (عينية) ولكن قباز حاول مسح الاراضي وتحديد الضريبة بالنقود ، تحت تأثير الحركة المزدكية غير انه توفي قبل انجاز هذا العمل فتم في عهد خلفه انوشروان الذي وضعت الضريبة في زمانه مقدرة بالنقود وهي كما وردت في الطبري : - وكان الذي وضعوا على كل جريب ارض من مزارع الحنطة والشعير درهما وعلى كل جريب ارض كرم ثمانية دراهم وعلى كل جريب ارض رطاب (٢٢) سبعة دراهم وعلى كل اربع نخلات فارسي درهما وعلى كل ست نخلات دقل (٢٣) مثل ذلك وعلى كل ستة اصول زيتون مثل ذلك (٢٤) . ويرى ابن حوقل (٢٥) والماوردي (٢٦) وياقوت الحموي (٢٧) ان المسح تم في عهد قباز وانه هو الذي نظم الخراج وهم في ذلك مخطئون اذ ان تنظيم الخراج تم في عهد انوشروان واصبح الخراج (مساحة) مقدار بالنقود . يذكر الدينوري : - (قالوا وكانت ملوك الاعاجم يضعون على غلات الارض شيئا معروفا من المقاسمات النصف والثالث والرابع والخمس الى العشر على قدر قرب الضياع من المدن وعلى حسب الزكاء والرعي فهم قباز باسقاط ذلك ووضع الخراج فمات قبل ان يستتم المساحة فأمر كسرى انوشروان باستتمامها فلما فرع منها امر الكتاب ففصلوها ووضعوا عليها الوضاع (٢٨) وبالرغم من ان هذا التنظيم المالي اخذ بعين الاعتبار وضعيية الارض وقربها وبعدها عن المدن عند تحديد مقدار الضريبة ، فان هذا الاسلوب في الضريبة (مساحة) انفع للدولة من اسلوب (المقاسمة) الذي يعتمد على اخذ الحصة

(١٩) ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ٢١٨ . لاحظ ياقوت الحموي معجم البلدان م ٣ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ . لكن القلقشندي يروي الحادثة في زمن كسرى انوشروان فيقول (اول من وضع الخراج وازال المقاسمة كسرى انوشروان وذلك انه مر على زرع وامرأة تمنع ولدها منه (. صبح الاعشى ج ١ ص ٤٢٤ . ورواية ابن حوقل ادق .

(٢٠) البيروني ، الاثار ص ٢١٦ .

(٢١) ن.م. ص ٢٢٢ .

(٢٢) الرطاب ج. رطبة ، الخضراوات . ويذكر كريستنسن بدلا من الرطاب (برسيم) ويقول في الهامش - (مهمة كعلف للخيول ، انظر نولدكة ، طبري ص ٢٤١ ملحوظة ٢) ، ايران ص ٣٥١ .

(٢٣) ن.م. ص ٣٥١ ويذكر بدلا من دقل كلمة آرامية .

(٢٤) الطبري تاريخ الرسل م ١ ج ٣ ص ٩٦٢ ، راجع اليعقوبي التاريخ ج ١ ص ١٦٥ ، المسعودي ، مروج ، ج ١ ص ٢٦٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ص ٢٦٨ ، دنتن الجزية ص ١٥ ، دياكونوف ، مختصر تاريخ ايران ، ص ٢٨٤ .

(٢٥) المسالك والممالك ، ص ٢١٧ .

(٢٦) الاحكام السلطانية ، مخطوط الورقة (١٠٧) ل - .

(٢٧) معجم البلدان م ٣ ص ٢٧٣ - ٢٧٤ ، وقد اخطأ زيدان ، جرجي ايضا التمدن ، ج ١ ص ١٧٣

(٢٨) الدينوري ، الاخبار الطوال ص ٧٢ ، الجهشيارى الوزراء والكتاب ص ٣ - ٤

من المحصول الحقيقي ، ولهذا لا تنفق مع البروفسور سمينوف ف٠ف٠ في قوله :-
بأن انوشروان خرج بدروس من الحركة المزدكية ولهذا وجد من الضروري اعادة
النظر في نظام جباية الارض من اجل تلافي النواقص (٢٩) . ان اهداف انوشروان
كانت زيادة واردات الدولة وحصر الضرائب بالفلاحين وبقية الكادحين واعفاء
الارستقراطيين منها (واسقطها عن اهل البيوتات والمازنية ٠٠) (٣٠) ، ولا يمكن
ان تصدر عنه بوادر التساهل مع الشعب . ان تنظيمه للضرائب جاء تمة لاعمال
والده - الذي باشر المسح ولم يتمه كما يقول المسعودي (٣١) .

واما الجزية وهي على الرأس فيذكر الطبري : - (والزموا الناس الجزية ٠٠٠
وصيروها على طبقات اثني عشر درهما وثمانية دراهم وستة دراهم واربعة) (٣٢)
وهناك ضرائب العشور على التجارة وعلى الحرف . والضرائب بصورة عامة
كانت ثقيلة ومجحفة وكان الشعب يسام صنوف العذاب والانتهاك عند جبايتها (٣٣)
وبالاضافة الى الضرائب المجحفة والجور الذي يرافق جبايتها فان على جماهير
الشعب القيام بأعمال شاقة وبالمجان (السخرة) وكانت توجه اليهم الاهانات
والتحقير .

وكان للحروب اللصوصية التي تنشب بين الايرانيين والرومان (٣٤) ومن
ثم مع البيزنطيين ، اثارها السيئة في جماهير الفلاحين وسائر كادحي المدن ، حيث
كانوا وقود تلك الحروب ، وكانوا العدة الجاهزة ، ومنهم كانت تجبى الضرائب
الباهظة (٣٥) لسد نفقات الحروب . واذا حلت الهزيمة ببلادهم سيقوا عبيدا الى
بلاد الرومان - بيزنطة ، كما كان يساق الى ايران اسرى الحرب من الرومان
والبيزنطيين ، وجلهم تسلب حريتهم ويحولون الى عبيد يعملون في مزارع (الاشراف)
الارستقراطيين .

ان المجتمع الايراني في العهد الساساني تحول من مجتمع العبيد الى مجتمع
الاقطاع وكان للحركة المزدكية اثر في ذلك ، وعنت تنظيمات انوشروان المالية نشوء
العلاقات الاقطاعية وركزت نفوذ الاقطاعيين . وزعزت المزدكية الكيان الساساني
ولهذا ساعدت شأنها شأن الحروب الايرانية البيزنطية (التي اوهنت الامبراطوريتين
الايرانية والبيزنطية وزادت في نفور شعبيهما من تسلط الطبقة الحاكمة وجورها)

(٢٩) تاريخ العصور الوسطى ص ١٢٠ .

(٣٠) الدينوري ، الاخبار الطوال ص ٧٢ ، الطبري ، تاريخ الرسل ج٣ ص ٩٦٢ .

(٣١) التنبيه والاشراف ص ١٠١ - ١٠٢ ، كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣١ - ٣٣٢ .

(٣٢) تاريخ الرسل ج٣ ص ٩٦١ . دننت ، الجزية ص ١٥ .

(٣٣) كريستنسن ، ايران ، ص ١١٢ ، الدوري ، مقدمة ، ص ٨٣ .

(٣٤) رستم ، اسد ، الروم ، ج١ ص ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٧٥ ، ٧٦ ، ٩٦ ، ٩٧ ، العدوي

ابراهيم ، الدولة الاسلامية ، ص ٣٤ - ٣٥ .

(٣٥) (٣٧ ، ٣٦) حتي ، تاريخ العرب (مطول) ، ج١ ط٣ ص ١٩٤ .

على هدم صرح الامبراطورية الايرانية المتداعي ويسرت للعرب الفتوحات (٣٧) .

ب - في آذربيجان وارمينيا

تعرف آذربيجان السوفييتية الحالية ، قديما باسم البانيا (٣٨) ، وأما مقاطعة آذربيجان الجنوبية ، او الايرانية الحالية ، فتعرف باسم اثروباتينا (٣٩) (آدورباداكان) وأخيرا آذربايجان (٤٠) .

اما ارمينيا (٤١) فتعرف بهذا الاسم منذ القدم ، ولكنها كانت تشمل على اراضي اوسع مما هي عليه الان حيث كانت تمتد الى شمال نهر الفرات .

وكانت تسود بلاد آذربيجان وارمينيا العبودية (مجتمع العبيد) حتى القرن الرابع الميلادي (٤٢) . وقد عانت بلاد القفقاس من الاستغلال الطبقي في عهد العبودية بالاضافة الى انها كانت مسرحا للحروب الرومانية - الايرانية وكان اهل البلاد من جراء ذلك عرضة للقتل والسلب والنهب وكانوا تحت قبضة السادة ملاك العبيد والمغتصبين الاجانب غير ان تطور الزراعة واستخدام المعادن بكثرة ونمو التجارة - في القفقاس - اوجد الامكانيات للانتقال الى العهد الجديد - عهد الاقطاع - وذلك بخلق الازمة لمجتمع العبيد ، عندما اصبح هنالك تعارض بين القوى المنتجة وبين العلاقات الانتاجية . لقد اختلف في رحم مجتمع العبيد - نواة النظام الجديد - المجتمع الاقطاعي ، بنشوء السادة ملاك الاراضي - الاقطاعيين - وبظهور الفلاحين - الفاقدين لحريتهم واراضيهم وذلك لتطور الزراعة وخاصة زراعة الكروم في آذربيجان (الباني) وتطور الحرف وانتشار التجارة في ارمينيا (٤٣) - خلق

(٣٧) توما ، العرب والتطور ، ص ٢٩ ، ماجد ، التاريخ السياسي ، ج١ ص ١٩١ .

(٣٨) تاريخ العالم ج٢ ص ١٣٢ .

(٣٩) يقول ليسترانج كي (ان الشكل القديم للاسم في الفارسية هو آذربكان *Adharbadhazan* الاسم الذي حرفه اليونانيون الى اثروباتينه) ، اراضي الخلافة الشرقية ، ص ١٥٩ ، حول التسمية راجع مقالة مينورسكي في دائرة المعارف الاسلامية ، المجلد الاول ص ١٨٨ ، كريستنسن ، ايران ، ص ١٠٥ ، احمد زكي ، قاموس الجغرافية القديمة ، ويذكر بان اسمه القديم اثروباتان ، ص ٨ .

(٤٠) ليسترانج ، كي ص ١٥٩ ، دائرة المعارف الاسلامية ج١ ص ١٨٨ ، تاريخ العالم ج٢ ص ١٣٢ .

(٤١) عن ارمينيا راجع مقالة كنارد ، م . *M. Canard* في دائرة المعارف الاسلامية ج١ ص ٦٣٥ - ٦٣٨ .

(٤٢) تاريخ الاتحاد السوفياتي ويذكر (انه وجد في القفقاس في القرنين الثالث - الرابع المجتمع الاقطاعي) ج١ ص ٤١ ، تاريخ العالم ويشير الى انه (ورد في الجزء الثاني من تاريخ العالم ص ٧٦١ - ٧٧٦ ان بعض العلماء السوفييت يرون بان القفقاس لم يمر بمرحلة العبودية وانما ظهر الاقطاع مبكرا في القرن الثالث) ج٢ ص ١٣٢ .

(٤٣) تاريخ الاتحاد السوفياتي ج١ ص ٤٢ .

الظروف لنشوء المجتمع الاقطاعي ، فالسادة ملاك العبيد بدأوا يعيدون النظر في طرق ووسائل الانتاج (كما شاهدنا في ايران) واخذوا يوجهون اهتمامهم نحو استثمار الاراضي في الزراعة فبدأوا يؤجرون اراضيهم للفلاحين وكذلك للعبيد ، وهذا مما ادى الى تحول الاستغلال الطبقي من العبيد الى الفلاحين . كان الاحرار في ارمينيا والبانيا يطلق عليهم (آزاتي) وغير الاحرار يطلق عليهم انازاتي (٤٤) وقد ذكر اليعقوبي عن اشراف ارمينيا (٥٠) ثم كاتب الاشراف من اهل البلد يقال لهم الاحرار (٤٥) وذكر ياقوت (وسئل بعض علماء فارس عن الاحرار الذين بأرمينية لم سموا بذلك ؟ فقال هم الذين كانوا نبلاء بارض ارمينية قبل ان تملكها الفرس ثم ان الفرس اعتقوهم لما ملكوا واقرؤهم على ولايتهم) (٤٦) . ان استيلاء ملاك العبيد على الاراضي المزروعة والمراعي ومجاري المياه والقنوات وامتلاكهم لها قد خلق الظروف المناسبة لتطور المجتمع وانتقاله الى طور جديد . ولكن نشوء ونمو الاقطاع في آذربيجان وارمينيا رافقه استمرار بقايا مجتمع العبيد في اماكن ليست كثيرة غير ان الطابع العام للمجتمع اصبح اقطاعيا . ان حب السيطرة والانانية وحب الانفراد بالسلطة والاستقلال المحلي لدى الملاك الاقطاعيين وبتشجيع من الطامعين الروم واليرانيين ، دفعهم الى خيانة مصالح البلاد بقيامهم بالحروب للصوصية المهلكة فيما بينهم مما ادى الى ضياع استقلال البلاد واصبح تاريخ هذه البلاد ضمن تاريخ امم كثيرة (٤٨) .

واصبحت البلاد لاحقاب طويلة تابعة لايران وللرومان وبيزنطة ، فالطبري يذكر عن اردشير مؤسس الدولة الساسانية : - ثم سار من موضعه الى همذان فاقتتسها والى الجبل وآذربيجان وارمينية (٤٩) . ويذكر حمزة الاصفهاني عن كسرى انو شروان : - واسكن في كل طرف قائدا يقطعه من الجيش واطعمهم من ما يلي ذلك الصقع ضياعا وجعلها من بعدهم وقفا على اولادهم فقد صار نسل اولئك الى هذا الوقت حفظة لارعاء الحائط (٥٠) وفي الطبري صورة رسالة موجهة من كسرى انو

(٤٤) تاريخ الاتحاد السوفياتي ج ١ ص ٤٢

(٤٥) التاريخ ج ٣ ص ١٧ .

(٤٦) معجم البلدان ج ٢ ، ص ١٦١ ، ويرى مانانديان ان الاحرار هم الامراء والعسكريون المالكون في ارمينيا ، الانتفاضات الشعبية ، ص ٥ .

(٤٧) يذكر رستم ، اسد في الروم وسياستهم : - وقدر لشابور الاول ٢٤١ - ٢٧٢ م ابن اردشير الاول ان ينتصر على رومه اكثر من مرة . ففي سنة ٢٥٣ بعد الميلاد طرد تيريداتس الثاني ملك ارمينية وعمل رومة من بلاده واقام محله اميرا خاضعا لسيادة فارس ، ج ١ ص ٤٧ .

(٤٨) تاريخ الاتحاد السوفياتي ج ١ ص ٤١ .

(٤٩) تاريخ الرسل م ١ ج ٣ ص ٨١٩ راجع اليعقوبي حيث يقول (ملك اردشير وهو اول ملوك الفرس المتجمعة ثم صار الى الجزيرة وارمينية وآذربيجان) تاريخ م ١ ص ١٥٩ ، انظر كريستنسن ، ايران ، ص ٧٧ .

(٥٠) ويقصد حمزة ، سور دربند ، وهي باب الابواب ، كتاب تاريخ سني ملوك ، ص ٥٧ راجع ابن الاثير حيث يذكر عن انو شروان (وبني باب اللان وفتح جميع ما كان بايدي الروم من ارمينيا وعمر مدينة اردبيل وعدة حصون) ، الكامل في التاريخ ، ج ١ ص ٢٥٩ ، كريستنسن ، ايران ص ٣٥٤ .

شروان الى فاذوسبان آذربيجان هذا نصها : - من الملك كسرى بن قباد الى واري بن النخيرجان فاذوسبان آذربيجان وارمينية وحيزها ودوبناوند وطبرستان وحيزها ومن مثله سلام ٠٠ (٥١) ، وفي ذلك اشارة واضحة لتبعية آذربيجان وارمينيا لايران في عهد انو شروان ، بينما كان ما يقارب خمس ارمينيا تحت سيطرة الروم منذ عهد شابور الثالث الذي عقد اتفاقية مع الامبراطور ثيودوسيوس (٥٢) .

لقد ظلت بلاد القفقاس نهبا للغزاة الطامعين ومسرحا للحروب اللصوصية بينهم وكانت الحروب تلقى تشجيعا من الامراء الاقطاعيين وكبار رجال الدين من اجل تثبيت واستمرار استغلالهم لجماهير الشعب . لقد جلب الاحتلال الاجنبي والحروب المستمرة البؤس والشقاء واحل الخراب والدمار بالبلاد بينما كسب السادة المحتلون وسرقوا كل خيرات البلاد . ولدينا خير صورة للنهب والاستيلاء والاثراء الفاحش على حساب الشعب المحتل يرويها نظام الملك عن قائد (سباهسالار) ولاه كسرى انو شروان اقليم آذربيجان حيث يعدد ما لديه من النقود والاواني والمنقولات والحلي بما قيمته (٣,١٠٠,٠٠٠ دينار) ومن الخيل والبغال (٣٠ الف) ومن الغنم (مائتا الف) ولديه (١٧٠٠ عبد تركي ورومي وحبشي) ولديه (١٤٠٠) جارية عدا الاملاك والعقارات والخانات في العراق وخراسان وفارس واذربيجان (٥٣) فهذه الصورة وان كانت ارقامها لا قيمة لها تاريخيا كما يقول كريستنسن (٥٤) ، الا انها صورة تعبيرية عن ثراء الولاة الفاحش المتأتي من سرقة الشعوب .

لقد استغل الفاتحون بلاد القفقاس ابشع استغلال يعينهم في تنفيذ مآربهم الاقطاعيون والرومانيون ، ولكن عندما قلص الغزاة من سلطة الاشراف المحليين ، اوقف الاشراف (الاقطاعيون) مساندتهم للغزاة وانضموا الى حركة التحرر الشعبي ضد المحتلين محاولين استغلال ذلك التذمر لاغراضهم (٥٥) .

(٥١) تاريخ الرسل م ١ ج ٣ ص ٨٩٢ .

(٥٢) رستم ، اسد ، ويحدد الزمن في ٣٨٦ م ، الروم ج ١ ص ٩٧ ، اما كريستنسن فيرى ان الاقتسام جرى في السنوات الاولى من حكم بهرام الرابع (٣٨٨ - ٣٩٩ م) الذي حكم بعد اخيه سابور الثالث فيذكر في ص ٢٤١ : (اقتسمت ايران وروما ملك ارمينية فدخل قسمها الشرقي وهو اكبرها، تحت حماية ايران ، وخضع القسم الغربي لحماية الرومان) ايران ص ٢٤٠ - ٢٤١ ، ورواية اسد رستم ادق من كريستنسن ، جاء في تاريخ العالم (كانت ايران منذ سنة ٣٨٧ الى ٥٠٢ مجبرة على عقد معاهدة سلمية مؤقتة وحتى السى تحالف مع بيزنطة (٠٠) م ٣ ص ٩٧ ، فالاتفاقية لا بد وان عقدت في عهد شابور الثالث ٣٨٣ - ٣٨٨ وليس في عهد بهرام الرابع .

(٥٣) سياست نامه ، ص ٤٣ - ٤٩ والترجمة الروسية (من قبل زاخودير ب . ن) ص ٣٦ - ٤١ ، كريستنسن ، ايران ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ (وقد اعتمد على طبعة شيفر ص ٢٩ وما بعدها والترجمة الفرنسية ص ٤١ وما بعدها) .

(٥٤) ايران ص ٣٦٠ .

(٥٥) تاريخ الاتحاد السوفياتي م ١ ص ٤٣ .

وهكذا نجد ، عندما التهبت في ٤٥٠ م انتفاضة شعبية في ارمينيا ، انضم اليها الاحرار (الامراء الاقطاعيون - في ارمينيا) ولقد انتشرت هذه الانتفاضة في جورجيا واذربيجان (الباني) (٥٧) . ولكن ايران جددت سيادتها على القفقاس بسبب تنافس الامراء المحليين الذين حرموا البلاد من الاستقلال ومن استغلال الفرص السانحة للاستقلال واصبحت البلاد مسرحا للحوادث الدامية والتهب والسلب من قبل الامبراطوريتين المتخاصمتين على احتلال القفقاس، ايران وبيزنطة ، وقد التجأتا اخيرا ، في نهاية القرن السادس الى عقد اتفاقية بينهما لاقتسام القفقاس لتضعنا حدا للحروب التي انهكت قواهما واصبحتا ، ايران وبيزنطة - كما يقول العدوي - ثنائ من الخور والانهاك كما بقيت قصة حروبهما معلقة فصولها عند هذا الحد الى ان اتم الاسلام فصلها الاخير (٥٨) .

لقد وهنت الدولتان وضعفنا وجلبتا اليأس والشقاء لشعبيهما ولشعوب البلدان المحتلة من قبلهما ، لقد عقدتا الاتفاقية لتنعما بسلب خيرات البلدان بهدوء وسلام ، ولكن ذلك السلام كان الهدوء الذي يسبق العاصفة فقد داهمت الامبراطوريتين قوى الاسلام الزاحفة واحتلت جيوش العرب الغازية بلاد ايران وتوابعها واحتلت الجيوش العربية توابع بيزنطة ، فأزالت من الوجود الامبراطورية الايرانية وقصت نفوذ بيزنطة في الشرق الادنى .

٢ - الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في العهدين الراشدي والاموي :

في العهد الراشدي :

تعرضت بلاد ايران وبلدان القفقاس لفتوحات العرب المسلمين في النصف الاول من القرن السابع .

وكان للحروب الدامية اثرها في تلك الربوع التي اصبحت ميدانا للحروب المستمرة بين العرب الفاتحين وبين الامبراطوريتين المتداعيتين ، الايرانية والبيزنطية حيث كانت اولاهما تلفظ انفاسها الاخيرة ، ولهذا حشدتا كل ما تستطيعان جمعه من الجيوش ، للابقاء على النظام المتهريء والسلطة المتداعية . ولكن الضربات المتلاحقة للجيوش الغازية الفتية شجعت العرب على مواصلة الزحف للأجهزة على الجيوش المنهارة ومن اجل الحصول على المزيد من الانتصارات والاستحواذ على خيرات البلدان الغنية .

(٥٦) تاريخ العالم ، لقد سقط ماميكونيان في المعركة ٢٦ مايس ٤٥١ م ، ج٣ ص ١٣٤ .

(٥٧) تاريخ الاتحاد السوفياتي ١٦ ص ٤٣ .

(٥٨) العدوي ، ابراهيم احمد ، الدولة الاسلامية ط٢ ص ٣٤ - ٣٥ .

(٥٩) يذكر لوبون ، غوستاف ، عن اعراب الجزيرة الذين اصبحوا محاربين ايام الخلفاء (فاصبح حبهم للتهب حبا للفتح) ص ٧٤ .

وتم القضاء على الامبراطورية الايرانية الساسانية وتقلصت ممتلكات بيزنطة ،
بل تهددت اراضيها الخاصة .

ولقد كان من نتائج هذه الحروب الدامية في بلدان ايران واذربيجان وارمينيا ان تحطمت السلطة الساسانية وزالت امبراطوريتها وانهارت بقايا نظام العبودية ، بسبب مقتل وهروب الكثير من الاشراف مالكي العبيد ، غير ان المجتمع ظل محتفظا بالرقيق والذين ازداد عددهم من اسرى الحروب واصبح العرب السادة الجدد ، وتحولت ايران من امبراطورية حاكمة الى ممتلكات تابعة واصبح اهلها الرعية وهم مادة المسلمين (٦٠) وانتقلت تبعية اذربيجان من النفوذ الايراني الى الاستحواذ العربي ، وكذلك اصبحت ارمينيا تحت النفوذ العربي وانحسرت ظلال ايران وبيزنطة عن مواقعها السابقة واصبح اهل البلدين الرعية (٦١) .

لقد كانت لهذه الفتوحات بالرغم من السلب والدمار والهلاك والكوارث التي رافقتها ، فوائد في تحرير البلدان من بقايا قيود النظم والتقاليد العتيقة (٦٢) والاستغلال الفظيع ومن بقايا مجتمع العبودية وفي التحرر من تقييدات ومضايقات الديانات المتعفنة الجامدة المتحجرة كاليهودية والمسيحية والزرادشتية وغيرها ، ومن تسلط الامبراطوريات الجائرة وادت هذه الفتوحات الى نمو وازدهار التجارة (٦٣) . ومما تجدر ملاحظته في هذا الصدد ان الاسلام الذي رافق ظهوره وجود تحولات في المجتمع العربي وخاصة في الحجاز (ذكر انكلز ، فردريك : لقد روفقت الانعطافات التاريخية بتغيرات في الدين ، بقدر ما يجري الحديث هنا عن الاديان العالمية الثلاثة التي وجدت حتى الآن البوذية ،

(٦٠) يروى ابو يوسف عن الخليفة عمر بن الخطاب (انه اراد ان يقسم السواد بين المسلمين فامر بهم ان يحصوا ، فوجد الرجل يصيب الاثنيين والثلاثة من الفلاحين فشاور اصحاب محمد فقال علي : - دعهم يكونوا مادة المسلمين) الخراج ط ٢ (القاهرة ١٢٨٢ هـ) ص ٣٦ وكذلك اعتبرية سكان البلدان المفتوحة ، راجع يحيى بن آدم الخراج ص ٤٢ ، ابا عبيد ، القاسم بن سلام ، الاموال ص ٥٩ ، البلاذري فتوح البلدان ص ٦٦ .

(٦١) بروكلمان ، كارل ، تاريخ الشعوب الاسلامية ويذكر (واذا كان العرب يؤلفون طبقة المحاربين فقد كان الاعاجم من الجهة الثانية هم للرعية - اي القطيع - وجمعها رعايا) ج ١ ط ٢ ص ١٢٩ . ويقول ولهاوزن ، يوليوس : - اني استعمل لفظ الرعية في اضيق معنى لتلك الكلمة تمييزا لها عن العرب الذين اصبحوا اصحاب السلطان الحقيقي . الدولة العربية هامش رقم ١٥ ص ٢٩ .

(٦٢) لان الاحتلال العربي قد تسبب في انتهاء مراتب الفئات الايرانية الاجتماعية ولو انه لم يؤد الى زوال الفوارق الطبقيية او زوال الطبقات من المجتمع ، لان العرب لم يالفوا ، لبساطة حياتهم الاجتماعية ، مثل تلك المراتب ولانهم عدوا جميع المحتلين بمرتبة واحدة فهم السادة وغيرهم الرعية . ويذكر بيرن ، هنري (ان الضغط العربي غير المنتظر حطم طراز اوربا القديم المتمركز في حوض البحر المتوسط) مدن القرون الوسطى ، مترجم للروسية ، ص ٢٣ .

(٦٣) بوليانسكي ، التاريخ الاقتصادي ، ص ١٢٨ .

لقد تيسر احتلال ايران بعد احتلال العراق ، أما ارمينيا فقد زحفت اليها جيوش الخلافة العربية لأول مرة في سنة ٦٤٠م (٦٧) واستولت على العاصمة دفين ، وأما آذربيجان الايرانية فقد غزيت سنة ٦٤٢م . هذا في المراجع الاجنبية . أما المصادر العربية فعن اذربيجان السوفيتية وأرمينيا تذكر سنوات الغزو ١٨هـ ، ٢٠هـ ، ٢٢هـ وحتى ٢٥هـ . ويتراءى لي ان هذه حملات جيوش متعددة وامدادات كان الخلفاء يبعثونها لاجساد الانتفاضات .

(٦٥) لي ، هرمان ، يذكر « الدخول في الاسلام يجعل الشعوب متساوية في الحقوق ومتحررة من الضرائب ، لهذا جماعات كبيرة من الجماهير المستغلة من الشعوب الاخرى راوا في المحاربين العرب محررين لهم » ، مختصر تاريخ القرون الوسطى المادي ، ص ٤٥٠ . صحيح ان جماعات كبيرة من الجماهير المستغلة من الشعوب الاخرى ظنت بان المحاربين العرب سيكونون محررين لهم ، ولكننا لا نتفق مع لي ، هرمان ، في قوله « الدخول في الاسلام يجعل الشعوب متساوية في الحقوق ومتحررة من الضرائب » - لانه كلام عام مطلق ، ولان الذين دخلوا في الاسلام من ابناء الشعوب المغلوبة لم يتساوا تماما مع العرب في الحقوق ، كما وبقيت ضرائب الخراج وضرائب النوروز والمهرجان والضرائب الاخرى ، عليهم وحتى الجزية - والتي هي جزء من مجموع الضرائب وتسقط بالاسلام - فان الامويين كانوا قد اعادوها على من اسلم من اهل الذمة لفترة طويلة حتى سنة ١٠٠هـ حيث امر الخليفة عمر بن عبد العزيز باسقاطها ولم يشمل امر الاعفاء ابناء البلدان الذين لم تحدد ضريبتهم الجزية والخراج عليهم كما في ايران . راجع الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٣٥٤ ، ولهاوزن ، يوليوس ، الدولة العربية ، ص ٣٨٠ . دنت ، دانييل ، الجزية والاسلام ، ص ٣٧ ، ص ٣٩ .

(٦٧) تاريخ العالم ، ج ٣ ، ص ١٢٧ .

دوافع الفتوحات :

لم يكن دافع الفتوحات فرض العقيدة او نشر الديانة الاسلامية فقط ، كما يحلو للبعض حصر ذلك، وانما كان غرض الفتوحات هو الاستيلاء وفرض السيطرة والحصول على المغانم بالدرجة الاولى فالبلاذري يذكر : - قالوا لما فرغ ابو بكر من امر اهل الردة رأى توجيه الجيوش الى الشام فكتب الى اهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب بنجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم فسارع الناس اليه من بين محتسب وطامع واتوا المدينة من كل أوب فعقد ثلاثة ألوية (٦٨) . ويروي ابو تمام شعرا لحكيم بن قبيصة الضبي :

فما جنة الفردوس هاجرت تبتغي ولكن دعاك الخبز أحسب والتمر (٦٩)

كانت غالبية الجند ، من الجزيرة العربية القاحلة ، دفعتهم الحاجة للالتجاء الى الجيش بعد تعذر الغزو في الجزيرة العربية لوجود سلطة حاكمة لها جيش ، - حيث اصبح الجيش ، الوسيلة الوحيدة للاكتساب والرفاه والغنى لابناء الصحراء الجرداء المقفرة ، وبعد ان قلت اهمية طرق القوافل التجارية المحاذية للبحر الاحمر (٧٠) ويشير كولد تسهير الى اهمية المركز الاقتصادي لبلاد العرب في البواعت التي دفعت العرب بالقيام بالفتوحات (٧١) . وقد اشار ايضا : - ولم يكن هذا الفتح موجهها نحو المثل الأعلى وحده ، لان كنوز المدائن ودمشق والاسكندرية لم تسمح طبيعتها بايجاد ميول للزهد والتقشف (٧٢) . وفي نفس المعنى كتب طه حسين : - ونحن نعلم ان العربي يفكر في الغزيمة كلما فكر في الحرب (٧٣) . وقد لاحظ بأن الحاجة المادية هي التي دفعت بالعرب لفتح الامصار وليست الاثرة الدينية والتعصب (٧٤) ، ويشير الدوري الى انه (من خطئ الرأي ان نظن بأن هذه الفتوحات كانت لفرض العقيدة الدينية على الشعوب الاخرى بل كانت سبيلا للعرب ليحققوا حياة افضل وليتبنوا مكانة اسمى ولئن دخلت الشعوب الاخرى في الاسلام فان ذلك كان عملا ذاتيا تلقائيا وبصورة متدرجة

(٦٨) فتوح البلدان ، ص ١٠٧ ، انظر حتي ، تاريخ العرب (مطول) ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ١٩٦ .

(٦٩) ديوان الحماسة ، ج ٢ ، ص ٥٣٣ ، وأول القصيدة :

لعمري ابي بشر لقد خانه بشر علي ساعة فيها الى صاحب فقر

انظر ولهاوزن ، الدولة العربية ، هامش رقم ١٢ ، ص ٢٧ ، حتي ، تاريخ العرب (مطول) ،

ج ١ ، ط ٣ ، ص ١٩٦ .

(٧٠) انظر رسالة ماركس الى انكلز ، ٢ حزيران سنة ١٨٥٣ م ، كارل ماركس وفردريك انكلز ،

الرسائل المتبادلة ، موسكو ، ١٩٥٣ ، ص ٧٣ - ٧٤ .

(٧١) العقيدة والشريعة ، ص ١٣٧ .

(٧٢) ن . م . ص ١٣٥ .

(٧٣) الفتنة الكبرى ، علي وينود ، ص ١٦٩ .

(٧٤) تاريخ العرب (مطول) ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ١٩٦ .

ان الفتوحات نشرت السيادة للعرب (٧٥) ، ورأي الدوري صحيح فقد انتشر الاسلام في ايران واذربيجان ببطء وكان الدافع لاعتناق الاسلام هو امل الشعوب في التخلص من الضرائب الفادحة (وقد تحقق جزئيا (الجزية فقط) ولمدة قصيرة اعادها الامويون) وتزلف الارستقراطيين المحليين للسلادة الحكام .

١ - ايران في العهد الراشدي : -

لقد كان العهد الراشدي بالنسبة لايران عهد حروب وغزو وفتوح ولم تهدأ الحالة الا في فترة (الفتنة) الحروب الداخلية التي شملت اواخر ايام الخليفة عثمان بن عفان وطيلة ايام الخليفة علي بن ابي طالب . وتنعدم ، في المصادر العربية ، الدقة في ضبط تواريخ الفتوح فكل مؤرخ يذكر عن حادثة واحدة عدة تواريخ وقد يناقض بعضها البعض فابن الاثير يذكر عن فتح قومنس وجرجان وطبرستان مثلا : - قيل كان فتحها سنة ثمان عشرة وقيل ثلاثين زمن عثمان (٧٦) ثم يذكر نص العهد الذي أعطي الى اهل بهرذان - من نفس المنطقة - (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أعطي النعمان بن مقرن اهل ماه بهرذان اعطاهم الامان على انفسهم واموالهم واراضيهم لا يغيرون عن ملة ولا يحال بينهم وبين شرائعهم ولهم المنفعة ما أدوا الجزية الى من وليهم على كل حال في ماله ونفسه على قدر طاقتهم وما ارشدوا ابن السبيل واصلحوا الطرق وقرؤا جنود المسلمين ممن مر بهم فآوى اليهم يوما وليلة ووفوا ونصحوا فان غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بريئة - وكتب في المحرم - تسعة عشر) (٧٧) . على ان الثابت ان نهاية يزجدر الثالث - آخر ملوك الساسانيين - واحتلال ايران قد تمت في عهد الخليفة الثالث عثمان .

والسؤال الذي يتبادر الى الازهان عن تأثير الفتح في التركيب الاجتماعي فسي ايران ؟ ومما لا شك فيه ان الفتح العربي لم يحدث تغييرا في التركيب الاجتماعي ، لانه لم يمس طرق ووسائل واسلوب الانتاج ولم يغيرها ولم تتغير تبعاً لذلك العلاقات الانتاجية وقد اشار ياكوبفسكي الى ان (الاحتلال العربي لم يجلب معه الى ايران شكلا اجتماعيا جديدا) (٧٨) . لهذا لا يمكننا ان نتفق مع بارتولد في قوله : - (واما فسي ايران وفي تركستان فقد أبطل الاسلام ، كما سنرى في الفصل الآتي نظام الطبقات القديم وامتلاك الاراضي الواسعة وحدث مثل هذا في بلاد الارمن كذلك) (٧٩) ، لان الاقطاع ،

(٧٥) الدوري ، الجذور التاريخية للقومية العربية ، ص ١٥ ، ص ١٦ ، وجاء في تاريخ العالم بأن الاسلام انتشر ببطء وفي اذربيجان فقط اما في ارمينيا فقد احتفظ بالمسيحية ، ج ٣ ، ص ١٣٧ .

(٧٦) الكامل في التاريخ ، القاهرة ١٣٥٦هـ ، ج ٣ ، ص ١٢ .

(٧٧) ن . م . ، ج ٣ ، ص ١٢ .

(٧٨) تاريخ ايران ، ص ٩٣ .

(٧٩) تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٤٨ والترجمة العربية ، ص ٥٤ .

الذي بدأ ينمو ويتطور في اواخر الحكم الساساني ، قد ظل هو النظام الاجتماعي السائد في ايران في العهد الاسلامي ، ولو ان الاقطاع لم يسر بوتائر اسرع بل ابسطاً في تطوره وذلك لان العرب تسلطوا على الارستقراطيين المحليين مالكي الاراضي وجعلوهم دونهم وقللوا من امكانيات توسيع نفوذهم ، ولهذا السبب ايضا ، لا يمكننا ان نتفق مع بوليانسكي الذي يرى ان الاحتلال العربي كان سبباً في خلق الظروف لتطور الاقطاع ، حيث كتب (على هذا المنوال وجدت الامكانيات الاقتصادية والاجتماعية لاجل تطوير الاقطاع . وبصورة اوسع اصبحت الخلافة دولة اقطاعية ومن اهم عواقب الاحتلال العربي خلق الظروف لتطوير الاقطاع) (٨٠) ، اننا لا نستطيع ان نتفق مع بوليانسكي لان الاحتلال العربي أخر سیر نمو الاقطاع وتطوره حتى القرنين التاسع والعاشر الميلادي ، لان العرب ارادوا فرض نظام الارستقراطية القبلية (رؤساء - شيوخ القبائل) وهذه المحاولة وان لم تنجح ولم تقض على الاقطاع غير انها جعلت الاقطاع يسير بوتائر ابسطاً . ان العرب لم يقضوا على الاقطاع بل ساعدوا على استمراره بمنح الاشخاص العاملين للدولة الاسلامية ، القطائع ، من الاراضي المفتوحة ، ولو ان هذه القطائع لم تكن لتكتمل فيها شروط التملك الاقطاعي للارض فقد ذكر بارتولد : - الا انها لم تكن تقطع هي والذين يعيشون عليها كما كان في اوروبا في القرون الوسطى وفي روسيا في القرن التاسع عشر بل كانت تقطع وحدها (٨١) . واما بقايا نظام العبودية فكانت تعاني التفسخ والانحسار قبيل الفتح لاشتداد تناقضات العبيد مع السادة عند نشوء الاقطاع ، وكان الفتح العربي عاملاً في الاجهاز على السادة ملاك العبيد - اشراف ايران - من قتل منهم او هرب - ولكن المجتمع الايراني احتفظ بالرقيق واصبح السادة الآن العرب .

فالطابع العام المتميز للمجتمع الايراني ابان وبعد الفتح العربي هو الاقطاع حيث ظل المجتمع الاقطاعي الايراني هو هو في العهد الراشدي لان الفتح العربي الاسلامي لم يجر تغييرات طبقية بالاضافة الى انه لم يخفف من الضائقة الاقتصادية ولم يجر تبدلات في النظم المالية (٨٢) .

ولهذا فان آمال ابناء الشعوب التي وضعوها في تحسين احوالهم ، على الفاتحين قد تلاشت ، ولا سيما وقد اعاد الفاتحون للدهاقين (٨٣) ما كان لهم من سابق اعتبار

(٨٠) التأريخ الاقتصادي ، ص ١٢٩ .

(٨١) تأريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٤٨ والترجمة العربية ، ص ٥٤ .

(٨٢) ابو يوسف ، الخراج ، (القاهرة ١٣٠٢ هـ) ، ص ٧٣ ، جوزي ، باندلي ، من تأريخ الحركات ، ص ٥٦ ، ويعتبر اعادة الضرائب كان في اواخر حكم عمر بن الخطاب .

(٨٣) يذكر بارتولد ، ف . : ان الدهاقنة قد رضيت في العصور الاسلامية الاولى في ايران كامراء الاقطاعيات في اوروبا فيما بعد ، بزوال خطورتهم السياسية نظير ما نالوا من الدولة من الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية . الحضارة الاسلامية ص ٥٨ - ٩ ، والترجمة العربية ص ٦٥ . بروكلمان ، كارل ، تأريخ الشعوب الاسلامية : (اما في فارس فاحتفظ الدهاقين او رؤساء الاقاليم بمكانتهم العليا ، ج ١ ، ط ٢ ، ص ١٣٠ ، الدوري ، مقدمة : وقصد تحالف الدهاقين مع الفاتحين ، ص ٨٥ .

وواجبات ، حيث بدأوا ، كسابق عهدهم ، بجمع الضرائب من السكان • هكذا وجد أبناء الشعوب ان آمالهم قد بنيت على سراب من الوهم •

٢ - ايران في العهد الاموي : -

عند انتقال السلطة للامويين - وهم ممثلو الارستقراطية القبلية العربية - حلت النكبة بجماهير الشعوب المحتلة ومنها الشعب الايراني • يذكر ايفانوف ، م • س • : - وكانت هذه الفترة من اصعب الاوقات على سكان ايران ، حيث كانت ايران واحدة من اعظم الولايات المظلومة (٨٤) • لقد مارس الامويون ابشع انواع الاستغلال والاضطهاد وعاملوا الناس بازدراء واحتقار وازادوا كمية الضرائب واخذوها ممن اعفوا من دفعها - بعد اسلامهم (٨٥) - ووضعوا أختام الرصاص في اعناق الموالي واهل الذمة من الفلاحين مكتوبا عليها اسماء محلاتهم لكي لا يهربوا من دفع الضرائب • واعادوا الضرائب القديمة كضرائب اعيان النوروز والمهرجان والضرائب على الحرف والصناعات (٨٦) ، وبدأوا بالاستحواذ على الاراضي ، حيث انتقلت ملكية اخصب الاراضي الى الاسرة الحاكمة (٨٧) ، وبهذا خلقت الظروف لنشأة أجنة التملك الفردي المكتملة فيها شروط التملك الاقطاعي والتي ستظهر في العصر العباسي - القرنين التاسع والعاشر - أما الاقطاع (٨٨) فقد ظل يسير بوتائر أبطأ • وكان من جراء الحكم التعسفي الجائر والمبني على احتقار الشعوب ونهب خيراتها والمستند على المرازبة والدهاقين (٨٩) - الذين كان عليهم جمع الضرائب من الشعب ، وطبيعي ، ما كانوا لينسوا انفسهم في اغتنام الفرص للثراء على حساب الشعب - ان تدهورت الحالة وانهار اقتصاد البلاد وشلت جميع مرافق البلاد الاقتصادية ، وكان على دافع الضريبة البائس - كما يقول ولهاوزن - ولا ريب ان يدفع مبلغا لا يقل عن قيمتها في عهد الساسانيين (٩٠) • جاء في الكامل لابن الاثير : - وقال كعب الاشقري وقيل رجل من جعفي :

كل يسوم يحوي قتيبه نهباً ويزيد الاموال مالا جديدا
باهلي قد ألبس التساج حتى شباب منه مفارق كن سودا
دوخ الصغد بالكتائب حتى ترك الصغد بالعراء قعودا (٩١)

(٨٤) مختصر تاريخ ايران ، ص ٢٧ •

(٨٥) أبو عبيد ، القاسم بن سلام ، الاموال ، ص ٤٨ •

(٨٦) الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ٩ ، مقدمة ، ص ٨٤ •

(٨٧) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٢٩ ، وراجع الصفحات ٣٤٦ - ٣٧٢ ، جوزي ، من تاريخ ، ص ٦٥ •

(٨٨) انظر بوليانسكي ، التاريخ الاقتصادي ، ص ١٢٩ ، وقد اشرنا الى ذلك سابقا •

(٨٩) ولهاوزن ، يوليوس ، الدولة العربية ، ص ٢٣١ ، بارتولد ، تاريخ الحضارة ، الترجمة ص ٦٥ •

(٩٠) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٩١ •

(٩١) رواء البلاذري : دوخ الصغد بالقبايل حتى ترك الصغد بالعراء قعودا

فتوح ، ص ٤٢١ •

فوليد يبكي لفقد أبيه واب موجه يبكي الوليدا (٩٢)
كلما حل بلدة أو اتاهما تركت خيله بها أخذودا (٩٣)

وهذا خير وصف للمصائب التي كانت تحيق بالشعوب من جراء الحروب التي كانت تشنها الخلافة على البلدان ، وإن كان الوصف على بلاد الصغد وليس على إيران . يعتبر جوزي ، بندلي ، أن لبني أمية الفضل على الامم المغلوبة وأن الاجراءات التعسفية انما أضطر اليها الخلفاء المتأخرون لحاجتهم الى الاموال (٩٤) . ولكن الفضل الذي يعزوه جوزي الى بني أمية انما يجب أن يعود - كما شاهدنا سابقا - الى الفتوحات في عهد الراشدين . يقول جوزي : - معاذ الله أن أنكر فضل بني أمية على الامم العربية وبعض حسناتها على الامم المغلوبة كالفرس مثلا الذين الغوا بينهم النظام القديم المبني على تفاوت الطبقات وساوا بينهم في الحقوق والواجبات (٩٥) .

ان كتابات جوزي لا تخلو مع الاسف من امثال هذه الاخطاء والتناقضات فالامويون أعادوا ضرائب النوروز والمهرجان منذ ايام معاوية بن ابي سفيان (٩٦) وفرضوا الجزية على من أسلم وهذه - كما يقول ابن سلام - من اعظم الامور (٩٧) ، وقد تسلطوا على الشعوب واذاقوها مر العذاب ونهبوا خيرات البلدان واغرقوا القنارات بسيل من الدماء وساقوا الاحرار أسرى وباعوهم عبيدا ، متذرعين بأن تلك الحروب لله ، ولكنها في الحقيقة وكما عرفها ابن عبد العزيز - الخليفة الاموي - كانت للغنيمة (٩٨) . واذا نظرنا الى الخلفاء جميعهم وجدناهم مطبقين سياسة البطش والغدر والنهب عدا عمر بن عبد العزيز الذي اعتبر شاذا عن الخط العام ، اذ ان بعض محاولاته في التخفيف من وطأة الضرائب الثقيلة عن كاهل الامم المغلوبة - بالرغم من عدائه لاهل الذمة - لم تنل رضا من تلاه من الخلفاء واعتبرت محاولته شذوذا عن الخط العام لسياسة الامويين المالية - لاحظ كتب يزيد بن عبد الملك الى عمال عمر بن عبد العزيز في العقد الفريد (٩٩) .

(٩٢) الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٢٨ .

(٩٣) ذكر الطبري ، تأريخ الرسل ، هذا البيت بعد تلك الابيات السابقة ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٢٥٢ .

(٩٤) من تأريخ الحركات ، ص ٦٢ .

(٩٥) ن . م . ص ٦١ ، ولا شك أنه تأثر بقول بارتولد من أن الاسلام ابطل نظام الطبقات القديم . تأريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٤٨ ، والترجمة العربية ، ص ٥٤ .

(٩٦) الجهنياري ، الوزراء والكتاب ، ص ١٥ .

(٩٧) الاموال ، ص ٤٩ .

(٩٨) ولهاوزن ، يوليوس ، الدولة العربية ، ص ٢١٨ .

(٩٩) ذكر ابن عبد ربه : « كتب يزيد بن عبد الملك الى عمال عمر بن عبد العزيز اما بعد فان عمر كان مغرورا غررتموه انتم واصحابكم وقد رأيت كتبكم اليه في انكسار الخراج والضريبة فاذا اتاكم كتابي هذا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده واعيدوا الناس الى طبقاتهم الاولى اخصبوا ام اجدبوا احبوا ام كرهوا حيوا ام ماتوا والسلام » ، العقد الفريد ، ج ٥ ، ط ٢ ، (القاهرة ، ١٣٧٢هـ) ، ص ١٧٦ .

وقد كان من جراء الانتهاكات الفظيعة والاستغلال المهرق والاجراءات التعسفية ان انتفضت المجاهير الايرانية وانضمت الى انتفاضات عديدة ، فانضموا الى الخوارج الذين كانوا - كما قال عنهم بيلاييف ، ي ٠ آ ٠ : - في طليعة الثورات الشعبية ضد الامويين ممثلي الارستقراطية العربية (١٠٠) ، ومعبرين عن اوسع الطبقات الغاضبة لسكان العراق وغرب ايران (١٠١) ، وقد علل كولد تسهير انضمام الموالي الى الخوارج (بسبب ميول الخوارج الديمقراطية وثورتهم على مظالم الامويين) (١٠٢) وبذلك فتحوا الطريق كما يشير ولهاوزن ، : - فقبلوا الموالي في جماعتهم وجيشهم (١٠٣) ، فانضموا الى انصار أبي مريم (١٠٤) ، وأنصار أبي عبيد الله الماحوز (١٠٥) ، ومع الخريت بن راشد الناجي (١٠٦) ، ومع قطري بن الفجاءة (١٠٧) الذي انفصلوا عنه عند جيرفت (١٠٨) ، الى عبد ربه (١٠٩) ، وقد انضمت جموع غفيرة من الايرانيين الى حركة عبد الرحمن بن محمد بن الاشعث (١١٠) ، قائد الجيش الاموي في سجستان، الذي استغل سخط الجيش من مواصلة الحرب في سجستان لتحقيق اغراضه الشخصية ولكن الحركة توسعت فشملت جموع الساخطين على الحكم الاموي واعلنت محاربة الوالي القاسي المتعطش للدماء ، الحجاج بن يوسف الثقفي ، (والي العراق في عهد عبد الملك بن مروان وابنه الوليد) ، وخلعت الخليفة عبد الملك بن مروان ٠ « لم يعترفوا بخلافته في العراق » وأرغمت الجماهير ابن الاشعث على عدم المهادنة ومواصلة الحرب فقد ساهم الايرانيون في جيش ابن الاشعث ضد الجيش الاموي في العراق ، فالاساوره والسيابجة (١١١) « قوى ايرانية تهادنت مع العرب عند الفتوح » التحقوا بجيش الطواويس (١١٢) « جيش ابن الاشعث » ، ويذكر الطبري بأن عدد الموالي بلغ مائة الف

(١٠٠) رفيق الملحد ، ص ١٩٨ ٠

(١٠١) ذكر المبرد ، عن الخوارج ، وأقام المهلب يجبي ما حواليه من الكور وقد دس الجواسيس الى عسكر الخوارج فأثوه بأخبارهم ومن في عسكرهم فاذا حشوة من قصار وصباغ وداعر وحداد ، الكامل ، ص ٦٢٩ ، وهذا يعني انضمام الحرفيين - من الموالي - الى الخوارج ٠ راجع ايضا العلي، التنظيمات، ويعلل انتساب الحرفيين من الموالي بسبب اضطراب التجارة وازدياد البطالة ٠ ص ٨٤ ، راجع ايضا كليموفيچ ، الاسلام ، ص ١١٠ ٠

(١٠٢) العقيدة ، ص ١٩٢ ، ومن هنا يعتقد بأن تسمية الشعوبيين بأهل التسوية جاءت من تأثرهم بالخوارج ٠

(١٠٣) الدولة العربية ، ص ٦٠ ٠

(١٠٤) طه حسين ، الفتنة الكبرى ، ٢ - علي وبنوه ، ص ١٥٣ ، عمر ابو النصر ، الخوارج ، ص ٢٢ ٠

(١٠٥) عمر ابو النصر ، الخوارج ، ص ٢٢ ٠

(١٠٦) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٩١ ، ابن الاثير ، الكامل ، (القاهرة ، ١٩٣٧ م) ، ج ٤ ، ص ٦٥ ٠

(١٠٧) الطبري ، تاريخ ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٠٠٣ ٠

(١٠٨) جيرفت من مدن كرمان ، البلاذري ، فتوح ، ص ٣٩١ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٢ ، ص ١٣٢ ٠

(١٠٩) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٤٥ ٠

(١١٠) الطبري ، تاريخ ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٠٥٢ ، حوادث سنة ٨١ هـ ٠

(١١١) البلاذري ، فتوح ، ص ٣٧٤ ٠

(١١٢) الدينوري ، مسلم ابن قتيبة ، عيون الاخبار ، (كان يسمى جيش ابن الاشعث جيش الطواويس لكثرة من كان فيه من الفتيان المنعوتين بالجمال) ، م ٤ ، ص ٢٣ ٠

في جيش عبد الرحمن عند دير الجماجم (١١٣) ويعمل فون كريمير مساندة الموالي لابن الاشعث كرد فعل لفرض الجزية على الموالي بعد اسلامهم (١١٤) ولا شك ان هذا العامل مباشر لسخط الموالي الذين تراكم لديهم السخط والغريب ان ولهاوزن لا يقر فون كريمير على رأيه هذا ، اذ يعتبر ولهاوزن مساهمة الموالي مع اسيادهم العرب كتقليد لواجبات الموالي ، وبهذا ينكر ولهاوزن العامل الاقتصادي (١١٥) . كما وساهم الموالي في ثورة الحارث بن سريج . وكان الحارث من المرجئة - وهم المواليون للسلطة الاموية - ولكن برغم كونه من المرجئة ، فان الاوضاع المزرية والانتهاكات الفظيعة لابتسط الحقوق ، دفعت به لقيادة ثورة تحت شعار الغاء الجزية عن المسلمين الجدد واستلام العطاء كبقية المسلمين من العرب ، ورفع راية سوداء انضمت تحتها ، لا جموع الفلاحين المعدمين من بلاد الصغد وخراسان فحسب ، بل وحتى الدهاقين (١١٦) في امل استعادة سيطرتهم السابقة (١١٧) مما اضطر السلطة الاموية لارسال خيرة جيوشها للقضاء عليها (١١٨) . لقد ساهم الموالي في العديد من الانتفاضات الشيعية وغيرها ثم انخرطوا في صفوف الدعوة العباسية ويذكر الطبري انه في سنة ١٠٠هـ كان من بين الاثني عشر نقيبا اربعة من (الفرس) والبقية عرب (١١٩) ، (ذكر الخربوطلي ان عددهم خمسة وهو يتفرد لوحده بهذا الرقم) (١٢٠) . وغالبية جيش ابي مسلم كما نعلم من الايرانيين . وكانت الجماهير المساهمة في الانتفاضات والثورات تنشد تحسين اوضاعها المزرية وظروفها الاقتصادية السيئة ورفع الحيف وانتهاك الحرمات عنها (١٢١) . قال ابو الصدياء صالح بن طريف - : وكان في الوفد الذي وصل الى دمشق من خراسان - للخليفة عمر بن عبد العزيز : - عشرون الفا من الموالي يغزون بلا عطاء ولا رزق ومثلهم قد اسلموا من اهل الذمة يأخذون بالخراج ؟ (١٢٢) .

- (١١٣) تأريخ الرسل ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٠٧٢ ، فون كريمير ، الحضارة الاسلامية ، ص ١٧٢ .
 (١١٤) الحضارة الاسلامية ، ص ١٧٢ ، والترجمة العربية ، ص ٨٨ .
 (١١٥) الدولة العربية ، ص ١٩٨ - ٢٠١ ، وفي محاولة فاشلة للدفاع عن الامويين والحجاج يذكر عبد العال : ان ولهاوزن قد أنصف الحجاج برد التهم الباطلة عنه . ويذكر عبد العال ايضا ان الدولة الاموية كانت خيرا على الناس والمسلمين والاسلام من دولة بني العباس . ويبرز عبد العال قيام الامويين بالمظالم بأنهم قاموا بواجبهم كحكام (كذا) ، حركات الشيعة ، ص ٢١٣ . ومن نافلة القول ان نذكر ان اراء عبد العال هذه لا تمت الى الواقع بصلة ولا تستند الى دليل واحد .
 (١١٦) يذكر ولهاوزن ، الدولة العربية : فاجتمع الدهاقين واهل القرى حول رأيه السوداء ، ص ٣٦٩ .
 (١١٧) تأريخ ايران ، ص ١٠٧ .
 (١١٨) زاخودير ، ب ن . ، تأريخ القرون الوسطى ، ص ٣٨ ، راجع ميور ، السير وليام ، حول ثورة الحارث ، الخلافة نهوضها ، ص ٣٩٣ .
 (١١٩) تأريخ الرسل ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٣٥٨ .
 (١٢٠) تأريخ العراق ، ص ١٨٧ .
 (١٢١) يذكر شاكر ، مصطفى « وقد بلغ الاستياء من الناس حدا بعيدا عبرت عنه تلك الاعداد المرعبة من الثورات والفتن في السنين الاخيرة من العهد الاموي » ، في التأريخ العباسي ، ج ١ ، ص ٣٧ .
 (١٢٢) الطبري تأريخ ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٣٥٤ .

وقال رجل من عبد القيس اثناء حروب الحارث بن سريج : -

تولت قريش لذة العيش واتقت بنا كل فـج من خراسان اغبرا
فليت قريش اصبحوا ذات ليلة يعومون في لج من البحر اخضرا (١٢٢)

٣ - آذربيجان وارمينيا في العهد الراشدي :

ادت الفتوحات العربية فسي آذربيجان وارمينيا السى ازالة السلطة الايرانية والبيزنطية واحلت محلها السلطة العربية ، وقد اشرنا الى تضارب آراء المؤرخين العرب حول سني الفتح (١٢٤) ، فالبلاذري يذكر الفتح في عهد الخليفة عمر بن الخطاب بقيادة حذيفة اليمان (١٢٥) ثم بقيادة عتبة بن فرقد السلمي (١٢٦) ثم يذكر غزوة للمغيرة بن شعبه سنة ٢٢هـ ويروي بعد ذلك (ان المغيرة غزا آذربيجان سنة ٢٠هـ ففتحها ثم انهم كفروا فغزاها الاشعث بن قيس (١٢٧) ، وكذلك الطبري يذكر عن حوادث سنة ٢٢هـ (ففيها فتحت آذربيجان) (١٢٨) ثم يذكر رواية اخرى (قال كان فتح آذربيجان سنة ١٨ من الهجرة بعد فتح همذان والري وجرجان) (١٢٩) وقد ورد في صيغة الامان الذي أعطي لاهل آذربيجان (٠٠٠٠ وكتب سنة ١٨) (١٣٠) واما تاريخ الامان الذي اعطي لموقان سنة ٢١هـ (١٣١) ٠ لقد بينا ان هذا التضارب بين المؤرخين العرب يعزى الى انه لم تكن هناك حملة واحدة وانما حملات عديدة نتيجة للانتفاضات العديدة التي قام بها سكان القفقاس ٠ فالبلاذري يذكر عن عتبه بن فرقد انه واجه انتفاضات (وانتفضت عليه نواح فغزاها فظفر فغنم) (١٣٢) ثم يذكر عن آذربيجان في حوادث سنة ٢٠ (ثم انهم كفروا فغزاها الاشعث بن قيس) (١٣٣) ويذكر ابن تغري بردي عن حوادث سنة ٢٨ هـ (وفيها غزا الوليد بن عقبة آذربيجان) (١٣٤) ويذكر ايضا عن حوادث سنة ٢٩هـ (وفيها نقضت آذربيجان فغزاهم سعيد بن العاص حتى افتتحها ثانية) (١٣٥) ٠ وبرغم تلك الحملات والغزوات الدموية فان الخلفاء

- (١٢٢) ن ٠ م ٠ ، ج ٢ ، ص ١٥٨٠ - ١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٢٢١ ، ورواه أبو تمام : فليت قريش اصبحت ذات ليلة تؤم بها بحرا من الموج اكدرا ديوان الحماسة ، ج ٢ ، (القاهرة ، ١٣٧٤ هـ) ، ص ٣٢٦ ٠
- (١٢٤) لاحظ مقالة مينورسكي في دائرة المعارف الاسلامية ، م ١ ، ص ١٩٠ ٠
- (١٢٥) فتوح البلدان ، ص ٣٢٥ ٠
- (١٢٦) ن ٠ م ٠ ، ص ٣٢٦ ٠
- (١٢٧) ن ٠ م ٠ ، ص ٣٢٦ ، انظر ايضا اليعقوبي ، التاريخ ، م ٢ ، ص ١٥٦ - ٧ ، ياقوت ، معجم البلدان ، ج ٢ ، ص ١٢٦ ، ص ١٢٩ ٠
- (١٢٨) تأريخ الرسل ، م ١ ، ج ٥ ، (ليدن ١٨٩٣ م) ، ص ٢٦٤٧ ٠
- (١٢٩) ن ٠ م ٠ ، م ١ ، ج ٥ ، ص ٢٦٤٧ ٠
- (١٣٠) ن ٠ م ٠ ، م ١ ، ج ٥ ، ص ٢٦٦٢ ٠
- (١٣١) ن ٠ م ٠ ، م ١ ، ج ٥ ، ص ٢٦٦٦ ٠
- (١٣٢) فتوح البلدان ، ص ٣٢٦ ٠
- (١٣٣) ن ٠ م ٠ ، ص ٣٢٦ ٠
- (١٣٤) النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٨٥ ٠
- (١٣٥) ن ٠ م ٠ ، ج ١ ، ص ٨٦ ٠

العرب المواجهين مقاومة الجماهير الشعبية العنيدة لم يتيسر لهم تثبيت أقدامهم رأساً بصورة وطيدة وقد أدت تلك الحروب الى تمزيق الامراء الاقطاعيين المحليين واحلت محل الكثيرين منهم ارسطراطيي القبائل العربية الذين ورثوا بسرعة (التبعية الاقطاعية على الفلاحين) (١٣٦) وانتقلت ملكية الاراضي الى القبائل العربية النازحة بالاكسراه او الشراء او الالغاء ، ذكر البلاذري : - قال الحسين بن عمرو واخبرني واقد ان العرب لما نزلت اذربيجان نزلت اليها عشائرها من المصريين والشام وغلب كل قوم على ما امكنهم وابتاع بعضهم من العجم الارضين والجثت اليهم القرى للخفارة ، فصار اهلها مزارعين لهم (١٣٧) ، وقد حاول البلاذري ان يلطف وقع هذا العمل فاستدرك بأن الاراضي التي اخذها المحاربون العرب من السكان الاصليين لم تعتبر ملكاً خاصاً للمحاربين . وقد اعتبر لوكيكارد ، تبرير البلاذري هذا ليس أكثر من احتجاج متأخر على سلب المحاربين العرب لاراضي السكان المحليين (★) . أما امراء ارمينيا وامراء كارتلي (القسم الشرقي من جمهورية جورجيا) فقد استطاعوا الحفاظ على مراكزهم ونفوذهم بدفع الضرائب (١٣٨) . لقد كانت فترة العهد الراشدي في القفقاس فترة حروب احتلال (١٣٩) وقمع انتفاضات جماهيرية واستحواذ اراض من الملاكين الاقطاعيين وانتقال ملكيتها الى رؤساء القبائل (الارستقراطية القبلية) وكان المجتمع يسوده نظام الاقطاع الناشئ الآخذ بالتطور (البطيء) وكان الاستغلال الاقطاعي لا يزال مقروناً باستغلال العبيد .

٤ - القفقاس في العهد الاموي :

ساعات احوال جماهير الشعب القفقاسي ، بعد انتقال السلطة الى الامويين ، أكثر مما كانت عليه سابقاً ، وذلك لان الامويين مارسوا سياسة الشدة في تثبيت مركزهم في بلاد القفقاس فاغرقوا البلاد في بحار من الدماء واحلوا البؤس والشقاء في تلك الربوع ، كما وانهم استحوذوا على اخصب الاراضي وحولوها املاكاً لهم ، يذكر البلاذري : - قال الحسين كانت ورثان قنطرة ٠٠٠٠ فبناها مروان بن محمد بن مروان بن الحكم واحيا ارضها وحصنها فصارت ضيعة له ثم قبضت مع ما قبض من ضياع بني امية فصارت لام جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور ٠٠٠ وكانت المراغة تسدعى

(١٣٦) تاريخ العالم ، ج ٣ ، ص ١٣٧ .

(١٣٧) فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ ، راجع ابن الفقيه ، مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٨٤ . والمقصود

بالمصريين - البصرة والكوفة .

(★) الضريبة الاسلامية ، ص ٣٤ .

(١٣٨) ماجد ، التاريخ ، ج ١ ، ص ٢٤٨ .

(١٣٩) حول الحروب والانتفاضات راجع فتوح البلدان من ص ٣٢٥ - ص ٣٢٩ ، ويذكر ابن الاثير

عن حوادث سنة ٢٥ هـ (لما استعمل عثمان ، الوليد على الكوفة عزل عتبة بن فرقد عن

اذربيجان فنقضوا فغزاهم الوليد سنة ٢٥ هـ ٠٠٠ ثم بث سراياه وبعث سلمان بن ربيعة

الباهلي الى اهل ارمينيا في اثني عشر الف فصار في ارمينيا يقتل ويسبي ويغنم ثم انصرف

وقد ملأ يديه حتى اتي الوليد فعاد الوليد وقد ظفر وغنم) ، الكامل في التاريخ ، ج ٣ ،

ص ٤٣ ، راجع مقالة كانارد ، م في دائرة المعارف الاسلامية عن ارمينيا ، المجلد الاول ،

ص ٦٣٥ - ٦٣٧ .

أقراهرود وكان أهلها الجأؤها الى مروان فابتناها وتآلف وكلاؤه الناس فكثروا فيها للتعزز وعمروها ثم انها قبضت مع ما قبض من ضياع بني امية وصارت لبعض بنات الرشيد (١٤٠) ، ونتيجة للاستحواذ والالغاء ظهر بسرعة ملاكون عظام من الارستقراطية العربية ولم يستغلوا الفلاحين المحليين فقط ولكن الآفا كثيرة من الاسرى العبيد (١٤١) . لكن ذلك التملك لم يكن شاملا كل بلدان القفقاس فقد احتفظ غير قليل من امراء ارمينيا بأراضيهم ، ولم تكتمل فيه شروط التملك الاقطاعي ، وكان من جراء تسلط الامويين ان ساءت الاحوال الاقتصادية لبلدان القفقاس حيث اصابها التدهور والهبوط الاقتصادي وكان لاغتصاب الاراضي وفداحة الضرائب وسوء طرق جبايتها واجبار الناس على دفع الضرائب نقودا (من الفضة) بدلا من المحاصيل كان لكل ذلك الالهية في التدهور ولقد اصبح الفلاحون وهم غالبية السكان يواجهون منتهى الضيق والشدة (١٤٢) ، ويصور ذلك المؤرخ الارمني كيفوند بعد حرق الاحرار (الامراء الارمن : - بعد هذا عندما حرمت بلادنا من عوائل النخاراريين (الاحرار - الامراء الارمن) اصبح سكانها كالاغنام امام الذئاب) (١٤٣) . ولقد استطاع جامعو الضرائب العرب الاستيلاء تقريبا ، بمدة قصيرة على كل ذهب وفضة القفقاس بالاضافة الى الهدايا من الخيول والبيغال والملابس الفاخرة التي كان يقدمها الامراء للوالي العربي (١٤٤) ، الذي يصوره كيفوند : - قبل كل شيء عند وصوله الى ارمينيا عذب الكثيرين وبالاكراه قادهم الى التعاسة (١٤٥) .

لقد كان الطابع العام للمجتمع القفقاسي في ظل الحكم الاموي ، مجتمعا اقطاعيا اخذا بالتطور والنمو البطيء عن الاقطاع المبكر ، ولكن لم تكن كافية بعد اشكال تطورات التملك الاقطاعي ، لكن بذور (جنين) شروط التملك الاقطاعي قد ظهرت . لقد طبق في القفقاس الاستغلال الطبقي الاقطاعي كما واستغل العبيد استغلالا واسعا . ان السذي مكن للامويين استمرار بقائهم في القفقاس هو : - اولاً : سياسة البطش والارهاب (كحرق الامراء في كنيسة ناخجيفان) (١٤٦) . ثانياً : حرمان الجماهير الشعبية من القيادة المخلصة الوفية لمصالح الشعب ، ثالثاً : تمزق البلاد وتنازع الامراء الاقطاعيين المحليين فيما بينهم . غير ان حكم البلاد كان شاقا ، فقد جابه الامويون انتفاضات جماهيرية عارمة صاحبة تطلب اخمادها اراقة الغزير من الدماء وكان يصاحب اخماد الانتفاضات الجماهيرية ، عادة مجازر وحشية فظيعة ، فعندما التهب في ٧٠٣م

(١٤٠) فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ .

(١٤١) تاريخ الاتحاد السوفيتي ، ج ١ ، ص ٤٨ .

(١٤٢) كيفوند ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٣ - ٤ .

(١٤٣) ن . م . ، ص ٢٣ .

(١٤٤) ن . م . ، ص ٢٣ ، وعنه نقل تاريخ العالم ، ج ٣ ، ص ١٣٧ ، مع بعض التحريف .

(١٤٥) تاريخ الخلفاء ، ص ٢٣ .

(١٤٦) يذكر اليعقوبي عن محمد بن مروان (. . .) ثم كاتب الاشراف من اهل البلد والذين يقال لهم الاحرار واعطاهم الامان ووعدهم ان يفرض لهم في الشرف فاجتمعوا لذلك في الكنائس في عمل خلاط . وأمر بجمع الحطب حول الكنائس وأغلق ابوابها عليهم ثم ضرب تلك الكنائس بالنار فحرقهم جميعا) ، التاريخ ، (النجف ١٣٤٨هـ) ، ج ٣ ، ص ١٧ .

الانتفاضة الجماهيرية فسي ارمينيا (بنفس الوقت قامت انتفاضة جماهيرية فسي اذربيجان) ضد والي الخليفة وتم القضاء عليها ، خدع العرب حوالى (٨٠٠) اقطاعيا من أمراء ارمينيا (١٤٧) واذربيجان واقتادوهم الى كنيسة في مدينة ناخجيفان واغلقوا من دونهم الابواب وأشعلوا النار بالكنيسة وأحرقوهم (١٤٨) .

ان اعمال القمع الوحشية وتقليص نفوذ الامراء الاقطاعيين دفع بهم الى الانضمام الى صفوف الشعب المقاوم أملين توسيع نفوذهم والتخلص من ربة الاجنبي . وهذا التحالف المؤقت لم يغير من طبيعة الصراع الطبقي في القفقاس فلقد كان الشعب القفقاسي ينتفض ضد السلطة العربية وضد الامراء الاقطاعيين وحتى ضد رجال الدين . لان ابناء الشعب كانوا يقاسون من هؤلاء مجتمعين ، ولكن الاحواض قد ساءت في الفترة الاخيرة من الحكم الاموي لدرجة شمل السخط مختلف الفئات وكل الطبقات ، لهذا انضم الامراء الى الثورات الشعبية . وفي ختام الحكم الاموي قامت (٧٤٨م - ٧٥٠م) انتفاضة شعبية ضخمة يسرت ، بدورها ، للعباسيين الاجهاز على الحكم الاموي (١٤٩) .

٣ - الاقطاع

نشأ في المجتمعات الايرانية القفقاسية ، كما مر بنا ، نظام جديد ، نتيجة عوامل اقتصادية ، هو نظام الاقطاع (١٥٠) ، فقد ادى تفاقم التناقضات ، في المجتمع العبودي . بين القوى المنتجة وبين علاقات الانتاج (الاجتماعية) القائمة آنئذ ، الى الانتقال الى الاسلوب الجديد (الاقطاعي) في الانتاج ، ان الذي يحدد الضرورة التاريخية لهذا الانتقال من الاسلوب العبودي الى الاسلوب الاقطاعي هو طابع ومستوى تطور قوى

(١٤٧) ن . م . ، ص ١٧ ، كيفوند ، تاريخ الخلفاء ، ص ٢٢ .

(١٤٨) يذكر كيفوند ، مدينة ناخجيفان ، تاريخ الخلفاء ص ٢٢ ، ويذكر اليعقوبي ، مدينة خلاط ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٧ . ولا بد ان الحادثة تكررت في خلاط ورواية كيفوند اقرب الى الاعتماد انظر البلاذري (١٠٠) ثم وعد من بقي منهم ان يعرض لهم فسي الشرف فاجتمعوا لذلك في كنائس من عمل خلال فاغلقها عليهم واكل بابوابها ثم حرقهم (، ٢٤٢/١ ، انظر تاريخ العالم ، ج ٣ ، ص ١٣٧ ، انظر جيستياكوف ، الخلافة العربية ، ص ٦٢ ، الخربوطلي ، تاريخ العراق ، وينقل رواية اليعقوبي ، ص ٢٧١ .

(١٤٩) تاريخ العالم ، ج ٣ ، ص ١٣٨ .

(١٥٠) ذكر ابو عبيد ، القاسم بن سلام في كتاب الاموال (« قال الرسول عادي الارض لله ولرسوله ثم هي لكم » قال قلت : وما يعني ، قال : تقطعونها للناس) ص ٢٧٢ . وينقل المقرئزي عنه ذلك في الخطط ص ٥٥ . وكتب المقرئزي ايضا : يقال اقتطع طائفة من الشيء اخذه والقطيعة ما اقتطعه منه واقطعني اياها اذن لي في اقتطاعها واستقطعه اياها سألته ان يقطعه اياها واقطعه نهرا او ارضا اباح له ذلك . الخطط ، ص ٤٩ . راجع معجم متن اللغة ، م ٤ ، ص ٥٩٧ ، المنجد ، ص ٦٧٦ ، لاحظ لوكيكارد ، الضريبة الاسلامية ، ص ١٤ . لكن كلمة الاقطاع العربية من اقطع لا تعني مدلول نظام الاقطاع المتعارف عليه الا في عهود متأخرة .

الانتاج في المجتمع العبودي نفسه ، كما ويحتل الشكل الاعلى للصراع الطبقي ، الثورة الاجتماعية ، دورا خاصا كبيرا في التقدم الاجتماعي ، الثورة التي بنتيجتها يجري تحطيم النظام الاجتماعي القديم وتتم اشادة نظام اجتماعي جديد اكثر تقدمية . وكان نشوء الاقطاع في المجتمعات الايرانية - القفقاسية في فترة ما قبل الفتح العربي . ان نظام الاقطاع هذا لم تكن لتتوفر فيه شروط التملك الاقطاعي ، ولم يكن مشابهها تماما للاروبي .

وقد اوضح انكلز - في رسالته الى ماركس - ان السبب يعود الى المناخ وطبيعة الارض : « ان انعدام الملكية الخاصة للارض يصبح مفتاحا لفهم الشرق وفي هذا يكمن اساس تاريخه السياسي والديني كله . ولكن لماذا لم تصل شعوب الشرق الى مرحلة التملك الاقطاعي ؟ يخيّل الي ان ذلك يفسر بشكل اساسي بالمناخ وبطبيعة الارض وبصورة خاصة منطقة الصحراء الكبرى التي تمتد من الصحارى عبر بلاد العرب ، الفرس ، الهند ، التتر حتى أعالي الجبال الآسيوية . ان الشرط الاول للزراعة هنا هو طريقة الارواء الصناعية وهي اما ان تقوم به الجماعة او المحافظة او الحكومة المركزية » (١٥١) .

لقد كان الاقطاع في بداية نشوئه وأخذ بالتطور رويدا رويدا محتلا الاماكن التي ينحسر عنها مجتمع الرق ، الاخذ بالانحلال نتيجة ازمتة . ثم أخذ الاقطاع يتلکأ في نموه وتطوره نتيجة الفتوحات العربية وما تلاها من الحكم الراشدي والاموي وجزء من العهد العباسي الاول ، وذلك بسبب محاولة العرب فرض نظام الارستقراطية القبلية ، المألوف لديهم ، بنقل ملكيات واسعة من الاراضي المحتلة الى رئاسة القبائل . وهذه المحاولة لم تقض على نظام الاقطاع ، كما خيل لتوما (١٥٢) ، ولكنها جعلته يسير بوتائر أبطأ ، وذلك : (٢) لان السلطة العربية حاولت - كما قلنا - فرض الارستقراطية القبلية ونقل ملكية الاراضي المستحوذ عليها الى القبائل بدلا من الافراد ، وقد تيسر لها ذلك في بادئ الامر لحد ما . (٢) انتقلت ملكية اراضي العائلة المالكة والدولة والارستقراطية المقاومة الى الدولة (العربية) - الصوافي - وقد جرى اقطاع اقسام منها بعدئذ . (٣) اصبح المتعاقد مع الفلاحين في الاراضي المفتوحة (صلحا) - حسب شروط الصلح (الامان) - السلطة ، وبهذا اصبحت الضرائب مع ما يتبعها من التزامات منصوص عليها - واجبات مفروضة من الدولة . (٤) اصبح السيد المالك في الاراضي المحتلة (عنة) الدولة وليس الملاك السابقون ، وبهذا فان الضرائب والواجبات الالزامية المتعلقة بها تقدم للسلطة ، وفي هذه الحالة تتطابق اجرة الارض (او السريع) مع

(١٥١) رسالة انكلز الى ماركس - حزيران ١٨٥٣ ، كارل ماركس وفريدريك انكلز ، الرسائل المختارة ، ص ٧٤ - ٥ .

(١٥٢) توما ، اميل ، العرب والتطور ، ويذكر (خلال القرنين الاولين من قيام الامبراطورية الاسلامية تحطم الاقطاع) ، ص ٣٦ ، ولا بد وانه قد تأثر برأي بارتولد (واما في ايران وتركستان فقد ابطل الاسلام نظام الطبقات القديم وامتلاك الاراضي الواسعة) ، تاريخ الحضارة الاسلامية ، ص ٤٨ ، والترجمة العربية ص ٥٤ .

الضريبة - كما يقول ماركس (★) ٠ (٥) قوة سلطة الخلافة المركزية وسكنى الملاكين في العاصمة أضعف امكانية توسع نفوذ الملاك وتطوير ملكية الارض لزمن ما ، ولكن لا يمكن التصور بأن الاقطاع الناشئ قد تلاشى او غير موجود او حرم من امكانية تطوره ٠ والملاحظ ان كارل ماركس يطلق على اسلوب الانتاج في آسيا في القرون الوسطى (اسلوب الانتاج الآسيوي) ، يطلق ذلك في مؤلفاته احيانا ليدل على وجود فروق بين النظام الاقطاعي في الشرق عن الغربي النموذجي ٠ وفي مناقشة ممتعة لهذه الموضوعة عالج العلامة فاركه ذلك في الفصل الاخير من كتابه (★★★)، مبينا بأنه بالرغم من عدم توفر الامكانيات الواسعة لدراسة تاريخ الشرق لماركس كما كان متيسرا له ولرفيقه انكلز عن الغرب ، فان ماركس كان مصيبا في هذه التسمية ليميز بين نظام الاقطاع الآسيوي عن الاوروبي النموذجي ٠ لقد ورث العرب الفاتحون التبعية الاقطاعية على الفلاحين مما اضطرهم الى اخذ الكثير من نظم المجتمع وشرائعه والاستعانة بموظفين اجانب (١٥٣) ، ولهذا جاءت حلول العرب وطرق معالجتهم لقضية الاراضي وللضرائب وفي معاملة الناس ، في كثير من الاحوال ، مطابقة او مشابهة لما هو متعارف عليه مع بعض التغييرات التي اقتضتها التطورات الزمنية ، فتلك الحلول والتنظيمات ليست بساسانية او بيزنطية بحتة ولا عربية صرفة وانما هي ساسانية او بيزنطية بقالب عربي ٠

ان توزيع الاراضي ونقل ملكيتها الى القبائل (الارستقراطية القبلية) واكمه توزيع الاراضي على الافراد (١٥٤) واستحوذ افراد من الارستقراطية العربية على اراض واسعة وبهذا ساهم العرب في تكوين الملكيات الخاصة (لم تكتمل فيها شروط التملك الاقطاعي) بالاضافة الى الملكيات العامة كاراضي الصوافي (١٥٥) والحمى (١٥٦) (١٥٧) وباقي ممتلكات الدولة ٠ ولهذا فان الاقطاع وان تلكا في سيره الا ان السلطة العربية ساهمت بنفس الوقت في تكوين الاملاك الخاصة التي سيكتمل فيها شرط التملك الاقطاعي في العهد العباسي - القرن التاسع والعاشر الميلادي - حيث اصبح الاقطاع

(★) كارل ماركس ، رأس المال ، م ٣ ٠ كارل ماركس وفريدريك انكلز ، المؤلفات ، م ٢٥ ، القسم الثاني ، ص ٣٥٤ ٠

(★★★) فاركه ، مختصرات حول مشاكل الاقتصاد السياسي الرأسمالي ، موسكو ١٩٦٥ ، ص ٣٥٨ - ٣٨٢ ٠

(١٥٣) ترتون ، اهل الذمة ، ص ١٩ ، وقد اشار لوكيكارد الى تأثير النظام الهليني لضريبة الارض والشكل « الفارسي » لتملك الدولة للارض - فيما يخص الاقطاع ، الضريبة الاسلامية ، ص ٣٨ ٠

(١٥٤) يفصل ابو عبيد ، ابن سلام اسماء الاقطاعات والانهار التي أقطعت ، في كتاب الاموال ، ص ٢٧٢ - ٢٨٤ ، وكذلك البلاذري ، فتوح البلدان في الصفحات ٣٤٦ - ٣٧٤ ٠

(١٥٥) ابو يوسف ، الخراج (القاهرة ١٣٠٢ هـ) ص ٣٢ ، يحيى بن آدم الخراج ، ص ٢٢ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٥ ، ص ٢٤٦٨ ٠

(١٥٦) يقول ابو عبيد : « وتأويل الحمى المنهي عنه - فيما نرى - وان تحمى الاشياء التي جعلها الرسول بين الناس شركة وهي الماء والكلا والنار » ، الاموال ، ص ٢٩٤ ٠

(١٥٧) ايقاف الاراضي والاملاك لمصالح المسلمين او للمساجد والمعاهد وغيرها ٠

(١٥٨) المقرئزي ، الخطط ، ص ٥٤ ٠

فيها يعني حق التصرف بالارض ومن عليها بعد ان كان الاقطاع يعني قبل القرن التاسع حق استئجار الارض . ان الاراضي في العهدين الاموي والعباسي كانت تمنح للعاملين في الجيش والدولة وللمقربين للخلفاء كما وقد أقطعت للمقربين في عهد الفتوح (١٥٩) . وتعيح المصادر بذكر القطائع التي منحت من قبل النبي محمد ، سواء أراضى مفتوحة كخيبر (١٦٠) والجرف والقناة (١٦١) (قرب المدينة) أو لم تفتح بعد كالتي منحت لتميم الداري (١٦٣) أو من قبل الخلفاء من بعده فأبو بكر (١٦٣) وعمر بن الخطاب (١٦٤) وعثمان (١٦٥) وعلي بن ابي طالب (١٦٦) قد أقطعوا الاراضي ، ويعلل أبو يوسف ذلك بأنه « أعمر للبلاد وأكثر للخراج » (١٦٧) وكانت هذه القطائع أغلبها تقطع من أرض الصوافي ، والتي صادرتها السلطة العربية ، وتتكون الصوافي (من كل أرض كانت لكسرى أو لاهله أو لرجل قتل في الحرب أو لحق بأرض الحرب أو مفيض ماء أو دير بريد) (١٦٨) (وردت دير بريد عند البلاذري محرفة (أو دير يزيد) (١٦٩) وقد نقلها دننت عن البلاذري (دير يزيد) (١٧٠) .

ويرى ولهاوزن بأن الرسول والخلفاء من بعده (أبو بكر وعمر) كانوا يعطون قسما من اراضي الدولة على شكل قطائع *Allod* ليست عليها واجبات ولعلمهم كانوا لا يعطونها بصفة اقطاعيات (١٧١) *Fiefs* . ان مقولة ولهاوزن صحيحة ويؤيده فيها

(١٥٩) أبو عبيد ، الاموال ، ص ٢٧٩ ، ص ٢٨٣ ، البلاذري ، فتوح البلدان ص ٢٧٣ .
(١٦٠) ابويوسف (١٣٨٣ هـ) ، ص ٦١ ، أبو عبيد ، الاموال ، ص ٢٧٣ ، المقرئزي ، الخطط ، ص ٤٩ .

(١٦١) ويروي يحيى بن آدم ان الذي اقطع الجرف والقناة ابو بكر وليس النبي ، الخراج ، ص ٧٧ .
(١٦٢) أبو عبيد ، الاموال ص ٢٧٤ ، الماوردي ، الاحكام السلطانية ، مخطوط الورقة ١٣٧ ب .
(١٦٣) يحيى بن آدم الخراج ، ص ٧٧ .

(١٦٤) أبو يوسف الخراج (القاهرة ١٣٠٢ هـ) ، ص ٣٢ ، يحيى بن آدم ، الخراج ، ص ٧٨ ، أبو عبيد ، الاموال ، ص ٢٨٣ ، ولم يشر البلاذري الى اقطاع عمر بن الخطاب ، اما الماوردي ، الاحكام السلطانية ، فقد نفى اقطاع عمر (ولم يقطع شيئا منها) مخطوط الورقة ١٣٨ ، ١٣٩ ، ولا شك ان رواية ابي يوسف حول اقطاع عمر من أرض الصوافي (فكان عمر يقطع من هذه لمن اقطع) الخراج ص ٣٢ ، ادق من رواية الماوردي ، راجع الطبري الذي يؤيد رأي أبي يوسف حول اقطاع عمر ، ويؤيد دننت مقولة الماوردي ، الجزية ، ص ٢٦ .

(١٦٥) أبو عبيد ، الاموال ، ص ٢٧٩ ، ص ٢٨٣ ، ويعتبر البلاذري ان عثمان اول من اقطع أرض الصوافي في العراق ، فتوح البلدان ، ص ٢٧٣ ، وهذا غير صحيح كما بينا ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٥ ، ص ٢٣٧٦ ، الماوردي ، الاحكام ، مخطوط الورقة ١٣٨ ، ١٣٩ ، المقرئزي ، الخطط ، ج ١ ، ص ١٥٦ .

(١٦٦) المقرئزي ، الخطط (القاهرة ، ١٩١٣ م) ، ص ٥٤ .
(١٦٧) الخراج ، ط ٣ (٢٨٢ هـ) ، ص ٦١ ، انظر الاموال لابي عبيد ، ص ٢٨٣ .
(١٦٨) أبو يوسف الخراج (القاهرة ١٣٠٢ هـ) ص ٣٢ ، يحيى بن آدم ، الخراج ص ٢٢ ، أبو عبيد ، الاموال ص ٢٨٣ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٧٢ - ٣ ، الطبري تاريخ ، م ١ ، ج ٥ ، ص ٢٤٦٨ .

(١٦٩) فتوح البلدان ص ٢٨٢ .
(١٧٠) الجزية ص ٢٦ .
(١٧١) الدولة العربية ص ٢٢١ - ٢ ، جوزي ، من تاريخ الحركات ص ٤٨ ، دننت ، الجزية ص ٢٦ .

لويس الذي ذكر : وسمح للمسلمين بامتلاك الاراضي خارج بلاد العرب ومنحت الدولة الكثيرين منهم اراضي تعرف باسم القطائع (١٧٢) . وكانت الصوافي تحست تصرف الدولة وقد توسع الخليفة عثمان بن عفان في تقسيمها على المقربين اليه مما أوغر صدور الناس عليه . اما في العصر الاموي فقد توسع التملك الفردي على حساب املاك الدولة حتى شملت القطائع الحمى التي سلمت للقبائل العربية . وبسبب التوسعات في الاملاك الفردية في العهد الاموي اختلقت (بذور) شروط التملك الفردي الاقطاعي التي ستظهر في العصر العباسي ولا تخلو المصادر من ذكر القطائع التي وزعت في العصر الاموي .

واما في العصر العباسي الاول فقد توسع الخلفاء في توزيع الاراضي على القواد ورجال الدولة والى المقربين اليهم ، حتى ان الطبري يعزو بناء الجاناب الشرقي من بغداد - الرصافة - بسبب اقطاع القواد هناك (١٧٣) .

وقد تصرف العرب حيال الارض في وضع الضرائب عليها وتصنيفها حسب عائديتها وموقف اهلها عند الفتوح ، فالاراضي التي افتتحت صلحا بأيدي اهلها وتكون خراجية (١٧٤) ويكون اهلها اهل ذمة (١٧٥) ان لم يسلموا ، اما اذا أسلموا عند الفتح فتكون عشرية وتبقى بأيديهم (١٧٦) ، واما الاراضي التي تفتح عنوة فاذا أبقاها الخليفة بأيدي اهلها فتكون خراجية (١٧٧) واذا وزعها على الفاتحين فتصبح عشرية (١٧٨) وكذلك اذا أوقفها لمصالح المسلمين (١٧٩) واما الاراضي التي تملك عفوا دون قتال ودون صلح ، لجلاء اهلها خوفا ، فتصبح وقفيا وتكون خراجية وهي التي تدخل ضمن الفئ (١٨٠) ، واما الصوافي اذا قسمت بين الفاتحين فتكون عشرية (١٨١) وكذلك اذا أوقفت لمصالح المسلمين (١٨٢) اما اذا تركت بأيدي أهل البلد فتكون ارضا خراجية والفرق بينها وبين الارض الخراجية التي افتتحت صلحا هو ان اصحاب الاراضي الصلحية يستطيعون بيع وايجار اراضيهم (١٨٣) اما في الاراضي المصادرة

(١٧٢) العرب في التاريخ ، ص ٧٧ .

(١٧٣) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٣٦٧ ، وقد نقل عنه ابن مسكويه ذلك ، تجارب الامم ، مخطوط رقم ٤١ ، ج ٣ ، الورقة ١٨٣ ب .

(١٧٤ - ١٧٥) ابو يوسف الخراج (القاهرة ١٣٤٦ هـ) ص ٨٢ يحيى بن آدم الخراج ص ٢١ - ٢ ، ابو عبيد ، الاموال ، ص ٥٥ ، الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٨ .

(١٧٦) يحيى بن آدم ، الخراج ، ص ٢١ ، الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٨ .

(١٧٧) ابو عبيد ، ص ٥٥ ، الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٩ .

(١٧٨) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٨٢ .

(١٧٩) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٥٥ .

(١٨٠) الماوردي ، الورقة ٩٩ ب .

(١٨١) يحيى ، الخراج ، ص ٢١ ، ابو عبيد ، الاموال ، ص ٥٥ .

(١٨٢) الماوردي ، الورقة ١٩٩ .

(١٨٣) الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٨ ، دننت ، الجزية ، ص ٣٥ .

- الصوافي - فالفلاحون لا يملكون ذلك الحق لان الارض اصبحت للدولة (١٨٤) - ملكا عاما .

وهناك طرق اخرى ، غير الاقطاع (المنح) ، حصل رجال الارستقراطية العربية بها على الاراضي ، وذلك عن طريق احياء أرض الموات (١٨٥) (اراضي مهملة او مغمورة بالاحراش او المياه) ، او الشراء ، او اللجوء (١٨٦) ، لكن القطائع كانت اوسع وكان اقطاع الارض على نوعين : ١ - اقطاع تملك ، ٢ - اقطاع ايجار .

علاقة السلطة العربية بملك الاراضي

اختلف موقف ملاك الاراضي في ايران وفي القفقاس من جيوش الفتح ، فبعضهم قاوم وكان مصير غالبية المقاومين الهلاك والبقية وقعوا في الاسر فاسترقوا او هربوا الى بلاد اخرى وقد صودرت املاك جميع المقاومين . وقسم هادن العرب واستسلم للفاتحين وعقد صغار الملاك اتفاقيات مع المحتلين نالوا بموجبها امتيازات حافظوا بها على مراكزهم المتزعزعة ، واستطاعوا الحصول على موافقة بجمع الضرائب من السكان وتسليمها للسلطة (١٨٧) وبذلك يستطيعون تحرير انفسهم واراضيهم من الضرائب (١٨٨) ، ورفع مكانتهم الاجتماعية . وقد أشار بارتولد الى ان هذه الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية التي نالها الدهاقين كانت عاملا في رضى الدهاقين بزوال خطورتهم السياسية (١٨٩) ولهذا استمر ملاك الاراضي باستغلال الفلاحين والعبيد المشتغلين في الزراعة استغلالا طبقيًا كالسابق - الا انهم لم يجدوا الفرصة لتوسيع نفوذهم - وكانت السلطة لا تتدخل في شؤونهم واعمالهم الخاصة (١٩٠) . لان

(١٨٤) الطبري : « ما باع اهل الصلح من ارضهم فهو جائز لهم ، واما ما افتتح عنوة فان اولئك لا يشتري منهم احد ولا يجوز لهم بيع شيء مما تحت ايديهم من الارض » ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٨ .

(١٨٥) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٢٨٦ .

(١٨٦) انظر فتوح البلدان ، ص ٢٢٩ . ولم يكن الجاء الاراضي امسرا مستحدثا في العهود الاسلامية ، فقد التجأت اليه جماهير فلاحي الشرق الادنى البؤساء قبل الاسلام فيشير محمد ضياء الدين الرئيس : « واضطر المزارع الذي لا حول له ان يبحث عن رجل غني او قوي يضع ارضه وحقه تحت تصرفه ليقوم بدلا منه بدفع الضرائب ويحميه من عسف الحكومة ، ومن هنا نشأ نظام الحماية Autopragia و Patronage الذي نهضت الحكومة لحاربته مدة طويلة » ، الخراج والنظم المالية ، ص ٤٨ .

(١٨٧) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٥٢ .

(١٨٨) لويس ، العرب ، ص ١١٥ ، دننت ، الجزية ، ص ١٥ ، ٢٢ ، ٢٣ .

(١٨٩) الحضارة الاسلامية ، ص ٥٨ - ٩ ، والترجمة العربية ص ٦٥ .

(١٩٠) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٩١ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ١ ، ص ١٣٠ .

السلطة العربية سعت الى تثبيت سلطانها بواسطة الملاك اصحاب الاراضي واعتمدت من اجل ذلك، عليهم كثيرا ، فكان الملاك الادوات الطيعة لتثبيت التسلط الاجنبي ، وكانوا بعيدين عن التحسس بمشاكل بلادهم ومتقربين الى السادة الحكام . وقد اشار ولهاوزن الى ان دهاقين خراسان كانوا على استعداد حسن نحو والي اسد عبد الله القسري (١٩١) . ولهذا نجد عدم مساهمة الملاك في الانتفاضات التي كان ينضم اليها المستغلون من ابناء الشعوب سواء ان كانت الانتفاضات خارجية ام شيعية ام قيادتها عربية ام تكون خاصة بأبناء الشعوب . ولم ينضم الارستقراطيون الى الثورات والانتفاضات الا بعد ان شملتهم مساوئ الاحتلال ، ولا سيما في اواخر العهد الاموي ، حيث ازدادت مضايقة السلطة لهم بازدياد تسلطها والذي كان يعيق توسع نفوذهم الاقطاعي على المستغلين ، وامتدت اليهم يد الاستغلال بالتنظيمات المالية المستحدثة وبعد ان زحف اليهم الملاك العرب للاستيلاء على اراضيهم حين ذاك انضم الكثيرون منهم الى صفوف الشعب في ثوراته أملين طرد العرب واستعادة سابق نفوذهم الاقطاعي واستغلالهم الواسع للجماهير . اما الملاك العرب (الارستقراطية القبلية) فكانوا أصحاب الحظوة والنفوذ لدى السلطة وكانوا يدفعون ضرائب بسيطة (العشر او نصف العشر) وقد ذكر أبو يوسف : « فاما القطائع فما كان منها سيحا فعلى العشر وما سقي منها بالدلو والقرب والساقية فعلى نصف العشر » (١٩٢) . وقد علل أبو يوسف ذلك : « لما يلزم صاحب الاقطاع من المؤونة ، في حفر الانهار وبناء البيوت وعمل الارض » (١٩٣) . وكان الملاك العرب ينالون مساعدات مالية من الدولة عند استلامهم قطائع من الارض ولا سيما الموات منها (١٩٤) . وكان الكثير من الملاك من المقربين للخلفاء ان لم يكونوا من العائلة الحاكمة . وفي العصر العباسي ازداد اعتماد السلطة على الملاك المحليين والعرب ، فازداد جور واستغلال الملاكين للفلاحين وزادت الهوة بين الارستقراطية المحلية وبين ابناء الشعب . وقد توسع العباسيون في اقطاع الاراضي للمقربين اليهم من الارستقراطية الاجنبية والعربية وبدأ الاقطاع يسير في تطوره بوتائر اسرع وبدأت تبرز شيئا فشيئا الاملاك الاقطاعية وخاصة في نهاية القرن التاسع وكان من نتيجة التناقض بين الملاكين والفلاحين ان اتسمت الانتفاضات الجماهيرية بصفاتها الطبقية حيث ساهمت فيها جموع المستغلين وغالبيتهم من الفلاحين - ثورات وانتفاضات الخرميين - اما الارستقراطية (الثرية المترفة) المالكة للاراضي فكان افرادها مع السلطة الحاكمة اقلية .

وضعية الفلاحين

شاهدنا كيف كانت وضعية الفلاحين سيئة في العهد الساساني ، وكيف كان للفلاحين امل في تحسين احوالهم عند تغير السلطة ، ولكن الاحتلال العربي وان قضى

(١٩١) الدولة العربية ، ص ٣٧٤ .

(١٩٢) الخراج ، ط ٣ (١٢٨٢ هـ) ، ص ٥١ .

(١٩٣) ن ٠ م ٠ ، ص ٥١ .

(١٩٤) يحيى بن آدم ، الخراج ص ٢٢ ، لويس ، العرب ، ص ٧٧ .

على الكثير من الاشراف الايرانيين (الارستقراطيين الايرانيين) مالكي العبيد والاراضي الواسعة ، وادى الى الغاء مراتب الناس الاجتماعية باعتبار ان الايرانيين اصبحوا هيئة اجتماعية واحدة دون العرب السادة ، غير ان التقسيم الطبقي للمجتمع بقي هو هو حيث بقي هناك مستغلون وهم الملاك (المحليون - الدهاقين والعرب) ومستغلون وهم الفلاحون ومعهم العبيد (وقد ازداد عددهم بسبب الحروب) وشغيلة المدن والكسبة والرحالة والصيدون . ولهذا بقي المستغلون يننون من الاستغلال الطبقي والتسلط الحكومي ، يضاف الى ذلك الازدراء والتحقير والاعمال الاجبارية واعالة المحتلين (١٩٥) ، هذا في العهد الراشدي ، اما في العهد الاموي فقد حلت بجماهير الفلاحين الواسعة مختلف صنوف العذاب والاستغلال والاهانات (كان الامويون يحتقرون المهن - ومنها الزراعة) من قبل السادة ملاك الاراضي والذين جلهم كانوا من الامويين (١٩٦) او من المقربين اليهم او من رؤسائهم المحليين - الدهاقين ، الاحرار والامراء - الذين تحالفوا مع السادة الجدد لاستغلال الفلاحين بأوحش الاساليب - . لقد قاسى الفلاحون من الضرائب الفادحة (ازدادت نسبتها عما كانت عليه في العهد الساساني) حيث أعيدت الضرائب السابقة (هدايا النوروز والمهرجان) (١٩٧) التي ألغيت لفترة ما (١٩٨) ، والقساوة في تحصيلها ، وقاسوا من الاجحاف في الحقوق وعدم المساواة ومن السخرة في الاعمال الخاصة والعامة والتي منها العناية بالطرق والجسور والاسواق والارشاد والضيافة (١٩٩) - ضيافة أبناء السبيل ومن يمر بهم من جنود المسلمين ، وهذا ما كان مترتباً على اهل الذمة (٢٠٠) الذين كانت غالبيتهم تشتغل بالفلاحة (٢٠١) ، بل وحتى الموالي كانوا يسامون الخسف والهوان ، فقد ختمت على رقابهم بالرصاص وعلى اذرعهم أسماء قراهم ومواطني سكناهم لكي لا يتهربوا من الضرائب الفادحة ، وحتى اسلامهم لم ينجهم من جشع الولاة والحكام الامويين للمال (٢٠٢) ، ولكن دنت لا يتفق مع الرأي القائل « بأن السلطة هي التي أبقت ضريبة الرأس على من اسلم في خراسان » وانما يرى بأن الوكلاء المحليين هم الذين عمدوا الى ذلك خشية انتشار الاسلام الذي يهدد مصالحهم ، وان نصر بن سيار عمد الى ان يصحح هذا الوضع الخاطيء الذي ينطوي على الظلم (٢٠٣) . ولكن المصادر تشير الى صرخات الاحتجاج التي كانت تصل الولاة عن سوء الجباية ولهذا يمكننا ان نقول ان ما قام به نصر انما هو تدارك متأخر للخطر الناجم عن الاحتجاج العام الصارخ على

(١٩٥) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٥ (١٨٩٣ م) ، ص ٢٤٧٠ ، ترتون ، اهل الذمة ، ص ٢٤٠ .

(١٩٦) الدوري ، دراسات ، ص ١٩ .

(١٩٧) الجهشياري ، الوزراء والكتاب ، ص ١٥ ، ترتون ، ص ٢٥٢ .

(١٩٨) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٢ ص ١٩٤ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ص ٢٩٠٣ ، الصولي ، أدب الكتاب ، ص ٢٢٠ ، العلي ، التنظيمات ص ١٩٧ .

(١٩٩) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٥ ، ص ٢٤٧٠ ، ترتون ، اهل الذمة ، ص ٢٤٠ .

(٢٠٠) ترتون ، ص ٢٤٠ .

(٢٠١) الخربوطلي ، تاريخ العراق ، ص ٢٦٨ .

(٢٠٢) ابو عبيد ، الاموال ، ص ٤٨ ، كريم ، الحضارة الاسلامية (مترجم) - ص ٨٨ ، لويس ، العرب ، ص ٩٨ .

مظالم الامويين المالية وليس كما تصور دننت ، الذي يحاول نكران العامل الاقتصادي الذي دفع الموالي للانضمام الى الدعوة العباسية حيث ختم كتابه بقوله « وفي الختام لا بد ان يكون قد اتضح ها هنا ان من الخطأ الكبير ان نفترض تفسيراً اقتصادياً للثورة العباسية ، والفكرة التي تصورها فان فلوطن *Van Volten* بأن سكان ايران كانوا ينوون تحت ثقل الضرائب الفادح وانهم كانوا على استعداد للثورة عند اول بادرة - هذه الفكرة لا يمكن ان تصمد امام ضوء البحث الدقيق . ان الموالي الذين كانوا يستغلون فانما كان يستغلهم أبناء جلدتهم لا العرب » (٢٠٤) . ولا شك انه بات معروفاً بأن السلطة العربية قد عهدت الى الملك المحليين بجمع الضرائب ، لذا فهذه الضرائب كانت تذهب الى السلطة لا الى الملك وان أبناء الشعب يدركون ذلك جيداً وقد كانت مجحفة . لهذا فان نكران العامل الاقتصادي من قبل دننت وان برقع ببهجة اضواء البحث الدقيق ، لا يمكن قبوله بأي حال من الاحوال . لقد كان من نتائج الضرائب الفاحشة ان تردت احوال الفلاحين المعاشية لقردي اثمان المنتجات الزراعية ، بسبب من تسرع المزارعين في بيع منتوجاتهم قبل نضوجها بأثمان بخسة لدفع الضريبة كما أوضح ذلك الخليفة عمر الثاني (٢٠٥) ، ولقد اذاع الضرائب التي كان يدفعها الفلاحون فقد اصبحوا المستودع الثوري لكن الحركات والانتفاضات التي قامت بوجه الامويين وكانوا التربة الحسنة التي نمت فيها وترعرعت الفرقة الخرمية وان لم يلعب الخرميون الدور المحرك للانتفاضات في العصر الاموي ، لقد كان للاوضاع المزرية والانتهاكات الصريحة لحقوق الفلاحين الدور البارز في تحريكهم من أجل تحسين احوالهم واسترداد حقوقهم ومن اجل ذلك ساهموا في الدعوة العباسية وكانوا عماد جيشها وخاصة الخراسانيون . غير ان العباسيين - وقد تطور الاقطاع نوعاً ما في عهدهم - تنكروا لمطالب الجماهير التي ساندتهم - لذلك لم يشعر فلاحو ايران بأي تبدل في وضعيتهم ، فقد عاد الاقطاعيون الى سابق نفوذهم وعاد الضيق الاقتصادي وعادت الضرائب الفادحة ترهقهم (٢٠٦) ، وكذلك كان حال فلاحى آذربيجان وأرمينيا .

لقد اشتدت وطأة الاستغلال الاقطاعي على جماهير الفلاحين ، فأخذوا يتلمسون طريق الخلاص من الجور والظلم والاضطهاد ومن النهب والسلب الشرعي (الضرائب) فقام الفلاحون بانتفاضات عديدة (غالبيتها خرمية) شملت ايران وما وراء النهر وكانت تتجاوب أصدائها في ربوع القفقاس . ولا غرابة ان يقوم أشد انصار العباسيين - فلاحو ايران ، وخاصة فلاحو خراسان ، وهم الذين كانوا القاعدة الاجتماعية (للالثورة) العباسية - بالانتفاضات ضد السلطة العباسية ، لان العباسيين ، بطبيعة كونهم من طبقة ارسطوقراطية مستغلة متنفذة ، تنكروا لمصالح الفلاحين (٢٠٧) ، فيذكر الدوري :

(٢٠٣) الجزية والاسلام (النسخة المترجمة) ، ص ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٤ .

(٢٠٤) ن . م . ص ١٩٦ (النسخة المترجمة) .

(٢٠٥) ذكر ابو يوسف ان عمر بن عبد العزيز اجاب عن سبب ارتفاع الاسعار في زمانه وهبوطها في ازمان من كان قبله « ان الذين كانوا قبلي كانوا يكلفون اهل الذمة وانا لا اكلف احدا الا طاقته فباع الرجل كيف شاء » ، الخراج (١٣٤٦ هـ) ، ص ٢٠٠ ، ٢٠٥ .

(٢٠٦) العزيز ، حسين قاسم ، مقالة (الشعوبية) ، مجلة الغد ، العدد ٣ ، ص ٢٨ .

(٢٠٧) ن . م . ص ٢٨ .

« ولكن المثل الاعلى للمساواة والعدل ظل وهما ، اذ لم يحقق العباسيون وعودهم ، فاستمر العسف والجور واستمرت الثورات . ففي سنة ١٢٢هـ احتج شريك بن شيخ المهري الثائر ببخارى ضد مظالم العباسيين قائلا : « ما على هذا تبعنا آل محمد ، على ان نسفك الدماء ونعمل بغير الحق » ، وتبعه على رأيه أكثر من ثلاثين ألفا » (٢٠٨) ، واستشهد الدوري ببيت من الشعر لابي العطار الشاعر (٢٠٩) :

يا ليت جور بني مروان عاد لنا
يا ليت عدل بني العباس في النار (٢١٠)

لقد امتاز العصر العباسي الاول بشدة الحركات الفلاحية ضد الجور الحكومي والاستغلال الاقطاعي ويعزو الدوري السبب الى العباسيين الذين « لم يعملوا ما يذكر لتخفيف الضغط الاقتصادي والاجتماعي على جماهير الايرانيين فلم يرضخ هؤلاء لوضعهم » (٢١١) . ويعتبر لويس تلك الحركات التي قامت في ايران متنفسا للشعوب المغلوبة (٢١٢) . لقد كان لتطور الاقطاع وخاصة في نهاية العصر العباسي الاول ، السبب في بلورة الصفات الطبقية للنضال الجماهيري ضد الاستغلال حيث ساهمت الجماهير المستغلة بمفردها - في كثير من الاحيان - في الكفاح المسلح ضد الخلافة ، وكان الارستقراطيون - الملك المحليون - دوما مع السلطة .

الضرائب

تيسر لكسرى أنو شروان ، بعد سحق الحركة المزدكية ، وضع الضرائب الجائرة على عاتق الشعب وقد اعفى الطبقة الارستقراطية منها ، وكانت الضرائب مرهقة شاقة . وعند مجيء العرب - المفتقرين للتنظيمات المالية - أبقوا تلك النظم والتعاليم ولغة استعمالها وموظفيها (٢١٣) ، في بادئ بدء على حالها ، ثم أجريت تغييرات تطلبها مقتضيات التطور الزمني ، لكن الاسس والكميات والمسميات على الاغلب سارت على النمط القديم ، ولقد اقتضى في بعض الحالات ، ولا سيما في العهد الراشدي ، الى حذف او اهمال بعض الضرائب نتيجة الدعاية الدينية . ولكن سرعان ما عادت ، كضرائب هدايا النوروز والمهرجان التي أبطلت . فلما جاء عثمان اعادها فضج الناس

(٢٠٨) الدوري ، العصر العباسي الاول ص ٤٤ ، راجع اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ٩١ .

(٢٠٩) ن . م . ص ٤٤ .

(٢١٠) الاغانى ، ج ١٦ ، ص ٨٤ .

(٢١١) الدوري ، دراسات ، ص ١١ .

(٢١٢) ويذكر « ان معظم مناصريها كان من بين الفلاحين » ، العرب ، ص ١٤١ .

(٢١٣) كريم ، الحضارة الاسلامية (مترجم) ص ٦٠ ، ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٢ - ٣ ،

ترتون ، ص ١٩ ، دننت ، الجزية ، ص ١٤ .

فاضطر الى الغائها (٢١٤) وأعيدت في زمن معاوية . ولهذا فان مجيء العرب كفاتحين لم يخفف من الضائقة الاقتصادية على الشعوب ولم ينقذها من جور الضرائب (٢١٥) حيث كانت تنظيمات العرب في جوهرها تطابق تنظيمات من سبقهم .

١ - الخراج (٢١٦) :

ضريبة على الارض ، وكانت لدى الساسانيين مقاسمة (عينية مقدرة بالنسبة الى كمية المحصول) ثم جعلها انوشروان مساحة (نقدية مقدرة بالنسبة الى مساحة الارض المزروعة ونوعية المحصول) ويسمى بعض الفقهاء النوع الاخير من الخراج « خراج الوظيفة » (٢١٧) ، لكن الخراج ليس بوظيفة او كراء (أجرة) للارض وانما هو ضريبة حكومية على الارض ، وقد اقتبس العرب ، بعد فتح العراق ومسحه ، النظام الساساني في تحديد الضرائب ، كما اقتبسوا النظام البيزنطي في اماكن اخرى ، الا انه بالرغم من الاحتفاظ بالاسس والكميات والمسميات والموظفين ، فان هنالك تفاوتاً في النسب والاشكال والطريقة وذلك راجع الى الاختلاف في طبيعة الفتح وعائدية الارض بالإضافة الى طريقة الارواء والبعد والقرب من الانهار والاماكن المعمورة كما وان السلطة كانت تمارس مطلق الحق (٢١٨) في التغييرات نتيجة استسلام (٢١٩) اهل البلد المفتوح ، فلا يخفى ان هنالك اجراءات مختلفة قد اتخذت ولم يكن لاهل البلد حق الاعتراض عليها ، فقد ذكر الماوردي ان هنالك اختلافات في تقدير الضرائب (وضرب عمر رضي الله عنه على ناحية اخرى غيرها غير هذا القدر) (٢٢٠) . ومن ملاحظة قوائم المؤرخين والفقهاء ومطابقتها مع الخراج في أيام الساسانيين نستنتج :

١ - ان الخراج في العهد الاسلامي اعلى من مثيله في العهد الساساني .

٢ - اختلاف المؤرخين والفقهاء (في مقدار الخراج وليس في الاسس) (★) راجع

(٢١٤) الصولي ، ادب الكتاب ، ص ٢٢٠ .

(٢١٥) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٢ .

(٢١٦) وردت الجزية والخراج في صيغ الامان الممنوحة للمدن والمقاطعات ، الواحدة محل الاخرى ، ولكن التحديد في استعمال الجزية كضريبة الرأس والخراج كضريبة الارض قد تم في اواخر العهد الاموي ويعتبر ابو عبيد معنى الخراج الكراء او الغلة ، الاموال ، ص ٧٣ . واصل كلمة الخراج ارامه ، Halak . ووردت في التلمود خارجا .

(٢١٧) قال ابو يوسف (فانظرتهم - العلماء - فيما كان وظف عليهم « اهل السواد » في خلافة عمر بن الخطاب في خراج واحتمال ارضهم اذ ذاك لتلك الوظيفة) ، الخراج ، ط ٣ (١٣٨٢هـ) ، ص ٤٨ .

(٢١٨) انظر دننت ، الجزية ، ص ٢٥ ، والترجمة العربية ، ص ٥٨ .

(٢١٩) انظر ترتون ، اهل الذمة ، ص ٢٢٨ .

(٢٢٠) الاحكام السلطانية ، مخطوط الورقة ١١٠٧ .

(★) يذكر لوكيكارد بأن الاختلاف بين قدماء الفقهاء ومحدثيهم ليس الا اختلافاً بالدرجات ، الضريبة الاسلامية ، ص ٧٣ .

ولا بد الى ان تحديد الضريبة على الاراضي لم يكن واحدا فلما أحرق ديوان الخراج في معركة دير الجماجم (ايام ابن الاشعث ٨٢هـ/ نيسان ٧٠١م) حصل الالتباس بعدئذ لدى المؤرخين .

٣ - الارض الخراجية العامرة او الغامرة تدفع قفيزا ودرهما في السنة لمرة واحدة سواء زرعت ام لم تزرع (٢٢١) .

٤ - هنالك اراض وضعت عليها ضرائب قطعية فيذكر ابو عبيد : « وقالوا لدهقان كل قرية : على قريتك كذا وكذا فاذهبوا فتوزعوها . قال فكانوا يأخذون الدهقان بجميع ما على أهل قريته » (٢٢٢) . وقد أشار الى هذه المقاطعات ابن حوقل واعتبرها صنفا ثالثا من اصناف الخراج وذكر بأنها لا تزيد ولا تنقص زرعت ام لم تزرع تؤخذ بالعبارة (٢٢٣) . وفيما يلي مقارنة الضرائب الخراجية في العهدين الساساني والاسلامي حسب ما وردت لدى الفقهاء والمؤرخين :

(٢٢١) يتفق المؤرخون والفقهاء على هذه الكمية ويورد الماوردي شعرا لزهير بن ابي سلمى حولها ويستنتج الماوردي على ان هذه الضريبة كانت في العصر الجاهلي :

فتغلل لكم ما لا تغل لاهلها قرى بالعراق من قفيز ودرهم

الاحكام السلطانية ، ص ١٤٨ ، ومن هذا نستنتج ايضا على ان ضريبة الخراج كانت في العراق في العهد الساساني .

(٢٢٢) الاموال ، ص ٥٢ .

(٢٢٣) المسالك والممالك ، ص ٢١٦ .

الخراج في العهد الساساني	ضريبة الخراج في العهد الاسلامي حسب المؤرخين العرب (٢٢٤)
الجريب من الاوض (٢٢٥) (٢٢٦) (٢٢٧) (٢٢٨) (٢٢٩) (٢٣٠) (٢٣١)	أبو عبيد البلاذري ابن خر داؤدة الطبري الماوردي
المزرعة درهم ابو يوسف يحيى	قفيز
عامر او غامر	قفيز ودرهم قفيز درهم
	ودرهم
الكروم ٨ ١٠ درهم	١٠ درهم ١٠ درهم ٦ درهم ١٠ درهم ١٠ درهم
الرطبة (٣٣٢) ٧	٥ درهم ٥ درهم ٦ درهم ٥ درهم ٥ درهم
الارز	قفيز ودرهم
السمسم	قفيز ودرهم
البقول	قفيز ودرهم
الرياحين	قفيز ودرهم
النخل ٨	٨ ١٠ ٨ ١٠ ٥ او ٨
اربع نخلات فارسي ١	
ست نخلات دقل ١	
شجر ملفف	١٠ ١٠
قصب سكر -	٦ ٦ (٢٣٣) ٦
الحنطة ١	٤ ٤ ٤ ٤ قفيز ودرهم ٤
الشعير ١	٢ ٢ ٢ ٢ قفيز ودرهم ٢
زيتون ١	١٢

- (٢٢٤) انظر ايضا ترتون ، اهل الذمة ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٤ ، ٢٣٥ ، دننت ، الجزية ، ص ٢٢ - ٤ ،
وقد خلط بين الرطبة والشجر الملفف ، انظر ايضا لوكيكارد ، الذي يرى بانه لا يمكن الجزم
بأن السياسة التطبيقية (في العهود الاسلامية) قد اتبعت جداول الفقهاء بالتفصيل ،
الضريبة الاسلامية ، ص ٧٢ .
- (٢٢٥) الخراج ، ويذكر ان بعض الروايات تذكر على النخل ١٠ وعلى العنب ٨ دراهم ، (القاهرة
١٣٤٦ هـ) ، ص ٤٣ .
- (٢٢٦) الخراج ، ص ٢٣ .
- (٢٢٧) الاموال ، ويذكر عن وكروم ١٠ دراهم وعشر أقفزة وعن الرطبة ٥ دراهم و ٥ اقفزة ، ص
٦٨ - ٩ .
- (٢٢٨) فتوح البلدان ، ص ٢٦٩ ، ٢٧٠ - ١ ، وقد أخذ بهذه الارقام كريم ، الحضارة الاسلامية ،
(مترجم) ، ص ٨٣ .
- (٢٢٩) المسالك والممالك ص ١٤ ، انظر ابن رسته ، الاعلاق النفيسة ، المجلد السابع ، ص ١٠٥ ي
حيث تجد الارقام نفسها .
- (٢٣٠) اختلاف الفقهاء ، ص ٢٢٣ .
- (٢٣١) الاحكام السلطانية ، ص ١٤٨ .
- (٢٣٢) الرطبة وجمعها الرطاب ، هي الخضراوات ويدخل بضمنها الخيار والبطيخ .
- (٢٣٣) القفيز ويقول عنه الطبري وهو مثل الصاع ويكال به (اختلاف الفقهاء ، ص ٢٢٣) . ووزن
القفيز ٩٦ رطلا (كريم ، الحضارة الاسلامية ، مترجم ، ص ٨٣) ويساوي (٢،٧٥٦
كيلوغرام) ، انظر زيدان ، عبد الكريم ، احكام الذميين ، ص ١٦١ .

لقد اتخذ الفقهاء ما حصل بالعراق مقياساً لأحكامهم واجتهاداتهم . أما في إيران ، وكذلك في القفقاس ، فلم يؤخذ الخراج لحاله ولا الجزية لحالها ، وإنما فرضت عند الصلح مبالغ معينة تدفع كضريبة سنوية عامة ، وكان الدهاقين مسؤولين عن جمعها ، ولهذا ترد الجزية أحياناً وأحياناً الخراج في صيغ الأمان لتدلاً على الضريبة السنوية المقررة . ولم تكن كل الأراضي لتدفع ضريبة الخراج ، إذ هنالك أراضي وزعت على الفاتحين أو انتقلت ملكيتها للدولة أو للارستقراطيين العرب بطريق المنح (الاقطاع) أو بطريق الشراء أو ألجأها اليهم أصحابها ، وغالبية هذه الأراضي تخلصت من ضريبة الخراج وأصبحت أراضي عشرية ، أي تدفع ضريبة العشر فقط ، كما وإن انتقال أصحاب الأراضي - في أواخر العهد الراشدي وأوائل العهد الأموي - إلى الإسلام قد أدى في بعض الأحيان إلى تخلص بعض الأراضي من ضريبة الخراج والاكتفاء بدفع العشر ، ولكن الأوامر صدرت في عهد عبد الملك بن مروان بإعادة الضريبة الخراجية على الأرض والجزية على المسلمين ، ثم أصدر عمر بن عبد العزيز أمراً أصبحت الأرض بموجبها ، من تاريخ ١٠٠هـ ، تدفع ضريبة الخراج سواء كان صاحبها مسلماً أم غير مسلم (٢٣٤) ، وأما ضريبة الجزية فتسقط بالإسلام ، وبما إن الضريبة في إيران لا تزال واحدة - كما هو الحال في القفقاس - فإن مفعول هذا الأمر لم يطبق بدقة ، ولهذا ظل المسلمون الجدد يدفعون الضريبة السابقة ، وخلق ذلك تدمراً عبرت عنه صيحة أبي الصياد صالح بن طريف للخليفة عمر بن عبد العزيز ، وفي تدبير لزيادة الضريبة عمد نصر بن سيار آخر والي أموي على خراسان ، إلى وضع تنظيم فصل فيه بين الضريبتين ، فحدد ضريبة الخراج على الأرض وتبقى حتى ولو أسلم أصحاب الأرض ، وضريبة على الرقاب (الجزية) وتسقط بالإسلام (٢٣٥) (وحتى بعد هذا التقسيم للضريبة يخلط بوليانسكي بين الجزية والخراج) (٢٣٦) .

لقد ظل الخراج في العهد الأموي مساحة على الأسس التي أقرها عمر بن الخطاب ولم يجر تغيير الخراج إلا في زمن العباسيين حيث بدأه أبو جعفر المنصور فجعله مقاسمة بالنصف (٢٣٧) ثم أصبح ثلاثة أخماس (٥/٣) الحاصل للدولة (٢٣٨) ثم عاد للنصف في زمن الرشيد (٢٣٩) ثم أصبح (٥/٢) الحاصل في زمن المأمون (٢٤٠) .

لقد كانت ضريبة الخراج ثقيلة تكره الفلاحين على بيع محاصيلهم قبل نضوجها لتسديد ما بذمتهم كما صرح بذلك عمر بن عبد العزيز (٢٤١) ، وكان الفلاحون يهربون

(٢٣٤) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٧٩ - ٣٨٠ ، لويس ، العرب ، ص ١٠٧ ، الدوري ، المقدمة ، ص ٨٤ .

(٢٣٥) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٨٠ .

(٢٣٦) التاريخ الاقتصادي ، ص ١٢٨ - ٩ .

(٢٣٧) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، ص ١٧٦ .

(٢٣٨) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٧٢ .

(٢٣٩) تروتون ، أهل الذمة ، ص ٢٣٦ ، الدوري ، العصر العباسي الأول ، ص ١٧٧ .

(٢٤٠) ابن طباطبا ، تاريخ الدول الإسلامية ، ص ٢١٦ .

(٢٤١) راجع الهامش ٢٠٥ .

على الاغلب من قراهم ويلتجئون الى المدن تهربا من دفع الضرائب ، وقد أجبر الامويون الهاربين من القرويين على العودة الى قراهم وسجلوا اسماء اماكنهم على اختتام الرصاص وعلقوها في رقابهم (٢٤٢) . ولم تكن الضرائب المترتبة على الفلاحين مكروهة لفداحتها فقط ، ولكن لما كان يرافق جمعها من صنوف الاهانة والتعذيب حيث ذكر أبو يوسف « بلغني انهم يقيمون اهل الخراج في الشمس ويضربونهم الضرب الشديد ويعلقون عليهم الجرار ويقيدونهم بما يمنعهم من الصلاة » (٢٤٣) ، وقد ذكر الجهشيارى بأن اهل الخراج كانوا يعذبون بصنوف من العذاب من السباع والزنابير والسنانير (٢٤٤) . وكان عمان الدولة لا يكتفون بأخذ حصة الحكومة من الخراج وانما ابتدعوا وسائل عديدة للابتزاز والنهب ترافق عملية استحصال ضريبة الخراج (٢٤٥) ، هذا بالاضافة الى ان عمان بني أمية كانوا يخرصون الثمار (يقدرون ما عليها) ويقدرّون الخراج حسب تخميناتهم وأكثر الاحيان تكون اكثر من الواقع ، وقد عدد الدوري مساوىء جباية الخراج في العهد العباسي بما يلي :

١ - حزر ما في البيادر فتقدر بأكثر من محتوياتها .

٢ - جباية الضريبة قبل نضوج الزرع .

٣ - ضمان الخراج في منطقة ما من قبل أفراد يدفعون قدرا معيناً من المال وتطلق ايديهم في الجباية ، وكان أهل الخراج يعاملون معاملة قاسية (٢٤٦) .

لقد اضطر اصحاب الاراضي تهربا من الضرائب الفادحة ، الى الجائها الى كبار المتنفذين في العهدين الاموي والعباسي كما اشار الى ذلك الجهشيارى (٢٤٧) وابن حوقل (٢٤٨) وغيرهم .

ونورد الآن بعض مقتبسات من قوائم الخراج في عهود مختلفة :

١ - قائمة الجهشيارى (٢٤٩) :

٢٨٠٠٠ ر. ٢٨٠٠٠ درهم من خراسان

.....
(٢٤٢) راجع الهامش ٢٠٢ .

(٢٤٣) الخراج (١٣٤٦ هـ) ، ص ١٣١ .

(٢٤٤) الوزراء والكتاب ، ص ١٠٣ .

(٢٤٥) والتي عددها أبو يوسف في كتاب الخراج (١٣٤٦ هـ) ص ١٣٠ .

(٢٤٦) العصر العباسي الاول ، ٢٦٦ - ٢٦٩ .

(٢٤٧) الوزراء والكتاب ، ص ٨٣ .

(٢٤٨) المسالك والممالك ، ص ٢١٧ .

(٢٤٩) الوزراء والكتاب ، ويذكر ان ابا الوزير عمر بن مطرف الكاتب من اهل مرو ، عمل في ايام الرشيد تقديرا عرضه على يحيى بن خالد لما يحمل الى بيت المال . ويقول الجهشيارى انه وجد ذلك في كتاب عمله أبو الفضل محمد بن احمد بن عبد الحميد الكاتب في اخبار خلفاء بني العباس . قائمة الجهشيارى منشورة في كتاب الوزراء والكتاب من ص ٢٢٧ - ٢٣٥ .

١١٠٠٠٠٠٠ درهم من أصفهان
١١٨٠٠٠٠٠ درهم من همذان و دستبي
٤٠٠٠٠٠٠ درهم من آذربيجان
١٣٠٠٠٠٠ درهم من أرمينيا

٢ - قائمة ابن خرداذبه (٢٥٠) :

٤٤٨٤٦٠٠٠ درهم من خراسان
٢٠٠٠٠٠٠ درهم من آذربيجان
٤٠٠٠٠٠٠ درهم من أرمينيا

٣ - قائمة قدامة ابن جعفر (٢٥٢) :

٣٠٠٠٠٠٠ درهم خراج قم وقاشان
٢٠٢٠٠٠٠ درهم خراج الري
٤٥٠٠٠٠٠ درهم خراج آذربيجان
٤٠٠٠٠٠٠ درهم خراج أرمينيا

٤ - قائمة ابن خلدون (٢٥٣) :

٢٨٠٠٠٠٠٠ درهم خراج خراسان (٢٥٤)
٢٧٠٠٠٠٠٠ درهم خراج فارس
١٣٠٠٠٠٠ درهم خراج همذان

- (٢٥٠) المسالك والممالك ، ص ٣٩ وص ١٢١ وص ١٢٣ ، انظر زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن ، ج ٢ ، ص ٦٣ ، وحتى ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ٣٩٦ .
- (٢٥١) ذكر ابن خرداذبة ان ذلك كان خراج خراسان والاعمال المضمومة لابي العباس عبد الله بن طاهر لسنتي ٢١١ هـ و ٢١٢ هـ ، المسالك والممالك ، ص ٣٩ .
- (٢٥٢) الخراج وصناعة الكتابة (من ص ٢٤٢ - ص ٢٥٠) وقد نقل عنه زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن ، ج ٢ ، ص ٦٠ ، مع اختلاف في بعض الارقام وعن زيدان نقل حتي ، تاريخ العرب (مطول) ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ٣٩٦ ، فجاء بأرقام مغايرة .
- (٢٥٣) ذكر في الصفحة ١٥٠ من المقدمة . . . وكذلك وجد بخط احمد بن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل الى بيت المال ببغداد ايام المأمون من جميع النواحي نقلته من جراب الدولة . ولا بد ان ابن خلدون نقل هذه القائمة عن الجهشيارى لكن ابن خلدون وقع في اخطاء كثيرة ، حيث نسبها الى عهد المأمون اولا ولوجود اختلافات في كثير من المقادير ثانيا . وقد نقل زيدان ، جرجي ، ج ٢ ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ وحتى ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ٣٩٦ عن ابن خلدون برغم اخطائها .
- (٢٥٤) ويضيف على ذلك ومن نقر الفضة ٢٠٠٠٠ نقره و ٤٠٠٠ برذون و ١٠٠٠ رأس رقيق وعشرين الف ثوب متاع و ٣٠٠٠٠٠ رطل أهليلج .

٤٠٠٠٠٠٠ درهم خراج اندريجان
١٣٠٠٠٠٠ درهم خراج أرمينيا (٢٥٥)

٥ - قائمة « العلي » (٢٥٦) ٠ والجديد فيها ما نقله عن اليعقوبي لمقدار الخراج
في عهد معاوية :

(٢٥٧)					
المنطقة	في عهد معاوية	الرشد	المأمون	المتوكل	ابن خرداذبة اليعقوبي المقدسي
اصفهان (٢٥٨)	-	١١٠	١٠٥	١٦٠	٧٠ ١٠٠ -
خراسان	٣٠٠	٢٨٠	٣٨٠	-	٣٧٠ ٤٠٠ ٤٤٠
(ان الارقام الصحيحة تمثل الملايين والكسور مئات الالوف من الدراهم) ٠					

ومن نظرة أولية نلقها على هذه المقتبسات نستخلص فداحة الضرائب - التي كان يدفعها أبناء شعوب ايران واندريجان - وكان ثقلها واقع على المعدمين - وغالبيتهم من الفلاحين - من مسلمين وذميّين ، فكانت من العوامل الاساسية في اثاره الخرميين .

٢ - الجزية (٢٥٩) :

وضع العرب الفاتحون ضريبة الجزية على أبناء البلدان المغلوبة كرمز للمذلة والمهانة (٢٦٠) « ٠٠٠ حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ٠٠٠ » (٢٦١) ، وكمورد

(٢٥٥) المقدمة ، ص ١٥١ ٠

(٢٥٦) التنظيمات ، ص ١١٧ - ٨ ٠

(٢٥٧) ن ٠ م هامش - ص ١١٧ ويشير الى اليعقوبي ج ٢ ص ٢٧٧ ٠

(٢٥٨) التنظيمات - هامش - ص ١١٨ (يقول المافرخي ان خراجها في القديم كان يبلغ ١٢ مليون

درهما ، وانه بلغ اول سنة فتحها المسلمون ٤٠ مليون درهم (محاسن اصفهان ص ١٢) ٠
(٢٥٩) ذكر الماوردي ان الجزية من الجزاء وتؤخذ من مشرك صغار له ومذلة ، الاحكام السلطانية ،

- ص ١٤٢ وينقل زيدان ، جرجي رأيا للشيخ الهندي شبل النعمان الذي يقول بأن الجزية

لفظ فارسي الاصل (كزيت) تاريخ التمدن ج ١ ص ١٦٩ ، ويذكر كريستنسن ان اللفظ

آرامي وأدخل في البهلوية كلفظ مستعار ، ايران ، ص ١٢٢ ، انظر أيضا دائرة المعارف

السوفيتية الواسعة ط ٢ م ١٨ لسنة ١٩٥٥ م ص ٥١٧ ٠

(٢٦٠) يروي الألوسي شعرا لبديع الزمان الهمذاني في ذم العجم :

السنا الضاربين جزى عليكم وان الجزى أولى بالذليل

بلوغ الأرب - ج ١ ص ١٦١ ، وقد ذكر زيدان ، عبد الكريم قول الفقهاء الذين يرون ان

الجزية تؤخذ من أهل الذمة مع الاهانة وجوبا (ويشير الى شرح الخرخشي ج ٣ ص ١٤٥)

وقد ذكر زيدان ، عدم اتفاقه معهم ٠ احكام الذميّين ص ١٤٦ ، ويشير - ولها وزن الى ان

الجزية مهينة لمن يؤديها ، ص ٣٠ ، انظر ترتون ، ص ٩ ، ويقول دننت ان الجزية كانت

رمزا للمذلة ، الجزية - ص ٣٣ ٠

(٢٦١) القرآن ، سورة التوبة ، ٢٦/٩ ٠

رزق ثابت وهي من أبواب الفياء (٢٦٢) ، والجزية ضريبة على الرووس والخراج ضريبة على الارض وقد حدد هذا المعنى الاصطلاحي في اواخر العهد الاموي (٢٦٣) - في البلدان الشرقية - اما في العراق فقد حددت الضريبتان منذ امد بعيد . وقد وضعت الجزية - نظريا - على الرجال من اهل الكتاب ، ولكن عمليا طبقت على غير المسلمين كافة وأصبح كل ابناء البلد المغلوب اهل ذمة سواء كانوا يهودا او مسيحيين ام صابئة ام عبدة اصنام او اوثنان او نيران . قال ابو يوسف : واما العجم فتقبل الجزية من اهل الكتاب منهم وعبدة الاوثان والنيران من الرجال منهم (٢٦٤) وقد اثار قبول غير اهل الكتاب في عداد اهل الذمة مساجلات عنيفة بين الناس تعج كتب الفقهاء بذكرها (٢٦٥) . ويرى حتي ان النظرية المادية هي التي قامت اذ ذاك مقام النظرية القسرية (٢٦٦) ، ويمكننا ان نضيف الى قول حتي بأن النظرية ذاتها هي التي عطلت مفعول التقليد الذي يمنع اخذ الجزية من المسلمين حيث فرضها الامويون على من أسلم - عدا عمر بن عبد العزيز - وان قبول استلام الجزية من غير اهل الكتاب يدل على ان الضريبة غير مستحدثة وهي استمرار للضريبة الساسانية وان اختلفت عنها في المقادير (٢٦٧) . ومن الطبيعي ان يحدث التناقض - كما أشار الى ذلك بيكر - بين النظرية والتطبيق (٢٦٨) ، والحقيقة ان الحكام وهم يمثلون الطبقة السائدة في مجتمعهم كانوا لا يتورعون عن استغلال الشعوب بمختلف الوسائل ولهذا جاءت تطبيقاتهم للامور مسايرة لاهوائهم لا كما يفسر الفقهاء بل وفي كثير من الاحيان كان الفقهاء يجتهدون في وضع احكام جديدة وتفسيرات مستحدثة لازالة التناقض بين النظرية الدينية وبين تطبيق الحكام ، ولهذا لا يمكن اعتبار المؤلفات الفقهية - كما نوه لوكيكارد - صورة حقيقية لشؤون الدولة (★) .

لقد كانت الجزية ضريبة طبقية في العهد الساساني ، حيث فرضت على جماهير الشعب ، وأعفيت الارستقراطية والفئة الحاكمة ومن التحق بخدمتها ، من دفعها . اما في العهد الاسلامي (فلا يمكن اعتبارها ضريبة طبقية لان العرب اعتبروا جميع ابناء البلد المغلوب رعية ففرضوا الجزية على جميع المحتفظين بدينهم ، ولهذا انف الارستقراطيون من دفعها واحتجوا بأنهم كانوا معفين منها في السابق وناشدوا العرب

(٢٦٢) الماوردي ، وفصل الفياء بأنه (كل مال وصل من المشركين عفوا من غير قتال ولا بايجاف خيل ولا ركاب فهو كمال الهدنة والجزية وأعشار متاجرهم أو كان واصلا بسبب من جتهم كمال الخراج ١٠٠) ، الاحكام السلطانية ، ص ١٢٦ .

(٢٦٣) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٨٠ .

(٢٦٤) الخراج (القاهرة ١٣٤٦ هـ) ، ص ٧٩ .

(٢٦٥) ابو يوسف ، الخراج (١٣٠٢ هـ) ، ص ٧٤ ، يحيى ، الخراج ، ص ٢٧ ، ابو عبيد ، الاموال ، ص ٣٢ ، الطبري اختلاف الفقهاء ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

(٢٦٦) تاريخ العرب (مطول) ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ١٩٥ .

(٢٦٧) راجع الهامش ١٦ والهامش ٣٢ .

(٢٦٨) الدراسات الاسلامية ، م ١ ، ص ٢١٩ .

(★) الضريبة الاسلامية ، ص ٧٣ .

اعفاءهم منها ، كما حصل في اصفهان ، وقد أورد الطبري (★★) قولاً لشهريراز ملك الباب حينما خاطب عبد الرحمن بن ربيعة « فلا تذولنا بالجزية » .

وضريبة الجزية على غير المسلمين لا تشمل النساء والصبيان والمسنين والمعتهين وتؤخذ بالسنة مرة وصنفت الى ثلاثة اصناف باختلاف موارد الدافعين واعمالهم وهي ٤٨ درهما و ٢٤ درهما و ١٢ درهما كما فصل ذلك ابو يوسف فيؤخذ منهم على الطبقات على ما وصفت : ثمانية وأربعون درهما على الموسر مثل الصيرفي والبزاز وصاحب الضيعة والتاجر والمعالج الطبيب وكل من كان منهم بيده صناعة وتجارة يحترف بها أخذ من اهل كل صناعة وتجارة على قدر صناعتهم وتجارتهم ٤٨ درهما على الموسر و ٢٤ على الوسط ٠٠٠ واثنان عشر درهما على العامل بيده مثل الخياط والصباغ والاسكاف والخران ومن اشبههم (٢٦٩) وهذا التحديد الفقهي لنسب المقادير كان عرضة للزيادة كما فعل عبد الملك بن مروان (٢٧٠) .

وكان يلحق بضريبة الجزية فروع ملازمة لها فقد فرض على اهل الذمة تقديم الزيت والخل واطعام من يمر بهم من المسلمين لمدة ثلاثة ايام (٢٧١) ، وتقديم الهدايا في الاعياد . ولما كانت الجزية رمزا للصغار والمهانة فكان يرافق جمعها صنوف الانذال والتعذيب والازدراء (٢٧٢) . وهربا من ثقلها وسوء طرق جبايتها التجأ الذميون الى الاسلام ولكن الامويين فرضوها عليهم رغم اسلامهم (٢٧٣) ، وكان ذلك من أقوى اسباب استياء الشعوب منهم .

٣ - الضرائب الباقية :

فرض العرب على ابناء الشعوب المغلوبة ، اضافة الى ضريبتى الجزية والخراج ، ضرائب اخرى هي : ضرائب النكاح (٢٧٤) وأجور الضرائب وأجور البيوت ورسوم

(★★) تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٥ ، ص ٢٦٦٤ .

(٢٦٩) الخراج (القاهرة ١٣٤٦ هـ) ، ص ١٤٨ ، انظر البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٧١ ، يحيى ، الخراج ، ص ٢٣ ، أبو عبيد ، الاموال ، ص ٤٠ وص ٦٩ .

(٢٧٠) وزادت جزية كل شخص ثلاثة دنانير على ما كانت عليه من قبل .

(٢٧١) يقول ابو عبيد : ان عمر ضرب الجزية على اهل الذهب ٤ دنانير وعلى اهل الورق ٤٠ درهما ومع ذلك ارزاق المسلمين وضيافة ثلاثة ايام ، الاموال ، ص ٣٩ ، والورق هي الدراهم ، انظر ترتون ، ص ٢٤٠ .

(٢٧٢) الاموال ، ص ٤٢ .

(٢٧٣) ن ٠ م ٠ ، ص ٤٨ .

(٢٧٤) ن ٠ م ٠ ، ص ٤٦ ، وذكر ان النكاح يعني به بغايا كان يؤخذ منهن الخراج (يقصد الضريبة) .

(٢٧٥) الطبري ، تاريخ الرسل (طبع القاهرة) ، ج ٨ ، ص ١٢٩ ، الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ١٢ .

العرائض (٢٧٥) وهدايا الاعياد ، مثل عيد النوروز وهو عيد أول أيام الربيع (٢٧٦) والمهرجان وهو عيد ابتداء أيام الشتاء (٢٧٧) ، وهذه من اعياد الايرانيين وكان الساسانيون يطالبون السكان بتقديم الهدايا فيهما وأبطلت بعد زوالهم وأعيدت في عهد الخليفة عثمان بن عفان ولما ضج الناس من اعادةها توقف الخليفة عن اخذها (٢٧٨) ، وأعيدت في عهد معاوية ، والذي بلغت هدايا النوروز والمهرجان اليه (من منطقة السواد فقط) عشرة ملايين درهم (٢٧٩) .

ومن الضرائب الاخرى أخماس المعادن والضرائب على الصادرات وضريبة الاسواق (٢٨٠) واعشار التجارة - ما كان يفرض من العشور على التجارة - ، وهي كما يجمع الفقهاء تختلف باختلاف جنسية التجار اذ كانت ١٠٪ على تجارات اهل الحرب (الاجانب) و ٥٪ على تجارات اهل الذمة و ٢،٥٪ على تجارات المسلمين (٢٨١) ، وضرائب الاحداث - وهي الغرامات التي تأخذها الشرطة على الجنايات (٢٨٢) - وبالإضافة الى هذه الضرائب فان عمال الدولة كانوا يتقنون في نهب وابتزاز اموال الشعب ويجبون لانفسهم ما يعادل او يفوق ما يجبونه للدولة . ولم يحاسبهم الخلفاء على سوء تصرفهم فقد ابتز عبد الرحمن بن زياد اباان امارته على خراسان مبلغا كان يكفي على حد ادعائه ان يعيش مائة سنة وينفق كل يوم ١٠٠٠ درهم (٢٨٣) . ويذكر الاصفهاني ، ابو نعيم ، عن عبيد الله بن أبي بكره الثقفي « قدم اصفهان مطفئا للنيران من قبل معاوية وخرج منها الى سجستان فأصاب أربعين الف الف (٤٠ مليون) » (٢٨٤) . وكانت هذه الاساليب الدنيئة في نهب خيرات البلاد ، تجد التشجيع من خلفاء بني امية الذين كانوا يقاسمون ولاتهم فيما ينهبون ، لذا ناء الشعب المحتل ، بجماهيره الواسعة ، من ثقل هذه الضرائب (٢٨٥) ، ولم يقل ثقل الضرائب وسوء استعمال الجباة

(٢٧٦) البيروني ، الاثار الباقية ، ص ٢١٦ .

(٢٧٧) ن . م . ، ص ٢٢٢ .

(٢٧٨) اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ١٩٤ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ص ٢٩٠٣ ، الصولي ، ادب الكتاب ، ص ٢٢٠ ، العلي ، التنظيمات ، ص ١٩٧ .

(٢٧٩) الجهشيارى ، الوزراء والكتاب ، ص ١٥ .

(٢٨٠) يذكر اليعقوبي : وأمر المهدي بجباية أسواق بغداد وجعل عليها الاجرة وجعل سعيد الحرشي بذلك فكان اول ما جبيت اسواق بغداد ، فكان للمهدي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٣٢ .

(٢٨١) ابو يوسف ، الخراج ، ص ١٥٨ ، ابو عبيد ، الاموال ، ص ٦٨ .

(٢٨٢) الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٢٨ .

(٢٨٣) البلاذري ، انساب الاشراف ، ج ٤ ، قسم ٢ ، ص ٧٥ .

(٢٨٤) الاصفهاني ، ابو نعيم ، كتاب ذكر اخبار اصبهان ، م ٢ ، ص ٩٩ .

(٢٨٥) تعتبر ، رحمة الله ، مليحة ان ما يدفع من الضرائب بالبلاد الاسلامية في العهد الاموي هو اقل مما عليه في بيزنطة ، معاملة اهل الذمة ، ص ٤٧ ، ولم تحاول رحمة الله ، مليحة ان تذكر اعتراف المؤرخين والفقهاء المسلمين بفداحة الضرائب وقساوة الامويين في اخذها .

لطرق جبايتها في العهد العباسي عما كان عليه في العصر الاموي ، وقد اشار كرد علي :
« وأصبح العمال في الدولة العباسية صورة عجيبة من استنزاف الاموال » (٢٨٦) .

هنالك قول لعمر بن عبد العزيز ، رواه البلاذري (٢٨٧) وعنه يرويه أبو الفداء (٢٨٨) ، مفاده ان وارد السواد قد هبط في زمن الحجاج بن يوسف من مئة مليون الى اربعين مليون . لكننا نجد مؤرخين آخرين يرون ان جباية السواد كانت بمقادير اخرى ، فاليعقوبي يذكر « ولم يحمل الحجاج من جميع العراق الا خمسة وعشرين الف الف (٢٥ مليون) » (٢٨٩) ، اما ابن خرداذبة فيذكر رقم (١٨ مليون) (٢٩٠) ، وعنه نقل المقدسي (٢٩١) الرقم نفسه ، اما الماوردي فقد ذكر « وجباة الحجاج مائة الف الف وثمانية عشر الف الف (١١٨ مليون) بغشمة وخرابه » (٢٩٢) . ولا شك ان هذه الارقام لمقادير الجباية في سنوات مختلفة ، ففي ايام السيطرة التامة للحجاج كانت الجباية تتجاوز الـ ١٠٠ مليون درهم ، واما في ايام الانتفاضات والحروب الداخلية ، حيث يضطرب حبل الامن وتضعف السيطرة ، فيهبط السواد الى الحضيض ، اذ يهجر الفلاحون المستأوون مزارعهم وقراهم لفداحة الضرائب وسوء طرق جبايتها ولكساد البضائع الزراعية وهبوط اثمانها (٢٩٣) ، ويتهرب الموالي من دفع الجزية التي ظلت رغم اسلامهم - كما وان حرق الديوان ايام انتفاضة ابن الاشعث ومساهمة عدد غفير من الموالي واهل الذمة في تلك الانتفاضة (٢٩٤) وفي انتفاضات غيرها ادت الى هبوط الجباية . غير ان الحجاج ، بعد ان قضى على انتفاضة ابن الاشعث ، اجبر الفلاحين على العودة الى قراهم ومزارعهم وارغمهم على دفع الخراج والجزية مسلمهم وذمهم . اننا لا يمكننا ان نتفق مع حتي ، حين يقول : « اما العراق فقد نقص دخل الخزينة فيه من مئة مليون في خلافة عمر بن الخطاب الى اربعين مليون في عهد عبد الملك . وليس من شك في ان كثرة الداخلين في الاسلام كانت من عوامل هذا النقصان » (٢٩٥) . لان

(٢٨٦) كرد علي ، محمد ، الاسلام والحضارة العربية ، ج ٢ ، ط ٢ ، ص ٢٢٨ .

(٢٨٧) فتوح البلدان ، ص ٢٧٠ .

(٢٨٨) البداية والنهاية ، ج ٩ ، ص ١٣٦ .

(٢٨٩) تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ٣٥ .

(٢٩٠) المسالك والممالك ، ص ١٤ .

(٢٩١) المقدسي ، شمس الدين ، أحسن التقاسيم ، ص ١٢٣ ، وكذلك تجد الرقم نفسه في كتاب

الاعلاق النفيسة لابن رسته ، المجلد السابع ، ص ١٠٥ .

(٢٩٢) الاحكام السلطانية ، ص ١٧٥ .

(٢٩٣) أبو يوسف ، الخراج ، (القاهرة ١٢٤٦ هـ) ، ص ١٥٧ .

(٢٩٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٧٤ ، أنساب الاشراف ، ص ٢٨٠ ، الطبري ، تاريخ الرسل ،

م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٠٧٢ ، فون كريم ، الحضارة الاسلامية ، ص ١٧٢ .

(٢٩٥) تاريخ العرب (مطول) ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ٣٠٠ ، والملاحظ انه يشيّر في الهامش الى

اليقوبي مع العلم ان اليعقوبي ذكر ٢٥ مليوناً وكان الاجدر ان يشير الى البلاذري . لقد

نقلت جيستياكوف في كراس ، الخلافة العربية ، مقولة حتي ، غير انها جعلت ايران عوضاً

عن العراق ، ص ٧١ - ٢٠ .

النقص كان عرضيا - ايام الحروب - ولان الحجاج والامويين بصورة عامة اخذوا الجزية ممن اسلم (٢٩٦) .

٤ - التجارة والحرف

١ - التجارة :

نمت التجارة في ايران الساسانيين واصبحت البلاد مركزا تجاريا وحلقة وصل بين آسيا واوروبا - طرق الحرير - ، ولا سيما بعد تدهور التجارة في بلاد العرب (طرق القوافل المحاذية لساحل البحر الاحمر) واضمحلال الدويلات العربية التجارية ، والتي اصبحت مراكزها التجارية خرائب تشهد على ما كان لها من ترف ونعيم ومركز ممتاز (٢٩٧) . ان التدهور التجاري في بلاد العرب ووجود سلطة مركزية في ايران ساعدا على نمو وازدهار التجارة في ايران حيث اصبحت طرق التجارة تمتد عبر اراضيها الى بحر الخزر والبحر الاسود ومن الخليج العربي الى البحر المتوسط وآسيا الصغرى - الى بيزنطة .

كما وان نمو الصناعات والحرف الاولية اليدوية في ايران وتطور البلاد اقتصاديا سببا زيادة الطلب على الحاجيات والكماليات لدى الطبقة الارستقراطية الغنية . وكانت وفرة المعادن في ايران وبلاد القفقاس من العوامل الممهدة لنشوء تلك الصناعات والحرف . والمصادر الايرانية حافلة بذكر التجارة والتجار والضرائب المفروضة على التجارة والمعاهدات التجارية كالتي عقدت بين انوشروان والامبراطور جستنيان (سنة ٥٦٢ م) (٢٩٨) . ويعد كريستنسن اهم البضائع التي كانت تشتريها الصين من ايران كالكلح الايراني والسجاجيد والاحجار الكريمة السورية الطبيعية والصناعية والمرجان واللؤلؤ من البحر الاحمر والاقمشة المنسوجة في الشام ومصر والمواد المخدرة من آسيا الوسطى . وكان الحرير اهم اصناف تجارة الترانزيت عند الايرانيين (٢٩٩) .

وكانت بلاد القفقاس ممرا لطرق قوافل التجارة حيث عبرها كانت ترد الى ايران من روسية جلود الثعالب السود (٣٠٠) والسمور الاسود كما وينقل من أرمينيا البسط والتك والانماط والمقاعد ، ومن آذربيجان المحاصيل والمعادن . لهذا كانت مدن ايران

(٢٩٦) الاموال ، ص ٤٨ ، لويس ، العرب ، ص ٩٦ .

(٢٩٧) حول تأثير تغير طرق قوافل التجارة في الدويلات التجارية العربية انظر رسائل كارل ماركس لفردريك انكلز ، المؤلفات ، ٢١ ، ص ٤٩٤ ، بليانسكي ، التاريخ الاقتصادي ، ص ١٢٣ ، زاخودير ، تاريخ الشرق ، ص ١٩ ، توما ، العرب والتطور ، ص ٢٧ - ٨٠ .

(٢٩٨) كريستنسن ، ايران ، ص ١١٣ .

(٢٩٩) ن ٠ م ٠ ص ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٧ .

(٣٠٠) المسعودي ، التنبيه والاشراف ، ص ٦٢ .

تعج بحركة التجار وصغار الباعة والذين كانوا يتبادلون السلع ويتناقلون اخبار العالم (٣٠١) .

ولما احتلت الجيوش العربية ايران واذربيجان وارمينيا وبلاد اواسط آسيا ، ازدهرت التجارة ونمت (٣٠٢) ، اذ ان انتقال السلطة والنفوذ الى المدينة ومنها الى دمشق فبغداد لم يسبب التدهور التجاري بل العكس فان الجيوش العربية كانت خير حارس لطرق التجارة ولو ان التجار والباعة الصغار لم يسلموا من استغلال ومضايقات الارستقراطية والسلطة العربية شأنهم شأن اسلافهم الذين شملتهم مظالم السلطة الساسانية واستغلال الارستقراطية الايرانية . ولهذا نجد ان الكثرة الكاثرة من التجار الصغار وصغار الباعة والعاملين في الاسواق ينضمون ، في العهود الاسلامية ، الى كثير من الثورات . ان اهم ما يصدر من آذربيجان في العهود الاسلامية ، الرقيق والاغنام والدواب والعسل واللوز والجوز والحريز والشمع (٣٠٣) ، ومن ارمينيا ، ثياب الماعز والصوف وبسط ووسائد ومقاعد وتكك والستور والمساور والمساند والديباج وثياب الكتان والرقيق والدواب والاغنام (والرقيق وجلود الثعالب السود «من روسية» (٣٠٤)) ، ومن ايران ، الزعفران والحريز والقطن والفضة والسجاد والزيوت العطرية ونسيج الكتان وطراز الوشي والثياب والكلل والستور والمصليات والحصر والمناديل والقصاع والامشاط والرقيق والغلمان وجلود الثعالب (من آسيا الوسطى وروسية) (٣٠٥) .

ب - الحرف :

كان من تأثير تطور الزراعة وانتشارها واتساع تربية الدواجن ازدياد الطلب على المعادن بسبب تقدم المجتمع ، فكان من جراء ذلك ظهور صناعة التعدين وقد مهد ظهورها وجود المعادن في ايران واذربيجان وارمينيا . ان تطور الزراعة قد حتم الاهتمام بشؤون الري وتوزيع المياه ، التي تتطلب اعمال انشاء السدود والقنوات والقناطر « لان الظروف المناخية وطبيعة السطح الخاصة - كما كتب ماركس - قد جعلت نظام الارواء الاصطناعي بالقنوات ومنشآت الري اساسا للزراعة في الشرق » (٣٠٦) ، وقد اكد انجلز ، في رسالته الى ماركس بأن الشرط الاول للزراعة في الشرق

(٣٠١) بيكولفسكايا ، تاريخ ايران ، ص ٧٢ .

(٣٠٢) بوليانسكي ، التاريخ الاقتصادي ، ص ١٢٨ .

(٣٠٣) ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ٢٣٩ ، المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٢٢٣ .

(٣٠٤) ابن حوقل ، ص ٢٤٢ ، المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٢٣ - ٤ .

(٣٠٥) المقدسي ، احسن التقاسيم ، ص ٣٢٣ .

(٣٠٦) كارل ماركس ، الامتلاك البريطاني للهند ، كارل ماركس وفردريك انكلز ، المؤلفات ، المجلد

التاسع ، الطبعة الثانية ، ص ١٣٢ .

هو طريقة الارواء الصناعية (٣٠٧) ، وكان الايرانيون يستخدمون اسرى الحروب في هذه الاعمال ، فيذكر اليعقوبي عن الملك سابور بن أردشير « ٥٠٠ وأسر خلقا من الروم فبنى مدينة جنديسابور وأسكنها سبي الروم وهندس له رئيس الروم القنطرة التي على نهر تستر » (٢٠٨) ، كما واستخدم الاسرى في بناء المدن واسوارها وقصور الملوك ، وبذا تطورت الاعمال الهندسية وتفرعت اعمال البناء وصنع الطابوق ونحت الصخر . ولما كان ينبت في ايران قصب السكر (٣٠٩) والقطن والكتان وتربى فيها الاغنام وكذا الحال في آذربيجان وارمينيا ، لذا نشأت صناعات النسيج الصوفي والقطني والكتاني وكذلك صناعات السجاد في ايران والبسط في ايران وارمينيا ، وقد بين بارتولد الغاية من حمل سكان المدن السورية الى ايران كأنهم اسرى ترقية لصناعة النسيج وكذلك استفادوا من صناعات روما المأسورين في انشاء الاستحكامات وتنظيم اعمال الري (٣١٠) . ترد في كتب التاريخ اشارات الى رئيس الصاغة وكبير الصناع ورئيس البنائين ورئيس المشتغلين بالرصاص ورئيس صاغة الفضة (٣١١) ، لكن هذه لا تدل على وجود تنظيمات تشبه النقابات وانما كان يختار كبير المهنة ليمثل جماعته وليحسم المنازعات بينهم (٣١٢) .

اما في العهد الاسلامي فقد نمت الصناعات وازدهرت لازدياد ترف المجتمع وتكاثر احتياجاتهم نتيجة الغنى الذي نجم عن الفتوحات . ولما كانت ايران غنية بمعادنها - كما يقول ابن حوقل - : وبفارس عامة المعادن من الفضة والحديد والانك والكبريت والنفط . الا ان الفضة قليلة وبها معدن ذهب ومعدن صفرها بالسردن يحمل منها الى البصرة وغيرها والحديد بجبال اصطخر وكذلك الزبيك (٣١٣) - وفي آذربيجان وارمينيا المعادن (٣١٤) والمحاصيل المستخدمة في النسيج ، ولهذا نمت في هذه البلدان الحرف .

(٣٠٧) رسالة انكلز الى ماركس (حزيران ، ١٨٥٣ م) ، كارل ماركس وفردريك انكلز ، الرسائل المختارة ، موسكو ، ١٩٥٣ م ، ص ٧٤ - ٥٠ .
(٣٠٨) تاريخ اليعقوبي ، (بيروت ١٩٦٠ م) ، ص ١٥٩ .
(٣٠٩) انظر ما ذكره البيروني عن صناعة السكر ، الآثار ، ص ٢١٦ .
(٣١٠) الحضارة الاسلامية ، ص ١١ ، والترجمة العربية ، ص ١٥ .
(٣١١) بيكولفسكايا ، مدن ايران ، ص ٢٢٢ .
(٣١٢) ن . م . ، ص ٢٢٢ .

(٣١٣) ابن حوقل ، المسالك والممالك ، ص ٢١٥ ، انظر مقالة لوكهارت L. Lockhart عن اقليم الجبال في دائرة المعارف الاسلامية ، مجلد ٢ لسنة ١٩٦٣ م ، ص ٥٣٤ .
(٣١٤) ذكر المسعودي في كتابه ، التنبيه والاشراف ، عن بحر الخزر . . . وعليه ايضا الموضع المعروف بباكه وهي النفاطة من مملكة شروان مما يلي الباب والابواب ومن هنالك يحمل النفط الابيض وهنالك آطام وهي عيون النيران تظهر من الارض وفيه جزائر مقابل النفاطة فيها عيون للنيران كبيرة ترى في الليل على مسافة نائية . ، ص ٦٠ . ولا شك ان المحل المقصود هو محل مدينة باكو الحالية . وقد سماها الايرانيون قديما باد كويه وتفسيرها : باد معناها ريح وكويه من فعل كوييدن ضربه وبهذا يكون اسمها ضرب الريح لشدة هبوب الرياح فيها ثم سميت شهر سبايل لوجود محل بقرب المدينة يسمى بايل ثم سميت باكو .

لقد كانت حالة الحرفيين سيئة لا تطاق حيث شملهم الاستغلال الطبقي والتعسف الحكومي كما وان الارستقراطية العربية كانت تحتقر ذوي المهن ويشار اليهم بازدراء ولهذا كانوا من اوائل الملبين لنداءات الثورات ، جاء في الكامل للمبرد عن الخوارج (واقام المهلب يجبي ما حواليه من الكور وقد دس الجواسيس الى عسكر الخوارج فأتوه بأخبارهم ومن في عسكرهم فاذا حشوة من قصار وصباغ وداعر وحداد » (٣١٥) .

٥ - نظرة العرب الى سواهم من الامم المغلوبة

ورثت الارستقراطية العربية الحاكمة التبعية الاقطاعية في البلاد التي استولى عليها ، فتكونت لديها روح الاستغلال وحب التسلط وكراهة الشعوب واحتقار المهن واعتبرت ابناء الشعوب تابعين (ارقاء) لهم بحكم الفتح وبذا اعتبرت اهل البلد المفتوح دون العرب منزلة ، ولم يكن هذا من جراء اختلاف في العقيدة او الدين وانما يعود الى طبيعة المستقلين الذين يتعالون ويترفعون على من سواهم ، لهذا نجد ان اسلام اهل البلد المفتوح لم ينجهم من احتقار وازدراء السادة العرب لا سيما اذا كانوا من اصحاب المهن ، اما اشرف العجم (الاجانب) فكانوا يلاقون معاملة طيبة نتيجة مراكزهم وخدماتهم للعرب وقد قال احدهم لعربي : الشريف من كل قوم نسيب الشريف من كل قوم (٣١٦) .

١ - الموالي :

كثر الرقيق بسبب الاسر وكان ذلك من نتائج الفتوحات العربية ، ثم تكاثر عددهم بعدئذ بطريق الشراء ، وكان استخدام العبيد واستغلالهم شيئاً مألوفاً في العهود الاسلامية . واذا كان الارقاء من اهل البلد المفتوح غير مسلمين فان اسلامهم لا يغير من طبيعة علاقتهم بسادتهم ملاك العبيد (٣١٧) ، اذ تبقى عبوديتهم . اما اذا اعتق العبد فيعتبر مولى لسيد (٣١٨) سواء كان مسلماً ام غير مسلم . واستخدم هذا المصطلح - المولى - وجمعه موال - للدلالة على اهل البلد المفتوح الذين يدخلون الاسلام . وكان على المسلمين الجدد ان يلحقوا انفسهم او يربطوا علاقتهم بقبيلة من القبائل العربية فيقال عنهم مثلاً موال بني سليم او بني سعد او موال تميم ، غير ان هذا الولاء لم

(٣١٥) - ص ٦٢٩ ، انظر العلي ، التنظيمات ، ويعلل انضمام الحرفيين من الموالي بسبب اضطراب التجارة وازدياد البطالة ، ص ٨٤ . لكننا نرى ان الظلم الشديد والاستغلال الفظيع هما اللذان دفعا بهم للمساهمة في انتفاضات عديدة .

(٣١٦) رسائل البلغاء ، باعثناء كرد علي ، ص ٢٧٠ .

(٣١٧) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٦٠ .

(٣١٨) احمد امين ، فجر الاسلام ، ط ٦ ، ص ٨٩ .

يمنحهم الاعتبار أو التقدير أو يرفع مكانتهم (٣١٩) الى من ينتمون اليهم بالولاء . ولقد اختلف الفقهاء في اهل البلد المفتوح هل هم جميعا أرقاء ؟ ام هم أحرار ولكن تربطهم روابط تبعية ؟ (٣٢٠) الا ان المعلومات تشير الى ان اهل البلد المفتوح قد فقد اغلبيتهم حرية الشخصية بحكم الاحتلال وكانت تسود العلاقات الاقطاعية وكان الاستغلال الاقطاعي مقرونا باستخدام العبيد (٣٢١) واعتبر أبناء البلد موالى وليس أرقاء .

وبالرغم من اسلام قسم من اهل البلد المفتوح فانهم لم يتمتعوا بامتيازات (٣٢٢) العرب ، فقد حرموا من العطاء وبقيت عليهم الضرائب السابقة ، او خفضت ولكنها ظلت اعلى نسبيا مما على العرب المسلمين (٣٢٣) ثم اعيدت عليهم تلك الضرائب وبزيادة ، وكانوا محرومين من التوظيف في الوظائف الرئيسية فسي الادارة والجيش (٣٢٤) ، ومنعوا من ركوب الخيل في الحروب بل كان عليهم ان يحاربوا رجالة ، ومنعوا من الزواج بالعربية وعاقبوا من تجرأ على الزواج بهن ، كما حدث لاعراب بني سليم في الروحاء فانهم جاؤوا الروحاء فخطب اليهم بعض موالياها احدى بناتهم فزوجوه ، فوشى بعضهم الى والي المدينة بذلك ففرق الوالي بين الزوجين وضرب المولى مائتي سوط وحلق رأسه ولحيته وحاجبيه (٣٢٥) ، وكانت السلطة العربية والاستقرارية العربية تشجعان الادباء على النبل من كرامة ومكانة الموالى فكان ان قذفوا بأبشع الشتائم والنعوت والصفات الرذيلة حتى كانوا يقولون لا يقطع الصلاة الا ثلاثة : حمار او كلب او مولى ، لذا كان الموالى يشعرون بالاحتقار والازدراء والاذلال رغم اسلامهم وكان مما يزيد في ألمهم حسن معاملة الارستقراطية العربية واحترامها للملكى الارض ممن بقوا على اديانهم بينما كان الموالى - وغالبيتهم من المعدمين - يقابلون بالاحتقار والازدراء مع انهم من المسلمين . لقد اشتد كره واستعلاء واستغلال الارستقراطية القبلية العربية للموالى في العهد الاموي ولهذا نعم الموالى على السلطة العربية - الامويين - ويشير ولها وزن الى ان الموالى كانوا :

(٣١٩) طه حسين ، الفتنة الكبرى ، ١ - عثمان - ص ٣٧ .
(٣٢٠) الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢٢٥ ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٥ ، ص ٢٣٧٣ ، ابو عبيد ، الاموال ، ص ٤٨ .

(٣٢١) جوزي ، بندلي ، ص ٦٥ ، وينقل الخربوطلي ، كلام جوزي دون الاشارة اليه ويتصرف به بحيث يفهم منه (الموالى كانوا يأتون بهم بالوف ويجبرونهم على العمل وسط المستنقعات) ، تاريخ العراق ، ص ١٦٠ . ان الموالى ، وبهذه الحالة ، اصبحوا عبيدا ويجلبون ! بينما نص جوزي هو : ... يستغلونها (الاراضي المغتصبة من قبل الامويين) بواسطة علوج البلاد او زنوج افريقية الذين كانوا يأتون بهم بالالوف من بلادهم ويجبرونهم ... فكلام جوزي (الذين كانوا يأتون بهم بالالوف) يعود على زنوج افريقية وليس على العلوج . والعلوج هم اهل البلد .

(٣٢٢) لويس ، العرب ، ص ٧٩ ، العلي ، التنظيمات ، ص ٨١ .
(٣٢٣) الدوري ، مقدمة ، ص ٧٧ ، الخربوطلي ، تأريخ العراق ، ص ٢٥٥ .
(٣٢٤) كان ذلك في العصر الاموي اما في العصر العباسي فقد اعتمدت السلطة العباسية على الارستقراطية الايرانية واسندت اليها كل الوظائف بما فيها الوزارة .
(٣٢٥) زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن ، ج ٤ ، ص ٨٨ .

يصرخون على الابواب طالبين حقوقا مساوية لما للعرب وكان الاسلام معهم (٣٢٦) . والحقيقة ان الموالي كانوا يلقون التأييد من معلمي العرب المسلمين ، الذين كانوا يلاقون الاستغلال والبطش والتعذيب (شأنهم شأن الموالي) من الارستقراطية العربية والسلطة الاموية والعباسية ، لان الارستقراطية المستغلة كانت تستغل الجماهير عربها واجنبيها ، الا ان استغلال الاجانب كان يرافقه الازدراء والتحقير ، ولهذا كان الموالي مرتعا خصبا لكل حركة ثورية (٣٢٧) ، فساهموا في اغلب الانتفاضات والثورات ضد بني امية ومن ثم ضد بني العباس .

ب - أهل الذمة :

اعتبر العرب أبناء البلد المحتل المحتفظين بدينهم ، أهل ذمة ، اي انهم في عهد وأمان - حسب التفسير الفقهي - لقاء ما يدفعون من ضرائب فرضت عليهم ، وقد كانت الجزية وملحقاتها - كما شاهدنا مرهقة ورمزا للصغار .

كان الذميون - غالبيتهم من الفلاحين - يمتنون حرفا مختلفة ، عدا الزراعة ، في البناء والحياكة والنسيج والحداة والصياغة والطبابة ومهن اخرى ، ويتكسبون بأعمال البيع والشراء ويتعاطون التجارة . وكان على الذميين تقديم الخل والزيت وضيافة من يمر بهم من المسلمين لمدة ثلاثة ايام (٣٢٨) ، وأهم ما يقدمون لهم من الطعام الخبز والتريد والتوابل والزيت والخضراوات المطبوخة والسّمك او اللحم وما تيسر وجوده (٣٢٩) ، وتقديم العلف لحيواناتهم ، وقيامهم بأعمال السخرة كالعناية بالطرق والجسور والاسواق ، فقد كتب الطبري : فكان الفلاحون للطرق والجسور والاسواق والحرق والدلالة مع الجزاء عن ايديهم على قدر طاقتهم وكانت الدهاقين للجزية عن ايديهم والعمارة وعلى كلهم الارشاد وضيافة ابن السبيل (٣٣٠) .

وبالاضافة الى الضرائب والواجبات والاعمال الاضافية كان أهل الذمة عرضة لصنوف العذاب والتحقير ، ولا سيما في فترة الحكم الاموي فيروي ابو يوسف ان عمر بن عبد العزيز كتب الى عامل له : أما بعد فلا تدعن صليبا ظاهرا الا كسر ومحق ولا يركبن يهودي او نصراني على سرج وليركب على اكاف ، ولا تركبن امرأة من نسائهم على رحالة وليكن ركوبها على اكاف . وتقدم في ذلك تقدما بليغا وامنع من قبلك فلا يلبس نصراني قباء ولا ثوب خز ولا عصبة (٣٣١) . ولم يعارض الفقهاء أمثال هذه الاجراءات

(٣٢٦) الدولة العربية ، ص ٢٤٩ .

(٣٢٧) لويس ، اصول الاسماعيلية ، ص ٤٨ .

(٣٢٨) الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢١٧ .

(٣٢٩) ن . م . ، ص ٢١٧ ، ترتون ، أهل الذمة ، ص ٢٤٠ .

(٣٣٠) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٥ ، ص ٢٤٧٠ .

(٣٣١) الخراج ، ط ٣ (١٣٨٢ هـ) ، ص ١٢٧ ، أيضا ابو عبيد ، الاموال ، ص ٥٣ .

بل أفتوا بها وبما يشابهها ، فقد قال ابو حنيفة (٣٣٢) وأصحابه « ينبغي ان لا يترك أحد من اهل الذمة بتشبه في لباسه ولا مركبه ولا في هيئته بالمسلمين ٠٠٠ وان لا يلبسوا طيالسة مثل طيالسة المسلمين ولا أردية مثل أردية المسلمين » (٣٣٣) وقد لخص الماوردي الشروط التي افترضها الفقهاء والحكام على اهل الذمة بما يلي : أحدها تغيير هيئاتهم بلبس الغيار وشد الزنار ٠ والثاني ان لا يعلوا على المسلمين في الابنية ويكونوا ان لم ينقصوا مساوين لهم ٠ والثالث ان لا يسمعوهم اصوات نواقيسهم ولا تلاوة كتبهم ولا قولهم في عزيز والمسيح ٠ والرابع ان لا يجاهروهم بشرب خمر ولا باظهار صلبانهم وخنازيرهم ٠ والخامس ان يخفوا دفن موتاهم ولا يجهروا بنذب عليهم ولا نياحة ٠ والسادس ان يمنعوا من ركوب الخيل عناقا وهجانا ولا يمنعوا من ركوب البغال والحميز (٣٣٤) ٠ وبهذا أجبر العرب اهل الذمة على لبس البسة معينة وعلى السكن في دور موصوفة وعلى طريقة خاصة في ركوب بعض الحيوانات وتدخلوا في طقوسهم الدينية ومنعواهم من تجديد او بناء البيع الكنائس الجديدة ٠ وكان عليهم ان يدفعوا كل الضرائب (٣٣٥) ويقوموا بأعمال السخرة وكانوا ملزمين بالخضوع التام للقوانين التي فرضت عليهم والتي تقضي بحرمانهم من بعض الحقوق الاجتماعية والمالية (٣٣٦) ٠ بل ان فون كريمر يذكر ان السكان غير المسلمين لم تكن لهم حقوق تقريبا (٣٣٧) ويرى ترتون ان اهل الذمة كانوا يدفعون - في بداية الفتح الاسلامي - ضرائب لا تزيد عما كانوا يدفعونه للحكومات السابقة ، « بيد ان هذا القدر من الضرائب أخذ يزداد شيئا فشيئا وتثقل وطأته على مر الايام » (٣٣٨) ، وهذا ما شاهدنا بالفعل حيث زاد كميتها (الضرائب) عبد الملك بن مروان (٣٣٩) ٠ ولم تتحسن احوال اهل الذمة بعد سقوط الدولة الاموية اذ ان العصر العباسي كان حاقلا بالمضايقات والتعسفات التي حلت بأهل الذمة ولا سيما في عهدي المأمون والمتوكل ٠ وعلى نقیض ما ذهبنا يرى لوكيكارد بأن للذمي - مع بعض الاستثناءات - نفس حقوق وواجبات المواطن المسلم (★) ٠

(٣٣٢) الفقيه ، النعمان بن ثابت ٠

(٣٣٣) ابو يوسف ، الخراج ، (١٣٤٦ هـ) ، ص ١٥١ - ٢ ، الطبري ، اختلاف الفقهاء ، ص ٢٤٠ ، الماوردي ، الاحكام السلطانية ، مخطوط ، الورقة ١٠٤ ٠

(٣٣٤) الاحكام السلطانية ، ص ١٤٥ ٠

(٣٣٥) ابو يوسف ، الخراج ، ص ٤٥ ، زيدان ، جرجي ، تاريخ التمدن ، ج ٤ ، ص ٩١ ، جوزي ، بندلي ، ص ٤٣ ٠

(٣٣٦) لويس ، العرب ، ص ١٠٨ ٠

(٣٣٧) الحضارة الاسلامية ، ص ٦٩ ٠

(٣٣٨) ترتون ، اهل الذمة ، ص ٢٥٤ - ٥ ، انظر لويس ، العرب ، ويذكر : بان اهل الذمة كانوا يدفعون قدرا من الضرائب اعلى مما يدفعه المسلم ، ص ١٣٢ ٠

(٣٣٩) انظر الهامش (٢٧٠) ٠

(★) الضريبة الاسلامية ، ص ٨٤ ٠

ج - الشعوبية (٣٤٠) :

مدرك يطلق على تيار فكري يمثل الشعوب المغلوبة الفكري والاجتماعي ضد التسلط الاموي والعباسي وضد التعصب (الشوفيني) ، ضد احتقار الشعوب غير العربية . فكان هدف الصراع في العصر الاموي والجزء الاول من العصر العباسي الاول هو تحقيق المساواة بين الشعوب (٣٤١) والاعتراف بها ولتحقيق كرامتها . وقد تجاوز الشعوبيون هذا المطلب النبيل بعدئذ - اي في العصر العباسي - الى احتقار شأن العرب القدامى وامتهان مكانتهم السابقة (٣٤٢) .

ولهذا يجب الاحتراس من تعميم مفهوم الشعوبية ، اذ ان الشعوبية ليست واحدة لدى طبقات المجتمع المختلفة (٣٤٣) (غير العربية) وليست هذه الشعوبية ذات طابع واحد في كلا العهدين الاموي والعباسي .

يحاول كثير من المؤرخين والباحثين اخفاء الفارق بين طبيعتي الشعوبية لطمس

(٣٤٠) انظر العزيز ، حسين قاسم ، مقالة الشعوبية ، مجلة الغد ، العدد الثالث ، براغ ، ١٩٦٤م ، ص ٢٤ - ٣٢ .

(٣٤١) الجاحظ (ومن يتحلى باسم التسوية) البيان والتبيين ، ج ٢ ، ص ٥ ، كريم ، الحضارة الاسلامية (مترجم) ، ص ٨٦ ، الآلوسي ويذكر « قالت الشعوبية : انا نذهبنا الى العدل والتسوية وان الناس كلهم من طينة واحدة وسلالة رجل واحد » ، بلوغ الارب ، ج ١ ، ص ١٦٤ ، وذكر عن الشعوبية ايضا : « من سموا بذلك لانتصارهم للشعوب التي هي مغايرة للقبائل » ، بلوغ الارب ، ج ١ ، ص ١٥٩ ، انظر احمد امين ، ضحى الاسلام ، ج ١ ، ط ٥ ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٦ ، وقد كتب في ص ٥٤ « جاء في العقد الفريد : الشعوبية وهم اهل التسوية » ، وفي ص ٥٦ يذكر « وجاء في الصحاح (الشعوبية فرقة لا تفضل العرب على العجم) » ، راجع توما ، اميل ، العرب والتطور ، ص ٣٤ .

(٣٤٢) انظر الاغانى ، ج ٢ ، ص ٧٨ ، ج ٩ ، ص ١٠٤ ، ج ١٢ ، ص ١٥٦ ، الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ١ ، ص ٣٨٣ ، ج ٢ ، ص ٥ ، ج ٣ ، ص ٥ - ١٢٥ ، ج ٤ ، ص ٣٥٩ ، الآلوسي ، بلوغ الارب ، ج ١ ، ص ١٥٩ ، كريم ، الحضارة الاسلامية (مترجم) ، ص ٨٦ ، كولدتسهير ، ويرى بان الشعوبيين قد تأثروا بمبادئ الخوارج (اهل التسوية) في مسألة المساواة بين الشعوب ، الدراسات المحمدية (بالالمانية) ، ج ١ ، ص ١٤٧-١٧٤ ، كرد علي : الشعوبية قوم متعصبون على العرب مفضلون عليهم العجم ، الاسلام والحضارة ، ج ١ ، ط ٢ ، ص ٣٥ ، انظر احمد امين ، ضحى الاسلام ، ج ١ ، ط ٥ ، ص ٦٥-٧٠ ، ويذكر شريف ، محمد بديع « فاندفعوا الى دراسة الادب واللغة والقرآن والحديث ودراسة الانساب خاصة ليضعوا على العرب من المثالب ما يريدون » ، الصراع بين الموالي والعرب ، ص ٣٣ .

(٣٤٣) لا يعترف الدوري باختلاف اهداف ابناء الطبقات المختلفة من حركة الشعوبية ، الجذور التاريخية للشعوبية ، ص ٧٩ .

الجانب النضالي لدى الشعوب المغلوبة ، وابرز الجانب الكالح البغيض المغسوق في الرجعية من الشعبية بمظهر الاساس او الكل او الشمول . كتب الدوري في كراسه الذي ألفه لهذا الغرض : بدأت الحركة الشعبية في الفترة الاموية الاخيرة واندفعت بقوة في العصر العباسي ، وهي تمثل جانبا من محاولات شعبية غير عربية لضرب السلطان العربي عن طريق الفكر والعقيدة . فهي في اندفاعها تتكشف عن صراع ثقافي ديني واسع (٣٤٤) . يحاول الدوري - هنا - جعل طبيعة الشعبية واحدة في العهدين الاموي والعباسي . ويحاول طمس الفوارق الطبقية ولهذا يجعل كفاح الطبقات واحدا ويحصر اهدافها (الطبقات المختلفة) في هدم السلطان العربي واضعاف الاسلام ، اي يجعله في اطار العنصرية والطائفية ليخفي الظروف والعوامل الاقتصادية فيقول : ان الشعبية ليست حركة فئة او طبقة اجتماعية - ان جاز التحديد ، بل انها تمثل اجتماع الجهد الذي بذلته فئات مختلفة من شعوب متعددة لزعة السلطان العربي . او الاسلام واربائه ولصد تيار الثقافة الاسلامية ولنسف التراث كما حاولت تركيز الوعي السياسي والديني بين صفوفها واحياء تراثها الثقافي (٣٤٥) . وهنا لم يحاول الدوري ان يتطرق الى حقيقة كون واقع كل طبقة وظروفها الموضوعية ومضالها الطبقية حتمت تباين اشكال نضالاتها كخط عام ، ولو ان تحالفا - مؤقتا - كان يحصل بينها لفترات من اجل تشديد النضال للحصول على نصر حاسم بأسرع وقت . ويصر الدوري على ان الشعبية (بأهدافها التي حددها هو لمختلف الطبقات) تتصف بالشمول ، فهي واحدة لدى كل الطبقات فقد كتب : وكل محاولة لاكسابها صفة طبقية او لحصرها في فئة اجتماعية معينة انما يناقض طبيعتها وشمولها (٣٤٦) . ان اعتبار طبيعة الشعبية واحدة في كل العهود - من قبل الدوري - يعود الى شكه في دعوة الشعبية للمساواة فقد كتب : وقد ظهرت الحركة في العصر الاموي في اطار الاسلام وبدأت وكأنها تحمل روحا اسلامية حين دعت الى مساواة الشعوب الاخرى بالعرب في الادارة والمجتمع ثم انكشفت اهدافها الحقيقية في العصر العباسي (٣٤٧) . ويعلل الدوري شكه في طلب الشعبين للمساواة في العصر الاموي ، من استمرار كفاح الشعبين في العصر العباسي (رغم ان العباسيين قد حققوا للشعبين - كما يزعم - المساواة) فنسمعه يقول : وبعد كل هذا يجدر بنا ان نتذكر ان ثورات الموالى والأعاجم وحركاتهم كانت في العصر العباسي أكثر وأخطر منها في العصر الأموي وهي وان كانت تحت ألوية عربية وباسم أحزاب عربية في العصر الأموي فانها كشفت عن حقيقتها في العصر العباسي . وهذه ظاهرة يتعذر تفسيرها اذا أخذنا بالرأي القائل بأن هدف الموالى كان تحقيق المساواة الاجتماعية او الاشتراك في الادارة لان العباسيين حققوا ذلك الى درجة كبيرة وواسعة (٣٤٨) .

(٣٤٤) ن . م . ، ص ٩ .

(٣٤٥) ن . م . ، ص ١٣ ، انظر ايضا مقالة الدوري (الجذور التاريخية للاشتراكية العربية) في مجلة الاداب اللبنانية ، العدد الثالث ، آذار ١٩٦٥ ، ص ٢١ .

(٣٤٦) الجذور التاريخية للشعبوية ، ص ٧٩ ، مجلة الاداب ، العدد الثالث ، آذار ١٩٦٥ ، ص ٢١ .

(٣٤٧) الجذور التاريخية للشعبوية ، ص ٩ .

(٣٤٨) ن . م . ، ص ٢١ .

وفي هذا مغالطة كبيرة لان العباسيين حققوا ذلك (الاشتراك في الادارة) للارستقراطية الايرانية فقط، أما جماهير ايران فلم تنل شيئاً من تغيير السلطة، والدوري يعرف ذلك جيداً ولكنه تناساه متعمداً ليستغفل القارئ البسيط ان انسه هو الذي كتب سابقاً : - ولكن المثل الأعلى للمساواة والعدل ظل وهماً إذ لم يحقق العباسيون وعودهم فاستمر العسف والجور واستمرت الثورات (٣٤٩) ، وهو الذي كتب أيضاً فلم يعمل العباسيون ما يذكر لتخفيف الضغط الاقتصادي والاجتماعي على جماهير الايرانيين فلم يرخص هؤلاء لوضعهم (٣٥٠) ، وهو القائل أيضاً (واعتمد العباسيون على القوة أكثر من الامويين في تنفيذ رغباتهم وسياستهم) (٣٥١) .

اننا لنستغرب كيف نسي الدوري أقواله السابقة هذه ويحلو لنا أن نذكره يقول آخره له : وفي الشرق الأدنى كان في نظام الضرائب من العسف في الجباية والزيادة في الضرائب وسوء المعاملة ما كان دافعا هاما لكثير من الثورات في العصر العباسي الاول (٣٥٢) . ان شك الدوري في طلب الشعوب للمساواة في العصر الاموي جاء من ذكرانه لتعصب الامويين وتشككه من ارهاق الامويين للموالي بالضرائب (اما ما يذكر عن ارهاق الموالي بخرائب جديدة فتبين ان الامويين لم يتجاوزوا الضرائب المعروفة الموروثة كهدايا النوروز والمهرجان والضرائب على الصناعات والحرف وهي ضرائب مألوفة من قبل وليس لدينا ما يشعر بأنهم زادوا في مقدار الضرائب مع ان تحديد الكمية تدبير اداري) (٣٥٣) .

ولا حاجة بنا لان نعيد ما ذكرناه عن الضرائب غير اننا نقول بأن قوله هذا يناقض أقواله في كتابه العصر العباسي الاول الصفحات ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣ . وفي كتابه مقدمة في تاريخ صدر الاسلام الصفحات ٧٧، ٨٤، ٨٥ . وهو نفسه سبق وان كتب : واحتقر الامويون بتأثير العصبية جميع الاقوام غير العربية وعدوهم في منزلة اجتماعية أدنى من العرب وابعدهم لذلك عن السياسة والقيادة وفرضوا عليهم من الضرائب أكثر مما فرضوه على العرب (٣٥٤) .

ان محاولات الدوري الاخيرة (في آخر انتاج له - الجذور التاريخية للشعبوية) البائسة في تشويه نضالات الشعوب ضد التسلط الاموي بتصويره كفاحا عنصريا ضد العرب وطائفا ضد الدين الاسلامي لتناقض جميع أقواله في مؤلفاته السابقة وتنتهز أمام الحقائق الناصعة ، فان الجماهير الايرانية ساهمت - كما شاهدنا (٣٥٥) -

(٣٤٩) العصر العباسي الاول ، ص ٤٤ ، وقد سبق الدوري في هذا القول فان فلوطن ، السيادة

العربية ، ص ١٢٢ ، ولم يشر الدوري الى السيادة العربية .

(٣٥٠) دراسات في العصور العباسية ، ص ١١ .

(٣٥١) العصر العباسي الاول ، ص ٤٤ .

(٣٥٢) دراسات في العصور العباسية ، ص ١٧ .

(٣٥٣) الجذور التاريخية للشعبوية ، ص ١٧ .

(٣٥٤) مقدمة ، ص ٧٧ .

(٣٥٥) مع الخوارج والشيعة ومع ابن الاشعث والحارث بن سريج وغيرهم .

بانتفاضات قادها العرب، ناشدة اصلاح اوضاعها الاقتصادية والاجتماعية السيئة، كما وساهمت هذه الجماهير في نضال فكري واجتماعي أيضا مطالبة بالمساواة بين الشعوب وهو ما يدعى بالشعبوية . وكان من جراء التعصب العنصري (الشوفيني) من قبل الارستقراطية القبلية العربية ، الاموية المستغلة ، واحتقارها الشعوب الاخرى (٢٥٦) وخاصة الشعب الايراني ، أثر في نشوء حركة الشعبوية ، وكانت هذه الحركة النامية بين أفراد الطبقات المضطهدة ذات طابع تقدمي ، لأنها كانت تنشد الدفاع عن كرامة الشعب وازهار مآثره ورفع الاحتقار والانتقاص من شأنه ، وكانت الغالبية العظمى من المدافعين عن حقوق وكرامة الشعب تنشد مختلف السبل لاطهار شعبها بمظهر لا يختلف عن بقية الشعوب ، وكانت هذه الغالبية من الكادحين ، يقول ابن قتيبة : ولم أر في الشعبوية أرسخ عداوة ولا أشد نصبا للعرب من السفلة والحشوة وأوباش النبط وأبناء أكرة القرى (٣٥٧) ، ومن هذا نرى - بالرغم من تحامل ابن قتيبة واحتقاره للمعتمدين (٣٥٨) - ان ابن قتيبة يحصر المدافعين بشدة عن كرامة الشعب بين الطبقة الكادحة ولا عجب في ذلك فان الانتهاكات الفظيعة والاحتقار المزري والتعصب الشديد انما يقع بشدة وبصورة أوسع على الطبقة الكادحة المعذمة الفقيرة من فلاحين وحرفيين وبقية الكسبة من أبناء المدن من باعة وصغار التجار . هؤلاء كانوا في مقدمة من نالهم الخسف والهوان والتعسف والاستغلال . فكانوا الفصائل الاولى التي دافعت عن حقها في الحياة بعزة وكرامة وطالبت بالمساواة بين السلالات والشعوب فكانوا يقولون : انا ذهبنا الى العدل والتسوية وان الناس كلهم من طينة واحدة وسلالة رجل واحد (٣٥٩) . لهذا يمكننا ان نقول ان طابع ما يسمى بالشعبوية في العهد الاموي - تقدمي لأن كادحي ايران كبقية الكادحين كانوا يناضلون ضد الاستغلال الاقطاعي المتمثل بالارستقراطية الاموية وضد الاضطهاد العنصري الذي مارسه الارستقراطية والسلطة الاموية ، ولما كانت نزعة العنصرية الايرانية غير مبنية على التعصب (البرجسوازي) - ان صح التعبير - فهي تحتوي على عناصر ديمقراطية (٣٦٠) ، (في فترة الحكم الاموي)

(٢٥٦) لقد شمل الازدراء كل الامم كالنبط والقيط والزلط والبربر والاسبان فظهر من بينهم مطالبون بالمساواة .

(٣٥٧) رسائل البلغاء (ابن قتيبة ، كتاب العرب) ، ص ٢٧٠ ، وقد رد ابن قتيبة على الشعبيين في طلبهم للمساواة : لو كان الناس كلهم سواء في امور الدنيا ليس لاحد فضل الا بأمر الآخرة لم يكن في الدنيا شريف ولا مشروف ولا فاضل ولا مفضول ، بلوغ العرب ، ج ١ ، ص ١٦٩ . هكذا كانت عقلية ابن قتيبة وردوده على الشعبيين ، ولكنه اخيرا اعترف بحق الشعوب في المساواة حيث كتب في آخر كتابه تفضيل العرب « واعدل القول عندي ان الناس كلهم لاب وام خلقوا من تراب واعيدوا الى التراب وجروا في مجرى البول » ، العقد الفريد ، ج ٢ ، ص ٩٠ ، راجع الألوسي ، بلوغ العرب ، ج ١ ، ص ١٦٩ - ١٧١ ، ضحى الاسلام ، ج ١ ، ص ٦٣ - ٤ .

(٣٥٨) والعكس من قوله هذا كتب « فأما اشراف العجم وذوو الاخطار منهم واهل الديانة فيعرفون ما لهم وما عليهم ويرون الشرف نسبا ثابتا » ، رسائل البلغاء (كتاب العرب ، ص ٢٧٠) .

(٣٥٩) بلوغ العرب ، ج ١ ، ص ١٦٤ .

(٣٦٠) لينين ، ملاحظات انتقادية حول المسألة الوطنية ، المؤلفات ، ج ٢ ، ص ٨ .

لخلوها من التعالي والتعصب الاعمى (٣٦١) •

أما في العصر العباسي فما أن فازت العائلة العباسية بالسلطة ومسكت بيدها زمام الحكم حتى تنكرت لحقوق الشعب ومطالب الجماهير ، لهذا لم يشعر فلاحو ايران بأي تبدل في وضعيتهم ، فقد عاد الاقطاعيون الى سابق نفوذهم وعاد الضيق الاقتصادي وعادت الضرائب ترهقهم ، وكذلك سكنة المدن من حرفيين وباعة وصغار التجار من الايرانيين ، فان علاقاتهم تردت بعد فترة وجيزة وعاد التذمر يسودهم واليأس يشملهم فانضموا الى صفوف المقاومة وكانوا عماد الحركات الخيرية وأنصارها الاشداء بعد ان تخلوا عن العباسيين ، ولا غرابة أن يقوم أشد أنصار العباسيين بالانتفاضات ضد السلطة العباسية ، لأن العباسيين ، بطبيعة كونهم من طبقة اقطاعية متسلطة مستغلة متنفذة ، تنكروا لمصالح الفلاحين والطبقات الكادحة الاخرى واعتمدوا على الارستقراطية الايرانية وبذلك أهملوا القاعدة الشعبية التي استندوا عليها اثناء الدعوة •

وكان من جراء اعتماد العباسيين على الارستقراطية الايرانية فقط ، أن أصبح الكادحون وحدهم في ميادين الكفاح ضد الاستغلال الطبقي العباسي - المحلي ، ولهذا ساهموا في انتفاضات الخيرية ممتشقين السيوف من أجل المساواة والانصاف فقل اعتمادهم على النضال الفكري • وبما ان الارستقراطية الايرانية قد طمئنت عن مصالحها الشخصية وارتبطت بمصالحها بالسلطة لذا تنكبت طريق الكفاح الذي سلكته أيام الامويين وأخلدت للراحة لتجني ثمار تعاونها مع الارستقراطية العربية (العباسيين) واكتفت بالنضال الفكري - الشعبي - حيث تحولت طبيعتها على أيديهم فأصبحت رجعية تمثل ذهنية الارستقراطية الايرانية المتعفنة، تلك الارستقراطية المتلصقة بالبلاط العباسي والتي كوّنت لها كادرا من المثقفين المتهافتين على مبادئها ، ووضع هؤلاء المثقفون، من مؤرخين ونحاة وشعراء ورواة الشعر وكتّاب وعلماء حديث ونقاد أدب ، امكانياتهم تحت تصرف الارستقراطية الايرانية ذات النفوذ والمال والمنافسة للارستقراطية العربية وللسلطة العباسية غير ان لدى الارستقراطية الايرانية كانت توجد حساسية تجاه الاصل (أو العنصر) نتيجة نظرة الازدراء والتحقير التي كانت تلقىها الارستقراطية العربية على كل من هو غير عربي •

لهذا طلب الارستقراطيون الايرانيون أو شجعوا هؤلاء المثقفين والمتأدبين الحط من كرامة العرب القدامى ومكانتهم السابقة والبحث عن المثالب لسدى القبائل العربية في العصر الجاهلي (ما قبل الاسلام) ووضع القصص وتأليف الحكايات واختلاق الشعر للمس بكرامة الشعب العربي (٣٦٢) • وكانت الارستقراطية تحمي المثقفين وتدافع عنهم

(٣٦١) م • ن • م • ص ٨ ، ويذكر احمد امين عن الشعبية « وهي في الحقيقة نوع من الديمقراطية

يحارب ارستقراطية العرب » ، ضحى الاسلام ، ج ١ ، ص ٥٩ •

(٣٦٢) الدوري ، دراسات ، ص ١٢ ، شريف ، محمد بديع ، الصراع ، ص ٤٣ •

وتمدهم بالجاه والمال . فعندما ألف علان بن الحسن التوراق الشعوبي كتابا في مثالب العرب أغدق عليه طاهر بن الحسين بثلاثين ألف درهم (٣٦٣) . وكنتيجة للحماية والاموال الغفيرة التي نالها المثقفون ، أن سعوا الى اظهار الشعب الايراني بأعلى مراتب الشرف والسمو فهم - أي الايرانيون - السباقون لكل خير وقضيلة وان مكانهم في السماك الاعزل ، يقول بشار بن برد :-

اصبحت مولى ذي الجلال وبعضهم
مولاك اكرم من تميم كلها
مولى العريب فخذ بفضلك فأفخر
أهل الفعال ومن قريش المشعر (٣٦٤)

وقال أبو نواس :

عاج الشقي على رسم يسائله
يبكي على ظل الماضي من أسد
ومن تميم ؟ ومن قيس ؟ ولفهما
وعجت أسأل عن خمارة البلد
لا درّ درك قل لي من بنو أسد
ليس الأعاريب عند الله من أحد

ويقول قائلهم :

غنينا بالطبول عن الطلول
واذهلني عقار عن عقار
فلست بتارك ايوان كسرى
وضب في الفلا ساع وذئب
وعن عنس عذافرة ذمول
ففي است أم القضاة مع العدول
لتوضح أو لحومل فالدخول
بها يعوي وليث وسط غيل (٣٦٥)

وكان الشاعر الخريمي يكثر في شعره من الاعتزاز بالنسب الايراني والتحقير من شأن العرب ، فيقول :

اني امرؤ من سراة الصغد البسني
عرق الأعاجم جلدا طيب الخبر (٣٦٦)

وقال شاعرهم :

في بلدة لم تصل عكل بها طنبا
ولا لجرم ولا نهدي بها وطن
أرض تبني بها كسرى مساكنه
ولا خباء ولا عك وهمدان
ولكنها لبني الأحرار أوطان
فما بها من بني اللخاء انسان (٣٦٧)

- (٢٦٣) ابن النديم ، الفهرست ، ص ١٥٩ - ١٦٠ ، الجاحظ ، البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٥ ،
بلوغ الارب ، ج ١ ، ص ١٦٠ ، ضحى الاسلام ، ج ١ ، ص ٦٤ .
(٣٦٤) ضحى الاسلام ، ج ١ ، ص ٢٩ .
(٣٦٥) بلوغ الارب ، ج ١ ، ص ١٦١ ، ضحى الاسلام ، ج ١ ، ص ٦٥ .
(٣٦٦) ضحى الاسلام ، ص ٦٥ .
(٣٦٧) الحضارة الاسلامية ، لفون كريم ، الملحق رقم ٣ لخدايش ، ص ١٤٠ ، بلوغ الارب ،
ج ١ ، ص ١٧٠ .

فترى انّ جل هؤلاء الحاقدين من المثقفين سمعوا الى تحقير شأن العرب ورفع مكانة الايرانيين . ويذكر كولد تسهير (ان العالم المشهور سهل بن هارون كتب عددا كبيرا من الكتب اظهر فيها تعصبه ضد العرب وفخره بالعجم وكان من متطرفي قومه) (٣٦٨) .

ان أشهر الشعوبيين وأبرزهم هم :

١ - أبو عبيدة معمر بن المثنى (٣٦٩) مولى تيم قريش أصله من يهود ايران وقد أسلم جده ، اشتهر في رواية التاريخ ووضع الاخبار والنحو وكتبه التي تعرض بها للعرب : كتاب لصوص العرب ، أدعياء العرب ، وله كتاب فضائل الفرس .

٢ - عتّان بن الحسن الشعوبي (٣٧٠) ، الثّوراق ، كان راوية عارفا بالانساب والمثالب وكان ينسخ للرشد وللبرامكة ، وللمأمون في دار الحكمة ، عمل كتاب الميدان في المثالب .

٣ - أبو القاسم حماد بن سابور بن المبارك بن عبيد ، المعروف بحماد الراوية (٣٧١) كان مشهورا في رواية الشعر وانتحاله .

٤ - أبو محرز ، خلف بن حيان ، المشهور بخلف الأحمر (٣٧٢) اشتهر برواية الشعر وكان يعمل الشعر على لسان العرب وينحله اياهم .

٥ - ابان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاشي (٣٧٣) واشتهر بالترجمة عن الفارسية وكان شاعرا ينقل الكتب المنثورة الى الشعر المزدوج وأشهر تلك الكتب ، كليلة ودمنة ، سيرة أردشير ، سيرة أنوشروان ، كتاب حلم الهند ، كتاب الزهر ، السندباد مزدك ، الخ .

٦ - سعيد بن حميد بن البختكان (٣٧٤) ، ويكنى أبا عثمان ، وكان شديد العصبية على العرب وأشهر كتبه كتاب انتصاف العجم من العرب وكتاب فضل العجم على العرب واقتزارها .

(٣٦٨) الدراسات المحمدية ، ص ١٦١ .

(٣٦٩) الفهرست ، ص ٨٥ - ٦ ، البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ٥ (الهامش) ، بلوغ الارب ، ج ١ ،

ص ١٦٠ ، شريف ، الصراع ، ص ٤١ .

(٣٧٠) الفهرست ، ص ١٥٩ - ١٦٠ ، ضحى الاسلام ، ج ١ ، ص ٦٤ .

(٣٧١) الفهرست ، ص ١٤٠ .

(٣٧٢) ن . م . ، ص ٨٠ .

(٣٧٣) ن . م . ، ص ١٧٨ ، ص ٢٣٨ .

(٣٧٤) ن . م . ، ص ١٨٥ .

٧ - الفضل بن عبد الصمد الرقاشي (٣٧٥) شاعر البرامكة وكان يزود عنهم .

٨ - سهل بن هارون بن رامزوي الدستميساني (٣٧٦) ، شديد التعصب على العرب وكان يعمل في دار الحكمة للمأمون وكان شاعرا وحكيما ، ورد له شعر في ضحى الاسلام (عن صاحب « زهر الآداب ») يقارن بين بيتيه في ميسان وبيت آخر عربي فيقول :

أجعلت بيتا فوق رابية مرع النجوم كأنه نجم
كبيت شعر وسط مجهلة بفناءه الجعلان والبهم (٣٧٧)

(هامش العقد ، ج٢ ص ١٩٠)

٩ - ابو عبد الرحمن الهيثم بن عدي الثعلبي كان دعيا ، فهتك اعراض العرب (٣٧٨) ذكر عنه ابن النديم انه كان (عالما بالشعر وال اخبار والمثالب والمناقب والمآثر والانساب وتوفي بقم الصلح (٣٧٩) عند الحسن بن سهل (٣٨٠) ، واشهر كتبه : المثالب الصغير والمثالب الكبير وكتاب مثالب ربيعة وأسماء بغايا قريش في الجاهلية وأسماء من ولدن ومن تزوجن من الموالي .

٦ - مدى تطبيق العباسيين للشعارات التي رفعوها ابان الدعوة حول اعادة الحقوق الاجتماعية للموالي ورفع الحيف عنهم وانقاذهم من الضائقة الاقتصادية

ناضلت الشعوب المضطهدة في العصر الاموي - كما لاحظنا سابقا - من اجل حريتها وتخلصها من الاستغلال ، فانضمت الى مختلف الفئات المستاءة من الحكم الاموي ، والثائرة على الخلافة الاموية ، ثم التجأت الى الدعوة العباسية لما فيها من وعود لتحسين احوال الشعوب المضطهدة فقد بشر العباسيون (عائلة اقطاعية موسرة)

(٣٧٥) ن ٠ م ، ص ٢٣٨ ، شريف ، الصراع ، ص ٤١ .

(٣٧٦) الفهرست ، ص ١٨٠ ، ١٨٨ ، ٢٣٨ .

(٣٧٧) ضحى الاسلام ، ج ١ ، ص ٦٩ .

(٣٧٨) البيان والتبيين ، شرحه ، ج ٣ ، ص ٥ ، بلوغ الارب ، ج ١ ، ص ١٦٠ ، ضحى الاسلام ، ج ١ ، ص ٧٠ .

(٣٧٩) الصلح نهر كان يتفرع من دجلة - جنوب مدينة الكوت الحالية في الجمهورية العراقية - وفم الصلح مدينة كانت على نهر الصلح قرب تفرعه من دجلة .

(٣٨٠) الفهرست ، ص ١٥١ - ٢ .

- بتخفيف الوطء عن كاهل الشعوب المغلوبة اذا نجحوا في دعوتهم ، وكان ذلك تضليلا منهم في سبيل لف أوسع الجماهير حول رايهم ، فقد نادى دعاة العباسيين في ايران ، (كانوا ١٢ نقيبا و ٧٠ داعية) (٣٨١) بأن الدعوة هي لنصرة المظلومين وتحقيق العدالة والقضاء على الظلم الاموي . وقد نجح الدعوة في تهيئة ظرف جيد لأبي مسلم ليعمل في تثبيت الدعوة مستغلا - كسابقيه الدعوة - الاستياء العام من الاستغلال المرهق ، فكثر اتباعه وكانت غالبيتهم من الفلاحين الايرانيين (٣٨٢) وخاصة من خراسان حيث كان الاستياء على اشده ولا سيما في واحة مرو ، التي كانت نقطة الانطلاق ومنها زحفت نحو أبي مسلم جموع الفلاحين (٣٨٣) وكذلك الحرفيون والبيعة والتجار وحتى الملاك المحليون - الدهاقين - والذين دخلوا الاسلام بتأثير أبي مسلم (٣٨٤) ، انضموا الى الحركة . وبهذا نجح ابو مسلم في الدعوة حيث وحد تحت راية العباسيين السوداء بين مختلف القوميات والطبقات الاجتماعية المستاءة (٣٨٥) .

وبعد اندحار الامويين ومجيء العباسيين للسلطة تلاشت تلك الوعود والشعارات الداعية لتحسين الاوضاع لان تطبيقها يتعارض ومصالح الارستقراطية المستغلة والتي هي على رأس الحكم ، فأصبحت الجماهير بخيبة امل وانهارت آمالها التي بنتها على العباسيين عند تعاونها معهم وشعروا بالخديعة الكبرى حيث لم يكن من ذلك التعاون سوى الارستقراطيين الايرانيين (٣٨٦) الذين نالوا الحظوة لدى العباسيين وكان من جراء تقريب الارستقراطيين الايرانيين ابقاء الوضع الطبقي في ايران على ما كان عليه (٣٨٧) فلم يشعر المستغلون بأي فرق في تبديل السلطة بل ان الاستغلال الاقطاعي ازداد نتيجة تطور الاقطاع وازدياد تعاون الارستقراطية مع السلطة ، ولهذا اصبحت الجماهير بخيبة امل لعدم تحقيق ما كانت تصبو اليه اذ انها كافحت من اجل المساواة والعدالة (٣٨٨) ، فانفرط عقد التحالف الذي انعقد في العهد الاموي بين العباسيين والموالي المستائين ، فلقد كان مكتوبا لهذا التحالف الفشل لانه تحالف بين نقيضين جمعتهم مصلحة آنية (التخلص من الحكم الاموي) اما الاهداف البعيدة للاطراف المتعاقدة فمختلفة ، فلدى الامم المغلوبة اهداف التخلص من الحكم والسيطرة والاستغلال الاقطاعي - لدى الطبقات المدممة - اما الارستقراطية المحلية فكان هدفها التخلص من السيطرة لتنفرد في استغلال ابناء شعوبها ولهذا استمروا في تعاونهم مع العباسيين الذين فتحو لهم مجال الاستغلال ، واما العباسيون فكان هدفهم اسقاط السلطة الاموية لتؤول اليهم مقاليد الحكم حتى يوسعوا استغلالهم الطبقي . وكان اعتماد العباسيين

(٣٨٢) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ١ ، ص ٢٠٢ ، الطيب النجار ، الموالي في العصر الاموي ، ص ١١٥ ، الدوري ، مقدمة لكتاب اصول الاسماعيلية للويس ، ص ٥ .

(٣٨٣) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٣٠٧ .

(٣٨٤) بارتولد ، الحضارة الاسلامية ، ص ٥٩ ، والترجمة ، ص ٦٥ .

(٣٨٥) تاريخ العالم ، ج ٣ ، ص ١١٤ .

(٣٨٦) مصطفى ، شاکر ، في التاريخ العباسي ، ج ١ ، ص ٢٥٣ .

(٣٨٧) الدوري ، دراسات ، ص ١١ .

(٣٨٨) طه حسين ، مرآة الاسلام ، ص ٣٩٤ .

على الارستقراطية المحلية من اجل تضليل الشعب على اساس تمثيلهم في السلطة ولكن ذلك لم يكن خافيا على ابناء الشعب لذا فان تقريب الارستقراطية المحلية لم يعد على العباسيين بالفوائد المرجوة بل ادى الى توسيع شقة الخلاف بين الجماهير والارستقراطية المحلية . لقد كان اعتماد العباسيين على الارستقراطية المحلية يشوبه الحذر التام وكثيرا ما كان ينتهي بمصادرة الاموال والتنكيل الفظيع . لقد توسع التعاون بين العباسيين والارستقراطية الايرانية ، بتحوط ملحوظ ، بعد الانتصار حيث استعين ببيوتات عريقة النسب (٣٨٩) وأسندت اليها مناصب هامة في الدولة وفي مقدمتها منصب الوزير (٣٩٠) ولكن سياسة البطش والاطماع الشخصية والريبة وحسد الارستقراطية العربية دفعت الخلفاء الى الفتك بأعوانهم ومصادرة أموالهم ، وحتى أبو مسلم لم يسلم من بطش الخليفة الثاني - المنصور - بالرغم من جهوده العظيمة في قيادة الثورة وتثبيت السلطة - عندما لاحظ الخليفة امكانية قيادة أبي مسلم لثورة جماهيرية، والتي يمكن ان تلهب بين الناس بلحظة ، فأمر بقتله (٣٩١) . ويعزو بارتولسد نكبة البرامكة الى رد الفعل الديني (٣٩٢) ، ولكننا نعتقد ان خشية تعاضم نفوذ آل برمك والتنافس بين الارستقراطيتين العربية والايرانية ورغبة الرشيد في مصادرة أموال آل برمك هما الدافعان لتلك النكبة . ويعلل شلبي ، سياسة البطش والفتك التي اتبعها العباسيون ، بأنهم وجدوا الدولة مهددة بالخطر ولهذا « ينبغي للمحافظة عليها ان يقتلوا (كذا !) كل من حامت حوله شبهة المروق او التمرد » (٣٩٣) . ولا يحاول شلبي ان يرجع ذلك الى الماطامع المادية الشخصية لدى الخلفاء في مصادرة الاملاك ومن اجل ارباب الارستقراطية وبهذا اصبحت الخلافة (كما يقول حمزه) ملكا يستهان فيه بكن القيم (٣٩٤) . ان سياسة البطش والتنكيل كانت من اجل تركيز الاستغلال الاقطاعي ، من اجل زيادة الضرائب (٣٩٥) ومن اجل مقاسمة الولاة والعمال اموالهم التي يجنونها

(٣٨٩) شريف ، محمد بديع ، الصراع ، ص ٥١ .

(٣٩٠) بروكلمان ، ويذكر « والواقع ان منصب الوزارة كان منذ عهد غير قصير وقفا على آل

برمك المنحدرين من اسرة كهنوت متقدمة في نوبهار ، احسدى الصوامع البوذية في

بلخ » ، تاريخ الشعوب ، ج ٢ ، ص ١٨ ، لاحظ كريم ، الحضارة الاسلامية (مترجم)،

هامش رقم ١ ، ص ١٠٧ .

(٣٩١) يخطئ سمينوف حيث يقول « لقد قبض على ابي مسلم واودع السجن حيث قتل بعد

عدة سنوات » ، تاريخ القرون الوسطى ، ص ١٣٠ ، فلم يذكر اي مؤرخ عن سجن ابي

مسلم وانما قتل بحضرة المنصور بعد ان نزع منه سلاحه .

(٣٩٢) الحضارة الاسلامية ، ص ٥٩ ، والترجمة ، ص ٦٥ - ٦٦ .

(٣٩٣) شلبي ، احمد ، في قصور الخلفاء العباسيين ، ص ١٩ .

(٣٩٤) حمزة ، عبد اللطيف ، ابن المقفع ، ص ٢٣٣ .

(٣٩٥) يذكر لي ، هرمان « كانت مبالغ الضرائب في عهد هارون الرشيد (٧٨٦ - ٨٠٩) في

بغداد مرات اكثر من واردات الدولة البيزنطية الغنية بنفس الزمن ، مختصر تاريخ

القرون الوسطى المادي ، ص ٤٨ .

من ولاياتهم . والمتتبع لتاريخ الخلافة العباسية يجده مليئاً بحوادث مصادرة اموال الناس ، ولم يخجل الخلفاء أنفسهم من تلك لاعمال اللصوصية (٣٩٧) ، ولا عجب ان تجد خزائن الخلفاء مليئة بالملايين ، فان فرغت بسبب المصاريف الباهظة فسرعان ما تملأ (٣٩٨) بالنهب والسلب وفرض الضرائب الجديدة (٣٩٩) . فيذكر اليعقوبي « وأخذ أبو جعفر اموال الناس حتى ما ترك عند احد فضلاً وكان مبلغ ما اخذ لهم ثمانمائة الف الف درهم » (٤٠٠) (٨٠٠ مليون درهم) . لقد عاش الخلفاء والاستقرارية عيشة بذخ وترف واستهتار بالاموال . فموائد الرشيد كانت تكلف يومياً مبالغ باهظة ، وعند زواجه من ابنة عمه زبيدة بنت جعفر صرف على الوليمة مبالغ جـد طائلة (٤٠١) . وهناك صورة حية لدى الطبري عن بذخ واستهتار الخلفاء والاستقرارية بأموال الشعب فقد ذكر في حوادث سنة ٢١٠هـ (وفي هذه السنة بنى المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل) (٤٠٢) ثم يصف الليلة الثالثة (٠٠٠ فلما جلس المأمون معها نثرت عليها جدتها ألف درة كانت في صينية ذهب . وأوقد في تلك الليلة شمعة عنبر فيها اربعون منا في تور ذهب ٠٠٠) (٤٠٣) ثم يصف البذخ (٠٠٠ وان الحسن خلع على القواد على مراتبهم وحملهم ووصلهم وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين الف الف درهم (٥٠ مليون درهم) ، قال وامر المأمون غسان بن عباد عند منصرفه ان يدفع للحسن عشرة آلاف الف درهم من مال فارس وأقطع الصلح (فم الصلح) ٠٠٠ فلما انصرف المأمون شيعه الحسن ثم رجع الى فم الصلح فذكر عن احمد بن الحسن بن سهل قال : كان اهلنا يتحدثون ان الحسن بن سهل كتب رقاعاً فيها اسماء ضياع ونثرها على القواد

(٣٩٦) يقول كرد علي « واصبح العمال في الدولة العباسية صورة عجيبة من استنزاف الاموال وهم موقنون بأن مصيرهم بما جمعوه الى المصادرة والقتل » ، الاسلام والحضارة ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ .

(٣٩٧) الجهشيارى ، ص ٧٩ ، اليعقوبي ، (النجف ١٣٥٨هـ) . ج ٣ ، ص ١٢١ .
(٣٩٨) يقول بروكلمان « ٠٠٠ كانت امثال هذه الابتزازات (يقصد مصادرة المنصور ٣ ملايين درهم من خالد البرمكي) التي خضع لولاياتها العمال والموظفون الذين اثروا من طريق الوظيفة تؤلف وسيلة مطردة لملاء خزانة الدولة بعد فراغها » ، تاريخ الشعوب ، ج ٢ ، ص ١٩ .

(٣٩٩) كضريبة الاسواق مثلاً .
(٤٠٠) تاريخ اليعقوبي ، (النجف ١٣٥٨هـ) ، ج ٣ ، ص ١٢١ .
(٤٠١) حسن ، حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام ، ج ٢ ، ص ٤١٠ .
(٤٠٢) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠٨١ ، راجع السعودي ، ويذكر اسمها خديجة ، مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٠ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٢٧٩ ، وفيات الاعيان لابن خلكان ، ج ١ ، ص ١٦٦ ، امير علي ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٧٠ ، ميور ، الخلافة ، ص ٥٠٣ - ٤ .

(٤٠٣) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠٨٢ ، ويصف هذا الترف والاسراف كي ليسترانج ، بغداد ، ص ٢١٠ ، وقد نقل ميور ما وصفه المؤرخون العرب ، ص ٥٠٣ - ٤ .

وعلى بني هاشم فمن وقعت في يده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث فتسلمها (٤٠٤) . فكان لا بد لمثل هذه المصاريف الباهظة من موارد عظيمة ، لذا كسان الشعب مرهقا بالضرائب وكان عمال الخليفة يمتازون بالقساوة والغلظة والنهب وكانوا ينالون رضى الخلفاء ما داموا يجبون لهم وفوق ذلك يهدونهم فيذكر الجهشيارى عن والي خراسان علي بن عيسى بن ماهان (جمع أموالا جلية فحمل الى الرشيد الف بدرة معمولة من الوان الحرير وفيها عشرة آلاف الف درهم (عشرة ملايين درهم) ولما وصلت اليه سر بها) (٤٠٥) . وهذه الرشوة جعلت الخليفة يغض الطرف عن قساوة ونهب والي فلم يصغ لشكاوى السكان فما كان من الجماهير الساخطة الا ان تلقن الخليفة درسا جيدا اذ هجمت على قصر والي علي بخراسان ونهبت امواله . ولم تكن هذه الا واحدة من انتفاضات عبرت جماهير الشعوب فيها عن سخطها واستيائها من الظلم والارهاق وتذكر العباسيين لشعاراتهم التي رفعوها اثناء الدعوة ، وعلى سبيل المثال تشير الى ما ذكره اليعقوبي عن ارمينيا (وكانت ارمينيا قد انتفضت بعد وفاة المهدي فلم تزل منتفضة ايام موسى (الهادي) فلما ولي الرشيد خزيمه بن خازم التيمي ارمينيا قام بها سنة وشهرين وضبطها وصلحت البلاد) (٤٠٦) ويشير تاريخ العالم الى هذه الحوادث (ففي ارمينيا التهب انتفاضة قوية في ٧٧٤ - ٧٧٥م وقد اقسم - كما يقول مؤرخ - عدة آلاف من بسطاء الشعب المساهمين فيها « اقسم بعضهم لبعض بوعد مهيب - العيش والموت سوياً ») (٤٠٧) ، ولاخامد امثال هذه الانتفاضات تطلب استخدام قوى عسكرية معتبرة (٤٠٨) ، وفي نيسان ٧٧٥ تيسر لجيش الخليفة ان يجلب الهزيمة للثوار في اعالي الفرات .

لقد ارغمت هذه الحركة العظيمة مع ثورة الفلاحين الخرمية من جماعة المقنع في اواسط آسيا ، الخليفة المهدي ان يقلص - لمدة من الزمن - مقادير الخراج وان يلغي الرسوم الداخلية . وذكر اليعقوبي (فلما صار الفضل « بن يحيى بن خالد البرمكي » الى العراق وجه أبا الصباح على خراج ارمينيا وسعيد بن محمد الحراني اللهي على

(٤٠٤) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠٨٣ ، انظر مروج الذهب ، ج ٣ ، ص ٣٠ ، ويذكر « فامر المأمون بحمل خراج فارس وكور الاهواز اليه سنة » ، راجع دائرة المعارف الاسلامية (باللغة الانكليزية) حيث يذكر الدوري : وهب الحسن بن سهل القصر الجعفري الى ابنه بوران وكان المأمون قد اهداه اليه ، م ١ ، ص ٨٩٧ ، انظر حتي حيث يناقض جميع المصادر التي نقل عنها فهو يذكر بأن الذي نشر الرقاع الخليفة المأمون بينما العكس قد ذكرت المصادر ، ان تذكر ان الذي وزع الرقاع هو الوزير الحسن بن سهل ، تاريخ العرب (مطول) ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ٣٧٥ .

(٤٠٥) كتاب الوزراء والكتاب ، ص ١٨٠ - ١ .

(٤٠٦) تاريخ اليعقوبي ، ج ٢ ، ص ١٥٦ .

(٤٠٧) ج ٣ ، ص ١٣٨ ، انظر تاريخ الاتحاد السوفيتي ، ج ١ ، ص ٤٨ .

(٤٠٨) تاريخ الاتحاد السوفيتي ، ج ١ ، ص ٤٨ .

حربها فوثب أهل بردعة على أبي الصباح فقتلوه وانتفضت أرمينيا (٤٠٩) • لقد توالى الانتفاضات الواحدة تلو الأخرى نتيجة الأرهاق وتعاضم استغلال الولاة والعمال ، ففي سنة ٧٩٥م مثلاً ، حصلت هناك حركة شعبية جديدة أحبطت بمنتهى القساوة (٤١٠) • ولقد ساهم ارسنقراطيو أرمينيا وآران بقسط في حركات تحرر الشعوب ليس فقط من أجل التحرر من سيطرة الخلافة ولكن أيضاً لأجل أهدافهم الطبقية في سبيل توسيع مناطق نفوذهم وإراضيتها (٤١١) •

وأما في إيران فقد شملها الاستياء وعمها الجزع من تخلف العباسيين عن تحقيق وعودهم ولهذا فقد التهب فيها انتفاضات واسعة (انتفاضات الخرمية وغيرها) ضد السلطة العباسية – سنتناولها بالتفصيل في الفصل التالي – وقد توضحت صفاتها الطبقية عند كفاحها ضد الاستغلال الإقطاعي لأن جمهور المساهمين في تلك الانتفاضات كان جلهم من الفلاحين •

(٤٠٩) تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ١٥٧ ، ويشير تاريخ العالم إلى الحادثة نفسها « وفي آران خاصة كانت انتفاضة سكان المدينة الكبيرة بردعة (بارتوف) حيث قتلوا جامع الضرائب المحلي سنة ٧٨١ » ، ج ٣ ، ص ١٢٨ •
(٤١٠) تاريخ العالم ، ج ٣ ، ص ١٢٨ •
(٤١١) ن • م • ، ج ٣ ، ص ١٢٨ ، تاريخ الاتحاد السوفيتي ، ج ١ ، ص ٤٨ •

الفصل الثالث

المبادئ الأيديولوجية والحركة الباطنية

١ - المبادئ الايديولوجية للبابكية

١ - الآراء والمفاهيم السائدة قبل الانتفاضة حول المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية :

لم تستطع الانتفاضة البابكية التي عمت آذربيجان والجزء الشمالي الغربي من ايران والجزء الشرقي من ارمينيا ، والتي قامت بها شعوب هذه البلدان ضد الخلافة العباسية طيلة عشرين عاما ، لم تستطع ، شأنها شأن باقي انتفاضات الخرمية وكل انتفاضات مجتمع الرق والاقطاع ، ان تضع حدا للاستغلال وذلك لعدم نضوج الشروط الضرورية لمثل هذا الامر ، فمستوى الانتاج لم يكن يسمح بعد بالانتقال الى نظام خال من الاستغلال والاضطهاد ، ومع ذلك لم تكن هذه الانتفاضة حادثا فجائيا - كما أشرنا الى ذلك سابقا - أو تمردا مسلحا وليد الصدفة وانما كان لهذه الانتفاضة الطويلة العميقة الانتشار ، اسبابها البعيدة وظروفها الموضوعية التي حتمت قيامها وسهلت انتشارها بين اوسع جماهير تلك البلدان .

وما كان للانتفاضة ان تنهض ما لم يتيسر وجود تربة صالحة مهينة حيث لا يمكن ان تخلق الانتفاضات بمشيئة هذا او رغبة ذاك ، وانما تندلع عندما تكون الظروف قد تهيأت لقيامها وتكون الاسباب المحتملة لوجودها قد برزت حسب القوانين الموضوعية للحركات الاجتماعية . ولا شك ان قادة الانتفاضات الجماهيرية ، المنبثقين من بين صفوف الجماهير الثائرة ، والذين يتحتم وجودهم بناء على احتياج الحركة الى من يسير دفتها ويقود زمامها ، تتوفر لهم امكانية اوسع للنجاح في فهم حاجات وظروف مجتمعهم عندما يحاولون الاستفادة من الآراء والمفاهيم السائدة في محيطهم او السابقة

- ان وجدت - حول مختلف المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ليسترشدوا بها في توجيه النضال الجماهيري ومن اجل تحقيق ما تصبو اليه تلك الجماهير الساخطة ، وذلك على قدر استطاعتهم في تفهم المشاكل المطروحة ومعرفة الحلول المناسبة مستنيرين بارشادات تلك المفاهيم والآراء .^٥ وغير خاف ان الحركات الاجتماعية التي تسعى لتحقيق مطالب اجتماعية بحاجة الى آراء وحلول مناسبة لمشاكل المساهمين في تلك الحركات والقائد البارع هو الذي يستطيع ان يطور الآراء والمفاهيم حسب ظروف وحاجات جماهير الشعب الثائر . وهكذا الحال كان بالنسبة للانتفاضة البابكية - وهي حركة اجتماعية - حيث كانت بأمس الحاجة للحلول الآنية لمشاكل منتسبيها ، وكانت تسود تلك الاصقاع ، التي التهبت فيها الانتفاضة البابكية ، آراء ومفاهيم حول مختلف المشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ولكنها بسيطة حسب مدارك اهل تلك العهود .

لقد توارثت الاجيال - جيلا عن جيل ، في مختلف المناطق ، المفاهيم المناهضة للتسلط الغاشم وللجور الاقطاعي البغيض وتناقلت اخبار وصور البطولات الرائعة للجماهير الثائرة وللقادة الشعبيين الذين قاوموا الاستغلال الوحشي في مختلف العهود وقد تكدست - نتيجة ثورات الاجيال - الآراء العديدة حول المشاكل الآنية - وأهمها بطبيعة الحال مشكلة الاراضي .^٦

كانت الجماهير المضطهدة بقساوة ووحشية تشعر بوزر وفداحة الجور الاقطاعي وما يسببه من عوز وحرمان ، وكان الحل الوحيد - حسب رأي الخرميين - هو توزيع الاراضي على الفلاحين واحلال الزراعة المشاعية والغاء التملك الفردي الواسع الاقطاعي ، وكان العامل المساعد على اشعار الجماهير المستغلة بالظلم هو انتشار الحلول والآراء والعقائد المناهضة للجور الاقطاعي والتعسف الحكومي - وفد توارثوها عن اسلافهم ولم تكن جديدة عليهم .

ولكي تقاوم السلطة - وهي وسيلة القمع بيد السادة الاقطاعيين والحارس الامين على مصالحهم والمثلة الحقيقية للطبقة السائدة في المجتمع - انتشار تلك الآراء والمفاهيم المناهضة للاستغلال الفظيع وللحكم الجائر ، اعتبرت كل تلك الآراء وانفايم مناهضة للدين الاسلامي ووصمتها بالهرطقة والاحاد والزندقة (١) ، ودعت الى

(١) الزندقة حركة ذوي الآراء الحرة من الملحدين لمناهضة الاديان والسلطة بصورة سلبية فردية . ويعرف الاشخاص بالزنداقة (جمع زنديق - نسبة الى كتاب الزند ، وهو تفسير كتاب الافستا المجوسي) ولا يخفى ان الكثيرين من ذوي الآراء الحرة والافكار الجريئة اتهموا جزافا بالزندقة ، راجع الملحق رقم ٢ .

محاربتها والقضاء عليها وعلى معتنقيها ونصبت السلطة (الخلافة العباسية) من نفسها حكومة مباحث (تحقيق) كما يقول لي ، هريمان (وكانت موجهة قبل كل شيء ضد (الهرطقة) والمفكرين الاحرار الذين منهم في البدء تألفت جماهير انصارهم) (٢) . ولا شك ان هذه الاراء والمفاهيم حول المشاكل العامة التي كانت موجودة في العصر الاموي كانت تلاقي التشجيع والتأييد من العباسيين ودعاتهم كما اشار الى ذلك « ولهاوزن » : « فقد حاولوا ان يحولوا تيارات المقاومة الشعبية جميعها الى رحاهم ولتكن صبغتها ما شاءت » (٣) ، ولكن بعد وصول العباسيين للحكم تنكروا لمطالب الجماهير لان تحقيقها يتعارض ومصالح العباسيين الطبقية ، فاستنكروا الاراء والمفاهيم السائدة لدى الجماهير وكافحوها ولم يكن ذلك دفاعا عن الدين وانما كان دفاعا عن المصالح الذاتية للسادة الاقطاعيين ، ولاضفاء صفة الشرعية على اعمال القمع الوحشية ضد الاراء المناهضة للاقطاع (٤) وللسلطة الممثلة له ، اما اذا وجدت آراء الحادية لا يشم منها رائحة الخطر على المصالح الذاتية فلا مانع من وجودها (٥) .

لقد ناضلت الجماهير الشعبية المستغلة ضد مختلف اشكال القيود الاقطاعية – ضد التبعية ، ضد الضرائب والتعسف في جبايتها وضد الاكراه على العمل وضد التعصب « العنصري » والتحقير والازدراء .

وكانت الزندقة المعارضة السلبية الفردية ، اما الخرمية ، وليدة المزدكية ، فكانت

(٢) لي ، هريمان ، مختصر تاريخ القرون الوسطى المادية ، ص ٥٢ ، انظر الطبري عن حوادث سنة ١٦٧ هـ « وفيها جد المهدي في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الافاق وقتلهم وولى امرهم عمر الكلوازي فأخذ يزيد بن الغيظي كاتب المنصور فأقر فيما ذكر » ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٥١٩ – ٢٠ ، وفي الجهشيارى عمر الكلواذاني ، ص ١١٥ – ٦ ، انظر اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٣ ، ص ١٣٣ ، وابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، عن حوادث سنة ١٦٧ هـ .

(٣) الدولة العربية وسقوطها ، ص ٤٠٨ .

(٤) يذكر أنكلز ، فردريك في كتابه الحرب الفلاحية في المانية : لقد استمرت المعارضة الثورية للاقطاع طيلة القرون الوسطى ، فقد اتخذت تبعا للظروف الزمنية ، اشكالا مختلفة فمرة كانت تتخذ مظهرا دينيا وأخرى شكل هرطقة مكشوفة وتارة تقوم بشكل انتفاضة مسلحة ، ص ٣٤ .

(٥) ذكر الطبري : قال علي عن أبي بكر الهذلي قال اني لواقف بباب امير المؤمنين اذ طلع فقال رجل الى جاني هذا رب العزة هذا الذي يطعمنا ويسقينا فلما رجع امير المؤمنين ودخل عليه الناس دخلت وخلا وجهه فقلت له سمعت اليوم عجا وحدثته فنكت في الارض وقال يا هذلي يدخلهم الله النار في طاعتنا ويعتلمهم أحب الي من ان يدخلهم الجنة بمعصيتنا) ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ١ ص ١٣٢ .

منهاجا تتوضح فيه شعارات الجماهير الغاضبة الحاقدة على الجور الاقطاعي والتسلط الحكومي ، فكان اتباعها - الخرمية - هم المطالبون بالعدالة والمساواة في الحقوق العامة وبتوزيع المقتنيات العامة بالتساوي وتعميم الفائدة المشتركة في المجال الزراعي وفسح المجال للمرأة ان تنال مركزها .

واننا لكي ندرك بعمق تلك الآراء والمفاهيم السائدة في المجتمع الايراني والاذربيجاني والارمني (قسما منه) علينا ان نعود القهقري للاطلاع على الديانة الايرانية وعلى الفرق المناهضة لها والحركات الشعبية التي ظهرت في اطار ديني فان الافكار والمفاهيم السائدة قبيل الانتفاضة الباكية هي تركة تلك العهود حيث حافظت عليها وعلى التقاليد الثورية جماهير الشعب المضطهدة .

ب - الديانة الايرانية والفرق المناهضة لها وما نشأ عنهما من آراء في المشاكل والقضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية .

١ - الديانة الايرانية :

لعبت الديانة الايرانية دورها الواضح في تاريخ ايران منذ الازمنة القديمة حتى الفتح العربي . وقد جرت على الديانة الايرانية تغييرات وطرأت عليها تبديلات ، في ظروفها الزمنية ، ولتخدم مصالح الطبقة السائدة عند ظهور الطبقات في المجتمع الايراني ، كما وقد ناهضتها فرق وحركات شعبية كان اطارها دينيا ومحتواها اجتماعيا .

الديانة القديمة : - ففي العصور الاولى ، حيث لم تعهد البلاد حالة الاستقرار بعد ، وكانت غالبية السكان رحالة ، نشأت الديانة المعتمدة على عبادة القوى الطبيعية والعناصر والأجرام السماوية (٦) فكانت هنالك آلهة كثيرة (أهـورات عديدة - أهـور يعني اله) ولم يكن للدين صفة طبقية (لم يخدم طبقة معينة) لانعدام الطبقات في فترة المشاعية (الشيوعية البدائية) . ولم يكن لأهـور أمزدا (اله الخير ، اله النور) ولا لأهـور أمـن (اله الشر ، اله الظلمة) من أهمية تذكر بين العديد من الآلهة التي عبدها الايرانيون .

ولكن بانتقال المجتمع من حالة التنقل والترحل الى الاستقرار ومزاولة بعض المهن

(٦) كريستنسن - ايران - ص ١٩ ، تراث فارس ، ص ٣٦ .

البسيطة برزت مكانة الآله أمزدا (٧) ، وقد أطلق على الديانة القديمة المزدية أو المجوسية (٨) .

وكننتيجة لتطور وسائل الانتاج (البسيطة) واستخدام جماهير بشرية واسعة في اعمال الزراعة والري - الاسرى والعبيد - تطلّب احكام قيود التبعية ، فكان ان استخدم الدين الايراني كوسيلة لتضليل الجماهير المستغلة ولدفعها للعمل بأقصى الجهود في ظل عبودية مستديمة من أجل السادة الملاك بعد تبدل أسلوب الانتاج وظهور علاقات انتاج جديدة (من المشاعية الى العبودية) .

الزرادشتية : - وهكذا جاء زرادشت ليطور الديانة المزدية (٩) ، التي أصبحت ذات نفع للسادة المستغلين ، فجاء بتعاليمه التي أصبحت تدعو الى حب العمل والتقاني والاخلاص والجد في الاعمال ، وتحبب الاعمال الزراعية وتضفي القدسية عليها ، وكل ذلك ، لم يكن طبعاً لخدمة الجماهير المستغلة ، وانما لخدمة الطبقة السائدة المستغلة . فعلى أبناء الشعب المساكين ، وحسب تعاليم زرادشت ، ان يتفانوا في خدمة السادة المالكين ويرضوا بهذا الازلال الابدي لخدمة للدين والاخلاق ولكسب رضا - أهورامزدا - والوقوف بصفه .

فلا عجب أن نرى بأن الديانة الزرادشتية تصبح (فيما بعد) دين الدولة

(٧) كريستنسن ، ايران ، ص ١٩ .

(٨) ن.م. ص ١٩ ويقول بأن المزدية أقدم من الزرادشتية ، أنظر ماجد ، عبد المنعم ، ويقول عن المجوسية (هي كلمة فارسية انتقلت الى العربية لتدل على دين الفرس والمؤمن بهذه الديانة يسمى (مجوسي) مثل يهودي والجمع مجوس ، وهي بحسب رواية العرب - ديانة تنسب الى شخص معين اسمه منج كوش ظهر قبل زرادشت) - التاريخ السياسي - ج١ ص ١٩٢ ، هامش رقم ١- .

(٩) كتب الدينوري (وكان زرادشت صاحب المجوس) ، الأخبار الطوال ، ص ٢٨ ، ويعتبر الشهرستاني ان (للمجوس ثلاث فرق هي : ١ - الكيومرثية ، ٢ - الزروانية - ٣ - الزرادشتية) - الملل والنحل - ج١ ص ٢٣٣ - ٧ ، أنظر كريستنسن حيث كتب والظاهر ان زرادشت ادعى النبوة نبياً لمذهب مزدي معدل في الشرق ربما كان في الاقليم الذي به أفغانستان الحديثة وذلك في القرن السابع ق.م. وفي هذا الاقليم الذي سكنه قبائل زراعية مستقرة) - ايران - ص ١٩ ، ويشير تراث فارس (بالرغم من ان وجود النبي زرادشت موضع جدل ، الا ان هنالك رأي بوجوده في القرن السابع ق.م.) ، ص ٣٦ ، ويخطيء زيدان عبد الكريم عندما يعد المزدكية والخرمية من فرق المجوس - احكام الذميين والمستأمنين ، ص ١٥ .

الساسانية (١٠) الرسمي وتقال عطف وتأييد الملوك الساسانيين ، لأن الدين والملك توأمان - كما قال تنسر (★) ، والارستقراطية الايرانية ، وتصبح للرئيس الديني الاعلى ، موبدان موبذ - وهو قاضي القضاة بالوقت نفسه - المكانة السامية في الدولة (١١) ، والمستشار الأقدم للملك بني ساسان . وتصيح الأقسا - الكتاب الديني المقدس في ايران (بعد ان جمعه تنسر ، الهريذان هريذ بأمر الملك أردشير الاول مؤسس الدولة الساسانية) - المنار الذي يهتدي الناس به لخدمة السادة - وهكذا أصبح كل شيء في الديانة الزرادشتية في خدمة العائلة المالكة والطبقة الارستقراطية (مالكة العبيد) ، أما أبناء الشعب فعليهم العمل والطاعة والشكر وطلب الرحمة من اله الخير ، هكذا أصبحت الديانة الزرادشتية قبل ظهور ماني ، أداة طيعة للطبقة السائدة والمعبّر لآرائها ومفاهيمها وبذلك حصل حلف مقدس بين رجال الدين والطبقة المستغلة (١٢) ضد الشعب من أجل استغلاله وجره الى الازلال الابدي .

٢ - الفرق المناهضة للديانة الايرانية :

تكوّنت لدى الشعب ، الذي أخذ يقاسي تزايد الجور والظلم المسند من المؤسسات الدينية ، بذور الاحتجاج ضد أعمال رجال الدين وضد تضليلاتهم التي ينشرونها ، وبهذا كانت مساندة الجماهير الشعبية للهرة الدينية ، المناهضة للمعابد الرسمية تعبيرا عن احتجاجها (١٣) .

المانوية (١٤) : اتخذت المانوية الاحتجاج السلبي (كالأهمسا - اللاعنف -

(١) يذكر ماجد ، عبد المنعم ، عن الملوك الساسانيين (عملوا على تقوية نفوذ رجال الدين بقصد الابقاء على طغيانهم) ، التاريخ السياسي ، ج١ ص ١٩٢ .

(★) كتاب تنسر ، نقله الى العربية يحيى الخشاب ، القاهرة ، ١٩٥٤ ، ص ٢٧ .
(١١) كريستنسن ، ايران ، ص ١٠٥ - ١٠٦ .

(١٢) كريستنسن ، ايران ، ص ١٠٣ ، وقد كتب : (وقد سار رجال الدين في الدولة الساسانية مع نبلاء الاقطاع جنبا الى جنب) .

(١٣) تاريخ بلدان الشرق الاجنبية في القرون الوسطى : (الجماهير الشعبية ، بمساندتها الهرة الدينية المعارضة للمعابد الرسمية ، عبرت عن احتجاجها على الظلم الذي تكاثر مع تفسخ المجتمع واسترقاق الاحرار) ، ص ٧٩ .

(١٤) نسبة الى ماني المعلم الروحي لفرقة المانوية الثنوية : حول المانوية من المفيد الرجوع الى المصادر والمراجع التالية : الدينوري ، الاخبار الطوال - ص ٤٩ - ٥٠ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، ج١ ص ٢٤٩ - ٥٠ ، والمطبي ، التنبيه والرد ، ص ٧٣ ، والفهرست لابن النديم وقد اعتمد عليه الكثير من المؤرخين ، ص ٤٧٠ - ٨٦ ، البيروني ، الآثار ، ص ٢٠٧ ،

الهندية ، التي بشرَ بها غاندي) سبيلا لمعارضة التسلط الحكومي والتضليل الديني والاثراء الفاحش ، ولما لم يكن لدى جماهير الشعب ، الساخطة على الجور والظلم وعلى تعاون رجال الدين مع الطبقة المستغلة ، منهاجاً واضحاً للنضال ، تلقفت تعاليم ماني (١٥) الحكيم بشغف وبسرعة، وكانت تعاليم ماني ، والذي زار الهند (١٦) وتجول في أواسط آسيا وفي الصين ، متأثرة بالبوذية والمسيحية والغنوصية (١٧) ، بالإضافة



المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج٢ ص ١٥٧ ، الشهرستاني الملل والنحل وقد عمل جدولاً يقارن فيه التشابه والتضاد بين الخير والشر ، ج١ ص ٢٤٤ - ٩ ، ابن الأثير ، الكامل ، ج١ ص ٢٢٦ ، كريستنسن - إيران (ويذكر أهم المصادر والمراجع الأجنبية القديمة والحديثة والنصوص المانوية المكتشفة في أماكن مختلفة من العالم) ، إيران ، ص ١٦٩ - ١٩٥ ، كريم - الحضارة الإسلامية ، (مترجم) ، ص ٧٣ ، زيدان ، جرجي - تاريخ التمدن ، ج١ ص ٣٥ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج١ ص ٢٠٨ ، لويس ، العرب ، ص ٦٧ ، ماجد ، عبد المنعم ، التاريخ السياسي ، ج١ ص ١٩٤ - ٦ ، حتي ، فيليب ، تاريخ العرب (مطول) ، ج٢ ص ٢٩٣ ، دياكانوف ، مختصر تاريخ إيران القديم ، ص ٣٠٠ - ٤ ، بارتولد ، تاريخ الحياة الحضارية لتركستان ، ص ٤٤ والحضارة الإسلامية ، ص ١٠ والترجمة ، ص ١١ - ١٢ وسمينوف - مقالة المزدكية في مسائل التاريخ الدين والاحاد العدد ٥ - لسنة ١٩٥٨ ، ص ٣١٥ - ٢٠ ، الدوري مقدمة ، ص ٨٠ ، الجذور التاريخية للشعبوية ، ص ٢٦ وما بعدها ، شريف ، محمد بدیع ، الصراع ، ص ٥٤ ، محفوظ ، حسين علي ، رسالة في تحقيق لفظ زنديق ، الخربوطلي تاريخ العراق ، ص ٢٦٣ .

(١٥) يسميه اليعقوبي (ماني بن حماد الزنديق) ، التاريخ ، م ١ ص ١٥٩ ، المسعودي (ماني بن يزيد تلميذ قارون) ، مروج ، ج١ ص ٢٥٠ ، ابن النديم (ماني بن فتق بابك بن أبي برزام) ، الفهرست ، ص ٤٧٠ ، البيروني ، (ماني تلميذ فادرون) ، الآثار ، ص ٢٠٧ ، والصحيح ما أورده الشهرستاني (ماني بن فاتك الحكيم) ، الملل والنحل ، ج ١ ص ٢٤٤ ، أما ولادته ففي سنة ٢١٥ م على ما ترجمه الروايات وهناك من يذكر ٢١٦ م أو ٢١٧ م في سيسان (ناحية في لواء العمارة - الجمهورية العراقية) ولقد ذكر ابن النديم في ديستيميسان (في ناحية من نواحي ديستيميسان ، الفهرست ، ص ٤٧١) التي هي من نواحي ميسان ويسمونها كريستنسن ميسين ، إيران ، ص ١٧١ وهي تحريف لميسان ولا شك .

(١٦) ذكر ابن النديم (وجَّول ماني البلاد قبل أن يلقي ساجور نحو أربعين سنة ٠٠٠ وكان ماني دعا الهند والصين وأهل خراسان وخلف في كل ناحية صاحباً له) ، الفهرست ، ص ٤٧٢ ، كريستنسن ، إيران ، ص ١٧١ ، دياكانوف ، مختصر تاريخ إيران ، ص ٣٠١ . (١٧) يقول ابن النديم (واستخرج ماني مذهبه من المجوسية والنصرانية) ، الفهرست ص ٤٧٢



الى الزرادشتية ، ولهذا اعتبرت العالم مسرحا لنضال قوى الخير وقوى الشر منذ الازل (١٨) .

وشابهت المانوية الزرادشتية ، غير ان الزرادشتية - وقد أصبحت المعبرة عن ذهنية الطبقة المستغلة - اعتبرت اله الخير قديم واله الشر محدث ، وان ما هو سائد في المجتمع من أنظمة وسلطات وحقوق انما هي من ميزات النور - اضافة الحق الشرعي الالهي على أعمال التعسف والنخاسة والاستغلال الفظيع واعتبارها جميعا من الاعمال التي فرضها الاله - (اذ يجد الانسان رسالة عليه أدائها فأنه بالايمان الخالص وبالجهاد في سبيل الحقيقة الدينية والاخلاق وأخيرا بالجد في الاعمال التي تؤدي الى غلبة قوى الحياة على قوى الموت وبالمساعي المودية الى الحضارة وخاصة زرع الارض ، يقف في صف روح الخير) (١٩) - ، لكن المانوية على العكس من الزرادشتية تعتبر ان اله الشر هو الذي سيطر في البدء وظل اله الخير يكافح ويكافح - وهذا تعبير عن قدم سيطرة الطبقة المستغلة وعن ضرورة كفاح الجماهير الخيرة ضد قوى العدوان والشر - حتى انتصر ، الا ان المانوية ، وقد تأثرت بالفلسفة الهيلينية وما أدخل على المسيحية من آراء فلسفية (الغنوص) ، وبالبوذية ، لم ترسم مناهج ثورية للكفاح ، وانما اعتبرت الزهد والتشف والعفة وما فرضته من مناسك دينية (لتطهير جسيمات « ذرات » الأبدان النورية من شرور العتمة التي لحقتها في فترة امتزاج العتمة بالنور في العالم



ويضيف على ذلك البيروني مذهب الثنوية ويقصد الغنوصية ولا شك فقد كتب أبو الريحان (وكان عرف مذهب المجوس والنصارى والثنوية) ، الآثار ، ص ٢٠٧ ، ومن كل ذلك يستخلص الشهرستاني بأن ماني (أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية) ، الملل والنحل ، ج١ ص ٢٤٤ ، ولا ريب ان بارتولد قد استنار برأي الشهرستاني حينما توصل الى أن (آراء بردسان الكاتب السرياني الذي حاول التاليف بين الفلسفة الوثنية السماة الغنوستية (الغنوصية) Gnosticisme وبين بعض آراء النصرانية ، ولا ريب قد أثرت في المانوية التي ظهرت في القرن الثالث) ، الحضارة الاسلامية ، ص ١٠ ، والترجمة العربية ، ص ١١ - ٢ ، ويشابه كريستنسن في آرائه ما توصل اليه بارتولد فقد كتب كريستنسن (وقد نشأ الطفل - يقصد ماني - على مذهب المغتسلة - الصابئة - ٠ ولكنه تعمق بعد ذلك في درس أديان زمانه الزرادشتية والمسيحية والمذاهب الجينيستكية (الغنوصية) وخاصة مذهبي ابن ديسان ومريقيون فترك مذهب المغتسلة) ، ايران ص ١٧١ - ٢ ٠ حول علاقة الغنوصية بالمانوية راجع الملحق ب- ٢ - ٠

(١٨) كتب البيروني عن ماني (ودعا الى ملك عوالم النور والانسان القديم وروح الحياة وقال

بقدم النور والظلمة وأزليتهما) ، الآثار ، ص ٢٠٧ .

(١٩) كريستنسن ، ايران ، ص ٢٠ .

الأرضي (٢٠) - وفي رأي المانوية ان هذه المناسك خير معونة يقدمها الانسان لآله الخير -) ، وسائل أساسية للتعبير عن سخطها وغضبها على الاثراء والتسلط الطبقي . ولقد حاول ماني أن يأخذ كل ما هو خير وحسن من الاديان الموجودة (٢١) - وقد أطلع على دقائق الكثير منها - ولهذا جاءت تعاليمه مزيجاً من الآراء والمفاهيم والشرائع العديدة ، ففيها المثل الاخلاقية الهلينية وتناسخ الارواح البوذية (٢٢) وثنائية الكون المجوسية والغنوصية والتثليث المسيحي (٢٣) .

وكان ماني يريد لتعاليمه ان تصبح الدين العالمي الموحد والنهائي (★) وأن يحل هذا الدين محل الاديان القديمة ، التي أصبحت آلة بيد الطبقة السائدة . وقد اعتبر ماني جميع الانبياء شياطين أو آلات مسخرة بيد الشياطين (الطبقة السائدة) يقول ابن النديم :

وماني ينتقص سائر الانبياء في كتبه ويزري عليهم ويرميهم بالكذب ويزعم ان الشياطين استحوذت عليهم وتكلمت على ألسنتهم بل يقول في مواضع من كتبه انهم شياطين ، فأما عيسى المشهور عندنا وعند النصاري فيزعم انه شيطان (٢٤) . والملاحظ ان كريستنسن ، كمسيحي ، تعتمد اغفال كلام ابن النديم هذا ، وقد اغفله بعض المستشرقين بما فيهم السوفييت ، الذين تيسرت لنا قراءة كتبهم ، والسبب كما يلوح لنا هو انهم اعتمدوا في كتاباتهم عن ماني على كريستنسن دون ان يكلفوا انفسهم الرجوع الى المصادر القديمة ومنها العربية ، ولربما كان لجهل البعض منهم باللغة العربية من اثر في اتكالمهم على كريستنسن وغيره .

ولما لم تكن لتعاليم ماني ، في البدء من خطر يهدد مصالح الدولة الساسانية

(٢٠) رستم ، أسد ، الروم ، ج١ ص ٤٨ ، دياكانوف ، مختصر تاريخ ايران ، ص ٣٠١ ، سيمينوف مقاله عن المزدكية ، مسائل التاريخ الدين والاحاد ، العدد ٥ ص ٣١٨-٩ .
(٢١) ابن الأثير ، الكامل ، هامش ص ٢٢٦ - الجزء الاول ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج١ ط٢ ص ١٠٨ .

(٢٢) ذكر البغدادي (وقد ذهب المانوية أيضا الى التناسخ) ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٧١ ، كريستنسن (والظاهر ان ماني قد أخذ نظريته في التناسخ عن المذاهب الهندية ومن المحتمل ان يكون عن البوذية) ، ايران ، ص ١٨١ ، كريم ، الحضارة الاسلامية (مترجم) ، ص ٧٣ ، دياكانوف ، مختصر تاريخ ايران ، ص ٣٠١ .

(٢٣) كريم ، الحضارة الاسلامية (مترجم) ، ص ٧٣ ، كريستنسن ، ايران ، ص ١٨١ ، دياكانوف ، مختصر تاريخ ايران ، ص ٣٠١ .

(★) انظر غرشمان ، ايران ، ٢٩٤ .

(٢٤) الفهرست - ص ٤٨٢ .

ومصالح الطبقة السائدة فقد سُمح بانتشارها (٢٥) ، فبعد عودة ماني من الهند في عهد سابور الأول (الذي تَوَجَّح في سنة ٢٤٢ م) (٢٦) باشر ماني بالقضاء مواعظه وتعاليمه والتي ما كانت ، في ذلك الحين لتلاقي صعوبة أو معارضة ، بل كانت تلاقي التسهيلات حتى ان ماني اهدى كتابه (شابورغان) للملك سابور (٢٧) وقد ذكر ماني نفسه (وقد مثلت في حضرة الملك سابور فأحاطني برعايته ثم أتاح لي ان اجوب « مملكته ؟ ») (٢٨) * من المحتمل ان احتضان سابور لماني كان - كما يرى غرسمان - لدوافع سياسية (★) *

ولكن بعد ان تخطت مواعظ ماني من التعرض البسيط لأشكال الديانات الى الطعن بصراحة ومباشرة بمصالح السلطة والطبقة المستغلة ، بكشف جورها وظلمها وتصوير التعاسة التي تجلبها للناس ، بدأت السلطة ومعها رجال الدين الزرادشتي والطبقة المستغلة بالتضييق على ماني واتباعه ومحاربته (٢٩) ومن ثم سجنه وصلبه ومطاردة أنصاره * وملخص نشاط ماني (٣٠) انه هاجر الى الهند أيام مؤسس الدولة الساسانية أردشير الاول (٢٤٢ - ٢٧٢ م) وأول خطبة له كانت عند تتويج سابور (٢٤٢ م) * واستمر في اللقاء تعاليمه ومواعظه قرابة عشرة أعوام (٣١) ، ثم نفي خارج ايران وعاد بعد وفاة سابور عام ٢٧٢ م في عهد هرمز الاول (٢٧٢ م - ٢٧٣) وقد لوحق ماني وأدخل السجن ثم صلب عام ٢٧٦ م في عهد بهرام الاول (٢٧٣ - ٢٧٦ م) *

(٢٥) كريستنسن ، ايران ، ص ١٨٤ ، تاريخ بلدان الشرق الاجنبية (أوائل الساسانيين لم يقاوموا انتشار المانوية) ، ص ٧٩ ، تاريخ ايران ، ص ٥٠ *

(٢٦) كريستنسن ، ايران ، ص ١٦٩ ، تاريخ ايران ، ص ٥٠ ، تاريخ بلدان الشرق الاجنبية، ص ٧٩ *

(٢٧) كريستنسن ، ايران ، ص ١٨٥ *

(★) ايران ، ص ٢٩٤ *

(٢٨) كريستنسن ، ايران ، ص ١٨٥ *

(٢٩) تاريخ ايران ، ص ٥٠ ، تاريخ بلدان الشرق الاجنبية (ولكن عندما توضحت صفات المعارضة للحكومة والمعابد في الموعظة المانوية بدأت الحكومة بالظلم القاسي ضد انصار ماني) - ص ٧٩ ، كريستنسن (وقد حكم على ماني بالكفر فأدخل السجن حيث عذب عذابا مبيها مات على أثره وكان ذلك عام ٢٧٦ م ٠٠٠ وفي رواية شرقية صلب ماني وسلخ حيا) ، ايران ، ص ١٨٧ ، أنظر ايفانوف م٠س٠ مختصر تاريخ ايران ، ص ٢٨ - ٢٩ ومقالة سمينوف (المزدكية) العدد ٥ مسائل التاريخ الدين والاحصاد ، ص ٣٢٠ ، أنظر تراث فارس حيث يعزو اضطهاد المانوية الى دوافع سياسية (فالمجوس كانوا يحسدونهم) ، ص ٥٥ *

(٣٠) هنالك اختلافات بين القدماء والمحدثين من المؤلفين حول الفترة التي انتهى فيها ماني وقد أثرنا الاعتماد على أكثر الروايات تكرارا *

(٣١) تاريخ اليعقوبي ، م١ ص ١٥٩ *

النهاية المفجعة التي لحقت بالحكيم ماني والمطاردة العنيفة القاسية لمواليه وأنصاره (٣٢) ولضعف الروح الثورية في التعاليم المانوية التي أتخذت السلبيية أسلوبا للكفاح - كل ذلك جلب اليأس والتشاؤم للأنصار ، الذين اضطروا على التخفي والهرب (٣٣) ، وللاتباع الذين حفظوا سرا تلك التعاليم ، ولما لم يحاول تلامذة ماني وأتباعه تطوير تلك التعاليم بطرح الجوانب السلبيية منها وقلبها الى أساليب ايجابية في الكفاح - أصبحت تلك التعاليم غير ذي نفع بعد التطورات التي حدثت في المجتمع (٣٤) ولا سيما عند اشتداد أزمة العبيد وظهور بداية الاقطاع ، فقد عجزت التعاليم المانوية عن تفهم وادراك حاجات الجماهير الواسعة من أبناء الشعب المضطهدة ، ولهذا تخلفت تلك التعاليم عن أن تكون المبادئ التي تقندي بها الحركة الجماهيرية ، والتي عمت ايران في نهاية القرن الخامس وبداية القرن السادس الميلادي (٣٥) ، والتي كان عمادها المزارعون والعبيد المشتغلون بالزراعة ، لذلك ظهرت تعاليم أكثر تفهما لحاجة الجماهير فأثارت السبيل لجموع الحاقدين وانتشرت بسرعة بينهم - الا وهي التعاليم المزدكية - .

اما المبادئ المانوية ، في ايران ، فقد انتشرت في المدن ووسط التجار ورؤساء الحرف ، واما في الريف فقد كان انتشارها ضئيلا لعجزها عن تبني مطالب الفلاحين والعبيد والحرفيين .

المزدكية (٣٦) :

نشأت المزدكية ، كتعاليم دينية ، متطورة عن الزرادشتية والمانوية (٣٧) . وكانت

(٣٢) الدينوري (وتتبع أصحابه ومن استجاب له فقتلهم جميعا) ، الاخبار الطوال ، ص ٥٠ ، الطبري (٠٠٠ وقتل أصحابه ومن دخل في ملته) ، م ج٣ ص ٨٣٤ ، السعدي (فقتله وقتل الرؤساء من أصحابه) ، المروج ، ج١ ص ٢٥٠ ، كريستنسن ، ايران ، ص ١٩٠ ، سمينوف ، مقالة المزدكية ، ص ٣١٦ ، تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٧٩ ، ماجد ، عبد المنعم ، التاريخ السياسي ، ج١ ص ١٩٦ ، الدوري - الجذور التاريخية للشعبوية ، ص ٢٤ .

(٣٣) بارتولد ، تاريخ الحياة الحضارية لتركستان ، ص ٤٤ ، سمينوف ، مقالة المزدكية ، ص ٣١٦ .

(٣٤) تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٨٠ .

(٣٥) ن م ص ٨٠ .

(٣٦) نسبة الى قائد الحركة الجماهيرية والمنظم الروحي للتعاليم الفلسفية الدينية المقرونة باسمه - مزدك بن بامداد - ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ج١ ص ٨٩٤ ، اليعقوبي ، التاريخ ، ج١ ص ١٨٦ ، السعدي ، التنبيه ، ص ١٠١ ، ابن النديم ، الفهرست ، ص ٤٩٣ ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ص ٢٤٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج١ ص ٢٤١ ، راجع حول مناقشة الاسم لدى كريستنسن ، ايران ، ص ٣٢٦ ، يذكر أمير علي أن مزدك عاش في أيام أنو شروان - مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٢٢ ، وهذا خطأ حيث قتل سنة ٥٢٩ م زمن الملك قباذ ، ويذكر سمينوف أن مزدك يلفظ بالفارسية الحديثة مجدك *Movcgek* وبالطاجيكية موزدك *Myzgak* ، مقالة المزدكية ، ص ٣٢٣ .

(٣٧) حول ارتباط المزدكية بالمانوية والزرادشتية وحول دور بندس (زرادشت) يمكن مراجعة المصادر المذكورة في الهامش السابق ، أنظر كريستنسن ، ايران ، ص ٣٢٢ - ٣٢٧ ، ويذكر يامبولسكي : أن مزدك كان تحت تأثير المانوية ، انتفاضة بابك ، ص ١١ ، أنظر تاريخ ايران ، ص ٥٦ ، وتاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٨٢ ، وغرشمان ، ايران ، ص ٣٠٢ .

المانوية - كما أسلفنا - قد انصهرت فيها ديانات مختلفة . وقد اختلفت المزدكية عن المانوية بأنها (اي المزدكية) اعتبرت (النور يعمل بالقصد والاختيار وان الظلمة تفعل على الخط والاتفاق والنور عالم حساس والظلام جاهل اعمى ، وان المزج « بين النور والظلمة » كان على الاتفاق والخط لا بالقصد والاختيار) (٣٨) ، فالمزدكية وان شابها المانوية بالثنوية ، الا اننا يمكننا ان نلاحظ - فيما ذكره الشهرستاني - ان لاله النور من الاهمية البارزة عند المزدكية وانه يعمل بالقصد والاختيار ، واما اله الشر (الظلمة) فيعمل على الخط والاتفاق (بعكس ما ذهب اليه ماني) . كما ويظهر من تعاليم المزدكية ان اله الخير (النور) انتصر على اله الشر (الظلمة) (٣٩) ، في عالمنا الارضي (٤٠) ، ولكن النصر لم يكن حاسما ، وهذا يعني مواصلة كفاح القوى الخيرة (القوى الشعبية المدممة المستغلة) ضد القوى الشريرة (الارستقراطية الغنية المستغلة) وحمية انتصارها (٤١) ، كما ويجب تطهير الانفس من النزوات والشهوات (٤٢) ومن حب السيطرة وحب التملك (٤٣) . والمزدكية وان شابها المانوية في ضرورة تطهير (ذرات الاجسام النورية) من الشرور والآثام التي لحقتها اثناء المزج ، الا ان المزدكية لم تسلك السلبية نهجا كالمانوية ، وانما اختطت لنفسها الاسلوب الايجابي ، ولذلك اصبح محتوى التعاليم المزدكية الدينية الفلسفية ، اجتماعيا حيث عنت تلك التعاليم ، اضافة الى الامور الفلسفية الدينية ، النظر في القضايا الاجتماعية حيث قصدت اعادة النظر في توزيع الاملاك والمقتنيات ، التي بسبب عدم العدالة في توزيعها بين الناس ، تسبب الانتهاكات والاعتداءات والظلم والحروب . لقد وردت نصوص كثيرة لدى المؤرخين العرب وفي المصادر التي كتبت باللغة العربية تشير الى ذلك وتفصح عن المحتوى الاجتماعي للبرنامج المزدكي ، فالطبري كتب عن المزدكيين : قالوا ان الله انما جعل

(٣٨) الملل والنحل ، ج ١ ص ٢٤٩ ، ويحكي ذلك عن التوراة ، محمد بن هارون المعروف بابي

عيسى الوراق وكان في الاصل مجوسيا .

(٣٩) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٢٧ ، تاريخ ايران ، ص ٥٦ ، تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٨٢ .

(٤٠) (هذا النصر يجب أن يتقرر ليس في العالم الاخر وانما في الحياة الواقعية الارضية) ،

تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٨٢ تاريخ ايران ، ص ٥٦ .

(٤١) تاريخ ايران ، ص ٥٦ ، تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٨٢ .

(٤٢) (وحكي عنه انه أمر بقتل النفس ليخلصها من الشر ومزاج الظلمة) ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج ١ ص ٢٤٩ .

(٤٣) الطبري ، تاريخ ، م ج ١ ص ٦٨٨ - ٦٨٩ ، الملطي ، ص ٧٢ ، البيروني ، الآثار ، ص ٢٠٩ ،

المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٢ ص ١٦٧ - ٨ ، الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج ١ ص

٢٤٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ص ٢٤١ ، أبو الفداء ، كتاب المختصر ، ج ١ ص ٦٦ ،

ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٢ ص ١٧٦ .

الارزاق في الارض ليقسمها العباد بينهم بالتآسي ولكن الناس تظالموا فيها وزعموا انهم يأخذون للفقراء من الاغنياء ويردون من المكثرين على المقلين وانه من كان عنده فضل من الاموال والنساء والامتعة فليس هو بأولى به من غيره (٤٤) . وبلهجة عدائية كتب الملطي : وفضول ما في ايدي ذوي الفضل محرم عليهم حتى يصير بالسوية بين العباد سواء (٤٥) . وكذلك كتب البيروني عن مزدك : وقال باشتراك الناس في الاموال والحرمة (٤٦) ، ويعزو الشهرستاني محاولة مزدك في اعادة النظر في التوزيع الى ان مزدك وجد ان سبب تقاتل الناس هو من جراء عدم العدالة في المقتنيات ، فقد كتب « وكان مزدك ينهى الناس عن المخالفة والمباغضة والقتال . ولما كان اكثر ذلك انما يقع بسبب النساء والاموال ، احل النساء واباح الاموال . وجعل الناس شركة فيهما كاشتراكهم في الماء والنار والكلا » (٤٧) .

ونجد ابن خلدون يعتبر محاولة توزيع الاملاك بالتساوي ، استباحة ، فقد كتب « وكان يقول - الكلام عن مزدك - باستباحة اموال الناس وانها فيء وانه ليس لاحد ملك شيء ولا حجره والاشياء كلها ملك الله مشاع بين الناس لا يختص به احد دون احد وهو لمن اختاره » (٤٨) . وبالرغم من معاداة المؤرخين السابقين لمزدك وللحركة المزدكية فان اشاراتهم واضحة الى ما كانت تسعى اليه المزدكية وقد اوضحوا الاسباب المختلفة التي دعت المزدكيين للقيام بتلك المساعي الاجتماعية ، وكلها طبعاً من اجل انقاذ جمهور المعدمين من الاستغلال والفقر والاملاق .

تعاظم استغلال الارستقراطية ، مالكة العبيد ، وبدأت تستحوذ على اراضي الفلاحين الاحرار ، الذين كانوا يعملون في اراضٍ مشاعية ، مما ادى الى استيلاء الفلاحين من تسلط الارستقراطية . ولم يقتصر الاستيلاء على الفلاحين بل شمل العبيد والحرفيين ، فكانوا جميعاً مستائين من وضعيتهم المزرية ، من فداحة جور الارستقراطية ذات النفوذ القوي ، من تعسف الحكومة ومتذمرين من الاملاق المتلاحق والمجاعات المهلكة (٤٩) ، التي كانت تكتسح البلاد بين آونة واخرى بسبب تضافر قساوة الطبيعة ، في ظروف شبه صحراوية ، وهجوم الآفات الزراعية كالجراد (٥٠) . وكانت هذه المحن

(٤٤) تاريخ الرسل ، ١م ٣ج ص ٨٨٦ ، الثعالبي ، غرر أخبار ملوك الفرس ، ص ٦٠٠ .

(٤٥) التنبيه والرد ، ص ٧٢ ، الثعالبي ، غرر أخبار ملوك الفرس ، ص ٦٠٠ .

(٤٦) الآثار الباقية ، ص ٢٠٩ .

(٤٧) الملل والنحل ، ج ١ ص ٢٤٩ .

(٤٨) كتاب العبر ، ج ٢ ص ١٧٦ .

(٤٩) كريستنسن ، ايران ، ص ٢٣٠ ، ماجد ، عبد المنعم ، التاريخ السياسي ، ج ١ ص ١٩٧ ،

انظر أيضاً تاريخ ايران ، ص ٥٦ .

(٥٠) تاريخ ايران ، ص ٥٦ .

خير محفز للمفكرين على العمل من أجل انقاذ الجماهير من تلك البلايا . ولما كانت المانوية ، بسليبتها ، عاجزة عن استيعاب حاجات الجماهير ، اختلقت الضرورة لاعادة النظر في تلك التعاليم لارسائها على اسس سليمة . فكانت محاولات بندس (زرادشت) المانوي اولى التعديلات (٥١) الفلسفية الروحية عليها ودعي هذا المذهب درست دين (٥٢) ، ثم تناولتها تعديلات مزدك الفلسفية – الاجتماعية البارعة ، وغلب اسم المزدكية على مذهب درست دين (٥٣) . لقد دعت التعاليم الجديدة الى عدم انفراد اشخاص قلائل بالملكيات والمقتنيات الفردية الواسعة (اراض ، عبيد ، جوارى ، نساء ومقتنيات اخرى) فالملك لا يملك حق الانفراد بما يقتني او كما يخبرنا الطبري : « فليس هو بأولى به من غيره » (٥٤) ، وانما يجب ان توزع هذه المقتنيات والاملاك على الناس بالتساوي ، وهذا ما اشار اليه الملطي (حتى يصير بالسوية بين العباد سواء) (٥٥) ويرى الشهرستاني ان المزدكية جعلت الاموال شركة بين الناس (٥٦) – أي كما كانت ايام المشاعية الاولى – ولما كانت التعاليم المزدكية كالمانوية تحرم القتل والذبح وسفك الدماء ، ولما كان النزاع والقتال يحصلان بسبب الاختلاف في المقتنيات دعت المزدكية الى اعادة النظر في توزيع المقتنيات حسما للنزاع . وهذه الفكرة وان لم تكن واضحة تماما لدى الطبري حيث يشير اليها متشككا (وزعموا انهم يأخذون للفقراء من الاغنياء ويردون من الكثيرين على القليلين) (٥٧) ، الا ان الشهرستاني – كما ذكرنا آنفا – قد أوضح السبب الذي حمل المزدكيين على توزيع المقتنيات على المعدمين ، غير انه اعتبر ذلك التوزيع (اباحة) « احل النساء واباح الاموال » (٥٨) . ولا شك ان الشهرستاني متحامل على المزدكية ولهذا صور اعادة التوزيع اباحة (وهنا تعني التفسخ والانحلال) اذ لو لم يكن متحاملا لآخذ برأي الطبري الذي نفى ذلك عن مزدك وعزا الى السفلة والانتهازيين جميع الاعمال المزرية التي ألصقت بالمزدكية ، حيث كتب : « فافترض السفلة ذلك واغتموه وكاتفوا مزدك وأصحابه وشايعوهم فابتلى الناس بهم » (٥٩) .

ان عدم تمكن التعاليم المزدكية من ادراك الاسباب الموضوعية التي أدت الى تراكم الغنى والاثراء والقوة بيد الارستقراطية – وذلك منتظر من أفكار ذلك العصر – ادى

- (٥١) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٢٣ – ٦ ، تاريخ ايران ، ص ٥٦ .
- (٥٢) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٢٦ ، سمينوف ، مقالة المزدكية ، ص ٣٢٢ .
- (٥٣) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٢٦ .
- (٥٤) تاريخ الرسل ، ١م ج٣ ص ٨٨٦ ، الثعالبي ، غرر أخبار ملوك الفرس ، ص ٦٠٠ .
- (٥٥) كتاب التنبيه والرد ، ص ٧٢ ، الثعالبي ، غرر أخبار ملوك الفرس ، ص ٦٠٠ .
- (٥٦) الملل والنحل ، ج١ ص ٢٤٩ .
- (٥٧) تاريخ الرسل ، ١م ج٣ ص ٨٨٥ – ٦ .
- (٥٨) الملل والنحل ، ج١ ص ٢٤٩ .
- (٥٩) تاريخ الرسل ، ١م ج٣ ص ٨٨٥ ، الثعالبي ، غرر أخبار ملوك الفرس ، ص ٦٠٠ .

الى عجز التعاليم في معارضة النظام الذي قاومته، بنظام جديد . وهذا قد أضعف الحركة - كما أشار الى ذلك ايفانوف (٦٠) - ويعتبر دياكانوف ان المزدكية ضعفت لانها لم تقاوم النظام الاقطاعي (٦١) « حيث لم يسمح التملك الفردي ، اساس الاستغلال الفردي للشخص » (٦٢) ، وغرشمان في معرض ملاحظته على الذين يصفون منهاج مزدك الثوري (بالشيوعية الايرانية) يقول : غير ان علماء معروفين فسروه (منهاج مزدك) على انه مقاومة العبيد ، الفلاحين الذين اصبحوا شبه عبيد والاحرار السابقين من سكان المدن والارياف ضد الاقطاع ونظامه (الداعي للعبودية) (*) . ولكننا لا يمكننا ان نتفق مع دياكانوف وغرشمان لان المزدكيين لم يقاوموا النظام الاقطاعي ، والذي كان في بدء نشوئه ، وانما قاوموا نظام العبودية المتفسخ فاستحوذوا على اراضي الارستقراطية (مالكة العبيد) واستغلوها مشاعا (العودة الى المشاعية القديمة) . وطبيعي ان هذه العودة كانت خلافا لسنة التطور حيث بدأ المجتمع يتطور نحو النظام الاقطاعي الناشئ . والسبب الذي دعاهم الى العود الخاطيء (٦٣) الى المرحلة القديمة - المشاعية - هو عدم ادراكهم لاسباب التكوين الطبقي - وهذا شيء طبيعي لمدارك ذلك العصر - ولهذا لم يستطيعوا وضع برنامج جذري لمعالجة مشاكل المجتمع والانتقال به الى مرحلة اخرى . لقد تمكنت التعاليم المزدكية ان تدرك بأن تراكم الغنى في جهة وانعدامها لدى الكثرة الكاثرة من الناس فحسب ، هو السبب في التخاصم والنزاع وان الضرورة تقتضي اعادة التوزيع بالتساوي . هذه الآراء التي نادت بها وحققتها في اجزاء واسعة من ايران ، لمدة من الزمن ، الفرقة المزدكية ، أطلق عليها المؤرخون - الاباحه - ويطلق عليها كثير من المؤلفين المعاصرين ، الشيوعية (٦٤)

(٦٠) مختصر تاريخ ايران ، ص ٢٠ .

(٦١) مختصر تاريخ ايران القديم ، ص ٢٠٩ .

(٦٢) ن ٢٠٠ ، ص ٢٠٩ .

(*) ايران ، ٣٠٢ .

(٦٣) تقول بيكولفيسكايا (ان الفلاحين المشاعيين قصدوا العود الخاطيء الى نظام المشاعية) ،

تاريخ ايران ، ص ٥٨ .

(٦٤) سيمونوف ، مقالة المزدكية ، ص ٣٢٦ - ٧ ، ٣٤٣ ، عمر فروخ ، العرب والاسلام في الحوض

الشرقي من البحر الابيض المتوسط ، الطبعة الاولى ، بيروت ١٣٧٨ - ١٩٥٨ ، ص ٢٣ .

وفي ايام قباد نبغ مذهب مزدك ، او المزدكية . والمزدكية حركة اجتماعية شعبية

وجدت لتقاوم المانوية (مذهب ماني) . كانت المانوية دين الدولة الحاكمة ودين النبلاء

الذين كانوا يستغلون سواد الشعب ويضطهدونه ، فجاءت المزدكية ومنها عنصر

شيوعي يقول بأن تقسم اموال الاغنياء بين الفقراء ، ثم تطرق فقال ايضا بشيوع

النساء . واعتنق قباد الاول هذا المذهب في السنة الاولى لحكمه (عام ٤٨٨ م) .

عمر فروخ ، تاريخ الجاهلية ، بيروت ١٣٨٤ - ١٩٦٤ ، ص ٦٧ . المزدكية في

←

والبرنامج الشيوعي(٦٥) لمزدك ، و شيوعية الاموال والنساء عند المزدكيين (٦٦) ، ولا شك ان تسمية التعاليم المزدكية بالشيوعية لا يجمعها جامع مع الدقة العلمية . ويقصد من هذه التسمية ايضا وصم الحركة بالدعر والفسق والاباحة لتشيويه جوهر طابعها الاجتماعي بترديد اقوال مؤرخي القرون الوسطى ، بشيوع النساء واختلال النسل(٦٧) وفقدان الاخلاق وتحطم العائلة (٦٨) . لقد حقد المؤرخون القدامى على المساهمين في الثورات الجماهيرية ضد الطغاة وسبب حقدهم يرجع اما لخوفهم من السلطات الاقطاعية او لانحذارهم الطبقي او لانخداعهم بأباطيل وتضليلات الطبقة السائدة . لقد سددت الحركة المزدكية ضربة شديدة الى الارستقراطية الايرانية الكبيرة - مالكة العبيد - فلا غرو ان توجه الارستقراطية الايرانية الناشئة ، ملاك الاراضي ، ورجال الدين والسلطة الحاكمة سخطها وحقدتها على التعاليم المزدكية ووصمها بنعوت وصفات قبيحة



ايام قباز الاول (٤٨٨ - ٥٢١ م) نبغ مذهب مزدك أو المزدكية . المزدكية حركة اجتماعية شعبية وجدت لتقاوم المانوية (مذهب ماني) ، دين الدولة الحاكمة ودين النبلاء ، فجاءت المزدكية وفيها عنصر شيوعي يقول بأن تقسم اموال الاغنياء بين الفقراء . ثم تطرف مزدك فقال بشيوع النساء . وقد اعتنق قباز هذا المذهب وحمل الفرس عليه ودعا العرب في الحيرة ونجد اليه أيضا . تراث فارس (لوكهارت، فارس في نظر الغرب) ، ص ٤٣٠ .

(٦٥) أمير علي ، مختصر تاريخ العرب، ص ٢٢٢ ، مولر، تاريخ الاسلام، ص ١٨٣، بارتولد، الحضارة الاسلامية ، ص ١٦، ٦٧، كريستنسن ، ايران ، ص ٥٦ ، ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٤٣-٤ ، ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٤٠٨ ، لويس ، اصول الاسماعيلية ص ١٩٩-٢٠٠ ، جوزي، بندلي، بابك والبابكية، ص ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٩ ، من تاريخ الحركات، ص ٨٤ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ١٠٣ ، بروكلمان، تاريخ الشعوب، ج٢ ص ١٤ ، سمينوف ، المزدكية، ص ٣٢٦-٧ ، ٣٤٣ ، ماجد، عبد المنعم، التاريخ السياسي، ج١ ص ١٩٧ ، الدوري، الجذور التاريخية للشعبوية ، ص ٤١ ، العصر العباسي الاول ، ص ٣٦ ، حتي، تاريخ العرب (مطول)، ج٢ ط٣ ص ٤٤٠ .

(٦٦) ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٤٠٨ ، بروكلمان ، تاريخ الشعوب، ج١ ص ١٠٩ ، الدوري، العصر العباسي الاول، ص ٨٨ ، شريف، محمد بديع، الصراع ، ص ٥٤ ، ماجد ، عبد المنعم، التاريخ السياسي، ج١ ص ١٩٨ ، الخربوطلي، تاريخ العراق، ص ٢٦٣ ، زيدان، عبد الكريم، احكام الذميين، ص ١٥ ، يحيى الخشاب، مقدمة تراث فارس، ص ٦٤ .

(٦٧) شريف، الصراع، ص ٥٤ ، شلبي، أحمد، في قصور الخلفاء، ص ٢٤ ، عمر فروخ ، العرب والاسلام ، ص ٢٣ ، تاريخ الجاهلية، ص ٦٧ ، الخربوطلي ، تاريخ العراق، ص ٢٦٣ ، زيدان، عبد الكريم، احكام الذميين، ص ١٥ .

(٦٨) نفس المصادر السابقة .

وقد تعاونت الكنيسة اليهودية (٦٩) والمسيحية (٧٠) على توجيه الاتهامات والاكاذيب، وظلت تلك النعوت والصفات الرذيلة لاصقة بالحركة حيث رددتها مؤلفات مؤرخي القرون الوسطى . اما المؤلفون البرجوازيون ، الحاقدون على كل حركة اجتماعية ، فانهم استخدموا اقوال مؤرخي القرون الوسطى الاقطاعية كسلاح ماضٍ للتشهير بالحركات الاجتماعية ولتوجيه الطعن للشيوعية العلمية (٧١) . فقول ابن النديم « وصاحبهم مزدك القديم امرهم بتناول اللذات والانعكاف على بلوغ الشهوات والاكل والشرب والمواساة والاختلاط وترك الاستبداد بعضهم على بعض ولهم مشاركة في الحرمان والاهل لا يتمتع الواحد منهم من حرمة الآخر ولا يمنعه » (٧٢) قد استخدم لدى غالبية هؤلاء المؤلفين ، وكان للاماني فلوكل (٧٣) قصب السبق في ذلك فهو الاول من بين المستشرقين الذي استخدم قول ابن النديم وغيره للطعن في (البابكية والخرمية) (٧٤) وعن طريقه تسربت بيسر الى كتابات الآخرين (٧٥) . انهم يرددون أيضا قول البغدادي « المزدكية الذين استباحوا المحرمات وزعموا ان الناس شركاء في الاموال والنساء » (٧٦) ، وقول ابن الجوزي « واباح النساء لكل من شاء » (٧٧) . لقد كانت الارستقراطية – مالكة العبيد – مركزة نفوذها في ايران ، قبيل الحركة ، وكانت تسيء الى مستخدميها اساءة بالغة وتقسو عليها قساوة ضارية وتسعى بكل الوسائل لنهب

(٦٩) دياكانوف ، مختصر تاريخ ايران القديم ، حاشية رقم ١٥٣ ص ٤١٠ .

(٧٠) كريستنسن ، ويذكر : ان أسقف النصارى كان حاضرا المناظرة ويساعد الزرادشتيين على

المزدكيين ، ايران ، ص ٣٤٥ ، غرشمان ، ايران ، ص ٣٠٣ .

(٧١) يذكر بونيباتوف : المؤرخون البرجوازيون في ترديدهم لروايات المؤرخين الاقطاعيين

المتحيزة ، رأوا الشيوعية في شعارات حركات المزدكيين والخرميين البدائية الداعية

للمساواة (مشاعية الملكية) ، ولكي يشهروا بالشيوعية الواقعية (العلمية) نسبوا

لها حتى (مشاعية الزوجات) أيضا ، مجلة أخبار أكاديمية علوم الجمهورية

الاذريجانية السوفيتية ١٩٥٩ م العدد ٢ ص ٤٩ .

(٧٢) الفهرست ، ص ٤٩٣ .

(٧٣) ك. فلوكل ، بابك ، مجلة جمعية الاستشراق الالمانية ، لبيزغ ، ١٨٦٩ ص ٥٣١ .

(٧٤) راجع رد مولر عليه في : تاريخ الاسلام (الترجمة الروسية) ، بطرسبورغ ، ١٨٩٥ - ٦

ص ١٩٥ .

(٧٥) بونيباتوف - حول مصطلح الخرمية - مجلة ٢١ ع ١٠ ج ١٠ ص ١٩٥٩ عدد ٢ ص ،

أذربيجان في القرون السابع - التاسع ، ص ٢٣٢ .

(٧٦) الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٦ ، من المؤسف ان تجد تأثير هذا القول لدى كتاب سوفيتيين

مثل : مانانديان ، الذي يقر بمشاعية النساء ، الانتفاضات الشعبية ، ص ٤ .

(٧٧) نقد العلم والعلماء أو تلبيس أبليلس ، ص ٧٤ وذكر في صفحة ١٠٣ (وأباحوا النساء

وأحلوا كل محظور . ويردد عبد العال بدون تردد كل ما قيل عن (اباحية مزدك) في

كتابه - حركات الشيعة المتطرفين ، ص ٦٦ ، ٦٩ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢٤٩ .

وسلب الاراضي المشاعة من الفلاحين الاحرار ، وقد تمكنت من ذلك وعلى نطاق واسع مؤخرا ، لهذا وضعت الحركة المزدكية نصب عينيها اعادة حقوق الفلاحين الذين بدأوا يفقدون حريتهم ومقتنياتهم وارضيتهم . فحاربت المزدكية الارستقراطية حربا شعواء وكان من جراء مقاومة الارستقراطيين ان لاقى الكثير منهم حتفه وفقدوا اموالهم وارضيتهم ومقتنياتهم من عبيد واماء ونساء ، والتي وزعت على المحتاجين ، وغالبيتهم من الفلاحين والعبيد ، غير ان المزدكيين وجدوا ان خير وسيلة واحسن اسلوب لتوزيع الاراضي المستحوذ عليها وتحديد الملكية عليها هي (المشاعية) ، ولكن المشاعية خلقت مشاكل ومتاعب جديدة للحركة لانصراف الملاكين الصغار - الدهاقين - من صفوفها لانهم - الدهاقين - ساهموا في الحركة خوفا من تيارها وطمعا في الحصول على اراضي الملاكين الكبار غير ان تقسيم الاراضي الى مشاعيات وبسرودة موقف قباز من الحركة بعد عودته الى العرش ثانية شجع الدهاقين على الابتعاد عن الحركة مما اضعفها . ان مشكلة الاراضي ومعالجتها كانت احدى المسائل الاساسية التي عالجتها المزدكية ، والمشكلة الاخرى التي اعارتها اهتمامها كانت مشكلة المرأة الايرانية . لقد تدانى وضع المرأة في المجتمع وبلغ الحضيض في عهد العبودية بحيث اصبحت امة تباع وتشترى في سوق النخاسة كأي سلعة وكانت حالة الرجل المالية تعين مقدار امكانيته لاقتناء اي عدد من النساء بالاضافة الى زوجاته ، وكان النظام يبيع تعدد الزوجات ، وقد اباح الارستقراطيون - حرصا منهم على حفظ اموالهم وعدم تجزئتها بالوراثة - لانفسهم زواج الامهات والاخوات والبنات ، ونتيجة رضى الارستقراطيين والدين الزرادشتي على هذا التهتك ، فان المؤرخين لم تأخذهم الحمية على الاخلاق والحرص على الشرف من هذا العمل الشنيع ، ولكنهم وجهوا سهام نقدهم الى محاولة المزدكيين اعادة الكرامة والحقوق للمرأة الايرانية ، ان المزدكيين وجدوا غالبية الارستقراطيين والحكام والاثرياء يمتلكون العدد الغفير من النساء في حين يفتقر الكثير من ابناء الشعب لزوجات واحدة لانهم لا يملكون ثمن صداقها وامكانية الصرف عليها ، لهذا عمد المزدكيون الى اخذ النساء من بيوت الارستقراطيين وتزويجهن من الرجال العزاب . ان اخذ الزيادة من المكثرين ، سواء اكانت الزيادة اراض ام مقتنيات ، عبيد ، اماء ، ام نساء ، وتسليمها للفقراء المحتاجين اليها ، سرعت حقد الارستقراطيين ونقمتهم على الحركة لانها موجهة ضد حق انفرادهم بالتملك الواسع . لقد كانت الفكرة الاساسية في معالجة مشكلة المرأة ، هي تحطيم ملكية الارستقراطيين للنساء واعادة الحقوق والكرامة للمرأة الايرانية ، ومن هنا كانت محاربة الارستقراطيين الايرانيين للحركة وكانت تلاقي معونة رجال الدين الزرادشتيين والمسيحيين واليهود على السواء ، لقد كانوا مع الارستقراطيين جنبا الى جنب ضد الحركة ، وقد نعتوها بأشنع النعوت والصفات . ونورد على سبيل المثال ما ينقله دياكانوف عن مؤرخ الديانة اليهودية

ك • كريستس (٧٨) هم - اي اليهود - لا يستطيعون السماح بأن تتعرض نساؤهم وبناتهم كل لحظة لخطر الاعمال المخجلة ، ومدافعين عن طهارة حياة عائلاتهم وكانها حذقة عين (٧٩) ، ان اتهام المزدكيين بالشهوة والاباحة من قبل الارستقراطيين الايرانيين والديانة الزرادشتية والمسيحية واليهودية قد استمر في كتابات مؤرخي القرون الوسطى المتحيزين للسلطة والارستقراطية الاقطاعية •

بينما يرى كريستنسن ان صفتي الشهوة والاباحة متناقضتان مع الزهد الذي كان اساسا للمذهب (٨٠) ، وقد شك لويس بمشاعية الزوجات (٨١) ، وقد استل دياكانوف (٨٢) تعبيرا جيدا لسولودوخو (٨٣) ينفي فيه تهمة مشاعية الزوجات جاء فيه « هذا الادعاء ، يعترف الان بأنه مجرد اختلاق المؤرخين الناظرين بعداء للحركة المزدكية الثورية ، لانه لا توجد اية معلومات تؤكد بأية حالة ظهور مثل هذه التهمة التي لا تتغير ضد الذين هاجموا نظام التملك الشخصي » (٨٤) •

ولقد شك كريستنسن في صدور قوانين تلغي الزواج او تبيح النساء وحتى لو صدرت فانها حسب رأيه مستحيلة التنفيذ (٨٥) • وعليه يمكننا ان نتوصل الى ان الحركة سعت الى عدم السماح للرجال باقتناء اكثر من الحاجة من النساء وان يسمح للنساء بأن يعشن مع من يرغبن في العيش معه بلا اكراه ولا اجبار • وطبيعي ان يتعارض هذا مع ما الفه الارستقراطيون الايرانيون وما سنوه من شرائع تحمي مقتنياتهم واملاكهم • هنالك رأي اوردته بيكولفسكايا « ولدى المزدكيين ، مشاعية النساء كانت نداء للشكل القديم في العلاقات العائلية واحتجاجا ضد حريم الارستقراطية » (٨٦) ، اننا لا يمكننا ان نتفق مع بيكولفسكايا في تسمية الدعوة لاصلاح

(٧٨) وكتابه تاريخ اليهود (الترجمة الروسية كاركافي) ونقل دياكانوف عن الجزء الخامس ، بطرسبورغ ، ١٩٠٢ ص ١٠ فيما كتبه عن انتفاضة يهود بابل تحت قيادة مار - زوتري ، وقد اعتبرها ضد المزدكية •

(٧٩) دياكانوف ، مختصر تاريخ ايران القديم ، حاشية رقم ١٥٣ ص ٤١٠ •

(٨٠) ايران ، ص ٣٢٩ •

(٨١) أصول الاسماعيلية ، ص ١٩٩ •

(٨٢) مختصر تاريخ ايران القديم ، حاشية رقم ١٥٣ ص ٤١٠ •

(٨٣) سولودوخو ، يو ٠١٠ في مقاله الممتع (الحركة المزدكية وانتفاضة يهود العراق في النصف

الاول للقرن السادس بعد الميلاد رقم ٣ - ٤ ص ١٣٦ •

(٨٤) مختصر تاريخ ايران القديم ، ص ٤١٠ •

(٨٥) ايران ، ص ٣٣٠ •

(٨٦) تاريخ ايران ، ص ٥٨ ، انظر غرشمان الذي اعتبر منهاج مزدك ضد حريم النبلاء ايضا ،

حيث فيه (الحريم) عدد غفير من النسوة اللواتي اغلق من دونهن الباب ، ايران ،

ص ٣٠٢ •

وضع المرأة في المجتمع الإيراني الساساني من قبل المزدكيين مشاعية النساء وأنه عودة إلى الشكل القديم في العلاقات ، أي العودة إلى المشاعية . فالمزدكيون لم يقصدوا أبداً في إصلاحهم لشأن المرأة العودة إلى ما كانت عليه العائلة أيام « الشيوعية البدائية » المشاعية الأولى ، ولو أن لدى مجتمعات ذلك العصر كانت باقية بعض بقايا الزواج الجماعي الديني لآيام البدائية الأولى ، والتي قد تستر عليها العرف والتقاليد والدين والمجتمع أو أنها تظهر وخاصة لدى الجماعات المناهضة للدين والسلطة للطبقة السائدة ، عارية من تلك الاستار (٨٧) . أن هذه البقايا (الترسبات) ، وهي قليلة ، وأن كانت موجودة لدى الشعوب لا يمكن أن تسمح ، حتى في الخيال ، بتصوير محاولة المزدكيين في انتشال المرأة الإيرانية من مركزها المتدني ، بأنها عودة إلى « مشاعية الزوجات » في المجتمع القديم ، المجتمع البدائي أو المشاعية الأولى . كما وأن مناهضة المزدكية (والخرمية فيما بعد) للدين الرسمي دفع المؤرخين والمدافعين عن مصالح الطبقة السائدة لاختلاق كل ما هو شائن ووضع المثالب ، ولهذا اتهموا المزدكية بالاباحية ، لهذا فإن استعمال بيكولفسكايا لكلمة مشاعية غير مناسب لأنه يدل على تأييدها لأقوال معادي الحركة الذين يصمون بها بالاباحية . ويرى سمينوف بأن مشاعية النساء لدى مزدك لا تعتبر مكروهة جداً بالقياس إلى ما تبيحه الزرادشتية من زواج الابن لأمه والاب لابنته والاخت (٨٨) . وهذا الرد الضعيف قد جعل سمينوف يعترف بوجود المشاعية الزوجية أو مشاعية النساء ، ولا يمكننا طبعاً أن نقر سمينوف على رأيه هذا (٨٩) . ومن الطريف أن ننقل قول المؤرخ الإيراني بلعامي (٩٠) ، الذي نقله جوزي (٩١) ، عن

(٨٧) يرى بونياتوف : « البحث العلمي لهذه المسألة (مشاعية الزوجات) في الواقع يحتم ملاحظة أن الرواسب الدينية للزواج الجماعي البدائي كانت معروفة لشعوب كل البلدان تقريباً أحياناً تحت ستار الاعراف الدينية الرسمية والأخلاقية والقانونية وعلى الرغم من هذه الاعراف أحياناً » ، ويضيف بونياتوف إلى ذلك : « هذا ما لا يقبل الجدل وليس هناك فسق ما » ، وقد توصل إلى ذلك مستخدماً آراء فردريك انكلز في أصل العائلة ، ص ٢٦ - ٨٥ « لا يمكن تفهم ظروف المجتمع البدائي طالما كنا ننظر إليه نظرتنا إلى دور البقاء » ، مجلة أخبار ، ١٠ ع ١٠٦ ج ١٠ س ١٩٥٩ ، العدد ٢ ، ص ٤٨ ، آذربيجان في القرون السابع - التاسع ، ص ٢٣٣ - ٤ .

(٨٨) مقالة المزدكية ، ص ٣٣٢ .

(٨٩) راجع كريستنسن ، إيران من ص ٣٠٨ إلى ص ٣١٩ حول العلاقات بين أفراد الأسرة الإيرانية في العهد الساساني والقوانين العامة التي تحدد مسؤوليات وواجبات كل فرد وعن الوراثة والوصاية والتبني ، ومراجعة دياكانوف ، مختصر تاريخ إيران القديم ، الحاشية رقم ١٥٣ في الصفحات ٤١٠ - ٤١١ حيث فيه بحث طرييف عن معالجة المزدكيين لقضية المرأة الإيرانية .

(٩٠) الذي اختصر تاريخ الطبري .

كريستنسن (٩٢) ، يقول بلعامي « ان مزدك فسخ الزواج (الشرعي) وملكية الاراضي وكان يقول « ان خالق المسكونة قسم الاشياء بين الناس بالمقسط فلم يعط احدا اكثر من غيره ولهذا لا بد من نظام يتساوى فيه عدد النساء ومقدار الاراضي التي يملكها كل شخص ويكون من مقتضاه ان من يملك اراضي واسعة لا يستطيع ان يقول اني لا اعطي منها شيئا لغيري ومثله من يملك عدة نساء لان النساء مشاعة بين الناس » اي ان امرأة الواحد تخص الآخر وامرأة هذا الاخر تخص من يجب ان يأخذها » (٩٣) . ولقد اعتبر بونياتوف ما نسبته المؤرخون القدامى والمؤلفون البرجوازيون الى المزدكية وخلفائهم الخرمية من شيوع الزوجات ، بأنه التعبير المتطرف للنموذج الماچن للحياة الذي نسب الى المزدكيين ومن بعدهم الخرميين خلفائهم الفكريين (٩٤) .

والنقطة الجديدة بالاهتمام بالحركة المزدكية هي علاقتها بالملك قباز . المصادر القديمة تشير الى انه حكم في الفترة الاولى عشر سنوات (٤٨٨-٤٩٨ م) (٩٥) ثم عزل ونصب اخوه جاماسب ملكا . اما قباز فقد أودع السجن حيث هرب منه والتجأ الى الهياطة وبقي هناك عامان ونصف وعاد ، ويعتبر كريستنسن الفترة الاولى من حكم قباز ثمان سنوات وليست عشر سنوات (٩٦) ، وترى بيكولفسكايا ان تنصيب جاماسب كان في عام ٤٩٦ م (٩٧) ، اما عودة قباز فان كريستنسن يعتبرها بين ٤٩٨ م و ٤٩٩ م (٩٨) . وظل قباز ملكا في الفترة الثانية حتى وفاته سنة ٥٣١ م (٩٩) وليس صحيحا ما يعتقد سمينوف بأن الفترة الثانية من حكم قباز كانت ٣٥ عاما (١٠٠) .

ان التعاليم المزدكية سابقة ولا شك ليوم تتويج قباز ، غير ان هذه التعاليم اصبح

(٩١) من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، ص ٩٨ - ٩٩ .

(٩٢) في الحقيقة ان كريستنسن ينقل في (ايران ، ص ٢٢٩) اقوال الطبري وابن البطريق والثعالبي والشهرستاني وغيرهم ممن اوردنا نصوصا لهم حول الموضوع ، غير ان جوزي نسبها للبلعامي .

(٩٣) من تاريخ الحركات ، ص ٩٨ - ٩٩ .

(٩٤) مجلة اخبار اكاڤيمية علوم ١٩٥٩م ، العدد ٢ ، ص ٤٦ ، آذربيجان في القرون السابع -

التاسع ، ص ٢٣١ .

(٩٥) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٦٧ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٨٨٥ ،

ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .

(٩٦) ايران ، ص ٣٣٠ ، حاشية رقم ٣ ، وكذلك اعتبرت بيكولفسكايا الفترة الاولى ٨ سنوات ،

تاريخ ايران ، ص ٥٨ .

(٩٧) تاريخ ايران ، ص ٥٨ .

(٩٨) ايران ، ص ٣٣٦ .

(٩٩) تتفق غالبية المصادر على هذا التاريخ .

(١٠٠) مقالة المزدكية ، ص ٣٣٤ ، ص ٣٤٢ .

لها من النفوذ لسرعة انتشارها بين اوسع جماهير الشعب ، وقد اهتبل الملك قباد
الفرصة لكسر شوكة الارستقراطية (مالكة العبيد) والقضاء عليها فقرب المزدكيين
وقرب مزدك نفسه (١٠١) واخذ يعتمد عليه كثيرا ، وهذا ما جلب حقد الارستقراطيين
وتخوفهم من تعاضل نفوذ المزدكيين ، لهذا قرروا الاسراع بتسديد الضربة الى الملك
حامى الفرقة المزدكية فعزلوه ونصبوا جاماسب ملكا محله . ولقد توهم كل من الطبري
والمقدسي وابن الاثير (١٠٢) ، بأن المزدكيين خلعوا قبادا وملكوا أخاه جاماسب .

وعند هربه الى الهياطة (١٠٣) - الاثراك (١٠٤) « الهون » (١٠٥) المحتلين
للأجزاء الشمالية الشرقية من ايران - فكر في العودة الى عرشه بمساعدة جيش
الهياطة لانه اراد ان يكسب النصر دون ان يكون مدينا لاي من القوتين المتخاصمتين
في الداخل - ايران - ، الارستقراطيين وحلفائهم الروحانيين من جهة ، وجماهير
الشعب ، المنظمة تحت لواء المزدكية ، من جهة ثانية . هذا مع علمه (قباد) بأن
للارستقراطيين والروحانيين خلعه ، وقد خلق هذا شعورا لدى قباد بأن المزدكيين لا
عرشه بعد عدة سنوات من حكمه (١٠٦) ، وان جماهير الشعب لم تلمس منه التأييد
المطلق لحركتها ، فهو قد سار معها لتحقيق اغراضه السياسية في ضرب الارستقراطية
ورجال الدين (١٠٧) ، لهذا قل حماس الجماهير في تأييد قباد وهذا ما يسر
للارستقراطيين والروحانيين خلعه ، وقد خلق هذا شعورا لدى قباد بأن المزدكيين لا
يستطيعون ان يحققوا له الظفر بالعرش .

كل هذه الامور - كما يخیل لنا - لا بد وان قباد قد فكر بها طويلا قبل ان يقدم
على استخدام جيش الهياطة فقط في استرجاع عرشه (١٠٨) .

-
- (١٠١) البيروني ، الاثار ، ص ٢٠٩ ، تومارا ، بابك ، ص ٩ .
(١٠٢) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٢ ، ص ٨٨٥ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٣ ،
ص ١٦٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٢٤٢ .
(١٠٣) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٦٧ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٣ ، ص ٨٨٢ ،
ص ٨٨٧ ، ويسميه ابن خلدون بالصغد ، كتاب العبر ، ج ٢ ، ص ١٧٦ .
(١٠٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٣ ، ص ٨٨٢ .
(١٠٥) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣٤ ، رستم ، اسد ، ويطلق عليهم الهون البيض ، الروم ،
ج ١ ، ص ١٣٦ .
(١٠٦) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٦٧ ، اليعقوبي ، التاريخ ، م ١ ، ص ١٦٤ ، الطبري ،
تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٣ ، ص ٨٨٥ - ٦ .
(١٠٧) دياكانوف ، مختصر تاريخ ايران القديم ، ص ٣٠٧ ، رستم ، اسد ، الروم ، ج ١ ،
ص ١٣٦ . تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٨٣ .
(١٠٨) يضيف تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٨٣ ، الجيش الايراني الى جيش الهياطة .
ولم يرد ذكر الجيش الايراني في غالبية المصادر .

ويتوضح ، بعد عودته (٤٩٨م أو ٤٩٩م) للعرش بفضل الجيش الهيطلي (١٠٩) ، بأنه قرر السير - لفترة من الزمن - على سياسة توازن القوى ، فهو من الناحية الاولى وان كان قد عفا عن الارستقراطيين (١١٠) ، الذين ناصبوه العداوة ، وعن أخيه جاماسب (١١١) ، الذي توج ملكا في فترة عزله ، فانه ظل يتخوف منهم ، ومن الناحية الثانية ، وبالرغم من شعوره بأن سبب عزله هو مسايرته للمزدكيين في السابق ، فانه لم يشأ المباشرة بالتمكك للقوى الشعبية فجأة (١١٢) . والظاهر انه اتخذ هذا الموقف بدهاء لانه كان في مركز حرج لا سيما وانه كان مرغما على اعادة جيش الهياطلة الذي ساعده حيث كان هذا الجيش يستنزف مصاريف باهظة ، ولم يكن الملك قباز ليرغب في توسيع جبهة المعارضة له ، فالارستقراطية ، الساكنة على مضض ، والتي كانت قد أرغمت بحراب الاعداة على قبول عودته للعرش ، ستتقوى وينعزل الشاه فيما لو ضرب المزدكيين فوراً - وهم القوى الاحتياطية التي يمكن ان يركن اليها - وهذا لم يكن ، في ذلك الوقت والظرف ، في صالح الملك قباز (١١٣) .

لذا قرر التخلي ، تدريجيا ، عن المزدكيين ، وقرر تقريب قسم من الارستقراطيين ، الذين لم يعادوه ، والاعتماد على هذا القسم ، آخذا بعين الاعتبار توسيع هذا الاعتماد في المستقبل ، على الارستقراطيين ، الذين عفا عنهم يوم استسلامهم (وقد اهلك الخطرين المناوئين له) وبعد ان يزيل مخاوفهم بتقليص تقريره للمزدكيين (١١٤) . هذه السياسة التي لعبها قباز ونجح في تطبيقها ترينا ان تأييد قباز للحركة المزدكية كان بدافع اغراضه السياسية فقط كما لاحظ ذلك البيروني (١١٥) ، واما مناهج الحركة الاجتماعية فقد كانت غريبة عنه تماما . ومثله في ذلك مثل بعض الارستقراطيين الذين انضموا تخوفا للحركة - مثل سيواش - ومثل الملاكين الصغار - الدهاقين - . وكان قباز في استجابته لبعض مطالب المزدكيين (١١٦) - في الفترة السابقة لعزله - كان

(١٠٩) يقدره سمينوف بـ ٣٠ ألفا ، مقالة المزدكيين ، ص ٣٣٤ .

(١١٠) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٦٨ ، كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣٦ - ٧ .

(١١١) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٦٨ ، كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣٦ .

(١١٢) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣٦ .

(١١٣) تذكر بيكولفسكايا « في المرحلة الجديدة سياسة الشاه كانت متجهة نحو اضعاف

المزدكيين » ، تاريخ ايران ، ص ٥٩ .

(١١٤) تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٨٣ .

(١١٥) يذكر البيروني « وآمن قباز به فزعم بعض الفرس انه لم يتبعه الا اضطارا حين لم يأمن

متبعيه على ملكه » ، الآثار ، ص ٢٠٩ . ويشير فرشمان الى ان قباز وجد من الشجاعة

ليقف مع الناس لاجل ان يضعف سلطان الارستقراطية ، ايران ، ص ٣٠٢ .

(١١٦) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣١ - ٢ .

يرمي الى كسب ودهم حينما كانوا قوة يحسب لها حسابها ، ولكنه لم ينطلق في تأييده للحركة لانه ظل خائفا من توسع مطالبيها - الاجتماعية - (١١٧) وكان تخوفه هذا سببا في عزله عن الجماهير ومما ادى الى نجاح الارستقراطيين في خلعه عن العرش وسجنه . وقد حاول كريستنسن ، آرثر - مستشهدا بالمؤرخين القدامى بروكوب وآجاثياس ويوشع ستيليت والمحدثين مثل نولدكه - ان يعرض الوقائع كما لو ان قبازا كان مخلصا للحركة وليس مكيفيلي المبادئ (١١٨) .

لقد عاد قباز الى العرش في ٤٩٨م او ٤٩٩م (١١٩) وهو يتذكر ايام السجن والتشرد والغربة ، ولهذا خشي من تكرارها فقلل من عطفه على الحركة واخذ يتعد عنها رويدا رويدا ثم اخذ يتحين الفرص للايقاع بها . وكان المنفذ لمؤامرتة ولي عهده الحاقده على المزدكية السييء الظن ، كسرى (الذي اصبح شاهها باسم انوشروان) وسبب حقه ان المزدكيين كانوا يفضلون كاؤوس أمير (بذ شخواركر - طبرستان) (١٢٠) - الابن الاكبر لقباز - وريثا للعرش بدلا من كسرى الابن الاصغر ، اما الابن الاوسط لقباز - زام - فكان ذا عيب (أعور) يمنعه الدستور من جراء ذلك من تولي العرش .

لم يكن حقد كسرى المنصب على المزدكيين لوقوفهم ضد الارستقراطيين فحسب ، وانما لترجيحهم أخاه عليه ايضا ، لهذا هيا المؤامرة لضرب المزدكيين ولا سيما قادتهم ، وكان والده على علم بالمؤامرة ولاقت استحسانه وتشجيعه ودبرت المذبحة بخديعة دينية حيث دعي المزدكيون الى مناظرة عام ٥٢٩م (١٢١) مع رجال الدين الزرادشت واعلن قباز بدوره طرح مسألة وراثة العرش ، وجرت المناقشة الدينية . وقد ساهم فيها الروحانيون الزرادشتيون وأعانهم الاساقفة المسيحيون (١٢٢) . وتقول الروايات بان المزدكيين دحروا في المناظرة وحين ذاك انقض الجند بعد اطلاق الاشارة من كسرى

(١١٧) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣١ ، ص ٣٣٣ ، دياكانوف ، مختصر تاريخ ايران القديم ،

ص ٣٠٧ ، سمينوف ويتفق مع كريستنسن في رأيه ، مقالة المزدكيين ، ص ٣٣١ .

(١١٨) ايران ، ص ٣٣١ ، راجع مناقشة دياكانوف لآراء كريستنسن هذه في مختصر تاريخ

ايران القديم ، ص ٣٠٤ - ٥ .

(١١٩) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٣٦ .

(١٢٠) كان كاؤوس أميراً على طبرستان (بذ شخوار - شاه) ، كريستنسن ، ايران ، ص

٣٣٩ ، ويسميه سمينوف ، باتشغوار - شاه ، مقالة المزدكية ، ص ٣٣٥ .

(١٢١) كريستنسن ، ايران ، ص ٣٤٤ ، ويعتقد انها في نهاية ٥٢٨ وبداية ٥٢٩ ، ويعتقد

ياكوفسكي انها في عام ٥٢٨ ، مجلة الاستشراق السوفيتية ، المجلد ٥ لسنة ١٩٤٨ ،

ص ٤٠ ، راجع تاريخ بلدان الشرق الاجنبية الذي يعتبرها في ٥٢٩م ، ص ٨٤ .

(١٢٢) كان أسقف المسيحية بازان حاضرا ، كريستنسن ، ايران ، ص ٣٤٥ ، سمينوف ، مقالة

المزدكية ، ص ٣٣٦ .

وجرت المذبحة الدموية وذهب ضحيتها آلاف المزدكيين « ٨٠ ألفا » (١٢٣) العزل ،
 بضمنهم مزدك نفسه . ثم تلت تلك المذبحة الرهيبة تعقيبات مريعة استمرت حتى بعد وفاة
 الملك قباذ (٥٣١م) وكانت اشدها عندما تسلم كسرى انوشروان ، الملك الحاقد ، العرش
 حيث دشن حكمه بمذابح هائلة بين الخازر والنهروان والمداثن (١٢٤) ، ذهب ضحيتها
 عشرات بل مئات الالوف من الانصار المخلصين . ولئن تيسر للسلطة الساسانية
 الاجهاز على القسم الكبير من المزدكيين فان تعاليمهم الاجتماعية الثورية ظلت تتوهج
 في قلوب رواد الحرية وكانت الشعارات النيرة لثورات الفلاحين والسبيل القويم الذي
 سلكته الخرمية في نضالاتها وانتفاضاتها الفلاحية .

واما تأثير الحركة في ايران نفسها فانها اجهزت على العديد من الارستقراطيين
 - مالكي العبيد - ولهذا فان كسرى انوشروان حينما اراد ، بعد توليه العرش ، مساندة
 الارستقراطيين لعرشه ، وجدهم مبعثرين منهوكين ضعيفين . حين ذاك وزع اراضي
 الفلاحين المشاعية على ملاكين جدد وقدم لهم الاموال واعفاهم من الضرائب وبهذا
 ساعد على خلق وتقوية الارستقراطية الجديدة ، الا وهي الارستقراطية المالكة للاراضي
 فجاءت تنظيماته المالية لفائدة الارستقراطيين ، وبهذا ابرزت تلك التنظيمات تطور
 علاقات الانتاج ووطدت العلاقات القطاعية والنظام القطاعي - الذي كان في بدء
 تكوينه - ، ولما كانت المزدكية نتيجة لازمة عهد العبيد فقد لعبت دورها في عملية نشوء
 ونمو الطبقة القطاعية بقضائها على عدد كبير من ارستقراطيي العبيد . اننا اعتمدنا في
 تحليلنا المتقدم ، حول مساعدة انوشروان في نمو ونشوء الطبقة القطاعية ، على ما
 اورده الطبري (وامره ببيعان ذوي الاحساب الذين مات قيمهم فكتبوا له فأنكح بناتهم
 الكفاء وجعل جهازهم من بيت المال وأنكح شبانهم من بيوتات الاشراف وساق عنهم
 وأغناهم وامرهم بملازمة بابه ليستعان بهم في اعماله ٠٠٠ وأمر بكري الانهار وحفر
 القنى واسلاف اصحاب العمارات وتقويتهم) (١٢٥) . ففي هذا نرى كيف ان انوشروان
 ساعد على تمركز الارستقراطية المالكة للاراضي ، والنامية حديثا ، من اجل ان
 يستعين بها او كما يقول - كريستنسن - « وعلى هذا النحو ظفر كسرى الاول بطبقة

(١٢٣) ايفانوف ، مختصر تاريخ ايران ، ص ٣٠ ، ولا شك ان هذا الرقم لا يقتصر على المشاركين
 في المناظرة .

(١٢٤) اليعقوبي ، ج ١ ، ص ١٨٦ ، ويعتبر مقتل مزدك ايام حكم انوشروان وهذا غير صحيح ،
 الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٣ ، ص ٨٩٧ ، المسعودي ، مروج ، ج ١ ، ص
 ٢٦٤ ، الاصفهاني ، ابو الفرج ، الاغانى ، ج ٨ (طبعة ١٩٠٤) ص ٦١ ، المقدسي ،
 المطهر بن طاهر (اعتبر عدد القتلى ٨٠ ألفا ، بينما عدهم الاصفهاني وابن الاثير
 ١٠٠ ألف) ، البدء والتاريخ ، ج ٣ ، ص ١٦٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ١ ، ص ٢٥٥
 (١٢٥) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٣ ، ص ٨٩٧ .

جديدة من النبلاء خاضعة له ، (١٢٦) . ولكي يقربهم اليه اكثر ومن اجل تقويتهم اعفاهم من الضرائب ، فقد ذكر الطبري - كما اشرنا الى ذلك قبل - « وألزموا الناس الجزية ما خلا اهل البيوتات والعظماء والمقاتلة والهرابذة والكتاب ومن كان في خدمة الملك » (١٢٧) .

ج - الخُرمية

الخرمية :

الخرمية فرقة دينية متطورة عن المزدكية ، تؤمن بصراع الخير (اله النور) مع الشر (اله الظلمة) (١٢٨) ، ذات برامج اجتماعية ثورية محدودة تدعو الى توزيع الاراضي على الفلاحين وتعميم الاستفادة من المنافع العامة على الجميع وتحرير مركز المرأة من المكانة المتدنية التي وصلت اليها ، وتدعو الى مقاومة الظلم والاستغلال بالامتناع عن اطاعة الاقطاعيين والسلطة ورفض الضرائب . كان الفلاحون يشكلون الغالبية العظمى من منتسبيها . وقد عبّرت الخرمية عن سخطها واحتجاجها على الظلم الصارخ بسلسلة من الانتفاضات العارمة امتد لهيبيها من اذربيجان وارمينيا وعبر ايران الى ما وراء النهر حيث رددت اصداؤها هضاب البامير . ولما كان منتسبوها من بلدان مختلفة ، ولاستمرار فعاليتها سنين طويلة ، عُدّها المؤرخون والباحثون فرقا عديدة، ولكنني ارى بان الخرمية فرقة دينية واحدة احتوت على جماعات مختلفة بأسماء مختلفة (مبيضة ، حمرة ، بابكية . . الخ) في بلدان متعددة لسنين طويلة ، لهذا التبس على المؤرخين والباحثين امرها كما اختلفوا في اصل تسميتها (١٢٩) كما اختلف المؤرخون في تسمية الجماعات المنظمة لفرقة الخرمية .

ولقد برزت فصائل الخرمية بنشاط محدود في اواخر العهد الاموي (١١٨ هـ / ٧٣٧ م - ايام الدعوة العباسية - في عهد المسؤول عن الدعوة في خراسان ، عمار بن

(١٢٦) ايران ، ص ٣٥٠ .

(١٢٧) تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٣ ، ص ٩٦٢ .

(١٢٨) تشير غالبية المصادر الى ان الخرمية من الثنوية .

(١٢٩) انظر مقالة بونيياتوف حول مصطلح الخرمية ، مجلة اخبار ١٠ ع ١٠ ج ١٠ س ١٩٥٩م

العدد ٢ ص ٤٥ - ٥٠ ، واذربيجان في القرون السابع - التاسع ، ص ٦٣٠ - ٦

يزيد الذي سعى نفسه خدش (١٣٠) ، وازداد نشاط الخرمية وتوسعت فعاليتها في العصر العباسي الاول بسبب تخلي العباسيين عن وعودهم فسي تحسين احوال البلاد الاقتصادية ، ولتطبيقهم اساليب جائزة قاسية في الاستغلال والتسلط . فاصبحت تعاليم الخرمية الغطاء الايديولوجي للثورات الشعبية . لقد اختلط الامر على المؤرخين والباحثين في اصل تسمية الخرمية وفي الجماعات المنضمة اليها ، فالمسعودي لا يضبط اسماء الجماعات الخرمية حتى في مؤلفاته المختلفة ، ففي التنبيه والاشراف يسميهم (الكوذية منهم والكوذشاهية) (١٣١) وفي المروج كتب (واكثر الخرمية في هذا الوقت - وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلثمائة - الكردكية واللودشاهية) (١٣٢) ، اما ابن النديم فيخلط بين المزدكية والخرمية اذ اعتبرهما جميعا خرمية معتبرا المزدكية الخرمية الاولى والبابكية الخرمية الثانية (١٣٣) ، وقد شابه البغدادي في تعريفه للخرمية رأي ابن النديم حيث اعتبر المزدكية خرمية سابقة للاسلام والبابكية والمازيارية خرمية العهد الاسلامي (١٣٤) ، وكذلك شابه الاسفرائيني في تعريفه للمزدكية والخرمية (١٣٥) اقوال البغدادي . هذا الخلط اوهم البقية ووقعهم في ارتباك لا يميزون فيه بين المزدكية والخرمية . وقد اعتبر المقدسي الخرمية فرقا واصنافا (١٣٦) . هنالك رأي حول اسم خرم يرجع للتسمية الى زوجة مزدك خورامه ابنة فاده ، فلقد ورد لدى الوزير نظام الملك (١٠٩٢ م) في كتابه (سياست نامه) « ان زوجة مزدك خورامه ابنة فاده هربت مع اثنتين من المدائن وظهرت في منطقة الري ودعت الناس الى تعاليم زوجها وانتفى مختلف الناس الى هذه العقيدة وسماهم الناس (الخرم دينين) » (١٣٧) ، وقد رد

(١٣٠) يقول الطبري عن خدش « ثم غير ما دعاهم اليه وتكذب وأظهر دين الخرمية ودعا اليه ورخص لبعضهم في نساء البعض » ، تاريخ الرسل ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٥٨٨ وتجد ترديد هذا القول لدى ابن الاثير في الكامل والمقدسي في البدء والتاريخ (ويقول عنه ، وهو أول من بدأ مذهب الباطنية) ، ج ٦ ، ص ٦٠ - ١ .

(١٣١) ص ٣٥٣ .

(١٣٢) الطبعة الثانية ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ .

(١٣٣) الفهرست ، ص ٤٩٣ - ٤ .

(١٣٤) الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٦ ، الا انه ذكر عن الخرمية في مجال آخر بانهم على طريقة المزدكية (وكان اهل جبله « يقصد بابك » خرمية على طريقة المزدكية) ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٨٤ .

(١٣٥) التبصير ، ص ٦٢ .

(١٣٦) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ .

(١٣٧) وجنان بودكه زن مزدك خرمه بنت فاده بكر يخته بوداز مداين بادوكي وبرستاق ري افتاده ومردم رابمذهب شوهرمي خواند تاباز خلقي در مذهب او آمدند ازكبران . ومردمان ايشان راخرم دينان لقب نهاوند . . . سياست نامه ، باهتمام هيوبرت دارك، طهران ، ١٩٦٢ ، ص ٢٦١ ، انظر الترجمة الروسية للسياسة ناميه ، زاخودير ، موسكو ، ١٩٤٩ ، ص ٢٠٥ .

هذه المقولة غير قليل من الكتاب والمحدثين (١٣٨) ، ان انفراد نظام الملك بهذه الرواية يدعو الى الشك بها والى صعوبة الاعتماد عليها ، ولهذا فلا يمكن التصديق بأن الخرمية جاءت من خورامه وان المزدكية تسمى خرمية تبعا لخورامه ، ولا شك ان هذا الخلط جاء بتاثير تسمية ابن النديم والبغدادى والاسفرائيني للمزدكية بالخرمية الاولى . واما الشهرستاني فانه حينما يتكلم عن المزدكية يذكر الجماعات الخرمية الموجودة في العصر العباسي كفرق لها مع العلم بأن المزدكية كانت موجودة في العصر الساساني فقط ، فقد كتب عن المزدكية « وهم فرق : الكوزية وابو مسلمية والمهانية والاسبيدجامكية (المبيضة) والكوزية بنواحي الاهواز وفارس وشهورزور والآخر بنواحي سغد سمرقند والشاش وايلاق » (١٣٩) ، ولا ندري لماذا اعتبر ياكوفسكي ان الشهرستاني عنى بقوله هذا انقسام الخرمية الى هذه الفرق (١٤٠) ، ان الشهرستاني لم يتطرق هنا الى الخرمية وانما هو يخلط بين المزدكية والخرمية اذ انه لم يذكر الخرمية هنا اطلاقا ، لقد ورد ذكر الخرمية لدى الشهرستاني عند كلامه عن فرقة الهاشمية والتي هي احدى فرق الكيسانية . لقد ذكر الشهرستاني عن الهاشمية « وعنه نشأت الخرمية والمزدكية في العراق » (١٤١) ونلاحظ هنا عدم تمييز الشهرستاني للفرق بين المزدكية والخرمية فقد اعتبرهما خطأ قد نشأتا عن الهاشمية . ويرى السمعاني ان الخرمية يحلون الخمرة والنساء (١٤٢) ويعتبر ابن الجوزي كلمة خرم لفظ اعجمي ينبي عن الشيء المستلذ المستطاب الذي يرتاح الانسان له ، وان الخرمية لقب للمزدكية (١٤٣) ، وينفرد ابن الاثير - في الكامل - فيذكر ان : « معنى خرم فرج وهي مقالات المجوس والرجل منهم ينكح

(١٣٨) ياكوفسكي في مقاله عن المقنع في مجلة الاستشراق السوفيتية م ٥ لسنة ١٩٤٨ ص ٤٠ ، لويس ، اصول الاسماعيلية ، ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، الدوري ، فسي اعتماده على براون ، تاريخ الادب الفارسي ، المجلد الاول ، جاء بنص عن نظام الملك فيه قليل من التحريف ، العصر العباسي الاول ، ص ٨٤ ، العدوي ، الدولة الاسلامية ، الحاشية رقم ٢ ، ص ١٠٠ ، ايرجي تسيبيك ، بابك ، براغ ، ١٩٥٢ ، ص ١٦٣ - ٤ ، والملاحظ ان كريستنسن لم يشر الى خورامه مطلقا .

(١٣٩) الملل والنحل ، ج ١ ، ص ٢٥٠ .

(١٤٠) كتب ياكوفسكي « قال الشهرستاني ان الخرمية انقسمت الى عدة فرق في القرنين الثامن والتاسع ، ابو مسلمية ماهانية كودكية اسبيد جاماكية وغيرها » ، تاريخ ايران ، ص ١٠٧ ، راجع ايضا مقالته عن المقنع في مجلة الاستشراق السوفيتية المجلد الخامس لسنة ١٩٤٨ ، ص ٤٠ .

(١٤١) الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٥٢ .

(١٤٢) كتاب الانساب ، لندن ١٩١٢ ، ص ٧٢ ، ويرى البغدادى ان المقنعية « يستحلون الميتة والخنزير وكل واحد منهم يستمتع بامرأة غيره » ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٥٩ .

(١٤٣) تلبيس ابليس ، ص ١٠٢ - ٣ .

امه واخته وابنته ولهذا يسمونه دين الفرج (★) ، ولا شك ان كلمة فرج وصلت الى ابن الاثير محرفة الى فرج مما اضطره الى ان يخلط بين الخرمية والزراذشتية الذين كانوا يبيحون زواج المحارم ويعتقد ابن خلدون ان خرم معناه فرج ، وانهم كانوا يعتقدون مذاهب المجوس (١٤٤) . نجد ترديد هذه الاقوال لدى الكثيرين من المتأخرين ، والتي هي محاولة لوصم الفرقة بالاباحية والاستهتار . لقد كان العالم الالماني فلوك اول مستشرق استخدم اقوال ابن النديم والاقوال السابقة لتفسير كلمة خرم بمعنى (ماجن ، مرح ، بدون حياء ، مستهتر) (١٤٥) ويرى ولهاوزن ان الخرمية ليست فرقة وانما ميلا اباحيا عاما (١٤٦) ، بينما يرى فان فلوطن ان ترجمة مصطلح خرم كـ (ملتذ) اعطى مبررا للكلام عن الخرمية كحملة دين ما جديد واظهارهم على انهم لا يعرفون (كذا) اي دين آخر غير دين اللذة (١٤٧) . لقد رد موللر على تفسير فلوكل لكلمة (خرم) المنقولة عن الفارسية (فرج) بأنه لا يعدو نكتة مدرسية (١٤٨) . ويرد الدوري - معتمدا على آراء صديغي - على اقوال ولهاوزن التي تنكر وجود فرقة خرمية ، فيذكر الدوري ان آراء صديغي اظهرت ان الخرمية فرقة دينية ترجع مبادئها الى (مزدك) الاباحي (كذا) ثم حصل فيها تطور بمرور الزمن وانهم اتخذوا لانفسهم لقب (خرم دينان) او اهل الدين الفرج (١٤٩) (كذا) . ان آراء صديغي التي يتفق معها الدوري هي ترديد لاقوال ابن خلدون وغيره اما كون الخرمية فرقة دينية فقد ذكر الطبري عن خداس انه اظهر دين الخرمية .

لقد اوضح مارغليوث انه لا يرجح تفسير السمعاني لكلمة خرم بمعنى الرضا (١٥٠) كما وان جوزي يردد اقوال موللر ومارغليوث في الرد على الذين يعتبرون (خرم) تعني الفرج واللذة (١٥١) ويرى بونياتوف ان في الرواية التي تربط اسم خرم

(★) ج ٥ ، ص ١٨٤ .

(١٤٤) كتاب العبر ، ج ٣ ، ص ٢٥٦ ، وتحت تأثير ابن خلدون وقع زيدان ، عبد الكريم في الخطأ

حينما يعد الخرمية من فرق المجوس ، احكام الذميين ، ص ١٥ .

(١٤٥) مجلة جمعية الاستشراق الالمانية ZDMG ليبزغ ١٨٦٩ ، ص ٥٣١ .

(١٤٦) الدولة العربية ، ص ٤٠٧ - ٨ .

(١٤٧) فان فلوطن ، السيادة العربية ، امستردام ، ١٨٩٤م ، ص ٤٩ ، وقد سبق وان قال شبيه

هذا القول العالم الانكليزي ج. سيل G. Sale ، القرآن The Koran ، لندن ،

١٨٥٧ م ، ص ١٣٠ .

(١٤٨) تاريخ الاسلام ، هامش ص ١٩٦ .

(١٤٩) العصر العباسي الاول ، ص ٣٧ .

(١٥٠) دائرة المعارف الاسلامية المختصرة (النسخة الانكليزية) ، ليدن ، ١٩٥٣ ، ص ٢٥٧ .

(١٥١) من تاريخ الحركات ، ص ١٠٠ .

بالإباحة يسترعي النظر ضيق الافق العلمي والسياسي والتحيز الطبقي للمؤلفين الاقطاعيين والبرجوازيين (١٥٢) . وقد اوضح بونياتوف - مستخدما اقوال تومارا - (١٥٣) صعوبة اعتبار الخرميين المكافحين كفاحا بطوليا لمدة عشرين عاما جمهورا من المرحين جدا . لان اية حركة تحررية ترافق بالسكر والمجون يكتب لها الفشل مسبقا (١٥٤) . ولا شك ان محاولة وهم الخرمية بالإباحة والاستهتار هي بدافع تشويه جوهرها الكفاحي البطولي .

هناك رواية ثالثة حول اصل تسمية الخرمية ترجع ذلك الى اسم منطقة في اذربيجان غير بعيدة عن اردبيل وقد وردت اقوال المسعودي (١٥٥) وياقوت الحموي (١٥٦) وصادق الاصفهاني (١٥٧) في ذلك ومولر في معرض رده على فلوكل يرجع هذه الرواية (١٥٨) كما وان مارغليوث يرجع هذه الرواية على تفسير السمعاني (١٥٩) ، وتجد ترديدها لدى فان فلوثن (١٦٠) ، وحتى (١٦١) ، وجوزي (١٦٢) ، وقد اخذ بها ايضا سيل (١٦٣) وشريف (١٦٤) ، ومصطفى شاكر (١٦٥) ، ويرى بونياتوف انه لا يستبعد قبول مثل هذا التفسير لمنشأ اسم خرم لو لم تعترضه روايات وآراء مؤرخين اخرى (١٦٦) . ولا شك ان هذه الرواية هي اقربها جميعا للقبول . ولبونياتوف اقتراح بعد رفضه لآراء الفئات الثلاث ، فانه يعتبر اصل منشأ كلمة خرم من النار فهو يقول : « من غير ان نمس هنا المشكلة المستقلة والمعقدة عن علاقات ايدولوجية المزدكيين والخرميين بعبادة النار (الزرادشتية ، المزدية) ، نقترح تحليلاً لمصطلح خرم على

-
- (١٥٢) مجلة اخبار ١٠ ع ١٠٠ س ٠ ، العدد ٢ ، ص ٤٨ ، اذربيجان ، ص ٢٢٣ .
 (١٥٣) م . تومارا ، بابك ، ص ٧ .
 (١٥٤) بونياتوف ، حول مصطلح الخرمية ، ص ٤٨ ، اذربيجان ، ص ٢٢٣ .
 (١٥٥) مروج الذهب ، ط ٢ ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ .
 (١٥٦) معجم البلدان ، بيروت ، ج ٧ ، ص ٣٦٢ .
 (١٥٧) اعمال صادق الاصفهاني الجغرافية ترجمت من قبل جي . سي . ، لندن ١٨٣٢ ، ص ٢٣ .
 (١٥٨) تاريخ الاسلام ، هامش ص ١٩٦ .
 (١٥٩) دائرة المعارف الاسلامية المختصرة (النسخة الانكليزية) ، ط ١٩٥٣ ، ص ٢٥٧ .
 (١٦٠) السيادة العربية ، ص ٤٩ .
 (١٦١) تاريخ العرب (مطول) ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ٤٠٠ .
 (١٦٢) من تاريخ الحركات ، ص ١٠٠ .
 (١٦٣) القرآن ، ص ١٣٠ .
 (١٦٤) الصراع ، ص ٥٦ .
 (١٦٥) في التاريخ العباسي ، ج ١ ، ص ١٢٢ .
 (١٦٦) حول مصطلح الخرمية ، مجلة اخبار ١٠ ع ١٠٠ ج ١٠٠ س ٠ ، العدد ٢ ، ص ٤٥ ، اذربيجان ، ص ٢٣٦ .

اساس مفهوم (النار) • في اللغتين الفارسية والارمنية خور تعني شمسا في الاولى ونارا في الثانية (النار التي لا ترى ولا تمس) • (١٦٧) • لكن هذا التحليل الممتع الجديد لانحدار كلمة خُزَرم من النار وربط العلاقة بين التسمية وعبادة النار وان كان لا يحتمل الشك الا انه ليس من الميسور الاخذ به ، لانه قد يجرنا لان ندعو كثيرا من عبدة النار خرمية بدلا من مزدية وزرادشتية وبارسية وغيرها •

بالرغم من اطلاق اسم الخرمية على منتسبي الفرقة من قبل المؤرخين فان هنالك من لا يزال يسميهم بغير هذه التسمية ، فكريستنس حينما يتكلم عن المزدكية يذكر بأنها عاشت سرية في العهد الساساني ثم عادت للظهور من جديد في العصور الاسلامية (١٦٨) ، ويطلق كريمسكي عليهم اسم المزدكية (١٦٩) وعلى هذا المنوال يسمي سمينوف الخرمية باسم المزدكية الجديدة (١٧٠) وكذلك يسميهم نفيسي بالمزدكية الجديدة (١٧١) بالاضافة الى تسميتهم بالخرمية • ان هذه التسمية لا يمكن اعتبارها مضبوطة لان الخرمية فرقة متطورة عن المزدكية متأثرة بالوضع الجديد (المحيط الاسلامي) •

ويرى شريف ان الخرمية نشأت بعد مقتل ابي مسلم وتسمى ايضا بالمسلمية ، ويمكن ارجاع تسميتها الى قرية قرب اردبيل (١٧٢) ، وكذلك اعتبر حتي ظهور الخرمية بعد مقتل ابي مسلم ، وهي طائفة منسوبة الى بقعة في فارس (١٧٣) • ولا بد ان شريف وحتى قد تأثر بقول براون « ان الثورات التي قامت في ايران والتي قادها مدعو النبوة من سنباذ المجوسي (٧٥٤ - ٥ م) واستانديز (٧٦٦ - ٨ م) ويوسف البرم والمقنع (٧٧٧ - ٨٠ م) وعلي مزدك (٨٣٣ م) وبابك الخرمي (٨١٦ - ٩٣٨ م) كانت على (الاغلب) مرتبطة بذكرى ابي مسلم » (١٧٤) ، ومن المحتمل ايضا انهما تأثرا برأي صديقي « لا شك ان الخرمية جميعا اعتبروه (ابي مسلم) كرئيس ديني » (١٧٥) ، لكن الخرمية كما شاهدنا من اقوال الطبري (عن خدأش) وغيره موجودة في العصر الاموي

.....
(١٦٧) مقالة الخرمية ، مجلة ، ص ٥٠ ، اذربيجان ، ص ٢٣٦ •

(١٦٨) ايران ، ص ٣٤٧ •

(١٦٩) تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٢٩٦ • وكذلك يسميهم احيانا ياكوبفسكي « بالمزدكية » في مقالته عن المقنع في مجلة الاستشراق السوفيتية ، المجلد ٥ لسنة ٤٨ ، ص ١٤٠ •

(١٧٠) تاريخ العصور الوسطى ، ص ١٣٣ •

(١٧١) اذربيجان قهرماني بابك خرم دين ، باكو ١٩٦٠ ص ٢٠ •

(١٧٢) الصراع ، ص ٥٦ •

(١٧٣) تاريخ العرب (مطول) ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ٤٠٠ •

(١٧٤) براون Broune, E. G. ، تاريخ الادب الفارسي ، م ١ ، ص ٢٤٧ •

(١٧٥) صديقي Sadighi, G. H. الحركات الدينية الايرانية ، باريس ، ١٩٣٨ •

ونشطت خلال العصر العباسي ، وقد اشار الى ذلك لويس (١٧٦) والدوري (١٧٧) ، فالخرمية سابقة لفترة رئاسة ابي مسلم للدعوة العباسية في ايران ، اما ان الحركات الخرمية في العصر العباسي الاول قد تأثرت لحد ما بدعايته (١٧٨) ، وترك مقتله انطباعا سيئا وخيبة امل لدى الجماهير الناشدة تحسين اوضاعها الاقتصادية من قبل العباسيين فهذا امر لا يحتمل الشك ، ولكن لا يمكن بأي حال من الاحوال اعتبار مقتل ابي مسلم سببا لظهور الخرمية اذ ان لهذه الفرقة برامج اجتماعية كانت تنشد تحقيقها ولما ظهر زيف ادعاءات الخلفاء العباسيين وتكرهم لمطالب الجماهير التي ساعدتهم في القيام بالدعوة ، وتحقق ذلك بمقتل ابي مسلم ، نشطت الانتفاضات الجماهيرية التي لعب الخرميون الدور البارز في تحريكها وقيادتها والمساهمة فيها ولا يستبعد استخدامهم لاسم ابي مسلم *

وجهت للخرمية تهمة الاباحة والمجون ولا شك ان تدقيق اقوال المؤرخين يوصلنا الى انه في اطلاقهم هذه التهمة لم يكونوا متأكدين تمام التأكد . فالمقدسي ، وقد زار مناطق الخرمية وناقشهم في مختلف القضايا ، يقول : ومن شاهدنا منهم في ديارهم ماسبذان ومهرجان قدق فاننا وجدناهم في غاية التحري للنظافة والطهارة والتقرب الى الناس بالملاطفة بتقديم الصنعة **ووجدنا منهم من يقول باباحة النساء على الرضا منهن** واباحة كل ما يستلذ النفس وينزع اليه الطبع ما لم يعد على احد بضرر (١٧٩) . فالمقدسي ذكر « ووجدنا منهم من يقول » ولم يذكر المقدسي بأنه وجدهم يستبيحون النساء وانما وجد منهم (ومنهم تدل على قسم منهم) وهذا القسم يقول باباحة النساء وعلى الرضا منهن . ويخيل لي ان المقدسي لم يلمس او يتأكد من التهمة التي اطلقها ويطلقها المؤرخون السابقون والمعاصرون له ، ولهذا لم يستطع نفيها في وسط ذلك الجرى المحموم بالحق والكراهية للخرمية والا عد مدافعا عنهم ، ولهذا جعل كلامه مبهما ويحتمل الشك بقوله (ووجدنا منهم من يقول) ، ان هذه المحنة التي وقع فيها المقدسي ، المطهر بن طاهر ، من جراء ترديده لاقوال ابي المنصور البغدادي لاقوال ابي المظفر الاسفرائيني وغيرهما ، وقع فيها - المحنة - ابن الجوزي ، ابو الفرج ، ففي محاولة منه لطعن البابكية في سلوكهم واخلاقهم ، ومرددا لافتراءات ابن النديم والبغدادي والاسفرائيني ، لم يستطع « ابن الجوزي » تأكيد قوله ، ولهذا جاءت مقولته تحتمل الشك ومن ثم تكشف عن مقدار الجهد المبذول لاختلاق الماثلب ، لقد كتب ابو الفرج عن

(١٧٦) العرب في التاريخ ، ص ١٤٢ .

(١٧٧) العصر العباسي الاول ، ص ٣٦ .

(١٧٨) ن ٠ م ، ص ٨٥ .

(١٧٩) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ .

البابكيين (فقد بقي من البابكية جماعة يقال ان لهم ليلة في السنة ، تجتمع فيها رجالهم ونسائهم ويطفئون السرج يتناهبون للنساء فيشب كل رجل منهم الى امرأة ، (١٨٠) ان ابن الجوزي في ترديده لاقوال من سبقه في هذه الفرية لم يجد دليلا واحدا على حدوث الاباحة حتى ولو لمرة واحدة في السنة ، فلو كان قد عثر على دليل واحد لاطلق التهمة صراحة دون لبس او ابهام - ان جملة ، يقال ان لهم ليلة في السنة ، لدليل على بطلان هذه التهمة لان ابن الجوزي ، وهو من اشد المؤرخين عدا وبغضا لهم ، لم يستطع الجزم بهذا المنكر ، ان كلمة يقال تدل على احتمال وقوع الشيء او عدم حدوثه ، اي تدل على عدم التأكد .

لقد كان الخرميون يحترمون حرية الاعتقاد ويكرهون سفك الدماء الا اذا اجبروا على القتال ، كما وانهم كانوا ميالين لجعل المنافع العامة مشتركة ما لم تسبب ضررا على الآخرين وهذا ما يشهد به زائر مناطقهم ، المقدسي ، المطهر (وكل ذي دين مصيب عندهم اذا كان راجي ثواب وخاشي عقاب ولا يرون تهجينه والتخطي اليه بالمكروه ما لم يرد كيد ملتهم وخسف مذهبهم ويتجنبون الدماء جدا الا عند عقد راية الخلاف) (١٨١) .

لقد سعت الخرمية الى تحقيق المساواة وتعميم الاستفادة من المنافع العامة وتحرير مركز المرأة ، لذا واجهت قوى عديدة وقفت ضد تحقيق برامجها ، فالسلطة العربية (في العصر الاموي) والارستقراطية القبلية العربية (باستثناء العائلة العباسية) وقفت ضدهم والسلطة العربية والارستقراطية العربية والمحلية (في العصر العباسي) والفقهاء المسلمون ورجال الدين الزرادشتيون وقفوا ضد الخرمية لبرامجها الاجتماعية . ولما كانت غالبية الخرمية من الفلاحين - ذكر المسعودي عنهم : واكثر هؤلاء في القرى والضياح (١٨٢) ، لهذا شغلت قضية الارض المركز الاول في اهتمام الخرميين فكانوا يحررون الارض من الاقطاعيين ليزرعها الفلاحون مشاعا وكثيرا ما كانوا يؤلبون الفلاحين على سادتهم كما اخبرنا الطبري عن المازيار : وامر اكرة الضياح بالوثوب

(١٨٠) نقد العلم والعلماء او تلبيس ابليس ، ص ١٠١ .

(١٨١) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ ، انظر مرغليوت ، دائرة المعارف الاسلامية (النسخة الانكليزية) ، ١٩٥٢ م ، ص ٢٥٨ .

(١٨٢) مروج الذهب ، ط ٢ ، ج ٢ ، ص ٣٠٥ ، ويذكر البغدادي عن اتباع المازيار (واتباع مازيار اليوم في جبلهم اكرة من يليهم من سواد جرجان) ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٩ .

بارباب الضياع وانتهاب اموالهم (١٨٣) . ويحرضون جماعاتهم على عدم الخضوع
لسلطة الخلافة والامتناع عن دفع الضرائب .

لقد ناصبت الزرادشتية - كما شاهدنا - المزدكية العداء السافر وفي العهود
الاسلامية وجهت الزرادشتية عداءها ضد الخرمية وريثة المزدكية . ومع انه لم يبق
للزرادشتية من شأن يذكر في الحياة السياسية الا انه بقي لها النفوذ العقائدي وسط
الذمين الايرانيين ، اما الاسلام - وكان يمثل (بالنسبة للخرميين) رجال السلطة ومن
القف حولهم من الملاكين المحليين الذين انتقلوا من الزرادشتية الى الاسلام واعتنقوا
مذهب الدولة السني (١٨٤) ، لان الخوارج والشيعية مذاهب اسلامية مناهضة لسلطة
الخلافة ، وكان الخرميون بدورهم ضد الزرادشتيين وضد المسلمين ، وكان الاسلام
بالنسبة للمثائرين دين الطبقة السائدة ، فكان اعتناق المثائرين للخرمية من سبيل المعارضة
الثورية . لقد بين انكلز في تحليله الرائع لنضال الطبقات في القرون الوسطى عند
دراسته لحرب الفلاحين في المانية بأن المعارضة الثورية كانت تتخذ اشكالا مختلفة ،
حيث كتب : « لقد استمرت المعارضة الثورية للاقطاع طيلة القرون الوسطى فقد اتخذت
تبعا للظروف الزمنية ، اشكالا مختلفة فمرة كانت تتخذ مظهرا دينيا واخرى شكل هرطقة
مكشوفة وتارة تقوم بشكل انتفاضة مسلحة » (١٨٥) . فكانت الخرمية الاطار
الايدولوجي للمناهضة الثورية ضد الطبقة السائدة وضد السلطة لان النزاع بين
الخرمية وسلطة الخلافة كان بسبب تفاقم الجور والظلم والاستغلال الطبقي والحكومي
وقد اشار الى ذلك بارتولد حيث ذكر بأن النزاع يخفي تحته مسألة الارض (١٨٦)،
ونعتقد بأن الخرمية كانت مناهضة للسلطة الاسلامية وليست ضد الدين الاسلامي كدين
لان الخرميين كانوا يعتقدون بحرية الاديان « وقد بنوا في جبلهم مساجد للمسلمين
يؤذن فيها المسلمون وهم يعلمون اولادهم القرآن » (١٨٧) ، واعترف المقدسي ، المطهر

(١٨٣) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٦٩ ، ويقول بارتولد « فيثيرون المزارعين المحرومين
من الارض ضد اصحاب الضياع الواسعة الذين هم (حلفاء العرب) » ، الحضارة
الاسلامية ، ص ٦٠ ، والترجمة ص ٦٦ .

(١٨٤) ينقل لويس عن (صديقي ، الحركات الدينية ، ص ٦١) : « فصار زرادشتيون الطبقات
الراقية من الفرس سنة ويقوا على امتيازاتهم ، اصول الاسماعيلية ، ص ٨٥ . بينما
الزرادشتيون البسطاء انتقلوا الى الشيعة - كما يشير الى ذلك بارتولد ، الحضارة
الاسلامية ، ص ٦٠ ، والترجمة الترجمة العربية ص ٦٦ .

(١٨٥) الحرب الفلاحية في المانية ، ص ٣٤ .

(١٨٦) الحضارة الاسلامية ، ص ٦٠ والترجمة ، ص ٦٦ .

(١٨٧) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٩ ، راجع مرغليوث ، دائرة المعارف الاسلامية
المختصرة ، ص ٢٥٨ .

بن طاهر ، باحترام الخرميين لاصحاب الاديان (١٨٨) . لكن غالبية المؤرخين والفقهاء المسلمين اعتبروا الخرمية تريد الكيد للدين الاسلامي وتسعى الى تحطيمه ، فالبيروني يقول عن المقنع انه شترع لاتباعه (جميع ما اتى به مزدك) ، ويقول ابو الفرج ابن الجوزي (ان الثنوية والمجوس ارادوا ارجاع ممالكهم وابطال الاسلام) (١٨٩) ، ويقول المقرئزي عن الايرانيين : انهم راموا كيد الاسلام بالمحاربة في اوقات شتى (١٩٠) . ولا شك ان انعدام امكانية معرفة الاسباب الاجتماعية والاقتصادية للحركات الثورية في ذلك العصر - وهذا طبيعي لمفكري ومؤرخي تلك الحقبة - بالاضافة الى خوف المؤرخين من بطش الحكام والتفاف قسم من المؤرخين حول السلطة ولسيادة الافكار الرجعية والانحدار بعض المؤرخين والفقهاء الطبقي ، كل ذلك جعلهم يقفون ضد الحركة الخرمية . لقد سلكت جماهير الشعب المستغلة دروبا عديدة في سبيل تخلصها من الجور والاستغلال والاستبداد ، فالموالي لجأوا الى الاحزاب والمذاهب الاسلامية الثائرة كالخوارج والشيعة (١٩١) ، والى بقية الجماعات المنتفضة ، راجية تخفيف الظلم والاضطهاد عنها ، ولما كانت مناهج تلك الاحزاب - حتى العصر العباسي الاول - خالية من معالجة القضايا الاقتصادية ، نفضت الجماهير الشعبية ايديها من تلك الاحزاب وانسحبت منها لتنضم الى الدعوة العباسية المحتوية على وعود لحل المشاكل الاجتماعية وتخفيف الضائقة الاقتصادية . لكن تنكر العباسيين لمطالب القاعدة الاجتماعية التي اعتمدوا عليها ، بعد بلوغهم السلطة دفع تلك الجماهير لان تقف ضد السلطة العباسية فالتجأت غالبيتها الى الخرمية لقتلتمس لديها السلاح الفكري (١٩٢) لنضالها ، ولما كانت غالبية المنتهين للخرمية من الفلاحين والعبيد وشغيلة المدن والرعاة فقد اثار هذا مخاوف الفقهاء ورجال الدين لانها اخذت تجذب اليها الطبقات المستغلة وهم غالبية ابناء الشعب ، لهذا صبوا جام غضبهم على هذه الفرقة ونعتوها بالاباحة والفسق وتبادل الزوجات واحلال المحرمات . ان تهمة الاباحة ، التي ألصقت من قبل بالمزدكية ، باطلة ومحاولة لتشويه احترام الخرميين لمركز المرأة المتدني ومنحها بعضا من الحرية . ان

(١٨٨) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ ، انظر مقالة مرغليوث عن الخرمية في دائرة المعارف

الاسلامية المختصرة ، ١٩٥٣ م ، ص ٢٥٨ .

(١٨٩) المنتظم ، ج ٥ ، ص ١١٠ .

(١٩٠) المواعظ والاعتبار ، ج ٤ ، ص ١٩٠ .

(١٩١) دخلت البرامج الاجتماعية والاقتصادية في تعاليم بعض الفرق الشيعية (قرامطة -

اسماعيلية) في القرنين التاسع والعاشر وحينئذ انتمت اليها بكثرة ، الجماهير

المستغلة من مختلف الاجناس والبلدان .

(١٩٢) يذكر لويس ، واستقى هؤلاء الثوار اكثر الهامهم الديني من الهرطقات الايرانية القديمة،

العرب ، ص ١٤٢ .

احدا منهم لم يتطرق الى النخاسة التي كانت تهىء الفسق والفجور والدعارة حيث كانت تمد الاغنياء المترفين بعشرات بل مئات واحيانا الوف الجواري اللواتي اوقعهن سوء طالعهن بأيدي النخاسين ، وكان للمالك حق التمتع بجواريه اضافة الى نسائه .
 اننا نجد حتى اليوم من يمتدح الرق في ذلك العصر (١٩٣) . واما مطالبة الخرميين بالعدالة في توزيع النساء ومنح المرأة الحرية في اختيار الزوج فقد اعتبرت من قبل خصوم الخرمية دعارة واباحة ، وشبيه بهذا ما لاحظته لويس بالنسبة للحرية التي منحت للنساء الاسماعيليات حيث قال : وربما كانت هذه الحرية النسبية للنساء الاسماعيليات هي التي تمثلت لاعين اهل السنة المتعصبين دعارة محضة (١٩٤) . لقد بنى العلماء والفقهاء والمؤرخون اقوالهم على ما سمعوه من ان لدى الخرميين (البابكيين) ليلة في السنة يجتمعون فيها على الخمر والزمر ثم يطفئون الضوء ويذهب كل الى امرأة ، هذا القول المروي دون جزم حتى لو فرض حدوثه لمرة واحدة في السنة فان ذلك ينفي صفة الاباحة والدعارة ، اما الفسق بالجواري المتكرر يوميا فذلك شأن آخر !! لقد كان هؤلاء المؤرخون (وعاظ السلاطين) (١٩٥) يجارون السلطة الحاكمة على كل حرية ، يلصقون التهم جزافا ، ويعيد الباحثون (البرجوازيون) التهم نفسها على كل حركة اجتماعية (شيوعية حسب مفاهيمهم) لغرض الطعن بالشيوعية العلمية (الواقعية) (١٩٦) . فموللر يعتبر مشاعية الخرمية للزوجات النظرية الاساسية للشيوعية (١٩٧) ويتصور ولها وزن ان شيوعية الزوجات التي كان دعا اليها مزدك (كذا !) قد احيته الخرمية والراوندية (١٩٨) ، واما بروكلمان فيكتب بصورة المتأكد من ان خرمية جرجان احييت العقائد الشيوعية المزدكية (١٩٩) . وصديغي بعد ان يرجع الخرمية الى مزدك الاباحي يذكر عنهم انهم بقوا يقولون باشتراكية النساء برضاهن (٢٠٠) وتجد ترديد قول صديغي لدى الدوري كثيرا (٢٠١) . وتجد لدى شريف (٢٠٢) ،

(١٩٣) مثلا حسن ، حسن ابراهيم ، تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٢ ، ص ٤١٩ .

(١٩٤) اصول الاسماعيلية ، ص ٢٠٣ .

(١٩٥) كما يسميهم الوردي ، علي جليل في كتابه وعاظ السلاطين .

(١٩٦) بونياتوف ، مقاله حول مصطلح الخرمية ، ص ٤٩ .

(١٩٧) تاريخ الاسلام ، ١٩٦ .

(١٩٨) الدولة العربية ، ص ٤٠٧ - ٨ .

(١٩٩) تاريخ الشعوب ، ج ٢ ، ص ١٤ .

(٢٠٠) الحركات الدينية في ايران ، .

(٢٠١) العصر العباسي الاول ، ص ١٦ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، دراسات ، ص ١٠ ،

مقدمة ، ص ٨٩ - ٩٠ ، والجذور التاريخية للشعبوية ، ص ٢٤ ، ٢٦ ، ٤١ ، ٤٢ ويغلب

التناقض على اقواله في كتبه المختلفة .

(٢٠٢) الصراع ، ص ٥٥ .

ومصطفى ، شاكراً (٢٠٣)، وحسن ، حسن ابراهيم (٢٠٤) والشلبي (٢٠٥) ، والمؤرخين الارمنيين ليو (٢٠٦) ومانانديان (٢٠٧) ترديد اقوال المشاعية في الزوجات والشيوعية القديمة . ويشير بارتولد الى ان الطبقات المدممة القاطنة في جهات من منطقة اصفهان ظهر فيها حتى في العهد الاسلامي - ولكن باسم آخر - مذهب الشيوعية الذي كان في عصر الساسانيين (٢٠٨) .

الفعاليات والانتفاضات الخرمية :

قامت الشعوب المضطهدة ، في العصر الاموي بفعاليات وانتفاضات مختلفة ضد السلطة . لقد قامت بانتفاضاتها المحلية كما في ارمينيا واذربيجان والتي ساهم فيها الارستقراطيون المحليون ، كما وساهمت الشعوب في انتفاضات وثورات قامت بها احزاب وجماعات عربية ، مع الخوارج والشيعة وفي الدعوة العباسية ومع المختار وابن الاشعث والحارث ابن سريج وغيرهم . لقد ساهم الخرميون كافراد ولم يكن لهم الدور القيادي لان الاستياء كان شاملاً غالبية سكان البلدان المحتلة ، فالارستقراطية المحلية وان تحالفت (٢٠٩) - مؤقتاً - مع السادة العرب ، الا انها كانت تتضايق من سيطرة السلطة العربية وتتحين الفرص للانتفاض على الخلافة في امل استعادة كامل نفوذها السابق (٢١٠) وتوسيع استغلالها للطبقات المستغلة (٢١١) التي دونها ، ولهذا فان النضال في العهد الاموي لم تبرز او تميز فيه الصفات الطبقية - كما سنشاهد في العصر العباسي - لان الارستقراطيين المحليين ساهموا في انتفاضات الفلاحين والطبقات المستغلة الاخرى (٢١٢) ، لهذا كان دور الخرمية في القيادة والتوجيه ضعيف ان لم نقل معدوم لان التناقض البارز كان بين الشعب المحتل كمجموع وبين السلطة العربية والارستقراطية القبلية العربية .

-
- ٢٠٣) في التاريخ العباسي ، ج ١ ، ص ١٢٢ - ٣ .
 - ٢٠٤) تاريخ الاسلام السياسي ، ج ٢ ، ص ٤٣ .
 - ٢٠٥) في قصور الخلفاء العباسيين ، ص ١٠١ .
 - ٢٠٦) ليو ، تاريخ ارمينيا ، ج ٢ ، ص ٣٤٧ .
 - ٢٠٧) مانانديان ، الانتفاضات الشعبية ، ص ٢١ .
 - ٢٠٨) الحضارة الاسلامية ، ص ٦١ ، والترجمة العربية ، ص ٦٧ .
 - ٢٠٩) ن . م . ص ٦٠ والترجمة ص ٦٥ ولهاوزن ، الدولة العربية ، ص ٣٩١ . بروكلمان تاريخ الشعوب ، ج ١ ، ط ٢ ، ص ١٣٠ .
 - ٢١٠) تاريخ الاتحاد السوفيتي ، القسم الاول ، ص ٤٨ .
 - ٢١١) تاريخ العالم ، ج ٣ ، ص ١٣٨ .
 - ٢١٢) كما في الدعوة العباسية انظر بارتولد ، الحضارة الاسلامية ، ص ٦٠ ، والترجمة ٦٥ .
 - لويس ، العرب ، ص ١١١ .

لقد نشأت بين الارستقراطية القبلية العربية اختلافات ومنازعات حول السلطة ، وكانت هنالك احزاب ومذاهب وجماعات (٢١٣) رفعت الوية الكفاح بوجه السلطة فكانت هذه ملاذا للمضطهدين الذين كافحوا تحتها ، وطبيعي ان تأثير الخرمية كان ضعيفا في تلك القيادات . لقد كان الخرميون يعملون سرا لتهيئة الظرف المناسب فكانوا ينشرون مبادئهم العامة ، ولما نالت تلك التعاليم الانتشار استغلت من قبل دعاة الدعوة العباسية (عمار بن يزيد - خدش مثالا) (٢١٤) ، وقد لاحظ ولهاوزن ان خدش اراد الاستفادة من تغلغل دعاية الخرميين وسط الجماهير (٢١٥) ، والدوري في اعتماده على نظام الملك وبراون ولهاوزن وصديقي (٢١٦) ، يلاحظ بأن الدعوة العباسية التي استغلت الخرمية وادخلتها في صفوفها هي التي فسحت لها المجال في الظهور (٢١٧) .

ولما تنكر العباسيون لمطالب الشعب واهملوا الوعود ، التي نادوا بها ابان دعوتهم ، لمست الجماهير مبلغ الاساءة الموجهة اليها بازدرائها وخداعها ، كما وازداد الجور على المعمدين بتقريب الارستقراطيين الايرانيين ، الذين ذهبوا بعيدا في التعاون مع السادة الجدد ، وهذا مما وسع هوة الخلاف بين الارستقراطيين المحليين والجماهير الشعبية ، لهذا حصل استقطاب من السلطة العباسية والارستقراطيين العرب والمحليين من جهة (٢١٨) والجماهير المستغلة من فلاحين وعبيد وحرفيين وكسبة ورحالة من جهة ثانية ، وفي هذا الوسط برز الخرميون كقادة موجّهين للانتفاضات ، واصبحت تعاليمهم ومعتقداتهم الاطار الايديولوجي للانتفاضات التي سادت العصر العباسي الاول .

(٢١٣) كالخوارج والشيعة والمختار وابن الاشعث والحارث ابن سريج وغيرهم ، ويعتبر عبد العال ، اضطهاد الامويين للموالي الذين انضموا الى هذه الفرق والانتفاضات ، واجبا مارسوه كحكام ويستغرب اعتباره اضطهادا ، حركات الشيعة المتطرفين ، ص ٢١٣ .

(٢١٤) الطبري ، تاريخ ، م ٢ ، ج ٣ ، ص ١٥٨٨ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ٦٠ - ١ ، المقرئ ، الخط ، ج ٤ ، ص ١٩٠ ، ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة ، ج ١ ، ص ٢٧٨ .

(٢١٥) الدولة العربية ، ص ٤٠٨ .

(٢١٦) العصر العباسي الاول ، ص ٨٤ - ٥ .

(٢١٧) الجذور التاريخية للشعبوية ، ص ٢٦ ، دراسات ، ص ١٠ ، العصر العباسي الاول ، ص ٣٦ ، ص ٨٤ - ٥ .

(٢١٨) ذكر ابن قتيبة « فأما اشراف العجم وذو الاخطار منهم وأهل الديانة فيعرفون ما لهم وما عليهم ويرون الشرف نسبا ثابتا » ، رسائل البلغاء ، ص ٢٧٠ وكما قال احد الايرانيين : الشريف من كل قوم نسب الشريف من القوم الآخر .

١ - حركة سنباذ (٢١٩) :

قامت هذه الحركة الشعبية تحت قيادة سنباذ في خراسان وشمال ايران وغربه في ١٢٧هـ / ٧٥٤م (٢٢٠) ، وهي حركة جماهيرية فلاحية ساخطة على الجور والظلم ، وكانت الغالبية العظمى من اتباعه ، كما يخبرنا الطبري (٢٢٦) وابن طباطبا (٢٢٢) ، من اهل الجبال ، وهي المناطق التي يقطنها الخرميون ، وقد اشار المسعودي الى ذلك (فاجتمعت الخرمية - حين علمت بقتل ابي مسلم - بخراسان فخرج فيهم رجل يقال له سنفاذ من نيسابور يطلب بدم ابي مسلم ٠٠٠) (٢٢٣) ، والمسعودي هنا يتصور بأن السبب الرئيسي لقيام الخرميين هو مقتل ابي مسلم ، ولكن مصرع ابي مسلم كان احد الادلة على تنكر العباسيين لمطالب الشعب ٠ وقد استطاعت الانتفاضة ان تستحوذ على منطقة واسعة من خراسان وامتدت الى منطقة الجبال في غربي ايران (٢٢٤)

(٢١٩) يسميه سنباذ ، كل من : اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ص ١٠٤ ، والطبري ، تاريخ ، م ٣ ، ج ١ ، ص ١١٩ ، نظام الملك ، سياسة نامه ، النص الفارسي ، ص ٢٦١ ، وابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٥٧ وابن طباطبا ، تاريخ الدول الاسلاميصة ، ص ١٧١ ، وابي الفداء ، البداية والنهاية ، ج ١ ، ص ٣٣ ، وابن خلدون ، العبر ، ج ٣ ، ص ١٨٤ ، وهناك تسميات اخرى ، فقد ذكره البلاذري ، سنفاذ ، فتوح البلدان ، ص ٣٣٩ ، ويسميه اليعقوبي ايضا ، سنفاذ ، كتاب البلدان ، ص ٣٠٣ ، وذكره المسعودي ، بسنفاذ ، المروج ، ج ٣ ، ص ٣٠٦ ، ويسميه المقدسي ، سنفاد ، البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ٨٢ ، وذكره المقريزي ، سنفاد ، الخطط ، ج ٤ ، ص ١٩٠ ، وفي المراجع الحديثة يسميه سنباذ كل من : نكلسن ، تاريخ الادب العربي ، ط ٢ ، ص ٢٥٨ ، ومارغليوث ، دائرة المعارف الاسلامية المختصرة ، ص ٢٥٧ وبروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٢ ، ص ٦ ، ولويس ، العرب ، ص ١٤٣ ، والدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ٨٦ ، والجزور التاريخية للشعوبية ، ص ٤٢ ، ويسميه ياكوفسكي سنباذ وسينباد (وحتى سنباذ) في مقاله عن المفتح - مجلة الاستشراق السوفيتية ، م ٥ ، ص ٤٠ ، وينكر الدوري ان صديقي يسميه سنباذ (العصر العباسي الاول ، ٨٦) ، ويسميه لويس سنباد ، اصول الاسماعيلية ، ص ٢٠٠ ، ويسميه موللر ، سنباز ، تاريخ الاسلام ، ص ١٨٣ ، ويسميه سمينوف ، سمبات ، في مقاله عن المزدكية ، ص ٣٤٣ ٠

(٢٢٠) يعتبر موللر ونيكلسن وياكوفسكي (مقاله عن المفتح) والدوري (العصر العباسي الاول) وتاريخ العالم ، ج ٣ ، وتاريخ ايران ان سنة الانتفاضة هي ٧٥٥ م ٠

(٢٢١) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ١ ، ص ١١٩ ٠

(٢٢٢) تاريخ الدول الاسلامية ، الفخري ، ص ١٧١ ٠

(٢٢٣) مروج ، ج ٣ ، ص ٣٠٦ ، ويأخذ بهذا الرأي مارغليوث ، دائرة المعارف الاسلامية

المختصرة (١٩٥٣ م) ، ص ٢٥٧ ٠

(٢٢٤) بروكلمان ، تاريخ الشعوب ، ج ٢ ، ص ٦ ، لويس ، العرب ، ص ١٤٣ ٠

واستولت على مدن رئيسية مهمة كنيسابور وقومس والري ، ولكن الخليفة ابو جعفر المنصور - ثاني خلفاء بني العباس - وقد شعر بجسامة خطر هذه الانتفاضة ارسل جيشا لجبا بقيادة جهور بن مرار العجلي والتقى الجيشان على طرف المفازة (٢٢٥) بين همذان والري حيث قتل ٦٠ الفا من المنتفضين وفر سنباذ مع البقية ، ولكنه قتل بين همذان والري . ويرى ابن خلدون ان بعض عمال صاحب طبرستان قتل سنباذا حينما لحق بطبرستان (٢٢٦) ، وهذا يدل - ان صح قول ابن خلدون - على تعاون الارستقراطيين المحليين مع السلطة ضد المنتفضين . وقد دامت الانتفاضة ٧٠ يوما (٢٢٧) .

٢ - حركة استاذسييس :

قامت في (١٤٩ هـ / ٧٦٦ م) شرق الخلافة (خراسان) حركة جماهيرية واسعة (عداها ٣٠٠ الف مقاتل) (٢٢٨) بقيادة استاذسييس (٢٢٩) ، معلنة سحقها واستيائها من جور السلطة واستبدادها ، وقد جردت الخلافة عليها حملة - بقيادة عسكري ماهر هو خازم بن خزيمة (يذكر ابن خلدون انه كان مع خزيمة ٢٠ الفا) (٢٣٠) - لم تستطع كسب النصر الا بعد جهد ، بعد ان قتل من جماعة استاذسييس (٢٣١) ٧٠ الفا (يعدمهم المقدسي ٩٠ الفا) (٢٣٢) واسر منهم ١٤ الفا (٢٣٣) (قتلوا جميعا بعد الاسر) ثم استسلمت بقايا جيش الانتفاضة ، الملتجئة الى الجبل ، مع قائدها واخذوا اسرى وكانوا ٣٠ الفا (٢٣٤) ثم اطلق سراحهم بعد اعدام قائدهم استاذسييس .

٣ - حركة يوسف بن ابراهيم البرم (٢٣٥) :

التهبت في خراسان انتفاضة جديدة بعد مضي ١٠ سنوات من اخماد انتفاضة

- (٢٢٥) وردت في كتاب العبر ، لابن خلدون ، محرفة (طرق المغازة) ، ج ٣ ، ص ١٨٤ .
- (٢٢٦) ن . م . ، ج ٣ ، ص ١٨٤ .
- (٢٢٧) الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، ج ١ ، ص ١١٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٤ ، ص ٣٥٧ ، أبو الفداء ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ١٣١ .
- (٢٢٨) الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٣٥٤ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ٨٦ .
- (٢٢٩) ورد لدى الطبري والمقدسي وابن الاثير وابن خلدون (استاذسييس) ويسميه مسكويه (استاذسييس) ، تجارب الامم ، مخطوط ، الورقة ١٨٠ .
- (٢٣٠) كتاب العبر ، ج ٣ ، ص ١٩٨ .
- (٢٣١) الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٣٥٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٨ .
- (٢٣٢) البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ٨٧ .
- (٢٣٣) الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٣٥٤ .
- (٢٣٤) ن . م . ، ص ٣٥٤ .
- (٢٣٥) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٤٧٠ ، ويسميه اليعقوبي ، يوسف البرم

استاذسييس ، ففي عام ١٦٠هـ / ٧٧٦م (٢٣٦) في خلافة المهدي بن المنصور ، قاد يوسف بن ابراهيم المعروف بالبرم انتفاضة عارمة تطالب بالمساواة والعدل (٢٣٧) ، ولجسامة خطر الانتفاضة طلب الخليفة من قائده يزيد بن مزيد الشيباني - والذي كان في حرب مع يحيى الشاري ، ان ينعطف (٢٣٨) على حرب يوسف البرم . وقد تيسر ليزيد التغلب على يوسف وجماعته فأسر يوسف وأرسله الى الخليفة الذي اعدمه مع جماعته .

٤ - انتفاضة المقنع (٢٣٩) :

التبثت في خراسان (١٦٠هـ / ٧٧٦م) (٢٤٠) انتفاضة فلاحية شعبية امتد لهبها



الحروري ، البلدان ٣٠٢ ، ويعتبره من موالى ثقيف ببخارى ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٣٠ ، انظر ابن العبري ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٢١٧ .
(٢٣٦) الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٤٧٠ ، وقد ذكر ابو الفداء عام ١٦٢ هـ ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ١٣١ .
(٢٣٧) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٣٠ .
(٢٣٨) ن ٠ م ٠ ، ص ١٣٠ .
(٢٣٩) اليعقوبي ، البلدان ، ص ٣٠٤ ، الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٤٨٤ ، ص ٤٩٤ ، المقدسي ، المطهر ، البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ٩٧ ، وقد اعتبره الشهرستاني في اول امره من الرزامية ، والرزامية فرقة من الكيسانية ، الملل والنحل ، ج ١ ، ص ١٥٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٥٢ ، ص ٥٨ ، والمنسوب لابن الساعي ، مختصر اخبار الخلفاء ، ص ٢٣ ، ابو الفداء ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ١٤٥ ، وابن خلدون ، العبر ، ج ٣ ، ص ٢٠٦ - ٧ .

(٢٤٠) يعتبر الطبري قيام الحركة سنة ١٦٠ هـ (٧٧٦ م) ، تاريخ ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٤٨٤ ، بينما يعتبر مسكويه خروج المقنع في سنة ١٦١ هـ ، تجارب الامم ، مخطوط ، الورقة ١٩١ ، ويرى ابن الاثير قيام الحركة في سنة ١٥٩ هـ ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٥٢ ، والصحيح ما أورده الطبري ، ويعتبر موللر قيام الحركة ١٦١ هـ (٧٧٨ م) (يؤيد رواية مسكويه) ، تاريخ الاسلام ، ص ١٨٤ ، بينما يؤيد ميور رواية ابن الاثير (١٥٩ هـ) ، الخلافة ، ص ٤٧٠ ، ويعتبر نيكلسن قيام الحركة ٧٨٠ - ٧٨٦ م ، تاريخ الادب العربي ، ص ٢٥٨ ، ويعتبر امير علي قيام حركة المقنع ١٥٨ هـ - ١٦١ هـ ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٣١ ، كما وان كريمسكي يعتبر قيام الحركة ٧٧٩ م ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ويعتبر بروكلمان تاريخ بدء الحركة عام ٧٧٨ م ، تاريخ الشعوب ، ج ٢ ، ص ١٣ ، ويعتبر ياكوبفسكي قيام الحركة في ثمانينات القرن الثامن ، ولا شك ان نيكلسن وامير علي وكريمسكي وبروكلمان وياكوبفسكي لم يحددوا التاريخ المضبوط لبدء الحركة .

الى ما وراء النهر حيث اخمدت هناك (عام ١٦٣ هـ / ٧٧٩ م) (٢٤١) وتعرف باسم قائدها هاشم بن حكيم المقنع (٢٤٢) (كان يضع قناعا على وجهه ، ويرى لويس بأن اعداءه يقولون ليستر قبحه وجماعته يقولون ليحجب النور الذي يشع منه) (٢٤٣) ، وقد انحدر هذا القائد من الحرفيين حيث كان قصّاراً للثياب (٢٤٤) ، وقد قاد انتفاضة شعبية بدأت في خراسان ثم انتقلت الى ما وراء النهر حيث تمركزت بمدينة كاش (٢٤٥) ، وكان لشمول برامج الانتفاضة على حلول اوسع من سابقتها لمشاكل الجماهير المستغلة

(٢٤١) ذكر الطبري نهاية الحركة في عام ١٦٣ هـ (٧٧٩ م) - م ، ، ج ١ ، ص ٤٩٤ . ولا بد ان التحريف قد اصاب العام الذي ذكره ابن خلدون (٩٣ هـ) ، العبر ، ج ٣ ، ص ٢٠٧ ، ولقد أخذ برواية الطبري كل من موللر (تاريخ الاسلام ، ص ١٨٥) وبروكلمان (تاريخ الشعوب ، ج ٢ ، ص ١٤) . وليس صحيحا التاريخ الذي اورده تاريخ ايران (ص ١٠٧) وتاريخ العالم (ج ٣ ، ص ١١٥) ، وتاريخ الاتحاد السوفييتي (القسم الاول ص ٤٩) وتاريخ بلدان الشرق الاجنبية (ص ٢١٦) وسمينوف ، تاريخ العصور الوسطى (ص ١٣٣) حيث ذكروا (عام ٧٨٣ م) وقد ذكر كل من ميور (الخلافة - ص ٤٧٠) وأمير علي (مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٣١) انتهاء الحركة سنة ١٦١ هـ وهذا غير صحيح وكذلك ورد لدى لويس (العرب ، ص ١٤٤) تاريخ انتهاء الحركة . ٧٨٩ م .

(٢٤٢) ذكر الجاحظ (وكان اسمه عطاء) ، البيان والتبيين ، ج ٣ ، ص ١٠٣ وذكر عنه ابن الاثير (وسمي حكيمًا ثم تحول الى هاشم وهاشم في دعواه هو المقنع) ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٥٢ ، ويقول هذا جلب الغموض والتبس الامر على من جاء بعده ، فقد ذكره ابن الساعي البغدادي (واسمه عطاء) ، مختصر اخبار الخلفاء (منسوب اليه) ، ص ٢٣ ، وأورده ابو الفداء « قال ابن خلكان كان اسم المقنع عطاء وقيل حكيم والاول اشهر » ، ج ١٠ ، ص ١٤٥ ، وبهذا تحير ابن خلكان وابو الفداء ، أما ابن خلدون فقد التبس عليه الامر تماما (كان هذا المقنع من اهل مرو ويسمى حكيمًا وهاشميًا) ، العبر ، ج ٣ ، ص ٢٠٦ . ويرجح موللر تسمية الجاحظ له بـ « عطاء » ، تاريخ الاسلام ، ص ١٨٤ ، ويطلق عليه سيل ، ج ٠ ، اسم حكيم ابن هاشم ، ثم يشير في الهامش (او ابن عطاء) ، القرآن ، ص ١٢٩ وهو مخطيء ولا شك .

(٢٤٣) العرب في التاريخ ، ص ١٤٣ .

(٢٤٤) كان يعمل كقصّار للثياب في مدينة مرو في خراسان - وهو بالاصل من قرية كاوه كيمردان - مهنته غسل الملابس وقصر الوانها وليس صحيحا ما كتبه المقدسي وابن الاثير وابن العبري وابن طباطبا من انه كان قصيرا ، وانما قصّارا كما ورد لدى الجاحظ (البيان والتبيين - ج ٣ ، ص ١٠٣) والبغدادي (الفرق بين الفرق - ص ٢٥٧) وابن الساعي البغدادي (مختصر اخبار الخلفاء - ص ٢٣) وابسي الفداء (البداية والنهاية - ج ١٠ ، ص ١٤٥) .

(٢٤٥) في ما وراء النهر ، ويقول لويس عن الانتفاضة « اتخذت من بخارى معقلا لها » ، العرب ص ١٤٤ .

اثر في خطورتها وسعتها وطول مقاومتها (٢٤٦) . ويمكننا تقدير شدة خطورتها من الحملة القوية الموجهة ضدها ومن الاتهامات الخطيرة التي اتهمت بها والتي ذكرنا سابقا طرفا منها ، واقلها الاباحة المزدكية (٢٤٧) .

ولم تضم الانتفاضة خرمية ايران وما وراء النهر (تعرف خرمية ما وراء النهر بالمبيضة (٢٤٨) ذوي الاردية والاعلام البيض) فحسب ، ولكن ضمت رحالة الاتراك ايضا (٢٤٩) . وكانت تسعى للتحرر ونزع الارض من الاقطاعيين الموسرين وتسليمها للمشاعية الزراعية داعية للعدالة وتعميم الاستفادة من الممتلكات والمنافع العامة ، لذا كانت اهدافها تشكل خطرا جسيما على الاقطاعيين وعلى سلطة الخلافة ، فما كان من الخلافة - وقد لمست حقيقة الاخطار من هذه الانتفاضة - الا ان تجرد عليها حملة واسعة بقيادة سعيد الحرشي (٢٥٠) ، بعد فشل قادة سابقين ، وتيسر لسعيد محاصرة المقنع في قلعته قرب كش . وقد انتهت حياة القائد وعائلته وبعض رجاله المخلصين بالانتحار (٢٥١) ، وقد ظلت صورة الدفاع البطولي خالدة في اذهان جماهير ما وراء النهر لعدة قرون (٢٥٢) .

(٢٤٦) لقد توهم البغدادي بأن مدة الانتفاضة ١٤ سنة ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٥٨ ، كما وتوهم لويس بأن مدة الانتفاضة ١٣ سنة (العرب - ص ١٤٤) ، ويعتبر تاريخ الاتحاد السوفييتي ، المدة التي استغرقتها الانتفاضة ١٧ أعوام (القسم الاول ، ص ٤٩) ، اما شريف فيعتبر المدة ١٤ عاما (الصراع ، ص ٥٧) . ان الانتفاضة لم تستمر اكثر من ثلاث سنوات .

(٢٤٧) لا يخلو مصدر او مرجع عربي وغربي من هذه التهم .
(٢٤٨) ذكر البغدادي « واما المقنعية فهم المبيضة بما وراء نهر جيحون » (ص ٢٥٧)
« واغتر به اهل ابلان وقوم من الصغد » ص ٢٥٨ ، الفرق بين الفرق ، ويذكر الشهرستاني « وتابعه مبيضة ما وراء النهر » هؤلاء صنف من الخرمية دانوا بترك الفرائض . . . ،
المل والنحل ، ج ١ ، ص ١٥٤ ، ولكن سبق وان لاحظنا ان الشهرستاني اعتبر المبيضة من فرق المزدكية وهذا راجع الى خلطه بين المزدكية والخرمية . عن المبيضة راجع ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٥٢ ، وكتاب ، لابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٢٠٧ ، ومختصر تاريخ الدول ، لابن العبري ، ص ٢١٧ .

(٢٤٩) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٥٨ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٥٢ ، ابن خلدون ، ج ٣ ، ص ٢٠٧ ، ميور ، الخلافة ، ص ٤٧٠ .

(٢٥٠) الطبري ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٤٩٤ .
(٢٥١) تختلف الروايات بين السم والحرق ، والمرجح انه السم لانه عثر على جثثه واحتز رأسه ، لاحظ سيل ، ج ٠ ، القرآن ، ص ١٢٩ .

(٢٥٢) المقدسي ، شمس الدين ، احسن التقاسيم ، ص ٣٢٣ ، البغدادي ويذكر « واتباعه اليوم في جبال ابلان اكرة اهلها ، الفرق ، ص ٢٥٩ ، البيروني ، الآثار ، ص ٢١١ ، ابن العبري ، مختصر تاريخ الدول ، ص ٢١٨ ، ويشير سيل ، ج ٠ ، الى رواية ابن العبري ، القرآن ، ص ١٢٩ .

قامت جماهير جرجان المجاورين لما وراء النهر وخراسان ، بانتفاضة عارمة (١٦٢ هـ / ٧٧٨ م) ايام كانت الانتفاضة المقنعية مستعرة في ما وراء النهر ، وغالبية المساهمين في انتفاضة جرجان من الفلاحين ، من الخرمية المعروفين بالحمرة لارتدائهم الازدية الحمر واتخاذهم اللون الاحمر شعارا لهم ، وهذه هي المرة الاولى التي تستخدم فيها جماهير الشعب الفلاحية اللون الاحمر في انتفاضها ضد الاقطاع (٢٥٤) . قاد هذه الانتفاضة شخص يدعى عبد القهار الذي استطاع ان يحرر جرجان (٢٥٥) ، فما كان من الخليفة الا ان يطلب (٢٥٦) من قائده عمرو بن العلاء ، الذي كان في طبرستان، ان يغزو جرجان ويقضي على تلك الانتفاضة التي شملت تلك البلاد . فغزا عمرو بن العلاء جرجان من طبرستان وقضى على الانتفاضة وقتل عبد القهار وجماعيته . يتفق الدينوري واليعقوبي والطبري وابن الاثير وابو الفداء على ان خروج الحمرة كان في (عام ١٦٢ هـ (٧٧٨ م) جرجان ، ويخالفهم المقدسي اذ يعتبر الحوادث في خراسان ويسمي قائدهم باسم عبد الوهاب (٢٥٧) . ويخطيء بروكلمان حينما يعتبر قيام الحمرة في عهد الرشيد (٢٥٩) .

٦ - انتفاضة خرمية اذربيجان :

وفي ايام الرشيد (عام ١٩٢ هـ / ٨٠٧ م) انتفض خرميو اذربيجان بوجه السلطة فارسل الخليفة هارون الرشيد جيشا تعداده ١٠ آلاف فارس (٢٦٠) بقيادة عبد

-
- (٢٥٣) ورد اسم جرجان في السياسة نامه (النسخة الفارسية) باسم كركان ، ص ٢٩٠ ، ولهذا ورد الاسم في الادبيات السوفييتية باسم كوركان ، تاريخ ايران ، ص ١٠٧ ، تاريخ العالم ، ج ٣ ، ص ١١٥ ، تاريخ الاتحاد السوفييتي ، ص ٤٩ .
- (٢٥٤) اشار نظام الملك الى ان خرمية جرجان الحمرة كانوا يرفعون الاعلام الحمر ، سياسة نامه ، ص ٢٩٠ ، والترجمة الروسية ، ص ٢٢٤ ، لاحظ ايفانوف ، موجز تاريخ ايران ، ص ٣٧ ، تاريخ ايران ، ص ١٠٨ .
- (٢٥٥) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٣٢٦ ، الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، ج ١ ، ص ٤٩٣ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ٩٨ .
- (٢٥٦) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٣٠ ، سعيد نفيسي ، بابك ، ص ١٦ .
- (٢٥٧) البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ٩٨ .
- (٢٥٨) تاريخ الشعوب الاسلامية ، ج ٢ ، ص ١٤ .
- (٢٥٩) الطبري ، التاريخ ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ٧٣٢ .
- (٢٦٠) ن . م . م ، ج ٣ ، ص ٧٣٢ ، سياسة نامه ، ص ٢٩٠ ، والترجمة الروسية ، ص ٢٢٤ ، تاريخ اذربيجان ، القسم الاول ، ص ١١٨ ، نفيسي ، بابك ، ص ١٦ ، يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ١٢ .

الله بن مالك وقد استطاع عبد الله ان يدحر الخرميين ويسوق الاسرى الى قمريسين (٢٦١) (كرمنشاه) حيث كان الخليفة يستجم هناك ، فأمر الخليفة بقتل الاسرى وبيع السبي ، ويقدر المقدسي عدد الذين قتلوا في المعركة بحوالي ٣٠ الفا (٢٦٢) .

هذه هي اهم الانتفاضات السابقة لانتفاضة البابكية ، وهناك رواية ينفرد بها ابن النديم عن رجل اسمه اسحاق الترك ذكر عنه انه كان من اهل ما وراء النهر وظهر في خرمية ما وراء النهر ، كما ويذكر عنه انه ربما كان داعية لابي مسلم دخل بلاد ما وراء النهر فسمي بالترك (٢٦٣) . ولقد اعتمد على هذه الرواية كل من براون ، وبارتولد ولويس والدوري (٢٦٤) . ولا شك ان انفراد ابن النديم وتضارب آرائه يدعوان الى التردد في الاخذ بها .

قامت انتفاضات الخرمية في ازمان مختلفة واماكن متعددة ضد الخلافة وضد الارستقراطيين المحليين وقد تيسر للسلطة بمعاونة الارستقراطيين القضاء على تلك الانتفاضات المنفردة ، ولو توحدت جهود الخرميين وتهادنوا مع الارستقراطيين المحليين لربما استعصى على الخلافة اخماد انتفاضاتهم .

د - اهم التهم التي الصقت بالمبائىء والحركة البابكية

وجهت نحو البابكية - نتيجة نضالها المرير وكفاحها الطويل وخطرها الجسيم - اقبح النعوت والصفات ، وكل ما قيل في ماني ومزدك وما قيل في خدش وسنباذ والمقنع أطلق على بابك وجماعته الخرمية (المحمرة) مع اضافة تهم واباطيل جديدة . فاتهم البابكيون بالاباحة والدعارة والفسق - حيث لهم ليلة حمراء - (٢٦٥) وانهم دعوا الى مشاعية النساء ونهب الاموال ، وانهم قتلة سفاكون ومجرمون قطاع طرق حيث ينهبون

(٢٦١) ذكرها ابن فضلان ، قمريسين ، رسالة ابن فضلان ، ص ٧٣ ، وجاء شرحها في الهامش قمريسين (بالفتح ثم السكون) تعريب كرمان شاه ، بين همدان وحلوان وقريبة من الدينور .

(٢٦٢) البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١٠٣ .

(٢٦٣) الفهرست ، ص ٤٩٧ .

(٢٦٤) براون ، ج ١ ، ص ٣١٤ - ٥ ، بارتولد ، تركستان ، ص ١٩٨ - ٩ ، لويس ، العرب ، ص ١٤٣ ، الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ٨٨ ، والجذور التاريخية للشعبوية ، ص ٤٢ ، ومصطفى ، في التاريخ العباسي ، ج ١ ، ص ١٢٤ .

(٢٦٥) اليفغادي ، الفرق ، ٢٦٩ ، الاسفرائيني ، التبصير ، ص ٦٢ ، ابن الجوزي ، نقد العلم ، ص ١٠١ .

ويحرقون البيوت (٢٦٦) في القرى والمدن ويسلبون المارة والمسافرين والحجاج (٢٦٧)، ويقولون بتناسخ الارواح وبال حلول (حلول جزء من الآلهة في شخص ما) وبالرجعة وهم ملاحدة زنادة ثنوية كفرية . ورغم ان قسما من المؤرخين قد زار مناطق الخرمية واحتك وناقش الموجودين منهم (كالمسعودي والبغدادى والمقدسي (المطهر بن طاهر) وياقوت الحموي) فان كتاباتهم تحتوي على تهم وإباطيل الآخرين ، فالمسعودي يشير الى انهم ينتظرون عودة الملك فيهم وخلع الاسلام (٢٦٨) ، والمقدسي يقول عن بابك « واخذ بالتمثيل بالناس والتحريق بالنار والانهماك بالفساد وقلة الرحمة والمبالاة » ، وبالرغم من ان المقدسي ذكر عن الخرمية انهم قوم مسالمون يتحرون النظافة والطهر (٢٦٩) فهو لا يتورع من اتهام بابك بسفك الدماء حتى اوصل عدد ضحاياه الى مليون ثم تراجع قليلا وجعلهم اكثر من ربع مليون (٢٧٠) ، ولا يكفي بهذه التهمة فيوجه اليه تهمة الفسق والفجور والاعتداء على اعراض اسراه « وكذا كان الملعون يفعل بالناس اذا اسرهم مع حرمهم » (٢٧١) ، اما البغدادى فيرى بأن دعوة بابك كانت تدعو الى استباحة المحرمات ، ومن ثم يشير الى انه كانت « للبابكية في جبلهم ليلة عيد يجتمعون فيها على الخمر والزمر وتختلط فيها رجالهم ونسأؤهم ، فاذا أطفئت سرجهم ونيرانهم افترض فيها الرجال والنساء على تقدير من عز بز » (٢٧٢) ، وتجد تكرار هذه الفرية لدى الاسفرائيني (٢٧٣) وابن الجوزي (٢٧٤) ، واما المقدسي فيقول انه وجد بين الخرمية من يقول باباحة النساء برضائهن (٢٧٥) .

هذه التهم قد اخذ بها مؤرخون متأخرون ومؤلفون معاصرون ونفى قسم من المؤلفين هذه الاباطيل . فجوزي وان رجح وجود ليلة مرج يجتمعون فيها للهو الا انه نفى افتضاخ الرجال للنساء في تلك الليلة (٢٧٦) ، وبونياتوف في معرض رده على

(٢٦٦) الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٣٣٨ .

(٢٦٧) تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ١٩٧ .

(٢٦٨) التنبيه والاشراف ، ص ٣٥٣ - ٤ .

(٢٦٩) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ .

(٢٧٠) ن . م . ، ج ٦ ، ص ١١٦ .

(٢٧١) ن . م . ، ج ٦ ، ص ١١٦ . مع العلم بأن عائلته لم تكن معه في الاسر مما يدل على

ضعف هذه الرواية ، وقد اخذ بهذه الرواية ابن العبري ايضا في مختصر تاريخ الدول،

ص ٢٤٢ وقد ردها سيل ، ج ١ ، القرآن ، ص ١٣٠ .

(٢٧٢) الفرق ، ص ٢٦٩ .

(٢٧٣) التبصير في الدين ، ص ٦٢ .

(٢٧٤) نقد العلم او تلبيس ابليس ، ص ١٠١ .

(٢٧٥) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ .

(٢٧٦) من تاريخ الحركات ، ص ٩٩ .

اولئك الذين يفترضون وجود مشاعية الزوجات لدى الخرمية باستنادهم على رواية الاسفرائيني ، قد بين : ان مشاعية الزوجات حسب ما جاءت في رواية الاسفرائيني (لوحظت عند الخرميين فقط) في ليلة واحدة من ليالي السنة ، وهذا الامر وحده ينفي نفيًا باتا اي نوع من انواع الفسق واي نوع من انواع مشاعية الزوجات (٢٧٧) . ولقد بينا في ردنا على اقوال المقدسي (٢٧٨) وابن الجوزي (٢٧٩) بأن هذه التهم مطعونة لانها موضوعة من قبل المؤرخين المعادين للحركة فلم تكن اقوالهم دامغة الحجة قوية الاسناد وانما مبنية على (قول جماعة منهم ، ويقال ان لهم) . ان احترام مركز المرأة ومنحها بعض الحقوق البسيطة قد جلبا سخط الطبقة الحاكمة والمؤرخين المتزلفين لها بالاضافة الى مقتهم للمنتفضين وهكذا لفقوا ذلك الاجتماع الماجن الداعر ونشروا الاكذوبة على الملأ لتشيويه نضالات الشعب الثائر ، اذ لا يعقل ان يقوم الناس بذلك المنكر ، على فرض اجتماعهم في ليلة العيد تلك ، حتى في ادنى المجتمعات المتأخرة . ان تهمة الاباحة قد ردها المؤرخون دون روية وتفكير وبدافع الحقد والكراهية وبسبب الخوف من السلطة والتزلف لها .

اما التهم الاخرى فتجدها موزعة بين مختلف المصادر ، فالطبري كتب عن بابك : وادعى ان روح جاويدان دخلت فيه (اي التناسخ) واخذ في العبث والفساد (٢٨٠) . وقد اتهم الدينوري بابك بقتل من حواليه (٢٨١) بالبذ ، ومن اجل ذلك اعتبر ابن النديم ان بابك احدث في مذاهب الخرمية القتل والغصب والحروب والمثلة (٢٨٢) ، وقد قال ابن النديم عن بابك انه كان يقول لمن استهواه انه اله (٢٨٣) ، ويتصور المقريزي ان بابك مع بقية الثائرين كان مدفوعا بالحق على الاسلام ويرمي كيد الاسلام بالمحاربة (٢٨٤) ، وقد اشار الذهبي الى ان بابك اراد ان يقيم ملعة المجوس (٢٨٥) . وهذه

(٢٧٧) حول مصطلح خرم ، مجلة اخبار ، ص ٤٨ ، اذربيجان في القرون السابع - التاسع ، ص ٢٣٤ .

(٢٧٨) ص ١٢٤ .

(٢٧٩) ص ١٢٤ .

(٢٨٠) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٥ ، لاحظ مقالة سورديل ، د . بعنوان : بابك ، في دائرة المعارف الاسلامية ، (طبعة جديدة ١٩٦٠) ، م ١ ، ص ٨٤٤ .

(٢٨١) الاخبار الطوال ، ص ٣٣٨ .

(٢٨٢) الفهرست ، ص ٤٩٤ .

(٢٨٣) ن . م . ، ص ٤٩٤ .

(٢٨٤) الخط ، ج ١ ، ص ١٩٠ - ١ .

(٢٨٥) مختصر دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٠٤ .

الاقوال تستند الى رسالة مشكوكة مرسله من اخي الافشين الى اخي المازيار - يرويها الطبري - جاء فيها « يعود الدين الى ما لم يزل عليه ايام العجم » (٢٨٦) ولا شك انها موضوعة من اجل التنكيل والقضاء على الخصوم بحجة محاربتهم الدين الاسلامي .

ومثل هذه الرسالة القول المدسوس على لسان زوجة جاويدان في مخاطبتها الخرمية عشية المنادة ببابك قائدا عليهم خلفا لزوجها القائد المتوفي : بأن بابك سوف يرد المزدكية (٢٨٧) ، فالوضع في هذا القول واضح والا ماذا تعني بقولها سوف يرد المزدكية ؟ والخرمية فرقة متطورة من المزدكية . لقد اجهد مؤرخو القرون الوسطى انفسهم في كيل التهم للمنتفضين البابكيين ولم يتورع مدعو تطبيق البحث العلمي للحوادث التاريخية من مؤلفي العصر الحديث من اجترار التهم السابقة رغم تأكدهم من انها عارية عن الصحة وملفقة ، فيقول العالم الانكليزي سيل عن بابك انه ادعى النبوة واسس دين الفرح الذي يعني كلمة خرم (٢٨٨) ، ويرى ميور ان بابك بشرٌ بدين غريب الذي كان يدعو الى زواج المحرمات وتناسخ الارواح والى مبادئ أخرى للصوفية الشرقية (٢٨٩) ، أما رايت فيعتقد ان الخرميين متساهلون في حياتهم الجنسية ولكن برضى النساء (٢٩٠) ، وبعد أن يكرر الدوري كل ما كتبه المؤرخون وما جادت به قرائح المؤلفين المعاصرين يتوصل الى ان غاية البابكية هي ضرب السلطان العربي والدين الاسلامي (٢٩١) (اسباب عنصرية وطائفية ؟) ، ويضيف اليها (نادت بالانفصال الصريح ودعت لامجاد ايران الساسانية) (٢٩٢) ، وهو يعلم جيدا ان بابك اذربيجاني وان الخرمية وغالبيتهم من الفلاحين يمقتون العائلة الساسانية لاضطهادها أسلافهم الاندريجانيين ولتنكيلهم بالمزدكيين . ولا بد ان الدوري اعتمد في تصويره لغاية البابكية بضرب السلطان العربي والدين الاسلامي (كذا !) ، على قول جوزي عن الحركة (ان الغاية الكبرى من هذه المؤامرة هي سحق السلطة العربية في تلك البلاد والقضاء على الاسلام واهله) (٢٩٣) وبالرغم من ان جوزي أنكر أن يكون غير الهدف الاجتماعي

(٢٨٦) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٦٩ .

(٢٨٧) الفهرست ، ص ٤٩٤ .

(٢٨٨) سيل ، ج ٠ ، القرآن ، ص ١٣٠ .

(٢٨٩) ميور ، و ، الخلافة ، ص ٥٠٤ .

(٢٩٠) رايت ، اي ، ايم ، بابك البذي والافشين ، مجلة العالم الاسلامي ، كانون الثاني سنة

١٩٤٨ م ، ص ٤٩ .

(٢٩١) العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٢ .

(٢٩٢) الجذور التاريخية للشعبوية ، ص ١٢ ، الجذور التاريخية للاشتراكية العربية ، مقالة

في مجلة الآداب ، العدد الثالث (آذار ١٩٦٥) ، ص ٢١ .

(٢٩٣) من تاريخ الحركات ، ص ٨٥ .

والاقتصادي من أهداف أخرى في برامج البابكيين (٢٩٤) ، إلا أن قوله السابق قد استغل من قبل الدوري كثيرا ٠ ويرى شلبي أن بابك رئيس للخرمية التي هي إحدى طوائف الفرس التي تعبت في الأرض فسادا وتخيف السبيل وتبيح الحرمات (٢٩٥) ٠ وبالرغم من الأخطاء الواردة في قول شلبي (كقوله إحدى طوائف الفرس) فليس فيها من جديد على تهم الطبري والدينوري ، ويرى رستم بأن الخرمية عاشت في البلاد فسادا بقيادة بابك في عهد المأمون (٢٩٦) ، وقد لخص أحمد ، محمد حلمي محمد ، أقوال جميع المؤرخين في اتهامهم للبابكية (٢٩٧) ، وبكل هوس يرى شريف (بأن آراء مزدك في شيوعية الأموال وإباحة النساء) (٢٩٨) قد وجدها (شائعة قوية الشيوع بين الزنادقة والشعراء والأدباء وبين جماعة الحركة أتباع أبي مسلم الخراساني وابنته فاطمة وبابك الخرمي) (٢٩٩) ، ويرى العدوي أن حركة بابك اتجهت إلى تحويل السلطة من العرب إلى الفرس (٣٠٠) ، ويحسب زيدان ، عبد الكريم ، خطأ ، البابكية من فرق المجوس ويتهممهم (وهم «البابكية» شرطائفهم «يقصد المجوس» لا يقرون بخالق ولا معاد ولا نبوة ولا حلال ولا حرام) (٣٠١) ٠ وجل الجهد المبذول من المؤلفين المحدثين هو توجيه أنظار القراء إلى أن طبيعة الحركة عنصرية طائفية ترمي إلى تحويل السلطة من العرب إلى القائمين بها وتحطيم الإسلام ، ولتشويه النضال الجماهيري بتهمة الإباحة والفسق واعتبار ذلك سببا للشيوعية العلمية لاعتبارهم تلك الانتفاضة (شيوعية) ويحاولون إخفاء الصراع الطبقي الذي خاضه المنتفضون ، أنهم يحاولون صرف الأنظار عن مشكلة الأراضي ومعالجة الخرميين لها ٠

٢ - التنظيمات البابكية

١ - المشكلة الفلاحية ومعالجة قضية الأراضي

بدأ الاقطاع يسير بوتائر أسرع ، قبيل انتهاء الفترة الأولى من الحكم العباسي ، بعد التلكؤ الذي أصاب سيره فأخذت تتوضح أكثر شروط التملك الاقطاعي للأرض وذلك نتيجة ضعف السلطة المركزية ونشوء الامارات شبه المستقلة ، وكنتيجة لذلك

(٢٩٤) ن ٠ م ، ص ٩٠ ، ٩١ ، ٩٢ ٠

(٢٩٥) في قصور الخلفاء العباسيين ، ص ١٠١ ٠

(٢٩٦) الروم ، ج ١ ، ص ٣٢٥ ٠

(٢٩٧) الخلافة والدولة ، ص ٧٤ ٠

(٢٩٨) الصراع ، ص ٦٢ ٠

(٢٩٩) ن ٠ م ، ص ٦٢ ٠

(٣٠٠) الدولة الإسلامية ، ص ١٠٠ ٠

(٣٠١) أحكام الذميين ، ص ١٥ ٠

ازدادت القيود القطاعية فازدادت حالة الفلاحين سوءا مما حدا بهم للمساهمة الفعلية في انتفاضات الخرمية تحت أهداف تنحصر في أخذ الاراضي الواسعة من الاقطاعيين وتوزيعها على مجموعات فلاحية تزرعها مشاعا ، وفي التحرر من دفع الضرائب (وكان عمان الخليفة في الامصار - كما شاهدنا - يتفنون في التعسف عند أخذها) ، وفي المساواة العامة ، أي انهم كانوا يسعون للتخلص من التبعية القطاعية والتسلط الحكومي وقد أصبحا (الاستغلال القطاعي والجور الحكومي) من الثقل الى درجة يتعذر السكوت معها ، ولا سيما اذا كانت هنالك افكار تناهض الجور والظلم والاستغلال ، وهنالك أناس يسعون الى تحرير أبناء طبقته منها ، قالت زوجة جاويدان - حسب رواية الفهرست - عشية المناذاة ببابك قائدا للخرمية خلفا لزوجها القائد المتوفي : - ان بابك (سيبليغ بنفسه وبكم أمرا لم يبلغه أحد ولا يبلغه بعده أحد ، وانه يملك الارض ويقتل الجبابرة ويرد المزدكية ويعز به ذليلكم ويرتفع به وضيعكم) (٣٠٢) ، فهي كانت تتوسم في الشاب الجريء القيادة الحكيمة والامكانية الجيدة التي تؤدي الى (تملك الارض) أي أخذ الاراضي من الملاكين الاقطاعيين بعد القضاء عليهم (ويقتل الجبابرة) وذلك بفضل التعاليم الخرمية حيث يصبح الضعفاء (الفلاحون المبيد الحرفيون) أعزاء أقوىاء (ويعز به ذليلكم) كما وتؤدي التعاليم التي يطبقها بابك الى رفع مكانة ابناء الشعب المحقرين المهانين (ويرتفع به وضيعكم) ، لهذا فان مساهمة افلاحين في انتفاضات الخرمية ومنها البابكية قررتها مصالحهم الطبقية ، فكانوا المعين الذي لا ينضب بالنسبة للانتفاضات . ولما كان قادة الانتفاضات الخرمية شاعرين بالجور والاستغلال القطاعي لكونهم منحدرين من وسط المشغيلة ، لهذا أولوا المسألة الزراعية ومشكلة الاراضي الاهمية الاساسية في برامجهم - ويؤسفنا اننا لم نعثر على برامجهم ، اذ ان ما كتب عن الخرمية وما حفظ من حوادثهم انما يقتصر على ما ورد في المصادر المعادية لهم (٣٠٢) - فهناك اشارات عديدة في مصادر مختلفة تظهر ما ذهبنا اليه ، فالطبري اشار الى ان المازيار أصبح طبرستان (٣٠٤) ، وقد أخذ بتعاليم الخرمية

.....

(٣٠٢) الفهرست ، ص ٤٩٦ ، وقد صور كثير من المؤلفين قولها - يرد المزدكية - والذي هو موضوع ولا شك - الى ان البابكية تسعى الى تحطيم الاسلام واعادة المزدكية وعلى سبيل المثال راجع الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٢١ ، والجذور التاريخية للشعبوية ، ص ٩ ، ومقالة (الجذور التاريخية للاشتراكية العربية) في العدد الثالث من مجلة الاداب اللبنانية (آذار ١٩٦٥) ، ص ٢١ .

(٣٠٣) جوزي ، من تاريخ الحركات ، ص ٩١ ، تاريخ إيران ، ص ١٠٩ ، تاريخ العالم ، ج ٢ ، ص ١٣٨ ، وكراسة الخلافة العربية لجيستياكوف ، ص ١١٨ - ٩ .

(٣٠٤) الطبري ، تاريخ ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٦٩ ، وقد خلط الدوري بين طبرستان وجرجان ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٢ .

وبشّر بها في منطقته وكاتب بابك ، (أمر أكرة الضياع بالوثوب بأرباب الضياع وانتهاج أموالهم) (٢٠٥) ، وأكرة الضياع – هم الفلاحون .

وان القول المنسوب الى زوجة جاويدان – ان صَحّ – فهو يعني بصراحة رفع مكانة الشغيلة وفي مقدمتهم الفلاحين (يعزّز به دليلكم ويرتفع به وضعكم) وكيف يعزّز الدليل ويرتفع الوضع ؟ طبعا بالقضاء على الارستقراطيين (يقشّر الجبابرة) والاستيلاء على أراضيهم (يملك الارض) ، وقد أشار جوزي (٢٠٦) ، وتاريخ ايران (٢٠٧) ، الى انتقال الاراضي الى ملكية المشاعية الزراعية ويرى لويس ان ذلك أدى الى تشجيع الفلاحين على الانضمام الى الحركة ، ويرى لويس أيضا ان بابك (كسب أيضا مناصرة بعض الدهاقين وهم الطبقة الفارسية الحاكمة « لا معنى لكلمة – الحاكمة – هنا مطلقا » وكان هؤلاء قد انحطت منزلتهم عندئذ وأصبحت لا تفوق منزلة الفلاحين العاديين الا قليلا) (٢٠٨) . ان انتماء هؤلاء الملاكين ليس بسبب انحطاط منزلتهم كما يتصور لويس وانما بسبب تخوفهم من غلبة الفلاحين ولعدم تمكنهم من الوقوف بوجه التيار العارم، ولهذا نجدهم ينقلبون الى الجانب الآخر في أول انتكاسة تصيب الانتفاضة ، حيث شكلوا الخطر الجسيم على الحركة بأجمعها ، وقد اشار الى ذلك بيلاييف واعتبر ارتدادهم خيانة للتأثرين (٢٠٩) . والدوري في اعتماده على نصوص من الطبري والبغدادى وجوزي أيدّ توزيع أراضي الملاكين الكبار على الفلاحين ولكنه يعلل أخذ الاراضي من الملاكين الكبار لانهم حلفاء العباسيين (وهوامم مع المسودة) (٢١٠) فهو يرى بأن العامل السياسي كالعامل الاقتصادي له أثره في ذلك الاستيلاء .

ان الدوري وان اعتمد ولا شك على قول بارتوند بأن أصحاب الاراضي هم (حلفاء العرب) (٢١١) ، لكن الدوري يعلل الاستيلاء عنصريا وهو كره الخرميين للعباسيين . ولكن اذا لم يكن هوى المالكين مع العباسيين ألا توزع أراضيهم ؟ لقد لاحظ جوزي – الذي يضفي ، خطأ ، على حركة البابكيين الفلاحية مسميات حديثة كالحزب الشيوعي (٢١٢) والحركة الشيوعية (٢١٣) والحركة الاشتراكية (٢١٤) – ان سوء الاوضاع

(٢٠٦) تاريخ الحركات الفكرية ، ص ٩٨ .

(٢٠٧) ص ١٠٩ ، انظر تاريخ العانم ايضا ، ج ٣ ، ص ١٢٨ .

(٢٠٨) العرب في التاريخ ، ص ١٤٤ .

(٢٠٩) تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٢١٦ .

(٢١٠) الجذور التاريخية للشعبوية ، ص ٤٤ – ٥٠ .

(٢١١) الحضارة الاسلامية ، ص ٦٠ ، والترجمة العربية ، ص ٦٦ .

(٢١٢) من تاريخ الحركات ، ص ٩٤ ، ومقالة بابك والبابكية ، مجلة اخبار جامعة باكو ، العدد

١ ، ص ٢٠٩ .

(٢١٣) مقالة بابك والبابكية ، ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩ . وتاريخ الحركات الفكرية ، ص ٨٢ ،

٨٣ ، ٩٢ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٧ ، ولا بد انه قد تأثر من وصف كريمسكي

لبابك « بالشيوعي الجسور » ، تاريخ الشعوب الاسلامية ، ص ٢٩٦ .

(٢١٤) من تاريخ الحركات الفكرية ، ص ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٢ ، ١١٥ ، ١١٧ .

الاقتصادية وتردي حالة الفلاحين قد دعت المصلحين (من مزدك الى بابك) (٤١٥) الى التفكير في نزح الاراضي من الملاكين وتوزيعها (على الفلاحين بالتقسيت) (٢١٦) .

ولست أرى سببا لحشر اسم مزدك فيما يخص اراضي اندريجان كما وان توزيع الارض كان يتم على مجموعات يزرعونها مشاعا وليس بالتقسيت . لقد كانت معالجة قضية الارض من اهم القضايا التي عالجتها الحركة البابكية وقد اقتضتها مصلحة الشعب المستاء المرهق المستغل ، لذا لعبت الحركة الخرمية دورا تقديما .

ب - وضع المرأة في المجتمع وتحريرها

لقد اعار البابكيون قضية المرأة أهمية تستحق الذكر والتقدير فلقد وجدوا ان المرأة قد تدنى وضعها ولحقها الازدراء والاحتقار واستصغار الشأن واستغلت ابشع استغلال حيث اصبحت بعداء السلع تباع وتشترى ويرميها الشاري في ركن من اركان بيته لا يعير شعورها واحساسها أدنى اهتمام . ولهذا انحطت المرأة وتأخرت واصابها الجهل فأصبحت فاقدة لكرامتها واحساسها ولا تفهم مركزها ولا تفكر بتحقيق رغباتها . فكرر الخرميون - ولا شك - بكل هذا الذي أصاب المرأة الشرقية وكذلك فكر بابك كما فكر به من قبل المزدكيون ومزدك ، فحاولوا تحسين وضع المرأة ورفع مكانتها المتدنية ومنحها قليلا من الحرية التي فقدتها منذ زمن طويل . وقد أثارت محاولتهم تلك حفيظة المؤرخين والفقهاء ، وقد أشرنا الى ذلك سابقا ، ولكن الحقائق لا يمكن سترها بغربال ولا بد وان تظهر ، وحتى بين طيات المصادر ، لتشهد على مبلغ احترام البابكيين للمرأة واهتمامهم بمركزها والعناية بها ، ذكر الطبري عن الاسرى الذين حرروا يوم الانتصار على بابك (واستنفذ ممن كان في يده من المسلمات واولادهم سبعة آلاف وستمائة انسان) (٢١٨)، ان هذا العدد الغفير من النساء وأولادهن قدم شهادة طيبة بحق بابك والبابكيين حيث ذكروا بأنه أحسن اليهم ايما احسان فقد ذكر الطبري - بعد أن يصف أسر بابك ويذكر بأنه جيء به الى الافشين ، قائد جيش الخلافة حيدر بن كاؤوس الأشروسني - فأمر القائد (ثم قال انزلوا به الى العسكر فنزلوا به راكبا ، فلما نظر النساء والصبيان (المحررين) الذين في الحظيرة اليه لطموا على وجوههم وصاحوا وبكوا حتى ارتفعت اصواتهم ، فقال لهم الافشين : انتم بالامس تقولون أسرنا وأنتم اليوم تبكون عليه عليكم

(٣١٥ ن ٠ م ، ص ٩٨)

(٢١٧) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٣٣ .

لعنة الله ، قالوا كان يحسن البينا (٣١٨) ، من هذه الحقيقة التي أوردها الطبري يمكننا معرفة مدى اهتمام بابك والبابكيين بالنساء حتى ولو كن أسيرات ، وهذا يناقض جميع اقوال المؤرخين الذين قالوا باباحة النساء فلو كان ذلك صحيحا فمن المنتظر ان يطبقوها بالاسيرات قبل نساأهم وذلك ميسور لهم وتبيحه شرائع ذلك العصر ، ولما لم تطبق الاباحة بالاسيرات الفاقدرات للحرية ، بل بالعكس أحسن اليهن بشهادتهن أمام الأفشين (وهذه برأيي خير تزكية يقدمها الطبري رغما عنه) ، لذلك تنهار فرية الاباحة بنسائهم .

ويعطينا ابن النديم صورة جيدة عن مكانة المرأة لدى البابكيين ومدى احترام رأيها وتقديرها ، حينما يصف حفلة المناداة ببابك قائدا للخرمية بعد وفاة سلفه القائد جاويدان حيث جلست زوجة القائد المتوفي الشابة بمجلس عام وبجانبتها جلس بابك ، وأعلنت لهم رغبة زوجها في اختيارهم بابك قائدا عليهم ليكون خلفا له ، ثم تناولوا الطعام والشراب حسب المراسيم الاحتفالية الخاصة بهم ، (٠٠٠ ثم احضرتهم الطعام والشراب ، واقعدته على فراشها وقعدت معه ظاهرة لهم فلما شربوا ثلاثا ثلاثا أخذت طاقة ريحان فدفعته الى بابك فتناولها من يدها وذلك تزويجهم) (٣١٩) نلاحظ بأن المرأة تقدم لمن ترغب الزواج به غصنا من الريحان ، وهذا دليل على مدى احترام البابكيين لرأي المرأة وتقدير رغبتها ومنحها الحرية في اختيار شريك حياتها ، هذه الحرية كانت فوق مدارك علماء وفقهاء ومؤرخي ذلك العصر حيث اعتبروها دعارة وفسقا واباحة .

ونرانا مضطرين للعودة الى قول المقدسي (ووجدنا منهم من يقول باباحة النساء على الرضا منهم) (٣٢٠) لمناقشته حيث نجد المقدسي لم يستطع اثبات هذه التهمة ان لو كانت الاباحة حقيقة واقعة لقال : - وجدنا الاباحة ، أو وجدنا منهم من يقوم أو يفعل الاباحة . ولكن المقدسي ذكر ووجدنا منهم من يقول باباحة النساء ، فهو يذكر بأنه وجد من الناس من يقول باباحة النساء ، وهؤلاء أولا قلة لانه قال عنهم (وجدنا منهم) وكلمة منهم تعني بعضا منهم وليس كل الناس ، فلو كان الشيء عاما أو تمارسه الاغلبية لقال: (وجدناهم) ، وثانيا لا يستبعد ان يكون هؤلاء الـ (منهم) من السفلة والمنحطين والمستهترين ، وهؤلاء لا يخلو منهم أي مجتمع وهم لا يعكسون بكل الاحوال اخلاق المجتمع الذي يعيشون فيه ولا يمكن ان تضفي طرز حياتهم على الحركات الثورية ، وقد لاحظ ذلك الطبري بالنسبة للحركة المزدكية (فافترض السفلة ذلك واغتمموه وكاتفوا مزدك واصحابه وشايعوهم فابتلى الناس بهم) (٣٢١) ، وثالثا قال المقدسي (من يقول ٠٠٠)

(٣١٨) ن م ٠ ، ص ١٢٢٧ .

(٣١٩) الفهرست ، ص ٤٩٦ ، لاحظ تومارا ، بابك ، ص ٣٢ ، ومقالة (بابك) في دائرة المعارف الاسلامية (النسخة الالمانية) ، ص ٥٦٩ .

(٣٢٠) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ ، انظر مقالة مارغليوث عن الخرمية ، دائرة المعارف الاسلامية (١٩٥٣) ، ص ٢٥٨ .

(٣٢١) تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٣ ، ص ٨٨٥ .

وهذا القول يدل على رغبة القائلين (وهم قلة) ولا يمكن اعتباره دليلا على حدوث الشيء أو تعميمه على المجتمع لانه مجرد رغبة من يقول من القلة . لقد تكلم المقدسي عن المتأخرين من الخرمية ولكن كلامه كثيرا ما استخدم ضد البابكيين من قبل مؤرخين متأخرين . وللمقدسي رواية أخرى يطعن بها بابك صراحة ، وهي رواية ضعيفة موضوعة ومرتبكة ، ومفادها ان بابك طلب من سهل بن سنياط ان يطلق سراحه فرفض سهل وعمل الفاحشة مع أم وزوجة وأخت بابك بين يديه ، ويعلل المقدسي هذا العمل الشنيع لان بابك - حسب رأيه - كان يفعل ذلك بأسراه (وكذا كان الملعون يفعل اذا أسره مع حرمهم) (٣٢٢) ، وقد نقل ابن العبري عنه هذا القول وأشار بأن الارمن فعلوا بعائلة بابك بين يديه (٣٢٣) ، وقد أشرنا سابقا الى ضعف هذه الرواية لان أم بابك وزوجته وأخاه معاوية قد وقعوا أسرى بعد هروبهم بقليل ونجا بابك وأخوه عبد الله و غلام لهم ودخلوا ارمينيا منفردين دون نساء (٣٢٤) ولأن فرية الاعتداء على الاسيرات قد فندناها اعتمادا على رواية الطبري في حسن معاملة الاسيرات .

ج - امور عامة

١ - الحريات العامة :

كانت للبابكيين نظرة خاصة نحو الحرية ، فهم كانوا يحترمون الحرية الشخصية التي لا تسبب الضرر للآخرين ، ولهذا فان الحرية المطلقة في التملك الشخصي لم تكن مباحة لان هذا الحق في التمتع بالحرية الواسعة ، دون قيد ودون تحديد ، يجلب الضرر للآخرين ، اذ يغدو صاحب الملك الواسع مستغلا للآخرين ويلحق بهم الضرر الفادح وعلى هذا الاساس عمد البابكيون ، كسوية الخرميين ، الى تعميم الاستفادة من المقتنيات العامة . ولقد عبّر المقدسي عن مفهوم الحرية العامة التي منحت للخرميين خير تعبير (رغم انه شوهاها بكلمة اباحة) حينما ذكر بانها مشروطة بعدم الضرر بالآخرين حيث ذكر : - واباحة كل ما يستلذ النفس وينزع اليه الطبع ما لم يعد على احد

(٣٢٢) البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٦ .

(٣٢٣) مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٤٢ ، وعنه نقل سيل ، ج ٥ ، القرآن ، ص ١٣٠ .

(٣٢٤) انظر الطبري حيث يذكر عن اسر معاوية وأم بابك (فافلت « يقصد بابك » وأخذ معاوية

وأم بابك والمرأة التي كانت معه ومع بابك غلام له فوجه ابو الساج بمعاوية والمرأتين

الى العسكر) ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٢٢ ، ورغم رواية الطبري هذه

فان جوزي يردد رواية المقدسي الضعيفة ، من تاريخ الحركات ، ص ١١٣ .

بالضرر (٣٢٥) . فاذن لم تطلق الحرية للتملك الفردي سواء للمقتنيات العينية أو للنساء وإنما حددت هذه الحرية بما يعود بالخير على المجموع .

هذه الحرية المقيدة أو تقييد حرية التملك لم تكن ملائمة مرحليا وغير مألوفة لذلك العصر وسابقة لأوانها حيث ان العصور الوسطى طغت فيها الحرية الواسعة للاستغلال الكبير ، حرية افراد قلائل في استغلال شامل لجماهير الشعب المدممة المسلوقة بالحرية . ولقد كانت مساعي الخرميين ، ومنهم البابكيين ، محاولات في قلب تلك الاوضاع التي كانت سائدة ، أي اعطاء الحرية الواسعة للجماهير الغفيرة في التملك العام وحرمان (افراد قلائل من حرية التسلط والاستغلال . ان هذه المحاولات وتطبيقها كانت غريبة ومناقضة لمقتضيات التطور التاريخي والظرف الزمني ولما ألفه الناس ولهذا لم يستسغها الاعداء الطبقيون ومفكرو العصور الوسطى ولم يتبرعوا باتهامهم بشتى التهم ، ومع ذلك فقد وردت بين طيات مؤلفاتهم أخبار تشير الى الحريات التي منحوها للأفراد والى احترامهم لحرية المعتقد ، فأصحاب الاديان المختلفة أحرار في ممارسة طقوسهم وشعائهم وقد شهد بذلك البغدادي حول بناء المساجد في ديارهم يؤذن فيها المسلمون ويعلمون أولادهم القرآن (٣٢٦) ، وقد أشار المقدسي (٣٢٧) الى موقف الخرميين من أصحاب الاديان بأن الخرميين (لا يرون تهجينه « كل ذي دين » والتخطي اليه بالمكروه ما لم يرْم كيد ملتهم وخسف مذهبهم) (٣٢٨) . لقد منحت البابكية الناس البسطاء ، في المناطق التي حررتها ، حرية العمل في المزارع المشاعة وحرية الاستفادة من المرافق والثروات العامة وحرية الزواج بمن يشاؤون وحرية العبادة (وكل ذي دين مصيب عندهم) (٣٢٩) ، وكان للمرأة حرية العيش بهناء وسعادة دون تحكم السادة الرجال . لقد كانت للخرميين ومن ثم للبابكيين مثل سعوا الى تحقيقها بقدر ما تيسر لهم ، وقد دفعتهم تلك المثل الى ان يوسعوا نظرتهم للناس فيحسنوا المعاملة مع المسالمين غير المستغلين منهم ، وبهذا منحوا حرية المعتقد لمن شاركهم السكن وشملت معاملتهم الطيبة الأسرى من أعدائهم كما شهد بذلك الطبري عن حسن معاملة بابك لأسيراته من النساء المسلمات والصبيان الذين معهم ، وكان في امكان بابك اذاقتهم مَرَّ العذاب ولكنه لم يفعل لا خوفا ولا مصانعة ، ولكن بدافع من شعوره الانساني الذي كان يدفعه لجلب الخير

(٣٢٥) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ .

(٣٢٦) الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٩ ، انظر مقالة مارغليوث عن الخرمية في دائرة المعارف الاسلامية (١٩٥٣ م) ، ص ٢٥٨ ، وينقل رواية الاصطخري ، انظر ايضا مقالة جوزي عن بابك والبابكية ، مجلة اخبار جامعة باكو ، ص ٢٠٦ .

(٣٢٧) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ .

(٣٢٩) ن ٠ م ، ج ٤ ، ص ٣٠ .

(٣٢٩) ن ٠ م ، ج ٤ ، ص ٣٠ .

للناس الضعفاء المغلوبين سواء كانوا ايرانيين أم عربا ، آذربيجانيين أم أرمن وسواء كانوا مسلمين أم خرميين أم مسيحيين ، لقد تحلى هو وغالبية اتباعه بمبادئ الخرمية الداعية لسيادة الخير على الشر وطرد المستغلين الجالبين الشقاء والتعاسة لبني البشر .

٢ - العبادة :

ما هي العبادة والتعاليم الدينية التي كان يمارسها الخرميون ومنهم البابكيون ؟ هذه القضية كسابقاتها - قضية البرامج - من أعقد المشاكل التي تواجه الباحثين لانعدام المصادر الخرمية والمحايدة من جهة ولأن غالبية الذين كتبوا عن الخرمية الصقوا بهم ، التهم التي تكرهمهم بأعين معاصريهم فوصفوههم بالالحاد والزندقة واعتقادهم بالحلول والتناسخ واعتبار رؤسائهم أنبياء ونعتوهم بالمروق والكفر ونكران الله وبالثنوية وخلاف ذلك وصفوههم ايضا بالنسك والطهارة والتقشف والزهد والامتناع عن زهق الارواح ، لهذا يتعذر تحديد ديانة ومعتقد الخرميين من هذه الصفات المتناقضة .

قالبلاندي ينعت بابك بالكافر الخرمي (٣٣٠) ، بينما يقول الطبري عن لسان بابك : - وادعى ان روح جاويدان دخلت فيه (٣٣١) ، وكتب الاشعري عن الخرميين (وقد افترق قوم من جنس هؤلاء من الخرميين حتى زعموا ان الرسل يأتون تترى بعد رسول الله (ص) وانهم لا ينقطعون) (٣٣٢) . وينقل ابن النديم رواية الطبري حول حلول روح جاويدان في جسد بابك وينسب القول الى زوجة جاويدان (٣٣٣) . وقال ابن النديم عن بابك انه كان يقول لمن استغواه انه اله (٣٣٤) ، وتجد ترديد روايات ابن النديم لدى المقدسي (٣٣٥) وابن الاثير (٣٣٦) ، ويعتبر ابن الاثير ان الخرمية تعتقد بحلول الله في آدم ونوح وهلم جرا الى ابي مسلم ثم الى المقنع (٣٣٧) وذكر ابو الفداء عن بابك (وكان يقول بالتناسخ) (٣٣٨) ، وقال عنه ايضا (وكان زنديقا كبيرا وشيطانا رجيا) (٣٣٩)

(٣٣٠) فتوح البلدان ، ص ٣٢٠ .

(٣٣١) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠١٥ .

(٣٣٢) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، ص ٤٣٨ .

(٣٣٣) الفهرست ، ص ٤٩٦ .

(٣٣٤) ن ٠ م ٠ ، ص ٤٩٥ .

(٣٣٥) البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٥ .

(٣٣٦) الكامل ، ج ٥ ، ص ٥٢ .

(٣٣٧) ن ٠ م ٠ ، ج ٥ ، ص ٥٢ ، انظر سيل ، ج ٠ ، القرآن ، ص ١٢٩ .

(٣٣٨) المختصر في اخبار البشر ، ج ١٠ ، ص ٢٤٨ .

(٣٣٩) ن ٠ م ٠ ، ج ١٠ ، ص ٢٨٢ .

ويرى الذهبي وابن خلدون : (ان الخرمية كانوا يعتقدون مذاهب المجوس) (٣٤٠) . من الصعوبة اذن الوقوف بدقة على تعاليم الخرمية من المصادر العربية ، غير اننا نستطيع ان نخرج بنتيجة وهي ان الخرميين كانوا يعتقدون بمعتقدات المزدكيين الدينية وان هذه المعتقدات الدينية المزدكية التي وصلت الى الخرميين لم تبقى على حالها الاول ، بل قد أصابها التطوير والتحوير بعامل الزمن ولاحتكاكهم بالمسلمين . وقد أشار البغدادي الى ان البابكيين يعلمون أولادهم القرآن لكنهم لا يصلون في السر ولا يصومون في شهر رمضان ولا يرون جهاد الكفرة ويظهرون الاسلام ويضمرون خلافه (٣٤١) . لقد ذكرنا في مقدمة بحثنا عن الخرمية بأنها فرقة دينية متطورة عن المزدكية (٣٤٢) ، لهذا فان ديانة البابكيين الخرميين لا بد وانها تجمع بين المجوسية المتطورة (المزدكية) والمسيحية والاسلام ، مع الاعتقاد الراسخ بنضال اله الخير مع اله الشر على مسرح الحياة الارضية وحتمية انتصار اله الخير ، وضرورة تعاون كل قوى الخير المحبة للنور لطرد الشرور والآثام التي هي من مخلفات الظلام ، والقضاء على العوامل التي تساعد على بقائها ، كعدم التساهل في التملك ، ولذا وحسب شريعة الخرميين – البابكيين – وجدت الضرورة للقضاء على عدم التساوي في التملك لازالة الظلم والظلام وآثارهما ، لأن النظام الاجتماعي تأسس على عدم المساواة وعلى القسر والاكراه والظلم والاضطهاد (٣٤٣) ، وهكذا كان الارتباط المتين بين المعتقدات البابكية والحلول الاجتماعية الآنية ، ولهذا اتخذت معتقداتهم شكل المناهضة الثورية للاقطاع ، فكانت الانتفاضة البابكية مناهضة ثورية بوجه الخلافة العباسية وضد الملاكين المحليين مقترنة بالانتفاضة المسلحة .

٣ - القاعدة الاجتماعية والسياسية للحركة البابكية

شملت الانتفاضة الأذربيجانية البابكية مناطق مختلفة ، حيث قامت ، كما نعلم ، في آذربيجان – بقسميها البانيه وأتروباتينا – وفي الجزء الشرقي من أرمينيا ، وفي

(٢٤٠) مختصر دول الاسلام ، ج ١ ، ص ١٠٤ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٣ ، ص ٢٥٦

وهما بهذا يرددان مقولة ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٨٤ .

(٣٤١) الفرق بين الفرق وينقل رواية اسطورية عن (اصل الديانة البابكية) فيقول : « البابكية

ينسبون اصل دينهم الى امير كان لهم في الجاهلية اسمه شروين ويزعمون ان اياه كان

من الزوج وامه بعض بنات ملوك الفرس) ، ص ٢٦٩ .

(٣٤٢) راجع مناقشتنا لراء المؤرخين حول علاقة الخرميين بالمزدكية في بداية بحث الخرمية .

(٣٤٣) تاريخ العالم ، ج ٣ ، ص ١١٦ .

الشمال الغربي من ايران (٣٤٤) ، فضمت اجناسا مختلفة واقواما متعددة من ايرانيين وعرب واكراد وارمن واذريجانيين ، قاموا كلهم بانتفاضة مسلحة بوجه الخلافة العباسية ، من أجل التخلص من النير الاقطاعي والتسلط الحكومي الجائر .

لقد تحالفت جماهير الشعوب المستغلة لمقاومة الطغيان الاقطاعي والسلطة الحامية للمصالح الاقطاعية ، لهذا فان طبيعة الحركة الاجتماعية الناشئة عن عوامل اقتصادية دعت الى تحالف اقوام مختلفة ضد تسلط طبقي استغلالي ، أي ان الحركة البابكية قامت كنتيجة لتناقض طبقي وليس لخلاف عنصري أو ديني (٣٤٥) كما يحلو للكثيرين لتعليل ذلك أو كما حاولت الخلافة العباسية تضليل جماهير المسلمين لاثارتهم ضد الانتفاضة وتصوير الحروب التي تشنها (الخلافة) ضد الفلاحين ومن اتحد معهم حربا مقدسة (جهادا في سبيل الله) . ومن المؤسف أن تظهر تعليقات خاطئة لأسباب الحركة في كتابة جوزي حيث كتب (انه كان بين المتآمرين بعض زعماء العرب ممن أعمت المصالح الشخصية^١ والعائلية قلوبهم وأنستهم أو جعلتهم يتناسون ان الغاية الكبرى من هذه المؤامرة هي سحق السلطة العربية في تلك البلاد والقضاء على الاسلام وأهله) (٣٤٦) ، وجوزي يعلم جيدا ان غاية البابكيين غاية اجتماعية وهو نفسه أخبرنا بأنه ليس للبابكية من غرض سوى الهدف الاجتماعي (٣٤٧) ، اذن ما كانت الانتفاضة ضد العرب وانما كانت ضد السلطة العباسية والاقطاعيين المحليين ، وليست الانتفاضة ضد الدين الاسلامي لذاته كشعائر وطقوس دينية ، اي لمجرد كونه دين وانما هي ضد مناصرة وتأييد رجال الدين للسلطة في العدوان والقمع والتسلط ، اي ضد اصفاء الصفات الدينية على أعمال السلطة المدنية ، تلك السلطة التي لم يتورع العباسيون في استخدام كل شيء من أجل الحصول عليها وتثبيتها ، فالخليفة العباسي وموظفوه هم رجال سلطة مدنية ولكن بسبب اعتبار الخليفة أميرا للمؤمنين وخليفة للمسلمين وممثلا للاسلام من قبل المؤرخين والباحثين يصور أي خلاف قائم ضد السلطة وضد الاستغلال والجور خلافا ضد الدين الاسلامي وهو ما لم يكن كذلك . لقد كانت الانتفاضة ضد الدين بقدر

(٣٤٤) يقول لويس أنها تسربت الى جنوب غربي فارس ، العرب ، ص ١٤٤ ، وهذا غير صحيح ، وذكر في دائرة المعارف السوفيتية الواسعة اسم (خراسان) ، ط ٢ ، م ٤ ، ص ٤ ، وهذا ليس بصحيح ، راجع مقالة سورديل عن بابك في دائرة المعارف الاسلامية ، (١٩٦٠ م) المجلد الاول ، ص ٨٤٤ .

(٣٤٥) كما يتصور الدوري بأن غاية البابكية ضرب السلطان العربي والدين الاسلامي ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٢ .

(٣٤٦) من تاريخ الحركات الفكرية ، ص ٨٥ .

(٣٤٧) ن . م . ، ص ٩٠ - ١ .

ما هو متمثل في أعمال السلطة والاقطاعيين ، فهي ضد استخدام الدين من قبل الطبقة السائدة لانها كانت نضالا اجتماعيا اقتصاديا وسياسيا ضد الخلافة الاسلامية ، ولم يكن رجال السلطة الا ممثلين للطبقة الارستقراطية السائدة ، وما كان الاسلام في أدواره الاولى - كما يتفق لويس مع فان فلوطن وبيكر - الا علامة امتياز للارستقراطية المنتصرة والمذهب الرسمي للدولة التي تمثله (٣٤٨) . وقد لاحظ الخرميون ان السلطة الاسلامية متساهلة ومتعاونة مع الاقطاعيين الزرادشتيين والمسيحيين وغيرهم ومتشددة وجائرة على المعدمين من المسلمين والذميين وهذا ما لم يدركوا كنهه وأولد الضغينة لديهم على السلطة الاسلامية . أما المسلمون المعدمون الساكنون في المناطق المتنفضة وفي مناطق الخرميين كلها فقد كانوا يتمتعون بحرية دينية واحترام لمشاعرهم وطقوسهم الدينية ولم نعثر على نص يشير الى ان الخرميين كانوا يجبرون الناس على اعتناق مذهبهم او يغتالونهم لاختلافهم معهم في العقيدة ، لكنهم كانوا يحاربون اعداءهم الطبقيين . لقد كان النضال ضد السلطة الاقطاعية (الاسلامية المظهر ، العربية الشكل - دين الدولة الاسلام ورئيسها الخليفة امير المؤمنين ، ولغتها الرسمية العربية) ، وضد الاقطاع ، ولم يكن نضالا ضد الاسلام وضد العرب البتة ، بالرغم من ان المتنفذين في السلطة مسلمون اقطاعيون وما كانوا كلهم عربا وانما كانوا من العرب وغيرهم ، فالوزراء وقادة الجيوش والولاة كان اغلبهم من غير العرب . ان معارضة الاقطاع والسلطة الاقطاعية بالا افكار الخرمية صوره المؤرخون والباحثون نزاعا ضد العروبة والاسلام ، والحقيقة هي ان الافكار الخرمية كانت الغطاء الايديولوجي لمعارضة الفلاحين وحلفائهم الثورية للاقطاع والسلطة الاقطاعية (٣٤٩) ، ولهذا كانت القاعدة الاجتماعية للحركة في غالبيتها متكونة من فلاحين اهل المناطق التي عمتها الانتفاضة ومعهم معدمو تلك المناطق واشباه الفقراء والعبيد (من مسلمين وذميين من عرب وايرانيين وارمن واذريبيجان واكراد وديالمة وغيرهم) لان التناقض الاساسي في المجتمع الاقطاعي يكون بين الارستقراطية المالكة للأراضي وبين الفلاحين . ولكن يجب ان لا يغرب عن البال بأن ليس كل فلاحين مناطق الانتفاضة ينضمون بكاملهم للانتفاضة ، ففي تحليل رائع لحروب الفلاحين في عهد الاقطاع اوضح انكلز ، ف . السبب الذي يدعوا الفلاحين للاحجام عن المساهمة في الانتفاضة الفلاحية المحلية ، (كيفما يكون الاضطهاد الذي يعاني منه الفلاحون فظيلا ولكن دفعهم للانتفاضة على كل حال صعب جدا . كانت

(٣٤٨) اصول الاسماعيلية ، لويس ، ص ١٩٠ .

(٣٤٩) انظر مقولة انكلز ، ف . حول الاشكال التي اتخذتها المعارضة الثورية للاقطاع طيلة

العصور الوسطى - الحرب الفلاحية في المانيا - ص ٣٤ ، لاحظ هامشنا الرقم (٤) ،

الفصل الثالث .

تسحقهم الظروف الخارقة التي كانت تمنعهم من الاتفاق ، عادات الخضوع المتوارثة جيلا عن جيل ، اقلعهم في اماكن كثيرة عن استخدام السلاح ، مرة كان يشتد ومرة كان يضعف بالنسبة الى سلوك السيد نفسه وشدة الاستغلال ، كل هذه اثرت بحيث جعلت الفلاحين بحالة من الهدوء . لذلك ففي القرون الوسطى لم نشاهد حتى الهياج الفلاحي ولا انتفاضة فلاحية في المانيا (٣٥٠) .

١ - التركيب الطبقي للمنتفضين :

كانت الغالبية العظمى من المساهمين في الانتفاضة البابكية من الفلاحين والعبيد المستخدمين في الزراعة حيث تطور الاقطاع اكثر مما عليه في السابق (٣٥١) . ومع ان اعظم الاستغلال يقع على الفلاحين الا ان قسما من الملاكين الصغار قد انضم للحركة، ويعمل لويس انضمام الدهاقين بسبب انحطاط منزلتهم (٣٥٢) ، ويرى الدوري ان اشتراكهم في الانتفاضة خطوة هامة في تطور الوعي الايراني (٣٥٣) . ولم يكن لويس والدوري مصيبيان في قولهما فان مشاركة الملاكين الصغار (الفئات القلقة) هو بسبب خوفهم وعدم تمكنهم من مقاومة تيار الانتفاضة العارم وبسبب من اطماعهم في الحصول على اراض اكثر وتوسيع نفوذهم بعد تقلص السلطة العباسية . اما تطور الوعي الايراني فانه سابق لاوانه ولان الحركة كانت تضم الاندريجانيين والارمن وغيرهم . ان انضمام هذه الفئات القلقة من صغار الملاكين سيسبب الضعف للحركة بعد مضي وقت ، وذلك عندما تظهر الاخطار المحدقة بالثائرين ، فمع هذه الفئات الانتهازية تجيء الاخطار لانهم في اول انتكاسة يهربون الى الجانب الآخر ، وقد اشار بيلاييف الى ذلك بقوله : غالبا ما انضم الى الحركات الشعبية من هم بالاصل من الطبقات السائدة ، والذين بعد ذلك خانوا المنتفضين ولم يكن ذلك نادرا (٣٥٤) . قلنا ان الغالبية العظمى

(٣٥٠) انكلز ، ف . ، الحرب الفلاحية في المانيا ، ص ٣١ .

(٣٥١) انظر البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ ، وتاريخ الاتحاد السوفيتي ، القسم الاول ،

ص ٤٨ . كان غياب الملاكين عن اراضيهم سببا آخر في عدم تطور الاقطاع السريع ،

اذ كانوا يفضلون السكنى في العاصمة ، اما الآن فأخذوا يعودون الى املاتهم كآل طاهر

مثلا ، انظر لوكيكارد ، الضريبة الاسلامية ، ص ٦٦ ، حول اثر غياب الملاك في تطور

الاقطاع .

(٣٥٢) العرب في التاريخ ، ص ١٤٤ .

(٣٥٣) العصر العباسي الاول ص ٢٣٤ .

(٣٥٤) بيلاييف ، يه . ، تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٢١٦ ، انظر الموسوعة التاريخية ،

م ٢ ، ص ١٤ ، وورد في تاريخ اندريجان القسم الاول ص ١٢١ ما يشبه هذا القول .

من المساهمين كانت من الفلاحين والعبيد وذلك بسبب الحالة السيئة التي كانوا يعيشونها ، فقد مضى وقت طويل على سلب الاراضي من الفلاحين الذين اصبحوا في حالة عوز وحرمان واشبه بأقنان يشتغلون لدى المالك الذي كان يستخدم عبيده في الزراعة ايضا وكان العبيد من الصقالبة (٣٥٥) ومن افريقيا ، وبالرغم من ان اذربيجان كانت غنية بالخيرات وافرة المياه ، كما شاهد بنفسه ياقوت الحموي وكتب « خيرات كثيرة وفواكه جمة ما رأيت ناحية اكثر بساكن منها ولا اغزر مياها وعيونا » (٣٥٦) ، فقد كانت ظروف الفلاحين المعاشية سيئة اذ كان البؤس يغرهم والامراض تفتك بهم والمجاعات تهلك العديد منهم (٣٥٧) ، ومما ضاعف متاعب الفلاحين هو الحاق الاراضي الواسعة الخصيبة بأملأك الخلفاء وذويهم ، وقد جرى ذلك في عهد الامويين ، ثم توارثها العباسيون وذوهم (٣٥٨) ، وبهذا يصبح الولاة الحكام على المقاطعات وكلاء على الاملاك ايضا مما يتعذر على الفلاحين الشكوى . لقد اشارت غالبية المصادر الى مساهمة الفلاحين في الانتفاضة البابكية وانتفاضات الخرميين ، فاليعقوبي اشار الى ان المحمرة خرجت بالجبل (٣٥٩) وقد حددها الطبري في حوادث سنة ٢١٨هـ (٣٦٠) وأشار الطبري الى ان المازيار لما عزم على الخلاف ٠٠٠ امر اكرة الضياع بالوثوب بأرباب الضياع وانتهاب اموالهم ، وكان المازيار يكتب بابك ويعرض عليه النصر (٣٦١) . وحينما يعدد المسعودي مناطق الخرمية يؤكد على ان اكثر هؤلاء في القرى والضياع (٣٦٢) ، ويبين البغدادي ان اتباع المازيار اليوم في جبلهم اكرة من يليهم (٣٦٣) . فغالبية سكان اذربيجان وارمينيا واقليم الجبال في ايران التي عمتها

(٣٥٥) عن الصقالبة انظر تاريخ التمدن الاسلامي ، ج ٥ ، ص ٢٧ ، لجرجي زيدان .

(٣٥٦) معجم البلدان ، ج ١ ، ص ١٢٨ .

(٣٥٧) كتلك التي حلت بخراسان والري واصبهان (الاخيرتان من مناطق الانتفاضة) كما ذكر

الطبري عن حوادث سنة ٢٠١ هـ ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ص ١٠١٥ ويرى

المسعودي ان المجاعة وقعت في سنة ٢١٤ هـ ، المروج ، ج ٤ ، ص ٢٩ ، ورواية الطبري

ادق .

(٣٥٨) انظر البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ .

(٣٥٩) تاريخ اليعقوبي (طبع النجف) ، ج ٣ ، ص ١٩٧ .

(٣٦٠) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٦٥ . انظر الكامل لابن الاثير ، ج ٥ ، ص ٢٣١ .

وتاريخ مختصر الدول لابن العبري (اوكونيا ١٦٦٣ م) ، ص ٢٥٢ .

(٣٦١) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٦٩ ، والمازيار هو اصيلهذ طبرستان وليس جرجان

كما توهم البغدادي في « الفرق بين بين الفرق » ص ٢٦٩ .

(٣٦٢) مروج الذهب ، وقد ذكر عنهم « واكثر الخرمية ببلاد خراسان والري واصبهان واذربيجان

وكرج ابي دلف والبرج الموضع المعروف بالرد والورسنجان ثم ببلاد الصيرون

←

الانتفاضة هم من الفلاحين الذين كانت تنتشر بينهم آراء الخرمية . فكان الفلاحون المستودع الذي مد الانتفاضة عاما بعد آخر – طيلة عشرين عاما – بمعين لا ينضب من القوى الثائرة .

لكن الانتفاضة لم تقتصر على طبقة الفلاحين – ولو انهم كانوا عمادها الرئيسي – انما انضمت اليهم جموع اخرى من سكنة المدن ، ممن كانت تعاني الفقر والحرمان ويلحقها العذاب والجور من التسلط الاقطاعي الشامل .

لقد ذكرنا في الفصل الثاني اهم الصناعات « اليدوية » والحرف في مدن ايران واذربيجان وارمينيا وان حالة جماهير المدن كانت سيئة ، وظل الحال كما هو عليه اثناء الانتفاضات الخرمية وفي عهد الانتفاضة البابكية ، فلا غرابة اذن ، ان تنضم جموع ابناء المدن ، المستاءة من اوضاعها السيئة ، الى الانتفاضة الجماهيرية من اجل تحسين اوضاعها وترفيه حالها . ولا شك ان ظروف حياتها القاسية من شظف العيش وفداحة الاستغلال وارهاق الضرائب هي التي حدت بهؤلاء المعدمين للمساهمة في هذه الانتفاضة .

ان الحرفيين والكسبة وبقية معدمي المدن لم يكونوا بمنجى من الجور الاقطاعي والتسلط الحكومي ، ولهذا كانوا من المسارعين لتلبية نداء الانتفاضة ، فما ان تلتهب انتفاضة في بقعة ما من البلدان المحتلة حتى تجد الحرفيين منضمين اليها شأنهم شأن الفلاحين ، وذلك من اجل الخلاص من الجور والظلم والاستبداد الحكومي والارهاق والتعسف الاقطاعي .

ب – مساهمة شعوب مختلفة (العرب ، الاكراد ، الايرانيون ، الديالة والارمن) في الانتفاضة الاذربيجانية :

ساهمت جموع الشعب من ابناء المناطق التي عمتها الانتفاضة ، ولما كان المساهمون من طبقات وفئات مختلفة ، لهذا فان الغايات لم تكن موحدة ، فالمنحدرون من



والصيمرة واربوجان من بلاد ماسبذان وغيرها من تلك الامصار واكثر هؤلاء في القرى والضياح ، ط ٢ ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ . وعنه نقل مارغليوث في دائرة المعارف الاسلامية المختصرة ، ص ٢٥٢ ، ونفيسي ، بابك ، ص ٣١ – ٣٢ ، الا ان السعودي يضيف الى هذه الاماكن اماكن اخرى ذكرها في كتابه التنبيه والاشراف وهي : مهرجان قنق وهمدان وماء الكوفة وماء البصرة وارمينية وقم وقاشان ، ص ٣٥٣ ، وقد بين السعودي انه ذكر ذلك في كتبه في المقالات في اصول الديانات وسر الحياة .

اصل ارستقراطي او من الاغنياء او من الملاكين الصغار او من موظفي الدولة من ولاية وقادة عسكريين ، كل هؤلاء لم يكن حب الثورة او المنهاج الثوري هو الذي حدا بهم للانضمام للحركة ، ولكن اغليبيتهم انضمت بسبب حقدها وكراهيتها للنظام القائم وبدافع من مطامعها الشخصية او بحكم وجودها في المناطق المنتفضة ، والاهم من ذلك بسبب خوفها من الانتفاضة وعدم استطاعتها الوقوف بوجه تيارها العارم . اما المعدمون فقد انضموا للحركة ، شأنهم شأن معدمي اذربيجان ، بسبب من الضائقة الاقتصادية والجور الاقطاعي والاستبداد الحكومي آملين بلوغ اوضاع جيدة تتحسن فيها امور معيشتهم ويتخلصون من الاستعباد ، وكانت مساهمتهم تعبيراً عن استيائهم .

مساهمة العرب :

كانت تقطن المناطق الشرقية من الخلافة قبائل عربية جاءت اليها مع الفتح وبعده واستوطنت هناك وقد زاولت مهنا مختلفة اهمها الزراعة حيث استولت على اطياب الاراضي (٣٦٤) ، وقد ساهمت هذه القبائل في فعاليات مختلفة ضد الخلافة معبرة عن سخطها وكراهيتها للتعسف الحكومي ، كما وان العداء الشخصي بين الارستقراطيين القبليين العرب (شيوخ القبائل) وبين الولاة ، ولطامح الارستقراطيين (٣٦٥) دوره في ذلك . وقد ساهمت هذه القبائل في انتفاضات الخوارج ، كما وانها كانت تنتفض ضد السلطة بين حين وآخر .

فقدت هذه القبائل بمرور الزمان كثيرا من المحفزات القبلية في تصرفاتها وبدأت تتأثر بمؤثرات موضوعية محلية ، فكانت جماهير العرب المدممة تساهم بالثورات والانتفاضات المحلية ضد السلطة وضد الملاك المحليين . وتجد الاشارات كثيرة الى ذلك ، ولو ان المؤرخين ينسبون هذه التمردات والانتفاضات الى الاشخاص القائمين بها ، فاليعقوبي يذكر ثورة الصفارية بوجه خالد بن يزيد بن مزيد والي المأمون على ارمينيا في عهد الانتفاضة البابكية (٣٦٦) ، ثم يذكر انهم نقضوا الصلح الذي عقده مع خالد « ووثب معهم القيسية وشغبوا على خالد » (٣٦٧) ، ولما لم يكن في استطاعة اليعقوبي وغيره التعمق في معرفة اسباب التمردات والانتفاضات اكتفوا بتعدادها على انها مخالفات وعصيانا بوجه السلطة الشرعية .

(٣٦٣) الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٩ .

(٣٦٤) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٢٢٩ ، ابن الفقيه مختصر كتاب البلدان ، ص ٢٨٤ ،

تاريخ العالم ، ج ٣ ، ص ١٢٧ .

(٣٦٥) انظر جوزي ، من تاريخ الحركات الفكرية ، ص ٨٦ .

(٣٦٦) تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ١٩١ .

(٣٦٧) ن م ، ج ٣ ، ص ١٩١ .

واما عن الامراء والرؤساء العرب الذين ايدوا او انحازوا الى الانتفاضة ، فقد وردت عنهم نصوص كثيرة في مختلف المصادر العربية . فاليقوبي ذكر عن حاتم بن هرثمة بن اعين الذي ولاه المأمون ارمينيا ٠٠٠ وعمل على ان يخلع وكتاب البطارقة ووجوه اهل ارمينيا وكتاب بابك والخرمية وهـنـون امر المسلمين عندهم (٣٦٨) .

وذكر ايضا عصيان سواده بن عبد الحميد الجحافي بوجه القائد عيسى بن محمد والي ارمينيا الذي اسند المأمون اليه محاربة بابك . وأشار اليقوبي الى ان محمد بن البعيث قد شايع بابك (٣٧٠) ، وقد ذكر الطبري ان لمحمد بن البعيث قلاع في اذربيجان وكان يستقبل سرايا بابك ، ويستضيفهم (٣٧١) ، ويرى رايت ان انضمام ابن البعيث الى بابك قد وسع نفوذ بابك الى الجنوب من المراغة وزنجان (٣٧٢) ، لكن ابن البعيث نكث اخيرا العهد مع بابك - كما سنرى في الفصل الرابع . ويشير الطبري في حوادث سنة ٢١٢هـ (٨٢٧م) الى ان محمد بن حميد الطوسي الذي وجهه المأمون لمحاربة بابك وسار على طريق الموصل واخذ « بعلي بن مرة ونظرائه من المتغلبة باذربيجان فبعث بهما الى المأمون » (٣٧٣) ، وذكر ايضا في حوادث سنة ٢١٧هـ (٨٢٢م) عن علي بن هشام ، والي الجبل وقم واصبهان ، من قبل المأمون ، ان المأمون وجه اليه عجيفا فأراد ان يفتك به ويلحق ببابك ، فظفر به عجيف فقدم به على المأمون فأمر بضرب عنقه (٣٧٤) . ولا شك ان رغبة علي بن هشام في الانضمام للانتفاضة كانت لمجرد مناهضة الخليفة الذي حاسبه على تصرفاته السيئة . ويردد ابن خلدون رواية الطبري عن حوادث سنة ٢١٢هـ (٨٢٧م) حول محاربة محمد بن حميد الطوسي لعلي بن صدقة المعروف بزريق (عينه المأمون واليا على ارمينيا واذربيجان سنة ٢٠٩هـ (٨٢٤م) ، ولكنه عصى) وبابك الخرمي (٣٧٥) . ان المؤرخين وان لم يشيروا الى انضمام هؤلاء للحركة ، فانهم (اي الامراء) حسب رأينا لم يكن امامهم ، وقد انتفضوا على السلطة ، الا الانضمام لجيش الانتفاضة ، اذ لا مفر لهم من ذلك لكونهم في مناطق الانتفاضة ، غير ان المؤرخين يذكرون اسماء هؤلاء مع اسم بابك عند ذكر تعيين الخليفة لقائد لمحاربة الثائرين .

(٣٦٨) ن . م . ، ج ٣ ص ١٨٩ ، انظر مقالة د . سوريل بعنوان بابك ، دائرة المعارف الاسلامية (طبعة جديدة ١٩٦٠) ، ص ٨٤٤ .

(٣٦٩) تاريخ اليقوبي ، ج ٣ ، ص ١٨٩ ، اذربيجان في القرون السابع - التاسع ، ص ٢٥٠ .

(٣٧٠) تاريخ اليقوبي ، ج ٣ ، ص ١٩٩ .

(٣٧١) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٢ .

(٣٧٢) مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٢٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٤٨ .

(٣٧٣) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠٩٩ ، ابو الفداء ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢٢٦ .

(٣٧٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٠٨ ، انظر ايضا اليقوبي ، تاريخ ، ج ٣

ص ١٩٣ ، ابن طيفور ، كتاب بغداد ، ص ١٤٥ .

(٣٧٥) كتاب العبر ، ج ٣ ، ص ٢٥٤ .

مساهمة الاكراد :

ضمت الانتفاضة مناطق واسعة من الاراضي التي يسكنها الاكراد ، فاقليم الجبال (او بلاد ميديا) يقطنه الاكراد بالاضافة الى ان الاكراد يقطنون في اذربيجان الايرانية وارمينيا (٢٧٦) . وغرب اذربيجان الشمالية . لهذا فان الشعب الكردي الذي كان يقاسي شظف العيش بسبب من تضافر قساوة الطبيعة واستغلال الارستقراطيين ، لا بد وانه قد ساهم في الانتفاضة البابكية ولا يستبعد ذلك والشعب الكردي البائس قد ساهم سابقا في كثير من الثورات والانتفاضات فأبناؤه يحفظون اسطورة الحداد الكردي كاوه (٢٧٧) ، الذي اهوى بمطرقته على رأس الطاغية الضحاك ، واصبح كاوه البطل الاسطوري للشعب الكردي المحب للحرية . لهذا من المحتمل ان هذا الشعب المحب للحرية كان يقلق بال الذين يلحون بالسيطرة على الجبال بسلام فتتعالى على ذرى جبال الاكراد وفي اوديتها نيران الحقد والكراهية ينفثها عن صدره هذا الشعب المكتوي دائما بالسيطرة الاجنبية والاستغلال المحلي (٢٧٨) ، لقد ساهم معدمو الاكراد من فلاحين ورعاة وحرفيين في مختلف الثورات وفي الانتفاضات الخرمية (٢٧٩) والانتفاضة البابكية ، واما الارستقراطية الكردية فكانت تميل الى جانب القوي ، ولهذا وبسبب قيام الانتفاضة في الاراضي الكردية اضطر الامراء الاكراد الى المساهمة في الانتفاضة . وتشير غالبية المصادر الى مساهمة الاكراد في الانتفاضة بصراحة ، او تشير الى ذكر مناطقهم ، فاليعقوبي يذكر عن بابك (٠٠ وعصمة الكردي صاحب مرند في طاعته) (٢٨٠) ، ويشير الطبري الى انه في سنة ٢١٨هـ (٨٣٢م) دخل جماعة كثيرة من اهل الجبال من همذان واصبهان وماسبذان ومهرجاندق في دين الخرمية وتجمعوا

(٢٧٦) يشير الدينوري الى وجود الاكراد في ارمينيا ، الاخبار الطسوال ، ص ٣٤٠ ، لاحظ مينورسكي ، دراسات في التاريخ القفقاسي، ص ١١٣ ، حول لقليم الجبال والمناطق التي كان يسكنها الاكراد انظر ليسترانج ، اراضي الخلافة الشرقية ، ص ١٨٥ ، ومقالة لوكهارت L. Lockhart في دائرة المعارف الاسلامية (١٩٦٣ م) المجلد ٢ ، ص ٥٣٤ .

(٢٧٧) كاوك او كما يسميه الفرس كاوه ، فتحتفل قرى ومدن جبال كردستان بأشغال النيران في يوم النوروز ٢١ آذار - العيد الشعبي - تمجيذا لنار الحداد كاوه .

(٢٧٨) ولكن نظرا لضعف درجة التطور الاقتصادي لدى الشعب الكردي فانهم ساهموا بانتفاضات شعوب اخرى اقتصادها اكثر تطورا ودرجة وعيها تبعاً لذلك اعلى .

(٢٧٩) ذكر ابن طباطبا عن سنباد « وكثر اشياعه واطاعه اكثر اهل الجبال » ، تاريخ الدول الاسلامية ، ص ١٧١ .

(٢٨٠) التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٩ .

في همدان ٠٠) (٣٨١) وهذه المناطق التي ذكرها الطبري يسكن غالبيتها الاكراد ، وقد اشار المسعودي في المروج (٣٨٢) وفي التنبيه والاشراف (٣٨٣) ، وابن النديم (٣٨٤) وابن الاثير (٣٨٥) وابن العبري (٣٨٦) الى مساهمة ابناء هذه المناطق في الانتفاضة ، كما ويشير جوزي ولويس والدوري (٣٨٧) الى انضمام الاكراد للانتفاضة ، غير ان جوزي يرى ان بين الذين التفوا حول راية بابك من كان قد لبى الدعوة « طمعا بالحصول على منافع مادية لم يكونوا لينالونها الا من الثورات والحروب الاهلية واكثر هذا الفريق كان من الاكراد » (٣٨٨) . ولكن لا يمكن الاتفاق مع جوزي في اطلاق التهمة على الاكراد اذ قد يجوز وجود قسم من الاكراد يركض وراء المطامع المادية ولكن حتما ليس كل الاكراد . ومن المهم ان نشير الى ان المؤلف الارمني ليو يذكر بأن سكان منطقة البذ الجبلية كانوا يسمون بالكوردوك Kurduk ويقول ليو : وترتبط هذه التسمية ولا شك بكلمة كرد (٣٨٩) . والظاهر ان الرابطة قوية بين التسميتين مما يرجح وجهة نظر ليو . ويعتقد بونيياتوف بأنه لاعتبارات سياسية انضم مالك مرند عصمة الكردي ومعه بعض الامراء الاكراد (٣٩٠) ، ورأي بونيياتوف صحيح لان الارستقراطية الكردية ، كسوية الارستقراطيين الآخرين ، كما قلنا كانت تميل للجانب القوي .

مساهمة الايرانيين :

ساهمت جموع الشعب الايراني في ثورات عديدة نتيجة سوء الاوضاع الاقتصادية ، حيث كان ابناء الشعب وغالبيتهم من الفلاحين ، يقاسون من ثقل الضرائب

- (٣٨١) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٦٥ . انظر ايضا اليعقوبي ، تاريخ ج ٣ ، ص ١٩٧ ، المسعودي : المروج ج ٣ ، ص ٣٠٥ ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٥٢ ، ابن النديم الفهرست ، ص ٤٩٣ ، ابن الاثير : الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣١ ، ابن العبري : تاريخ مختصر الدول (اوكونيا سنة ١٦٦٣ م) ، ص ٢٥٢ ، فاسيليف ، بيزنطة والعرب ، ص ١١٤ ، نفيسي ، بابك ، ص ٦٣ - ٤٠ .
- (٣٨٢) (طبعة مصر ١٩٤٨ م) ط ٢ ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ .
- (٣٨٣) طبعة ليدن ، ص ٣٥٣ .
- (٣٨٤) الفهرست ، ص ٤٩٣ .
- (٣٨٥) الكامل (طبعة ١٣٥٧ هـ) ، ج ٥ ، ص ٢٣١ .
- (٣٨٦) تاريخ مختصر الدول (اوكونيا ، ١٦٦٣ م) ، ص ٢٥٢ .
- (٣٨٧) من تاريخ الحركات ، ص ٨٣ ، العرب في التاريخ ، ص ١٤٤ ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٣ .
- (٣٨٨) من تاريخ الحركات ، ص ١١٦ .
- (٣٨٩) تاريخ ارمينيا (باللغة الارمنية) ، م ٢ ، ص ٤٢٦ .
- (٣٩٠) انريبيان : ص ٢٤٧ .

والجور الاقطاعي والتعسف الحكومي ، ولما لم يف العباسيون بوعودهم التي اطلقوها ابان دعوتهم في تخفيف الضائقة الاقتصادية عن ابناء الشعب ، لجأ هؤلاء الى الثورة ، فكانوا عماد انتفاضات الخرمية حيث اشارت غالبية المصادر الى انضمام اهالي قم وهمدان ونهاوند واقليم الجبال ومنطقة بحر الخزر واصفهان الى الخرمية (٣٩١) .

ان نظرة نلقياها على مواقع الانتفاضة ترىنا ان قسما كبيرا من الجزء الشمالي الغربي من ايران كان ضمن حدود الانتفاضة البابكية (٣٩٢) ، وقد دخل فلاحو تلك المناطق في الحركة بمحض ارادتهم (٣٩٣) يحدهم امل التخلص من النير والاذلال الطبقي والتسلط الحكومي الجائر ، حيث كانت الحلول التي دعت البابكية (٣٩٤) الى تطبيقها عناصر جذب لجماهير الفلاحين . اما صغار الملاكين وقسم من الارستقراطية ، فلم يدر بخلدهم مشاركة الثورة من اجل تحسين الاوضاع الاقتصادية للفلاحين ولبقية المعدمين ، وانما دفعتهم الرغبة في التخلص من الحكم الاجنبي ، الذي حدد نفوذهم ، الى المساهمة في الانتفاضة ، بالاضافة الى تخوفهم من تنكب سير الانتفاضة وهي قائمة في مناطقهم .

غالبية المصادر القديمة والمراجع الحديثة طافحة بأخبار امراء جرجان وطبرستان واخبار الايرانيين الخرميين الذين ثاروا في مناطق متعددة مؤيدين ومناصرين بابك في انتفاضته ، وسنشير الى بعض الحوادث المهمة . فمدينة قم التي هي من مناطق الخرمية كما تشير غالبية المصادر ، كانت تتظلم من فداحة الضرائب - مليونين درهم - وطالبوا بتخفيض ما عليهم من خراج فلم تصح الحكومة لمطالبهم فثاروا في سنة ٢١٠ هـ (٨٢٥م) كما يشير الطبري (وخلق اهل قم السلطان ومنعوا الخراج) (٣٩٦) فأمر المأمون واليه عليا بن هشام ان يحاربهم ف قضى على الحركة وقتل رئيسهم يحيى بن عمران وهدم سور قم وجباها سبعة ملايين درهم (٣٩٧) . لقد كان جواب الحكومة قاسيا حيث اعملت

.....

(٣٩١) راجع الهوامش ٣٨١ - ٣٨٢ - ٣٨٣ - ٣٨٤ - ٣٨٥ و ٣٨٦ .

(٣٩٢) لويس ، العرب ، ص ١٤٤ ، تاريخ العالم ، ج ٣ ، ص ١٣٨ .

(٣٩٣) جوزي ، من تاريخ الحركات ، ص ٨٩ ، لويس ، العرب ، ص ١٤٤ .

(٣٩٤) انظر مقولة لويس ، العرب ، ص ١٤٤ .

(٣٩٥) لان ذلك يتعارض ومصالحهم بالذات .

(٣٩٦) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠٩٢ ، راجع البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣١٤ ،

وابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١٢ ، ويعتبر ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٢ ، ص

٢٥٥ ، الحادثة في سنة ٢١٤ هـ بعد تعيين علي بن هشام واليا . ورواية الطبري ادق .

(٣٩٧) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠٩٣ ، البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣١٤ ، ابن

الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١٢ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٢ ، ص ٣٥٥ .

فيهم السيف وضاعت الضريبة الى ثلاثة امثالها ولهذا عاد اهل قم بعد ست سنوات للانتفاضة ثانية ، فقد ذكر ابن الاثير عن حوادث سنة ٢١٦هـ (٨٢١م) « وفيها هرب جعفر بن داود القمي الى قم وخلع الطاعة بها » (٢٩٨) . ولم تكن استجابة اهل قم للانتفاضة التي دعا اليها جعفر الا تعبيراً عن سخطهم على الاجراءات التعسفية التي اتخذتها السلطة بحقهم بعد سحق انتفاضتهم السابقة . ويشير نظام الملك الى انتفاضة اخرى قامت حوالي مدينة اصفهان وقد انضمت اليها الباطنية ويحدد نظام الملك تاريخ الانتفاضة بسنة ٢١٢هـ / ٨٢٧م في ايام المأمون (٣٩٩) .

مساهمة الديالة :

كانت ظروف الديالة القاطنين السواحل الجنوبية الغربية لبحر الخزر مشابهة لحد ما ظروف مجاورهم من الايرانيين والاذريجانيين ، وكانوا يقاسون من شظف العيش نتيجة الارهاق الاقطاعي واستغلاله ومن جور السلطة ، لهذا كان طبيعياً ان تنضم جماهير الديلم المدممة الى الانتفاضة الاذريجانية من اجل حل قضيتها وكانت مساهمة الديالة جسيمة لدرجة اعتبر البغدادي ان جيش بابك المؤلف « من اهل البدين (البست) ومن انضم اليهم من الديلم مقدار ثلاثمائة الف رجل » (٤٠١) . والبغدادي اعتبر جيش بابك متآلفاً بصورة رئيسية من الاذريجانيين والديالة . ورواية البغدادي وان كانت غير دقيقة في تحديد العدد وحصرها لجيش بابك بالبديين والديالة الا انها تدل على جسامه عدد الديالة في الانتفاضة البابكية ، ومع ذلك فان تومارا يعتقد بان الخرميين الديالة لم ينضموا الى جيرانهم المنتفضين الاذريجانيين ولم يبدوا لهم مساندتهم ويعزو السبب الى ان الفلاحين في القرون الوسطى كثيراً ما لا يحركون ساكناً نتيجة تَعَوْدِهِم لِلخُضُوع (٤٠٢) . وقد اعتمد في رأيه على تحليل انكلز لنضال الفلاحين في القرون الوسطى وذلك في بحثه عن الحروب الفلاحية في المانيا (٤٠٣) . لكن مقولة انكلز وان كانت صحيحة كمبدأ عام لا يمكن استخدامها لنقض حقيقة واقعة، اذ ان الحقيقة الواقعة تشير الى ان الديالة ساهموا بقسط في الانتفاضة البابكية (٤٠٤) .

(٢٩٨) الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٢١ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٣ ، ص ٢٥٥ .

(٢٩٩) سياست نامه ، ص ٢٩٠ والترجمة الروسية ، ص ٢٢٤ .

(٤٠٠) يشير ابن النديم الى ان الخرمية منتشرون في بلاد الديلم ايضاً ، الفهرست ، ص ٤٩٣ ،

عن الديالة انظر مينورسكي ، دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ١١٣ .

(٤٠١) الفرق بين الفرق ، ص ٢٨٤ .

(٤٠٢) تومارا ، بابك ، ص ٨٨ .

(٤٠٣) انكلز ، ف ، الحرب الفلاحية في المانيا ، ص ٣١ .

(٤٠٤) كما يشير ابن النديم والبغدادي وغيرهم .

مساهمة الارمن :

ضمت الانتفاضة البابكية الجزء الشرقي والجنوبي الشرقي من ارمينيا ، ولما كانت احوال جماهير الشعب الارمني الاقتصادية وظروفها المعاشية وحياتها لا تختلف بكثير عن احوال وظروف مجاورهم حيث كان الشعب الارمني يئن من ارهاق وتعسف الاقطاعية والسلطة لذا قام - في العشرين الامسوي والعباسي - بانتفاضاته ، كما وساهم في الانتفاضة البابكية ، ولا سيما الارمن المتأخمين لميادين الانتفاضة حيث اشتركوا فعليا في فعاليتها ، اما امراء ارمينيا فلم يساهم منهم الا الذين كانوا مجاورين حيث كانوا يخشون الوقوف بوجه الانتفاضة العارمة ، ولضعف سيطرة الخلافة في تلك المناطق حيث عزلتهم الانتفاضة عن مركز الخلافة . وقد عادى قسم من امراء ارمينيا الانتفاضة مما دفع الخرميين لمحاربتهم (٤٠٥) . اما الذين ايدوا الانتفاضة فقد توطدت علاقاتهم مع المنتفضين وخاصة امراء سونيك (٤٠٦) حيث تزوج بابك من ابنة اميرهم فاساك (٤٠٧) . يذكر ليو ان لبابك في سونيك وارتساخ اقارب واصدقاء وحتى انصار عقائديين (٤٠٨) . ومن الناحية الاخرى نرى ان الامراء الآخرين الحائزين على امتيازات من الخلافة نتيجة تعاقدهم معها على دفع ضرائب محددة يصبحون بموجبها شبه مستقلين في ادارة املاكهم ، فانهم لم يساهموا في الانتفاضة التي كانت برامجها الاجتماعية - الاقتصادية تهدد مصالحهم بالذات فلم تكن لهم فائدة في نجاحها .

والملاحظ ان المصادر العربية لا تشير صراحة الى مساهمة الشعب الارمني في

(٤٠٥) ذكر ليو بأن بابك هجم في ٨٢٩ م على المقاطعات الارمنية التي رفض امرؤها الانضمام اليه وضرب الحصن المقدوني الشهير في «كيكديك» حيث لم يبق منه سوى طاحونة مائية واحدة وبلغ عدد القتولين ١٥ الفا ، تاريخ ارمينيا (بالارمنية) ، م ٢ ، ص ٤٣١ .

(٤٠٦) ذكر مينورسكي بأن « الاراضي الجبلية العالية التي تمتد تقريبا بين سيوان Sevan واراكس تحمل في ارمينيا اسم سونيك » ، دراسات في التاريخ القفقاسي، ص ٦٨-٩٠ .

(٤٠٧) يرى مينورسكي بأن فاساك اعطى ابنته لبابك « وكان فاساك اول امير ظهر كمساعد للثائر المشهور والهرطي بابك (في الارمنية بابان) واعطاه ابنته » ، دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ٦٩ ، بينما يشير المؤرخ السرياني موساس كاكناكاتفاسي « في تلك السنة توفي رئيس السنوكيين وفي نفس الوقت تزوج بابك من ابنة فاساك » ، بازماقيب، بابك وسهل بن سنباط ، صفحة من تاريخنا في القرن التاسع ، بالارمنية ، ص ١٥ ، فهو يشير الى ان الزواج تم بعد وفاة فاساك ويرى ليو ، تاريخ ارمينيا ، م ٢ ، ص ٤٣١ ، وبونياتوف ، اذربيجان ، ص ٢٥٠ ، ان الزواج تم بعد وفاة فاساك ، راجع ايضا تاريخ اذربيجان ، القسم الاول ، ص ١١٨ ، ١٢٠ ، حول اتفاق اهل سونيك مع بابك .

(٤٠٨) تاريخ ارمينيا ، م ٢ ، ص ٤٣٦ .

الانتفاضة وانما كانت تشير الى قيامه بالاضطرابات والحركات ايام قيام الانتفاضة البابكية في سبيل تحرره من السلطة التي فرضت عليه ضرائب باهظة قدرها الجهشيارى بـ ١٣ مليون درهم بالسنة ٤٠٩) ، فالصادر اذن تشير الى ارمينيا عند ذكرها للفعاليات الحربية والمناطق المتنفضة في عهدي المأمون والمعتصم ايام الانتفاضة البابكية وقد اشار بذلك اليعقوبي الى ان ارمينيا كانت مضطربة حينما ولى المأمون (في زمن الانتفاضة) الحسن بن علي الباذغيسي واليا على ارمينيا (٤١٠) . وتشير المراجع الحديثة الى مساهمة الشعب الارمني في الانتفاضة ، غير ان جوزي يسمي مقاطعة سونيك باسم سونيا (صهيون ؟) (٤١١) وهو غير موفق في هذه التسمية كما وان يامبولسكي (٤١٢) ، وتاريخ اذربيجان (٤١٣) يشيران الى وجود عقد ، او ارتباط الخرميون بعقد مع الجورجيين وهذا غير صحيح .

(٤٠٩) الوزراء والكتاب ، ص ٢٣٣ ، انظر مقدمة ابن خلدون ، ص ١٥١ ، حيث يذكر نفس

المقدار .

(٤١٠) اشار اليعقوبي الى ان المأمون ولى (الحسن بن علي الباذغيسي المعروف « بالمأموني »

فقدّم والبلد مضطرب فقاتل اهل قلعة « لبابعين » - الكلمة غير واضحة بالاضل - ففتحها وانصرف الى « دبيل » جنوب بحيرة سيوان فاقام بها وكتب الى اسحق بن

اسماعيل التفليسي (٠٠٠) ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩١ .

(٤١١) من تاريخ الحركات الفكرية ، ص ٨٢ - ٣ .

(٤١٢) يذكر يامبولسكي « واتحدوا مع اخوتهم من شعوب ارمينيا وجورجيا » ، انتفاضة

بابك ، ص ١١ .

(٤١٣) جاء في تاريخ اذربيجان « الخرميون عقدوا ارتباطا مع ثائري ارمينيا وجورجيا » ،

القسم الاول ، ص ١١٨ ، ويكرر ذلك في ص ١٢٠ .

الفصل السابع

الانفِضاضة البَابِكيَّة المُسلَّحة
ضد الخِلافة العباسية

العوامل التي ساعدت على قيام ونجاح الانتفاضة المسلحة

بالرغم من ان الانتفاضات في مجتمع الرق والاقطاعية – كما لاحظنا – لم تستطع ان تضع حدا للاستغلال ، غير انها في كثير من الاحيان لم تخل من خطورة وجسامة ، فقد تمكنت الانتفاضة البابكية المسلحة ان تقف بوجه الخلافة العباسية لمدة عشرين عاما (١) ، كان النجاح حليفها في عملياتها العسكرية في الفترة الاولى الطويلة ، وقد كان لضعف جيش الخلافة وانشغاله بفتن وحروب اخرى ولموقع موطن الانتفاضة الجغرافي وطبيعة بلادها وحسن الاستفادة من ذلك ولبراعة الخرميين في اساليب القتال وللحلفاء الذين ساندوا الانتفاضة ، من اثر في نجاحها واستمرارها الطويل ، هذا بالإضافة الى استماتة الخرميين وتفانيهم في الدفاع عن حقوقهم وعقائدهم .

وما كان مقدرا لهذه الانتفاضة ذلك النجاح ، من حيث سعة الرقعة التي شغلتها وجسامة الاضرار التي كانت تلحقها بالخلافة (٢) وطول المدة التي دامت لها ، لو لم تتضافر تلك العوامل جميعا .

١ – ضعف جيش الخلافة : – بعد وفاة الخليفة هارون الرشيد – (١٩٣ هـ / ٨٠٩ م)

(١) يعتبر المسعودي المدة ٢٢ عاما اذ يقول : « فكان من ادركه ممن قتله بابل في اثنتين وعشرين سنة من جيوش المأمون والمعتصم ٠٠ » ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٥٣ ، وهو مخطيء ولا شك .

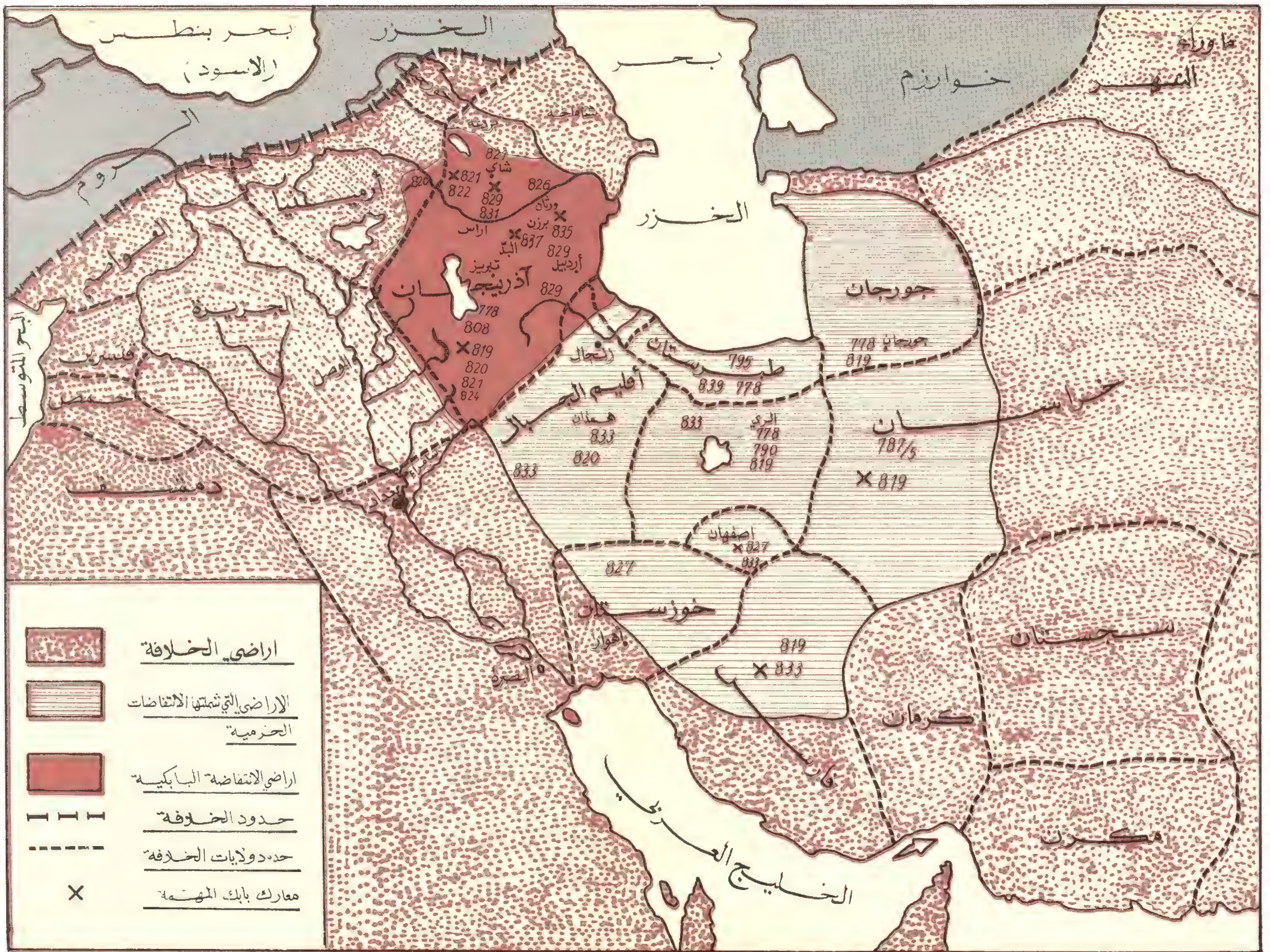
(٢) ذكر الطبري : « وكان جميع من قتل بابل في عشرين سنة مائتي الف وخمسة وخمسين الفا وخمسمائة انسان » ، تاريخ الرسل ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٢٢٣ ، ويأخذ بهذه الارقام المبالغ بها كل من المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٦ – ٧ وابن العبري ، تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٣ ، وابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٣ ، ص ٢٦٢ ، ويبالغ المقدسي حتى يوصل القتلى الى المليون ، البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٦ – ٧ ، ولكن المسعودي قد تواضع قبله فجعل العدد « في القول المقل خمسمائة الف وقيل اكثر من ذلك وان الاحصاء لا يحيط به كثرة » ، التنبيه والاشراف ، ص ٣٥٣ .

انغمس الجيش العباسي بالخلافات والانقسامات بين الارستقراطيتين العربية والارانية وبين افراد العائلة العباسية . فلما تولى المأمون (١٩٨ هـ / ٨١٣ م) الخلافة بعد مصرع أخيه الخليفة الامين (١٩٣ هـ / ٨٠٩ م - ١٩٨ هـ / ٨١٣ م) كان الجيش منهوك القوى ضعيفا حطمت الخصومات والآهواء وعصفت به الحروب الاهلية فخرج هزيعا ليواجه انتفاضات فلاحي مصر والزط في العراق وخرمية ايران والاضطرابات المتعددة وحروب الروم ، لهذا كان عاجزا عن كسب النصر في معاركه مع البابكيين ، ويمكننا ان نوجز اهم اسباب ضعف جيش الخلافة بما يلي :

— الحرب الاهلية (١٩٣ هـ / ٨٠٩ م - ١٩٨ هـ / ٨١٣ م) ، فتنة الامين والمأمون وعصيان ابراهيم بن المهدي (٢٠٢ هـ / ٨١٧ م - ٢٠٣ هـ / ٨١٨ م) وانشقاق وحدة جيش الخلافة :

ادى تقريب الارستقراطية الايرانية من قبل السلطة العباسية الى عكس ما كان مؤملا به ، فبدلا من تقوية سلطة الخلافة ودعمها واسنادها ، ادى هذا التقريب - كما شاهدنا الى سخط الجماهير الايرانية على ارستقراطيتها ونقض ايديها من التعاون مع العباسيين - كما وأدى الى تسعير أوار حقد وكراهية الارستقراطية العربية التي بدأت تشعر تدريجيا بازدياد خطر القوى المنافسة لها ، وقد زاد في حقد وكراهية الارستقراطية العربية على الارستقراطية الايرانية هو احتضان الأخيرة للكتاب والادباء والعلماء الشعوبيين واغداقها الاموال الطائلة عليهم - كما لاحظنا ذلك سابقا - . وكان من اسباب نكبة البرامكة هو حقد الارستقراطية العربية التي اخذت توغر صدر الخليفة هارون الرشيد ، وكان هو بالذات يشعر بخطر توسع نفوذهم ويرغب في الاستيلاء على املاكهم . وبعد نكبة البرامكة - التي تعد ضربة قوية للارستقراطية الايرانية - بدأت الارستقراطية الايرانية بالتفكير في الحصول على وسيلة للعودة الى سابق نفوذها واستغلالها ، فكان ان عثرت على ضالتها المنشودة في ولي العهد عبد الله (المأمون) ، والذي كان وجوده في خراسان فرصة عظيمة لم تتوان الارستقراطية الايرانية عن استغلالها . ان وجود المأمون في خراسان في تلك الفترة كان نتيجة لتنافس الارستقراطيتين وليس سببا للنزاع بينهما كما يتوهم شلبي (٣) .

(٣) يقول شلبي : « فليس في التاريخ ما يحدثنا عن ان تولية العهد لأكثر من واحد اسقطت الدولة او كانت سببا هاما في اضطرابها واما الحرب بين الامين والمأمون فانها وان كانت حقيقة واقعة الا ان لي فيها خاصا فيها ، وهو انها وقعت بسبب تولية خراسان ومسا حولها » ، كيف تكتب بحثا او رسالة - ط ٤ / ١٩٦٣ ص ١٤ .



لقد استغلت الارستقراطية الايرانية قضية النزاع على الخلافة ووجود المأمون بينها استغلالا كبيرا ، بحيث اصبحت الحرب الاهلية او فتنة الامين والمأمون ، ليست من اجل الخلافة كما تراءى للناس في الظاهر وانما اصبحت في جوهرها نزاعا بين الارستقراطيتين المتخاصمتين على السلطة والجاه والنفوذ ، وقد اشار الى ذلك الفضل بن الربيع عند حثه اسد بن يزيد بن مزيد على محاربة المأمون (٤) . وقد عني فوز المأمون بالسلطة انتصار الارستقراطية الايرانية ، وكنتيجة لذلك ان وضع عن خراسان ربع الخراج فحسن ذلك عند اهلها وترك لبس السواد شعار العباسيين ولبس الخضرة ، وجعل علي بن موسى الرضا وليا للعهد وسيطر الفضل بن سهل - ذو الرياستين - عميد الارستقراطية الايرانية على السلطة وتوجيه الامور وبعد اغتياله سيطر اخوه الحسن بن سهل . لقد لعب الفضل بن الربيع ممثل الارستقراطية العربية والفضل بن سهل ممثل الارستقراطية الايرانية ادوارا بارزة في اشعال نار الخصومة فقد سعى الفضل بن الربيع في اغراء الامين وحثه على خلع المأمون وكان الفضل بن سهل يشير على المأمون بالامتناع عن الانصياع لأوامر الامين (٥) .

وكان تمرد الارستقراطية العربية البغدادية (العباسية) بقيادة ابراهيم بن المهدي على الخليفة المأمون وعدم الاعتراف بخلافته رد فعل انتصار الارستقراطية الايرانية واستمرارا لذلك النزاع الطويل . ففي سنة ٢٠١ هـ / ٨١٦ م اراد اهل بغداد ان يبايعوا المنصور بن المهدي بالخلافة (٦) كما وانهم (اهل بغداد) خاضوا في امر خلع المأمون ونصب ابراهيم بن المهدي (٧) ويذكر اليعقوبي في حوادث سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م فاجتمع قواد الحربية فبايعوا لابراهيم بن المهدي المعروف بـ (ابن شكله) (٨) - ويذكر اليعقوبي ايضا - ووثب محمد بن ابي خالد واهل الحربية بالحسن بن سهل حتى اخرجوه من بغداد .٠٠ وأتوا محمد بن صالح بن المنصور فقالوا نحن انصار دولتكم وقد خشينا ان تذهب هذه الدولة بما حدث فيها من تدبير المجوسي وقد اخذ المأمون البيعة لعلي بن موسى الرضا فهلم نبايعك . (٩) وقد اشار الثائر بوجه الخليفة المأمون ، نصر بن

(٤) الكامل ، لابن الاثير ، ج ٥ ، ص ١٤٩ .

(٥) ن . م . ، ج ٥ ، ص ١٣٩ ، ويقول اليعقوبي : « وبويع للمأمون بالخلافة وخلع محمدا فاعطى

جميع اهل خراسان الطاعة للمأمون » ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٦٧ .

(٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٨١ .

(٧) ن . م . ، ج ٥ ، ص ١٨٤ .

(٨) التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٧٨ .

(٩) ن . م . ، ج ٣ ، ص ١٧٨ . ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٧٩ .

شبت صراحة الى وجهة نظر الارستقراطية العربية في خلافة المأمون « وانما هواي في بني العباس وانما حاربتهم محاماة عن العرب لانهم يقتومون عليهم العجم » (١٠)، لقد كان من جراء تلك الحروب والفتن ان فقد جيش الخلافة وحدته وتماسكه واحترامه لسادته فاصبح لا هم له الا زيادة العطاء ولم يعد اهلا لمواجهة الخرميين المنتفضين وغير مستعد لخوض معارك حاسمة معهم . بل انه عجز حتى عن ضبط العاصمة حيث احتلها الشطار (١١) .

انتفاضات الفلاحين في مصر : قامت جماهير مصر - غالبيتها من فلاحي القبط بالاضافة الى القيسية واليمانية (١٢) من العرب - بانتفاضات عديدة معلنة سخطها واحتجاجها على تفاقم الجور (١٣) الاقطاعي والتسلط الحكومي ، وقد بلغت هذه الانتفاضات منتهى خطورتها في اعوام (٢١١ هـ ، ٢١٥ هـ ، ٢١٦ هـ ، ٢١٧ هـ / ٨٢٦ م ، ٨٣٠ م ، ٨٣١ م ، ٨٣٢ م) حيث اضطرت المأمون الى أن يكلف اخاه المعتصم أو يحضر بنفسه ، وقد أرسل أو قاد جيوشا عظيمة (١٤) ، وقد ساهم الافشين في قيادة بعضها ، فيذكر اليعقوبي عن حوادث سنة ٢١٥ هـ / ٨٣٠ م عند عودة المأمون من محاربة الروم « فنزل دمشق ثم اتاه الخبر ان اهل (البشروء) من كور مصر قد ثاروا فأمر أخاه أبا اسحاق (المعتصم) ان يوجه الافشين حيدر بن كاؤوس فوجه به وكف عاديتهم » (١٥) ، ويذكر ايضا : « واشتدت شوكة من كان يحارب الافشين بمصر من اهل الحوف والبيما والبشروء وهي كور اسفل الارض فخرج المأمون الى كور مصر وقدم الافشين في محاربة اهل الحوف فزحف اليهم بنفسه فقتلهم وسبى البيما وهم قبط البشروء » (١٦)، ويروي اليعقوبي استياء الناس من شدة بطش الخليفة بالمنتفضين الذين خرجوا على

(١٠) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٧٩ .

(١١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٨٢ - ٣ .

(١٢) المقرئ ، الخطط ، ج ١ ، ص ٧٩ ، ج ٢ ، ص ٤٩٤ ، الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٢٠ .

(١٣) يذكر ترتون : « ونستدل على كثرة الثورات في مصر على ان الحكم الاسلامي كان عبثا ثقيلا على كاهل البلاد » ، اهل الذمة ، ص ٢٥٤ . وأشار ايضا الى ان « الاقباط غير راضين عن الاوضاع » ، اهل الذمة ، ص ١٥٥ .

(١٤) انظر ميور ، الخلافة ، ص ٥٠٤ ، الموسوعة التاريخية (السوفييتية) ، م ٢ ص ١٤ ، الدوري ، العصر العباسي الاول : « فاضطر المأمون الى القدوم بنفسه لضخامة هذه الثورة وخطورتها وكان على جيشه الافشين » ، ص ٢٢٠ ، بيلابيف ، ص ١٠ ، العرب ، الاسلام والخلافة العربية ، ص ٢١٦ . بونياتوف ، ازربيجان ص ٢٥٣ .

(١٥) التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٢ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٢٠ ، ١ ، ابو الفداء ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ص ٢٧١ .

(١٦) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٢ - ٣ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٣ ، ص ٢٥٥ .

الظلم وهم في ذلك اهل حق يقول اليعقوبي : « واستفتى في ذلك (القتل والسلب) ففيها بمصر يقال له الحارث بن مسكين مالكي ، فقال : ان كانوا خرجوا لظلم نالهم فلا تخق دماؤهم واماوالمهم ، فقال المأمون (انت تيس ومالك اتيس منك) هؤلاء كفار لهم ذمة اذا ظلموا تظلموا الى الامام وليس لهم ان يستنصروا بأسيا فهم » (١٧) ، وقد اعترف المأمون بأنهم مظلومين ولكن لا يحق لهم الانتفاض . وتكاد تجمع كافة المصادر على ظلم العباسيين وسوء سيرة عمالهم (١٨) ، وقد كانت الحروب مستعرة في كل اراضي مصر من الصعيد وأسفل الارض حتى الاسكندرية وكانت تخدم دائما بقساوة (١٩) . ولئن تيسر للخلافة وبعد جهد قمع هذه الانتفاضات لكن جيشها اصبح ضعيفا منهوكا ، وقد صرفت انتفاضات فلاحى مصر هذه اهتمام الخليفة عن شؤون الجبهة الشرقية (الخرميتية) ، رغم شعوره بجسامة خطرهما ، كما افصح في وصيته لأخيه المعتصم .

انتفاضة الزط في العراق (٢٠) : قامت انتفاضة الزط الساكنين في اواسط العراق وجنوبه (بين واسط والبصرة) في مناطق المستنقعات المعروفة بالبطائح حيث يربون الجاموس والبقرة . ولا بد ان الجور قد لحقهم ولا شك مما حدا بهم الى التذمر والاحتجاج ومن ثم الانتفاض بوجه السلطة (٢١) . وقد بدأت اضطراباتهم منذ سنة ٢٠٥ هـ / ٨٢٠ م فعين المأمون لمحاربتهم عيسى بن يزيد الجلودي (٢٢) (أو الجلوزي كما يذكر ابن الاثير) (٢٣) ، وفي سنة ٢٠٦ هـ / ٨٢١ م عين المأمون داود بن يزيد ماسجور (٢٤) لقتالهم . ولم يتيسر لجيوش الخلافة القضاء على هذه الانتفاضة لعدم تمكنها من التوغل وسط الاهوار ، حيث يعتصم الزط ، وظلوا متمنعين بأهوارهم حتى

(١٧) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٣ .

(١٨) ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٣ ، ص ٢٥٥ ، المقرئ ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٠٠ .

(١٩) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٣ ، المقرئ ، الخطط ، ج ٢ ، ص ١٠٠ ، بيلابيف يه . ١٠٠ ، العرب ، الاسلام والخلافة العربية ، ص ٢١٦ .

(٢٠) ذكر البلاذري « ان الزط كان من نصيب بني حنظلة » ، فتوح البلدان ، ص ٢٧٢ ، وذكر امير علي « قبائل الجت الهندية المعروفين لدى المؤرخين العرب بالزط » ، مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٨٣ .

(٢١) يذكر الدوري « . . ويظهر ان وضعهم المعاشي كان واطئا جدا وهذا يدعو الى الظن بانهم كانوا يشاركون العبيد الهاريين (الابق) في التذمر من سوء الوضع المعاشي وان ذلك التذمر كان سبب ثورتهم » ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٤٠ .

(٢٢) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٨٢ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠٤٤ .

(٢٣) الكامل ، ج ٥ ، ص ١٩٧ .

(٢٤) يسميه ابن الاثير في الكامل « ابن ماسحور » ، ج ٥ ، ص ٢٠٤ ، ويسميه ابن خلدون في كتاب العبر « داود بن مسخور » ، ج ٣ ، ص ٢٥٤ .

عام ٢١٩ هـ / ٨٢٤ م حيث ارسل الخليفة المعتصم ضدهم احمد بن سعيد بن مسلم بن قتيبة الباهلي (٢٥) فهزموه ففقد المعتصم لعجيف بن عنبسة (جمادى الاولى ٢١٩ هـ) (٢٦) لمحاربتهم ، واستطاع عجيف بعد سد مسالك المياه ومحاصرتهم من التغلب عليهم وجاء بهم الى بغداد في ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م وكان رئيس الزط رجلا يقال له محمد بن عثمان ومساعدته سملق (٢٨) . ولا شك ان هذه الانتفاضة قد اشغلت الدولة وانهكت قواها في عهدي المأمون والمعتصم مما خفف الضغط على البابكيين .

حروب الروم (٢٩) : كانت الحروب الاقطاعية تنشب من حين لآخر بين الامبراطوريتين الاقطاعيتين المتجاورتين ، المتنافستين على سيادة العالم ، العباسية الاسلامية والبيزنطية المسيحية ، وبالرغم من انهماك كلتا الامبراطوريتين في مشاكلهما الداخلية المستعصية كالخلافات العقائدية : شيعة ، معتزلة ، خوارج ، ايقونات ، وفي قمع الانتفاضات في بلدانها ، فانهما لم تتورعا ، رغم انهماكلهما ، من اشغال نيزان الحروب بينهما مختلفتين حتى اتفه الاسباب لاشغالها . ولا شك ان دوافع تلك الحروب هي لمناصرة المنتفضين (٣٠) وذلك بتخفيض الضغط عليهم (بابك في البلاد الاسلامية وتوما الصقلي (٣١) في بيزنطة) وللتخلص من المشاكل الداخلية وللمتظاهر بالقوة والهيبة ولكسب ود المتدينين ، ومما لا شك فيه ان الهزائم التي حلت بجيوش المسلمين باذربيجان قد تركت اثرا سيئا في نفوس الناس فخارت العزائم وساد الشك في مقدرة الخلافة ، بل ان الكندي (٢٢) استغل اندحار المسلمين امام بابك (٢٢) ، في دفاعه عن المسيحية في بلاط المأمون فقد افاد « بأن الحق او الله اذا كان معكم فلم لم ينصركم

(٢٥) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٢ ، ص ١٩٨ .

(٢٦) ن . م . ، ص ١٩٨ .

(٢٧) كانوا جميعا ٢٧ الفا والمقاتلة منهم ١٢ الفا ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٢٣ .

(٢٨) ن . م . ، ص ٢٣٢ .

(٢٩) انظر فازيليف ، بيزنطة والعرب ، ص ١١٣ - ٤ ، رستم ، الروم ، ج ١ ، ص ٣٢٠-٣٢٢ ،

العدوي ، الدولة الاسلامية ، ص ٩٨ ، تاريخ القرون الوسطى ، (طبعة ١٩٥٢) ، م ١ ،

ص ٢١٥ - ٧ ، وتاريخ القرون الوسطى (طبعة ١٩٦٤) ، ص ١٤٩ - ١٥٠ .

(٣٠) العدوي ، الدولة الاسلامية ، ص ٩٨ ، رستم ، الروم ، ج ١ ، ص ٢٢٠ .

(٣١) بيلاييف ، ص ٢٤٤ .

(٣٢) يعقوب بن اسحاق ، دفاع الكندي عن المسيحية ضد الاسلام ، وقد حضر يعقوب بن اسحاق

المجلس العلمي الذي اعد في قصر المأمون للمناقشة حول افضلية الاسلام على المسيحية

ونشر هذا الكتاب بالانكليزية وليم موير .

(٣٣) يرى بونيباتوف ان المناقشة جرت ايام نكبة محمد بن حميد الطوسي ، اذربيجان ، ص

٢٤٩ - ٢٥٠ ، وجاء في هامش ص ٤٦ - ٧ كتاب دفاع الكندي « ان الحاصرة جرت في

سنة ٢١٤ هـ او قبلها بقليل » .

وانما ينصر بابك ؟ (٢٤) ، وكان سؤالا محرجا لمجمع العلماء الذي انعقد في القصر لمناقشة الكندي (٢٥) ، وما كان في مقدور الكندي ان يشهر سلاحه هذا في وجه خصومه من علماء المسلمين لو لم يكن يعلم الى اي درك هبطت فيه سمعة جيوش الخلافة المحورة (٢٦) ، ولذا نجد المأمون يقود بنفسه حملة قوية ضد بيزنطة (٢٧) لاسترجاع هيبة الخلافة المفقودة في اذربيجان (٢٨) وكان ذلك عام ٢١٥هـ / ٨٣٠م اي عقب اندحار محمد بن حميد الطوسي في عام ٢١٤هـ في اذربيجان . ويظن ميور ان تجديد الحرب ربما كان بسبب عقد اتفاق عام بين بيزنطة وبابك ويعتقد ان سبب غزو المأمون عام ٢١٥هـ ربما يرجع الى ذلك (٢٩) . ولكن المباحثات بين بابك والبيزنطيين متأخرة عن هذا التاريخ ولا شك . وقد اشار فازيليف (٤٠) وبونيياتوف (٤١) الى ان الاتفاق والارتباط بين البيزنطيين وبين الخرميين قد نشأ في حدود عام ٨٢٣م (٣١ ٢١٨هـ) ، اما قبل هذا فان البيزنطيين ساعدوا بابك نكاية بالمأمون الذي ساعد توما الصقلي (٤٢) وتوما هذا قائد حركة شعبية مهمة في سنة ٨٢١م ضد الامبراطور ميخائيل (٤٣) ، وبالرغم من ان توما كان يرمي الفوز بالامبراطورية وقد سمى نفسه امبراطورا ، الا انه انهض العبيد ضد السادة ، وبسطاء الجند ضد رؤسائهم (٤٤) ، وكانت جماهير الحركة المنضمة تحت لواء توما مؤلفة من الفلاحين والجنود المظلومين من لدن الاشراف ، ومن قسم من فقراء المدن ، وساهم في الانتفاضة العبيد والثنية وهراطقة آخرون ، لقد كان في عداد المنتفضين « كل اعداء السادة الذين اوقعهم نصيبهم في عبودية الاقطاع »

(٢٤) دفاع الكندي ، ص ٢٥ ، ص ٤٥ - ٤٦ ، انظر ايضا موبر ، الخلافة ، ص ٥٠٤ ، ص ٥١٥ ، وبونيياتوف ، اذربيجان ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ حيث استخدموا كلام الكندي الآنف الذكر .

(٢٥) المصادر المذكورة سابقا .

(٢٦) بونيياتوف ، اذربيجان ، ص ٢٤٩ .

(٢٧) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٠٢ - ٣ ، حوادث سنة ٢١٥هـ ، ص ١١٠٤

حوادث سنة ٢١٦هـ ، انظر موللر ، تاريخ الاسلام ، ص ١٩٩ .

(٢٨) بعد انكسار الجيش العباسي في معركة هشتادسر سنة ٢١٤هـ ومصرع القائد محمد الطوسي .

(٢٩) الخلافة ، ص ٥٠٥ .

(٤٠) بيزنطة والعرب ، ص ١١٣ - ٤ .

(٤١) بابك وبيزنطة ، محاضرة منشورة في مجلة اكااديمية العلوم الاذربيجانية السوفياتية ، المجلد ١٥ ، عدد ٧ ، ١٩٥٩ ، ص ٦١٣ .

(٤٢) يرد اسمه في المؤلفات العربية توماس الصقلي او توما الصقلي .

(٤٣) تاريخ القرون الوسطى (ط ١٩٥٢) ، م ١ ، ص ٢١٦ .

(٤٤) ن ٠ م ٠ ص ٢١٦ .

(٤٥) . وبالرغم من عدم تقبل المأمون لمطالب جماهير الحركة واستنكاره لها لو حدثت في بلاده ، الا انه قدم المساعدات لتقوما وكان يرمي اضعاف خصمه الامبراطور ميخائيل ، الا ان المأمون لم تسمح له ظروفه بتقديم المزيد من المساعدات العسكرية (٤٦) حيث كان مكتويا بنار الانتفاضة البابكية ، ولهذا احبط ميخائيل انتفاضة توما بمساعدة اشراف البلغار (٤٧) وباستخدام قوى الامبراطور البلغاري امورتاغ (٤٨) . لهذا فان مساعدة امبراطور الروم في هجومه على تخوم العرب من اجل التخفيف على بابك انما يعزى الى رغبة الامبراطور للانتقام من المسلمين الذين آزروا توما الصقلي . واهم هذه الحروب كما يرويها اليعقوبي « وخرج المأمون متوجها الى ارض الروم سنة ٢١٦ ففتح اثني عشر حصنا وعدة مطامير » (٤٩) . ويذكر ايضا انه « في سنة ٢١٧ هـ غزا بلاد الروم حتى بلغ حصن لؤلؤة عند طرطوس » (٥٠) . وآخر غزوة يذكرها اليعقوبي في سنة ٢١٨ هـ حيث اراد الوصول الى حصن لؤلؤة « ولكنه مات (١٧ رجب ٢١٨ هـ) قرب البدنون » (٥١) . وهذه الحروب المهلكة المستنزفة للاموال والارواح لم تكن - كما قلنا - الا من رفع معنوية الجيش واعلاء هيبة الحكومة التي انهارت بسبب الهزائم المتكررة في جبهة اذربيجان . والحروب البيزنطية قد اعطت ولا شك فرصا واسعة للخرميين لكي يكسبوا معارك عديدة في مختلف الميادين .

انتفاضات خرميه ايران :

قام خرميو ايران بانتفاضات عديدة في جهات مختلفة من ايران انهكت قوى الجيش العباسي . وقد اشرنا سابقا الى انتفاضات اهل قم في سنة ٢١٠ هـ / ٨٢٥م واصفهان ٢١٢ هـ / ٨٢٧م واهل قم للمرة الثانية ٢١٦ هـ / ٨٣١م واهل الجبال الذين تجمعوا (عام ٢١٨ هـ / ٨٢٣م) في مدينة همدان . وكانت الاخيرة اخطر انتفاضاتهم حيث اجبرت الخليفة المعتصم ان يرسل خيرة جيوشه ، منها جيش بقيادة هاشم بن باتيجور وقد انهزم هاشم وكان آخر الجيوش جيش بقيادة اسحق بن ابراهيم بن

(٤٥) ن . م . م ، ١ ، ص ٢١٦ .

(٤٦) رستم ، الروم ، ج ١ ، ص ٣٢٢ .

(٤٧) بيلاييف ، يه . ١٠ ، العرب ، ص ٢٤٤ .

(٤٨) تاريخ القرون الوسطى ، ط ١٩٥٢ ، م ١ ، ص ٢١٦ .

(٤٩) التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٢ . انظر الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٠٢ ،

ص ١١٠٢ ، ص ١١٠٤ .

(٥٠) التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٣ . الطبري ، ص ١١٠٩ - ١١١٠ .

(٥١) التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٦ . انظر الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٢٤ .

الذهبي ، دول الاسلام ، ج ١ ، ص ٩٥ - ٦ .



مصعب الذي وفق لسحق المنتفضين حيث قتل منهم ٦٠ ألفا وهرب باقيهم الى بلاد الروم، والذين سيبرزون على مسرح الحوادث مرة اخرى كمساعدين للجيش البيزنطي في حربه ضد العباسيين (٥٢) . ان الانتفاضات العديدة التي قام بها الخرميون الايرانيون بوجه الخلافة العباسية قد ساهمت بدورها في انهك جيش الخلافة وازعاج هيبة السلطة وفي تخفيف الضغط على الجبهة الاندريجانية ، هذا مع العلم بأن خرمية شمال غربي ايران كانوا مندمجين مع خرمية اندريجان في الانتفاضة البابكية ضد السلطة العباسية .

اضطرابات متعددة :

قامت فتن واضطرابات متعددة وحركات جماهيرية في اماكن مختلفة اشغلت بال الخلافة ولعبت دورها في اعاقا جيوش الخلافة من الانصراف الكلي لقمع انتفاضة البابكيين ومن تلك الاضطرابات حركة نصر بن سيار بن ثبث في شمال سوريا (٥٣) ضد خلافة المأمون ، ويمكن اعتبارها احتجاج الارستقراطية العربية على فوز منافستها الارستقراطية الايرانية (٥٤) . وحركة العلويين (٥٥) في العراق والحجاز واليمن ومنها تمرد بشر بن داود المهلبى عامل السند (٥٦) وصدقة بن علي المعروف بابن زريق (٥٧) (٢١٢ هـ) بين الموصل واذريجان ويعلى بن مرة وجماعته في اذريجان وسودة بن عبد الحميد الجحافي في ارمينيا وجعفر بن داود القمي (في قم ٢١٦ هـ) وكذلك محمد بن عتاب والصنارية والقيسية في ارمينيا ، وعصيان موالي الجبال وقم واصبهان على ابن هشام (٢١٧ هـ / ٨٢٢ م) .

(٥٢) ذكر الطبري في حوادث سنة ٢٢٢ هـ عن تيوفيل بن ميخائيل : « حتى صار الى زبطرة ومعه من المحمرة الذين كانوا خرجوا بالجبال فلحقوا بالروم حين قاتلهم اسحاق بن ابراهيم ابن مصعب جماعة رئيسهم بارسيس وكان ملك الروم (تيوفيل) قد فرض لهم وزوجهم وصيرهم مقاتلة يستعين بهم في اهم اموره اليه » ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٣٥ ، وذكر المسعودي : « فأنكشف الملك (يقصد تيوفيل بن ميخائيل) وحماه من كان معه من المحمرة والخرمية ممن كان استأمن اليه من ناحية اذريجان والجبال لما واقعهم اسحاق بن ابراهيم بن مصعب الطاهري وكانوا الوفا » ، تنبيه الاشراف ، ص ١٦٩ ، انظر فازيليف ، بيزنطة والعرب ، ص ١١٤ .

(٥٣) بونيياتوف ، اذريجان ، ص ٢٥٣ .

(٥٤) راجع هامشنا الرقم ١٠ الفصل الرابع .

(٥٥) كانتفاضة ابي السرايا الضخمة (السري بن منصور الشيباني) ومعه ابن طباطبا بالكوفة سنة ١٩٩ هـ / ٨١٥ م ، انظر الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٠٤ .

(٥٦) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٨٤ .

(٥٧) يسميه البلاذري « صدقة بن علي » ، فتوح البلدان ، ص ٢٣٠ ، ويسميه اليعقوبي « زريق ابن علي بن صدقة » ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٠ .

ب - الموقع الجغرافي وطبيعة البلاد وحسن الاستفادة منهما :

كان لموقع موطن الانتفاضة الجغرافي وطبيعة البلاد اثره الحسن في نجاح العمليات العسكرية حيث قامت الانتفاضة في مناطق جبلية وعرة كثيرة الادغال ومتطرفة عن مركز الخلافة ، ولهذا كانت الجيوش العباسية بعيدة عن مراكز تموينها ، فاذربيجان تقع الى الشمال الشرقي من العراق ، مركز الخلافة ، واقصر الطرق اليها عبر الموصل مخترقا الجبال الوعرة والمسالك الخطرة ، فكانت مراكز الانتفاضة والحالة هذه متطرفة نائية عن بغداد - عاصمة الخلافة - وكانت الامدادات السائرة عبر المسالك المؤدية الى اذربيجان عرضة للنهب والسلب من قبل المتمردين على السلطة كعلي بن صدقة المعروف بزريق ويعلى بن مرة وغيرهم مما كان يؤخر وصول الامدادات السريعة ، بينما كان المنتفضون في ديارهم غير بعيدين عن مراكز تموينهم واحتياجهم . وقد استغل الخرميون تطرف بلادهم في اضعاف جيوش الخلافة واجاعتها ومن ثم تمزيقها ، وذلك بمصادرة قوافل تموينها ، ولا يخفى استغلالهم لمناعة الجبال وكثرة الادغال ، فغالبية مناطق الانتفاضة جبال وعرة كثيفة الادغال ، وكان البابكيون يعرفون مسالكها ويجيدون القتال فيها (٥٨) ، وقد اشار اليعقوبي الى ذلك عند كلامه عن المعارك التي خاضها محمد بن حميد الطوسي « فلما امكنه محاربة بابك عباً لقتاله وزحف اليه فحاربه محاربة شديدة له في كل ذلك الظفر ثم صار الى موضع ضيق فيه حزونة فترجل ابن حميد وجماعته وجماعة معه فحمل عليهم اصحاب بابك فقتل محمد وجماعته من وجوه اصحابه » (٥٩) ، وعلى نقيض جيش البابكيين كانت جيوش الخلافة - تتألف في غالبيتها من اهل بغداد واهل البصرة (كالحربية من بغداد ومتطوعة البصرة) - تجهل تلك المسالك والمضايق وليست لها خبرة بقتال الجبال ، وقد اشار الى ذلك القائد عيسى ابن محمد عند انهزامه امام بابك في احد المضايق (٦٠) « ليس لنا في قتال هؤلاء بخت انما نخشى في قتال المسلمين وانصرف من اذربيجان الى ارمينيا » (٦١) ، وقد بين ميور كيف ان بابك كان يحطم الجيوش الاسلامية واحدا اثر الآخر والتي كانت احيانا تجزأ

(٥٨) الدوري « وكان اصحاب بابك ادرى بمسالك الجبال واعرف بالخطط اللازمة لها فكانوا

يحصرون اعداءهم في المضايق وينقضون عليهم » ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٦ .

(٥٩) التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٠ .

(٦٠) ذكر اليعقوبي : « واخذ في مضيق فلقه بابك فيه فهزمه فمر عيسى موليا لا يقف على شيء

فصاح به بعض شطار الحربية الى اين يا ابا موسى فقال (ليس لنا في قتال هؤلاء

بخت ٠٠) » ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٨٩ .

(٦١) ن . م . ص ١٨٩ .

كلية الى قطع عند ممرات الجبال حيث يتربصون بها (٦٢) ، والى مثل ذلك اشار امير علي (٦٣) والدوري (٦٤) .

قلنا ان الخرميين كانوا يعرفون المسالك والدروب والمضايق معرفة جيدة اذ انهم ابناء تلك المناطق وقد تمرسوا في حروب الجبال والادغال وهذا ما يسر لهم التفوق والنجاح في معاركهم العديدة مع جيوش الخلافة حيث كانوا يباغتون المسلمين من حيث لا يشعرون وينزلون بهم الخسائر الفادحة لجهلهم بالاراضي ومسالكتها وملاجئها وطبيعتها (وقد قيل قتلت ارض جاهلها) . ولم يقتصر نجاح البابكيين في معاركهم على معرفتهم لمسالك الجبال الوعرة فحسب وانما يعود الى تحصن البابكيين في المناطق المنيعه ايضا ، ولما كانت غالبية مناطق اعتصام المنتفضين جبلية تيسر لهم التمتع بها وذلك بتحصنهم في المناطق الشاهقة الصعبة المنال من الجبال وكانوا بذلك في مأمن من غزو الجيوش غير المدربة على تسلق الجبال الوعرة ، وكان البابكيون في نفس الوقت يحتلون المراكز الاستراتيجية ومشرفين على جيوش اعدائهم ومطلعين على حركاتهم وخفاياهم ، وقد ذكر الدينوري ذلك فقال : « فكان بابك واصحابه يقفون على جبال شاهقة فيشرفون منها على العسكر » (٦٥) ، وذكر ابن الاثير « فكان بابك يشرف عليهم من الجبل » (٦٦) كما اشار الى ما يشبه هذه الاقوال ابن خلدون . ولا شك ان التجاء البابكيين الى ذرى الجبال المنيعه وتحصنهم فيها قد يسر لهم المنعة والتفوق والنجاح في حركاتهم ومعاركهم فكانوا يباغتون الجيوش وقوافل تموينها ويحصرونها ويبيدونها بحكم سيطرتهم على المضايق المشارف ولحسن اطلاعهم على مواقع اعدائهم وحركاتهم .

لقد ظل المسلمون الى فترة طويلة يحاربون البابكيين في الاودية والمناطق المنخفضة وفي المضايق اذ كانت للمسلمين الطرق والمدن فقط ، اما بقية الاراضي فقد كانت بيد البابكيين . وكان البابكيون بحكم تسلطهم وتمنعهم بمعاقلهم الحصينة يحبطون محاولات جيوش الخلافة للتوغل صعودا في الجبال . ولا شك ان انفراد البابكيين في السيطرة على اعالي المرتفعات له اهميته العسكرية بحيث ظلوا متفوقين ما داموا متمنعين معتمدين بذرى جبالهم .

(٦٢) الخلافة ، ص ٥٠٤ .

(٦٣) مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٧٢ .

(٦٤) العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٦ .

(٦٥) الاخبار الطوال ، ص ٣٣٩ .

(٦٦) الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١٨ .

لقد استفاد الخرميون استفادة كلية من تطرف بلادهم ووعورة جبالهم التي تكسوها الادغال ، وكان لحسن الاستفادة من موقع وطبيعة الاراضي الاثر الواضح في نجاح العمليات العسكرية واستمرار التفوق لمدة طويلة قبل مجيء القادة والجيوش الاسلامية التي لها معرفة بقتال الجبال .

ج - اساليب القتال :

قارع البابكيون المسلمين في قتال مرير طويل كانت الغلبة في الدور الاول منه لهم للاسباب التي ذكرناها آنفا ، وكان لبراعة البابكيين في استخدام اساليب (تكتيكات) مختلفة في القتال اثر ايضا في تلك الغلبة حيث الحقوا الهزائم الشديدة بجيوش المسلمين وكان القائد الشاب المحنك بابك ذا مواهب عسكرية (٦٧) عظيمة مكنته من ابتداع اساليب متنوعة لدحر القوات العباسية والتي منها : استخدام فصائل وسرايا خفيفة وسريعة . كانت جيوش البابكيين موزعة على سرايا يقودها قواد عديدون كعصمة الكردي وأذين ومعاوية وطرخان وغيرهم ولا يستقرون في محل واحد وانما كانوا يغيرون وينقضون على الجيوش والقوافل اينما وجدوها ، ولا ريب ان هذا الاسلوب اتبع عند بدء تولي بابك امر الخرمية حيث لم يكن انصاره بتلك الخطورة (٦٨) وعندما كانت الانتفاضة تشمل اراض واسعة ، واما في السنوات الاخيرة بعد تقليص رقعة الانتفاضة فكانت لبابك جيوش كبيرة . وبحركاتهم السريعة الخفيفة تلك كانوا يباغتون الجيوش ويفتكون بها ومن ثم ينتقلون الى اماكن اخرى يعتصمون بها ، فكان يتعذر على الجيوش العباسية الظفر بها . وقد وردت اشارات في المصادر العربية الى ذلك ، فعند ذكر الطبري لابن البعيث قال : « وكان ابن البعيث مصالحا لبابك اذا توجهت سراياه نزلت بهم فأضافهم » (٦٩) . ان اتباع اسلوب المناوشات السريعة الخاطفة في الحرب ، والذي يعرف اليوم حرب الانصار ، قد حقق للبابكيين انتصارات باهرة رغم تفوق جيوش الخلافة عدديا عليهم . ومنها : هدم قلاع وحصون الخلافة . فقد باشر بابك عند

(٦٧) لويس : « وكان بابك من الهراطقة وذا مواهب عسكرية وسياسية عظيمة » ، العرب في التاريخ ، ص ١٤٤ .

(٦٨) يامبولسكي : « كانوا قلة ومحتقرين » ، انتفاضة بابك ، ص ١٩ ، وهو يردد اقوال المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٦ ، انظر بونياتوف « عندما تولى بابك رئاسة الخرميين في البذ فان عدد اتباعه لم يكن عظيما » ، اذربيجان ، ص ٢٤٤ .

(٦٩) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٢ ، انظر ابة الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٤ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٣ ، ص ٢٥٨ .

(٧٠) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٤ .

تسنمه قيادة انتفاضة الخرميين بتهديم قلاع وحصون الخلافة التي يمكن ان تلجأ اليها القوات العباسية عند انسحابها ، تلك الحصون الممتدة بين زنجان واربيل (٧٠) ومثل حصن برزند (٧١) وارشق واراغة وكحصن النهر مما يلي اربيل ، وقد ذكر الطبري وابن الاثير وابن خلدون بأن « بابك قد خرب تلك الحصون » (٧١) ، وقد اوضح الدينوري ، وان اتهم بابك بتدمير بعض القرى والامصار المجاورة للبتد ، بأن السبب الذي حدا ببابك عمل ذلك ، « لتصفو له البلاد ويصعب مطلبه وتشتد الموتة في التوصل اليه » (٧٢) هو من اجل التحصن . الا ان الدينوري اتهم بابك بالقتل الجماعي « فاستفتح امره بقتل من حوله بالبذ » (٧٤) ، ولا شك ان الدينوري اختلط عليه الامر ، فبابك سعى لتطهير المنطقة من القوات العباسية ودك معاقليها ولم يرم الى قتل الناس الذين حواليه اي قتل كل المسلمين في انريجان . ولقد اعتمد اتهام الدينوري لبابك بالفتك بالناس المؤرخون الذين تلووه حتى ان ابن النديم اعتبر بابك مبدع القتل والفتك لدى الخرميين اذ يقول عنه : « احدث في مذاهب الخرمية القتل والغصب والحروب والمثلة . ولم تكن الخرمية تعرف ذلك » (٧٥) ، ولا شك ان ابن النديم يعلم بأن المنتفضين الخرميين كانوا قد رفعوا السلاح مرغمين بوجه السلطة والاقطاع في ازمان سابقة لايام بابك ولكنه تجاهل هذه الحقيقة ليشهر ببابك . ونجد المقدسي يصور بدء نشوء البابكيين قيام المذابح والاغتيالات ويقول بأن بابك اوعز الى جماعته باغتيال من حوالهم وسلمهم الخناجر والسيوف (وكانوا في قلة وذلة) وطلب منهم القيام بالاغتيال في وقت حدده لهم ثم ارسلهم الى النواحي النائية ليفعلوا ذلك (٧٦) . وتجد الافكار نفسها لدى ابن العبري (٧٧) ، ولكن الحقائق تدحض هذه المفتريات واولها ان الخرميين كانوا يحرمون القتل كمبدأ عام شأنهم شأن المزدكيين الذين كرهوا القتل وسفك الدماء ، وقد ذكر كريستنسن : « وكل سفك للدماء انما هو عمل يعوق الجهد في سبيل تخليص الارواح » (٧٨) ، والمقدسي نفسه اشار الى ان الخرمية (يتجنبون الدماء جدا الا عند عقد راية الخلاف) (٧٩) . وثانيها ان المسلمين قد انقذوا من الاسر عند فتح

→

٢٢٤ ، ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٣ ، ص ٢٥٨ .

(٧١) يقول ابن خرداذبة : « وكانت برزند خرابا فعمرها الافشين » ، المسالك والممالك ، ص ١٢٠ .

(٧٢) الهامش رقم ٧٠ .

(٧٣) الاخبار الطوال ، ص ٣٣٨ .

(٧٤) ن . م . ، ص ٣٣٨ .

(٧٥) الفهرست ، ص ٤٩٤ .

(٧٦) البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٦ .

(٧٧) مختصر تاريخ الدول ، ص ٢٤٠ .

(٧٨) ايران ، يقول : « ومن اجل ذلك حرم على المزدكية اكل لحم الحيوان » ، ص ٣٢٨ .

(٧٩) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ .

البسطة سبعة آلاف وستمئة أسير مسلم كما ذكر اليعقوبي (٨٠) ، وكان بإمكانه قتلهم بل ان النسوة اللواتي كن في الاسر شهدن بحسن معاملة بابك لهن (٨١) هذا بالإضافة الى ان المصادر شاهدة على كثرة تبادل الاسرى بين الطرفين . وثالثها يمكن القول بأن البابكيين قد هاجموا القلاع والحصون ودمروها وقضوا على ما فيها من قوى عسكرية . اما اعمال القتل والسلب وترويع السكان الآمنين فلا بد ان ذلك من عمل قطاع الطرق واللصوص والقتلة الذين اندسوا في صفوف الحركة وقد اشار اليهم المقدسي نفسه : « وانضوى اليه القطاع والذعار واصحاب الفتن وارياب النحل الزائفة » (٨٢) . لقد رد المؤرخون المتأخرون اقوال الدينوري وابن النديم والمقدسي وابن العبري ورددوا الباحثون الغربيون ، وكان لفلوكل الاسبقية في استخدام تلك الاقوال عند بدء كلامه في مقالته عن بابك « حسب عنوان هذه المقالة لا اريد ان اصف تلك المعارك الدامية والاهوال وتدمير الناس التي فعلها بابك لما اخذ السلطة بيده بمساعدة كثرة انصاره الفاقدين للاخلاق » (٨٣) ، ولكن المؤسف ان يعتمد يامبولسكي رواية المقدسي دون تمحيص ويردها بقوله « ماذا عمل بابك اول ما اصبح رئيسا للخزمية ، نظمهم للذبح الجماعي لانصار الخليفة العائشين في ذلك الوقت في اذربيجان » (٨٤) . لكن بونيئاتوف ، بعد ان ينقل روايات ابن النديم والمقدسي الآتفة الذكر (٨٥) ، يذكر بأن بابك اضطر الى ان يدخل في جيوشه الطاعة الصارمة لاضعاعها من اجل هدفه الرئيسي – محو السيادة العربية من اذربيجان ومن ثم في مناطق اخرى (٨٦) . فاذاً كان الهدف – وحسب اقوال بونيئاتوف – محو السيادة العربية وليس القضاء على المسلمين او العرب . لقد عمد بابك الى تهديم الحصون لاضعاف مقاومة المسلمين (٨٧) واما بالنسبة لجيوشه فقد عمد الى النقيض من ذلك اذ اهتم ببناء القلاع والحصون المنيعة له على الربايا والمشارف والقمم للتحصن بها وامر قواده عمل ذلك ايضا ، فيذكر الدينوري : « وامر بابك آذين ان يحصن تلا مشرفا على المدينة » (٨٨) ، وهكذا جعل جيوش الخلافة مكشوفة له غير

(٨٠) التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ ، انظر الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٣٣ .

(٨١) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٢٧ .

(٨٢) البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٦ ، ونفس الشيء قد حصل للمزدكية وقد نبه عليه الطبري ،

تاريخ الرسل ، م ١ ، ج ٣ ، ص ٨٨٥ ، راجع هامشنا ٥٩ .

(٨٣) مجلة جمعية الاستشراق الالمانية ZDMG ، ليبزغ ، ١٨٦٩ ، ص ٥٣١ .

(٨٤) الانتفاضة البابكية ، ص ١٩ .

(٨٥) اذربيجان ، ص ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

(٨٦) اذربيجان ، ص ٢٤٥ .

(٨٧) وقد اشار الدوري الى ان ضرب بابك لحصون اذربيجان التابعة للعباسيين قد اضعف

دفاعهم ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٦ .

(٨٨) الاخبار الطوال ، ص ٣٣٩ .

حصينة بينما تحصن هو في قلاعہ العديدة الشاهقة وكان لغالبية القواد والامراء المنضمين اليه قلاعهم وحصونهم كابن البعيث الذي كانت له قلعتان (٨٩) ، كما كانت لعصمة الكردي قلعتہ في مرند ، ولطرخان قلعة في قريته قرب المراغة . ولم يكتف بابك بانشاء الحصون بل انه كان يعمد الى حفر الحفر ليقع فيها فرسان العرب (٩٠) وقد كبدت هذه الحفر جيوش العرب خسائر جسيمة .

ومنها المباغثة والكمائن : لما كان البابكيون محتلين مشارف الجبال كانت لهم الدراية التامة بتحركات جيوش الخلافة وقوافل تموينها ، هذا بالاضافة الى كثرة الجواسيس والعيون الذين كان يستخدمهم بابك والذين كان من الصعب التعرف عليهم لانهم من اهل البلد . لهذا كانت الجيوش العباسية وقوافل تموينها عرضة للمباغثة بحيث تتعرض فجأة الى حملات غير متوقعة تخلق الذعر والارتباك في صفوفها مما يؤدي الى اندحارها وهلاك الكثيرين من افرادها ، وقد استخدم بابك هذا الاسلوب (المباغثة) بطرائق عديدة منها اللجوء الى الكهوف والمغاور الواقعة في طرق سير الجيوش (٩١) والانقضاض عليها فجأة دون توقع ظهورهم في تلك الاماكن ، اما على مقدمة الجيوش او الانقضاض عليها من الخلف بعد ان تشتبك مقدمة الجيش العباسي بالنزال مع آخرين او ايداع عدد كبير من القوات على الربايسا والمشارف والسماح لجيوش العباسيين بالمرور دون ان تلاحظ كمائن الخرمية في تلك المشارف ومن ثم تنقض عليهم تلك الكمائن بسرعة بعد ان تبلغ الجيوش العباسية المضايق الوعرة الضيقة فتفتك بهم فتكا ذريعا كما وتختفي الكمائن وراء الصخور حتى اذا جاوزتها الجيوش انقضت عليها من الخلف وينحدر عليهم من الاعالي في آن واحد فيحصل الارتباك ويقع افراد الجيش فريسة بين قبضتي « كماشة » الخرميين ، ومنها الغارات الليلية (البيات) وقد استخدمها بابك كثيرا ، ومنها حفر الحفر الواسعة في طريق الخيالة والانقضاض على من يقع فيها بسرعة ، وكانت الادغال تساعد البابكيين على التخبيء والتجسس والانقضاض المفاجيء ايضا .

(٨٩) ذكر اليعقوبي قلعة لابن البعيث (التي يقال لها شاهي) ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، وذكر الطبري (شاهي وتبريز) ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧١ - ٢ ، غيران البلاذري قد ذكر مرند ايضا : « واما مرند فكانت قرية صغيرة فنزلها حلبس ابر البعيث ، ثم حصنها البعيث ، ثم ابنه محمد بن البعيث وبنى بها محمد قصورا ٠٠ » ، فتوح البلدان ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ ، انظر ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ص ٢٣٤ .

(٩٠) الدينوري « وقد كان احتفر حوله الآبار ليمتنع الخيل منهم » ، الاخبار الطوال ، ص ٣٣٩ .

(٩١) وكانت الخرمية تستبطن الاودية فلا يقدم المسلمون على التقدم ، العيون والحدائق ، ص ١٨ .

قطع الميرة والتموين : كانت مراكز تموين الجيوش العباسية بعيدة عن جبهات القتال وكانت الميرة والمال والسلاح تنقل اليها بواسطة القوافل المحروسة ولكي يضغط بآبك على الجيوش العباسية فانه ركز قصارى جهده (٩٢) للحيلولة دون وصول تلك الامدادات الى الجيش العباسي لكي يقحطه ويولد التذمر بين صفوفه من جراء نفاد الارزاق والاموال بينما يحصل هو على الميرة والاموال وكان جواسيسه المنتشرون يأتونه بأخبار تحركات الجيوش وقوافل تموينها أولا بأول ، فكانت سراياه المنتشرة الموزعة على المسالك والطرق تهاجم قوافل الميرة والتموين حسب تعليماته وارشاداته ، وكثيرا ما كان يقوم هو بنفسه بمهاجمتها وما كانت تفلت منهم قافلة الا في القليل النادر . وتحفل المصادر التاريخية بذكر الهجمات العديدة التي قامت بها جيوش الخرميين من اجل الحصول على الاموال والذخيرة والتموين حتى في ايام القائد الافشين حيث اجاعوا جيشه مرتين .

وكانت مهاجمة قوافل تموين الجيش العباسي من القضايا الاساسية في حروب البابكيين والتي اولوها الاهمية القصوى وكانت من اشد الامور خطورة بالنسبة للجيش العباسي .

د - الحلفاء الذين ساندوا الانتفاضة :

ذكرنا ان المأمون كان قد ساعد المنتفض توما الصقلي ضد امبراطور الروم ميخائيل الثاني فكان هذا مع الاسباب الاخرى التي يحقد من اجلها اباطرة الروم على الخلافة العباسية ، دافعا لهم على مساندة الخرميين في انتفاضاتهم بوجه الخلافة وكان الروم يشنون الحروب على الحدود الاسلامية لا من اجل تخفيف ضغط الجيش العباسي على الخرميين فحسب وانما لاغراضهم الشخصية بصورة اساسية ، هذا بالاضافة الى انهم كانوا - بحكم عداثهم للعباسيين - ملجأ للمندحرين من الخرمية ، علما بأن الروم كانوا غير مخلصين لآبائك وللخرمية لكرهم الانتفاضات الشعبية . اما الحلفاء الآخرون فهم امراء الجزء الشرقي والجنوب الشرقي من ارمينيا ، وقد بحثنا ذلك في نهاية الفصل السابق .

٢ - اسباب اندحار الانتفاضة المسلحة في الدور الثاني

٢١٨ - ٢٢٢ هـ / ٨٣٣ - ٨٣٧ م

ظلت الانتفاضة البابكية المسلحة تحرز النصر تلو النصر في معاركها قرابة ١٨ عاما وقد اوضحنا العوامل التي ساعدت على نجاحها في تلك الفترة فلما تفاقم خطرها وعجزت جيوش الخلافة عن ادراك النصر حرص الخليفة المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ / ٨٣٣ - ٨٤٢ م) وبناء على وصية اخيه المأمون ، بجد على الاجهاز عليها فارسل جيوشا مدربة ومتمرسة بقتال الجبال تحت امرة قائد محنك هو الافشين حيدر بن كاؤوس وامده بقيادة لا يقلون عنه مراسا وشدة وجهزه وامده بالاموال والسلاح تمكن ان يحصن بها مواقعه ويحاصر بابك وكان لهروب الاقطاعيين ودور الانتهازيين التخريبي وتباطؤ الروم في مساعدة المنتفضين اثر في تلك الاندحارات .

العوامل العسكرية :

عزل خرمية الجبال عن منتفضي اذربيجان :

لس الخليفة المعتصم خطر خرمية الجبال فسي اذربيجان والذين تجمعوا في (٢١٨ هـ / ٨٣٣ م) في همدان فبادر الى ضربهم قبل التفرغ والاستعداد لحرب بابك وقد ارسل عدة جيوش كما شاهدنا - لدحرهم حتى تمكن اسحق بن ابراهيم بن مصعب من دحرهم وانزل بخرمية الجبال ضربة قاصمة حيث قتل من قتل وهرب قسم الى الروم واسر الباقي ، فأدت هذه الضربة الى محق هذه الجبهة واضعاف مركز بابك حيث انعزل عن خرمي ايران الجبليين وقل احتمال الاعتماد عليهم لتلك الضربة الماحقة ، ويشير الدوري الى ان ساحة القتال انحصرت باذربيجان معقل البابكية الاصلي (٩٣) ويرى تومارا ان من نتائج هذه الضربة برودة الكثير من الفلاحين عن الحركة بحيث تخلوا عن بابك وعادوا الى قراهم (٩٤) . ولا شك ان لتدرب الجيش العباسي وتمرسه بقتال الجبال من اثر في هذه التحولات التي حصلت بحيث اخذ الجيش العباسي ينتقل الى الفوز بعد الهزائم التي كانت تحل به ، وكنتيجة لاشتباكات الجيوش العباسية

(٩٣) العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٦ .

(٩٤) يقول تومارا « لحقت بابك الهزيمة تلو الهزيمة . ومع ذلك فان وضعيته لا تزال بعيدة عن

الأيأس . عشرات الالوف من جنوده سقطوا عند همدان في اذربيجان ، عشرات الالوف

هربوا الى الامبراطورية الرومية . كثير من الفلاحين بردوا عن الحركة تخلوا عنه

وعادوا الى قراهم ، بابك ، ص ١١٨ . ولا بد ان اذربيجان حلت خطأ محل الجبال .

العديدة مع خرمية ايران الجبليين ومع خرمية اذربيجان القاطنين في الجبال ، تدربت تلك الجيوش على اساليب قتال الجبال وتعودت على ظروف المناخ القاسية بخلاف ما كانت عليه الجيوش السابقة والتي كانت غالبيتها ترسل رأسا من البصرة او من بغداد ، والتي ليس لها سابق عهد بقتال الجبال وقساوة المناخ ، وتزج فسورا بالمعارك مع الخرميين المتمنعين بذرى جبالهم ، فكانت تلك الجيوش العباسية غير المدربة صيدا سهلا للجبليين المتربصين حيث كانوا يجرونها الى النزال في المضايق الوعرة (٩٥) وهناك ينقضون عليها فتتمزق تلك الجيوش نتيجة تضافر عوامل الطبيعة والمناخ وتمنع الخرميين الجبليين وتمرسهم بقتال الجبال ، وهكذا كانت تقع كل الجيوش العباسية فريسة الجهل بطبيعة الارض وعدم التمرن على حروب الجبال ، اما الجيوش المتأخرة فقد تدربت على حروب الجبال كما ان تأني الافشين في حروبه اعطت فرصة لافراد جيشه للاطلاع على مسالك البلد والتمرن على منازلة الاعداء في المناطق الوعرة .

وكان الافشين ، (حيدر او خيدر بن كاؤوس الاشروسني) قائدا ماهرا حنكته التجارب في خدمة مصالح سادته ، فقد لازم مولاه منذ كان وليا للعهد وحارب تحت امرته في مصر وشمال افريقيا ، وقد اظهر نبوغا وتفوقا ومهارة وشجاعة (٩٦) جعلت المعتصم يعتمد عليه في الملمات ويدخره للايام العصيبة . وكانت خطة الافشين البارعة هي في اطالة مدة الحرب وعدم التسرع وتضييق الخناق تدريجيا على بابك وتجويعه وحصره في مركزه البذ بعد تمزيق فصائل الخرميين والاجهاز على قادة البابكيين واعوان بابك المخلصين المهمين . ولم يفقه المحاربون هذه الخطة التي تجعل الطامعين والمترددین والخائفين من المتلصقين بالانتفاضة ينفضون ايديهم منها ويلتجئون الى الحياد ان لم ينضموا الى جيوش الخلافة ، لم يفقه المحاربون المسلمون تلك الخطة وتجروا بالشكوى من عدم مقارعة الاعداء وانتظارهم الطويل وقالوا عن الافشين « هذا لا يشتهي الا الماطلة ٠٠٠ وانه لا يحب المناجزة وانما يريد التطويل » (٩٧) ، بينما دوريات الخرميين تمر بهم وتزعق بوجوههم وهم ساكتون بل انهم ادركوا جدران قلاع البذ ولكنهم أمروا بالعودة ولم يستلموا امرا بارتقائها . هذه الخطة التي بنيت على دراسة احوال البلد الطبيعية والظروف المناخية وطريقة قتال الخرميين حيث وجد

(٩٥) انظر موير ، الخلافة ، ص ٥٠٤ .

(٩٦) يقول عنه ابو الفداء « فسار الافشين وقد احكم صناعة الحرب في الارصاد » ، البداية والنهاية ، ج ١٠ ، ص ٢٨٢ - ٣ ، انظر رايت - مجلة العالم الاسلامي - ص ٥١ ، هامش رقم ١٧ ، انظر الموسوعة التاريخية (السوفييتية) ، م ٢ ص ١٤ ، موير ، الخلافة ، ص ٥١٤ ، انظر عن « الافشين » بارتولد ، وقد بين بأن هذا اللقب قد اشتهر به ، وهذا اللقب معروف في اشروسنة في اواسط آسيا من قبل الاسلام ، وهو لقب حكام محليين ، المؤلفات ، المجلد الثاني ، القسم الثاني (بالروسية) ، موسكو ، ١٩٦٤ ، ص ٤٩٦ .

الافشين ان حروب البابكيين تعتمد على هجمات الفصائل السريعة الخافضة وعلى المباغاة وعلى الكمائن ، ولهذا عمد الى افساد خطط البابكيين بخطط معاكسة فقد عمد الى النفيض من اساليب البابكيين وذلك بزحف الجيش باكملة رويدا رويدا والتحصن في المواقع الجديدة بحفر الخنادق وبناء الحصون والتحوط من المباغاة « وكان الافشين ابدا يخاف من كمين بابك » (٩٨) . وكان يجعل نصف الجيش على اهبة الاستعداد دوما خشية البيات . ويرى الطبري ان المعتصم امره بهذه التعبئة : « وكتب اليه المعتصم يأمره ان يجعل الناس نواشب كراديس تقف على ظهور الخيل كما يدور العسكر بالليل فبعض القوم معسكرون وبعض وقوف على ظهور دوابهم على ميل كما يدور العسكر بالليل والنهار مخافة البيات » (٩٩) . وخطة الافشين المبنية على التائي كانت الثغرة التي طعن منها « الافشين » في اخلاصه وولائه على اساس انه كان يحاول اعطاء الفرصة لعدوه بابك للتخلص من المأزق الحرج . وقد اهتم الافشين بتحسين القلاع وتنظيم الاتصال والتجهيزات . وكان بابك - كما ذكرنا سابقا - قد عمد الى تهديم القلاع والحصون التي يمكن ان تلتجئ اليها جيوش الخلافة ، وذلك من اجل اضعاف مقاومة تلك الجيوش ، فلما آل الامر الى المعتصم وجه القائد ابا سعيد محمد بن يوسف الى اردبيل وامره ان يبني الحصون ما بين زنجان و اردبيل (١٠٠) ويترك فيها حاميات لتؤمن وصول قوافل الميرة التي ترسل الى اردبيل (١٠١) ففعل محمد ذلك فلما جاء الافشين الذي عسكر في برزند (١٠٢) امر بترميم الحصون الواقعة بين اردبيل وبرزند وانزل تلك الحصون القادة التالية : محمد بن يوسف (١٠٣) في خستش (١٠٤) فاحتفر

(٩٧) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٠٩ .

(٩٨) العيون والحدائق ، وكان الافشين لا يتقدم الا على تعبئة ولا يرجع الا على تعبئة ، ص ١٨ .

(١٠٠) العيون والحدائق ، ص ٩ .

(١٠١) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٤ .

(١٠٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٣٢٩ - ٣٣٠ ، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٢٠ ، العيون والحدائق ، ص ١٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٤ ، وبرزند الى الشمال الشرقي من البذ والى الشمال من اردبيل والى الجنوب من نهـر اراكس في اقليم موقان ، وليست ناحية من نواحي تفليس كما توهم الدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٧ .

(١٠٣) ابو سعيد محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الطائي الثغري وكان على قلب جيش محمد بن حميد الطوسي في معركة هشتادسر الاولى سنة ٢١٤هـ ، وقد مدحه ابو تمام والبحري كثيرا . انظر الملحق الشعري .

(١٠٤) من اردبيل الى خش ثمانية فراسخ (٦٤ كيلومترا) ، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٢٠ ، والفرسخ يساوي ٨ كيلومترات تقريبا .

خندقاً فيه ، الهيثم الغنوي (١٠٥) في ارشق (١٠٦) فرمم حصنه وحفر حوله خندقاً ، علوية الاعور (١٠٧) في حصن النهر (١٠٨) . وكانت قوافل الميرة تسير من اردبيل الى برزند (١٤ فرسخاً = ١١٢ كيلومتراً) (١٠٩) بخفارة دوريات من هذه المعسكرات حيث تخرج القافلة بمن يخفرها الى حصن النهر فيتسلمها منهم اصحاب علوية الاعور ويبادلون بما لديهم مع اصحاب اردبيل ويعود كل الى حصنه ثم يسير جماعة علوية الاعور بالقافلة بعد اجتيازهم قلعتهم (حصن النهر) حتى يتوجهوا الى منتصف الطريق بينهم وبين ارشق وهناك تنتظرهم جماعة الهيثم الغنوي ويجري التبادل فتسير جماعة الهيثم الغنوي بالقافلة الى ارشق وتعود جماعة علوية الاعور الى حصن النهر بما استلموه من جماعة الهيثم الغنوي ، ومن ارشق تسير جماعة الهيثم بخفارة (ببذرق) القافلة الى منتصف الطريق الذي بينهم وبين حصن خش (١١٠) حيث تنتظرهم جماعة محمد بن يوسف ويتم التبادل بينهم فتستلم جماعة محمد القافلة من جماعة الهيثم وتتجه بها نحو خش ، اما جماعة الهيثم فتعود الى ارشق بما استلمته من جماعة محمد (الآتية من خش) وبعد ان تجتاز جماعة محمد حصنها في خش تتجه نحو برزند (بين خش وبرزند ٦ فراسخ = ٤٨ كيلومتراً) (١١١) وفي منتصف الطريق تلتقي بها دوريات الافشين المقبلة من برزند فتستلم القافلة من جماعة محمد وتسير بها نحو برزند وتعود جماعة محمد بما استلمته من دورية الافشين الى حصنها في خش (١١٢) . وبالرغم من تعرض جيش الافشين عدة مرات لخطر المجاعة نتيجة استحواذ بابك على قوافله ، رغم تلك الحيلة والحراسة والخطبة المتينة ، الا ان الافشين ضمن - لحد ما - بهذا التنظيم حراسة قوافل الميرة والتموين ووصول القوافل والميرة اليه بسلام (١١٣) .

(١٠٥) يقول عنه الطبري « الهيثم الغنوي القائد من اهل الجزيرة » ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٣ .

(١٠٦) ذكر ياقوت الحموي عن ارشق « جبل بأرض موقان من نواحي اذربيجان عند البذ مدينة بابك الخرمي » ، معجم البلدان ، م ١ ، ص ١٥٢ .

(١٠٧) ذكر عنه الطبري انه « من قواد الابناء » ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٣ .

(١٠٨) مما يلي اردبيل ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٣ .

(١٠٩) بين اردبيل وخش ثمانية فراسخ وبين خش وبرزند ستة فراسخ ، ابن خرداذبة ، المسالك والممالك ، ص ١٢٠ . ويقول قدامة بن جعفر : « ومن اردبيل الى خان بابك ثمانية فراسخ ومن خان بابك الى برزند ستة فراسخ » ، نبذة من كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، ص ٢١٢ . ولا يد ان خان بابك هي خش .

(١١٠) من اهم مراكز تحصينات الافشين .

(١١) ابن خرداذبة ، ص ١٢٠ ، قدامة ، ص ٢١٢ .

(١١٢) هذه الصورة لتنقلات الدوريات التي تخفر (تبذرق) قوافل التموين اعتمدها عن الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٢ - ٣ .

(١١٣) الدوري : « ثم اهتم قواد الخليفة بتأمين المواصلات لايصال الميسرة بسلام الى جيش الافشين فنجحوا في ذلك الى حد كبير » ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٧ .

ويترميمه للحصون وتأمينه وصل الميرة والامدادات استطاع ان يتغلب على اخطر عوامل
افناء جيوش الخلافة .

استخدام جماعات متمرسه بقتال الجبال :

لم تقتصر وحدات الجيش العباسي المحارب في اذربيجان على الجماعات العراقية
من عربية وايرانية بل ضمت بالاضافة الى هؤلاء اعدادا كبيرة من الكلغرية (١١٤)
والكوهبانية (١١٥) والفراغنة والاشروسنيين والعبيد والبربر (١١٦) وكان الكوهبانيون
والفراغنة والاشروسنيون متمرسين بقتال الجبال (وغالبيتهم من غلمان الخليفة) وذوي
صلابة وجلد .

وجيش الخلافة وان كانت فيه عناصر هزيلة ضعيفة كالمطوعة (١١٧) والتي كانت
تجهل حرب الجبال وقد جاءت من اجل المغانم الا ان الاشروسنيين والكلغريين
والكوهبانيين والفراغنة كانوا عناصر قوة للجيش لمراسهم وطاعتهم وجلدهم ، وقد
تذمر الافشين من المطوعة والمرتقة من افراد الجيش فصرخ فيهم يوما « من صبر منكم
فليصبر ومن لم يصبر فالطريق واسع فليصرف بسلام ، معي جند امير المؤمنين ومن
هو في ارزاقه يقيمون معي في الحر والبرد » (١١٨) ، لقد كان الغلمان الاتراك ، وهم
غالبية جيش الافشين لهم الدراية على حرب الجبال ويمتازون بالطاعة والانصياع
لاوامر امرائهم ولا سيما اذا كان الامراء من بني جلدتهم كالافشين وايتاخ والفضل بن
كاؤوس (اخو الافشين) وغيرهم من امراء الجند الاتراك .

طول الحصار :

اطال الافشين الحصار على بابك وضيق عليه الخناق حتى اجبره على اللجوء الى
مركزه البذ . ان الزحف البطيء والتحصن في المناطق الجديدة وحفر الخنادق

(١١٤) الكلغرية - العمال العسكريون - يقول عنهم الطبري : هم الفعلة ، تاريخ الرسل ، م ٣ ،
ج ٢ ، ص ١١٩٩ .

(١١٥) الكوهبانية - الجبليون ، وتعني كلمة كوه بالفارسية والكردية جبل - انظر الموسوعة
الاسلامية (بالالمانية) ، م ١ ، ص ٥٦٨ .

(١١٦) ايفانوف ، مختصر تاريخ ايران ، ص ٤٠ ، يذكر رايت ان الجيش كان خليطا من الصفد
والاتراك ومطوعة الكوفة ، مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ ، ص ٥١ .

(١١٧) يقول ابن الاثير عن المطوعة « هؤلاء ليس لهم ثابت في الحرب » ، الكامل ، ج ٥ ،
ص ٢١٨ .

(١١٨) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٠٩ .

والاستحكامات وسد المسالك في المضائق المؤدية للبذ قد مكنت الافشين ، الذي امن وصول قوافل تموينه اليه ، من اضعاف بابك ودحره في عقر داره ، وقد ساعد على ذلك ايضا قلة فرص تعرض بابك لقوافل تموين الافشين بسبب الخطة الحصينة التي وضعها لحماية قوافله ، فحرم بابك ولا سيما في العام الاخير من اهم موارد اعاشته بالاضافة الى عدم تمكنه (بابك) من اجاعة جيش الخلافة والضغط عليه بحرمانه من موارد عيشه وتسليحه . لقد اصبح الطريق مفتوحا من جهات عديدة امام قوافل تموين وامدادات جيوش الخلافة بينما بدأت المنافذ والمسالك التي توصل البابكيين باعوانهم تسد الواحدة تلو الاخرى ، وكان تحصين خط الدفاع الممتد من برزند الى زنجان عبر اردبيل اكبر ضربة وجهت الى البابكيين حيث عزلهم هذا الخط عن اقوى انصارهم « خرمية الجبال » و « الديلم » .

استمالة جواسيس بابك :

عمد الافشين الى استمالة من يقع بيده من جواسيس بابك فقد كان يطلقهم ويبدل اليهم الاموال ويقول لهم : اذهبوا وكونوا جواسيس لنا . وبدهائه هذا استمان عددا من جواسيس بابك الذين اخذوا يعملون لحساب الطرفين على ما يظهر ، فكان يطلع على خفايا تحركات عدوه ولم تبق تنقلات وحدات بابك وتحوال قادته سرا ، وبهذه الوسطة عرف مرة مكان اعظم قادة بابك ، طرخان ، حيث اغتيل .

شدة اهتمام الخليفة المعتصم بأمر الخرمية وحسن تجهيزه للجيش :

ترك المأمون لاختيه المعتصم وصيته التي جاء فيها : « والخرمية فاغزهم ذا حرمة وصرامة وجلد واكنفه بالاموال والجنود فان طالت مدتهم فتجرد لهم فيمن معك من انصارك واوليائك واعمل في ذلك عمل مقدم النية فيه راجيا ثواب الله عليه . » (١١٩) ولما كان المعتصم شاعرا بجسامة خطر الخرمية فانه اخذ بوصية اخيه واهتم اهتماما كبيرا بموضوع الخرمية وبأمر بابك حتى ان الدينوري يقول بانه لم يكن للمعتصم من شأن يشغله سوى بابك « فلما افضى الامر الى ابي اسحاق المعتصم بالله لم تكن همته غيره (يقصد بابك) » (١٢٠) . كم يا ترى كانت ملاحظة الدينوري صائبة ! لقد نقل المعتصم الجيوش التي تحارب الروم وقذف بها الى بابك وترك الجبهة

(١١٩) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٢٧ ، وجاء في كتاب مختصر اخبار الخلفاء لابن

الساعي البغدادي : « والحربية فاغزهم » ، ص ٥٧ ، ولا شسك ان كلمة الحربية

تحريف لكلمة الخرمية .

(١٢٠) الاخبار الطوال ، ص ٣٣٩ .

البيزنطية هادئة (١٢١) ، وقد ارسل لمحاربة بابك كل جيوش الخلافة (١٢٢) ، وقد تيسر له ذلك بعد القضاء على الفتن والاضطرابات والهدنة التي شملت الجبهة البيزنطية ، لقد تيسر له ان يزج بكل جيوشه في الحرب مع الخرميين حتى اذا انزل الضربة القاضية بخرمية ايران - في همذان - توجهت كل الجيوش الى اذربيجان ويتجلى اهتمام الخليفة بأمر بابك وعزمه على القضاء عليه لا بارسال كل جيوشه الى اذربيجان فحسب وانما في حرصه وتتبعه وفي اطلاعه وتوجيهه على الحركات الحربية حيث كان يطلع على الخرائط ويبدى توصياته ، وكان الاتصال يتم بينه وبين الافشين بسرعة بفضل تنظيم البريد واستخدام الحمام الزاجل للغرض نفسه ، ويرى الدوري ان استعمال الحمام لنقل الاخبار كان لأول مرة في هذه الحرب (١٢٣) ، وننقل ما يذكره الطبري عن تنظيم البريد بين اذربيجان وسامراء (مقر الخلافة في الايام الاخيرة من الانتفاضة) ، يقول الطبري « ٠٠ وان المعتصم لعنايته بأمر بابك واخبراره ولفساد الطريق بالثلج وغيره جعل من سامراء الى عقبة حلوان خيلا مضمرة على رأس كل فرسخ فرسا معه مجر مرتب فكان يركض بالخبر ركضا حتى يؤديه من واحد الى واحد يدا بيد وكان ما خلف حلوان الى اذربيجان قد رتبوا فيه دواب المرح فكانت يركض بها يوما او يومين ثم تبدل ويصير غيرها ويحمل عليها غلمان من اصحاب المرح كل دابة على رأس فرسخ وجعل لهم دياذبة (حراس) على رؤوس الجبال بالليل والنهار وامرهم ان ينعروا (يصيحوا) اذا جاءهم الخبر فاذا سمع الذي يليه النعير تهيأ فلا يبلغ اليه صاحبه الذي نعر حتى يقف له على الطريق فيأخذ الخريطة منه فكانت الخريطة تصل من معسكر الافشين الى سامراء في اربعة ايام او اقل » (١٢٤) ٠

وقد صرف المعتصم من الاموال مبالغ طائلة ولم يبخل على جيشه بشيء ، وقد اهتم بتنظيم وصول الاموال والامدادات الى الافشين وبذل للافشين اموالا وهدايا وعطايا كثيرة ، يذكر الطبري : « وكان يجزي الافشين في مقامه بازاء بابك سوى الارزاق والانزال والمعاون في كل يوم يركب فيه عشرة آلاف درهم وفي كل يوم لا يركب فيه خمسة آلاف درهم » (١٢٥) ، هذا للافشين وحده اما نفقات جيشه كله فيكفي ان

(١٢١) جاء في الموسوعة التاريخية (السوفيتية) : « ٠٠ وبعد وفاة المأمون عقد الخليفة المعتصم سلما مع بيزنطة وبعث كل قواه لاختاد الانتفاضة » ، م ٢ ، ص ١٤ ، والحقيقة انه سحب كل الجيوش ولم يترك في الثغور سوى حاميات قليلة ، ولم يهتم لجبهة الروم ولم يعقد سلما ٠

(١٢٢) سيل ، القرآن ، ص ١٣٠ ، والملاحظ انه يسمي الافشين بالافشيد Afshid ، انظر

بونياتوف ، اذربيجان ، ص ٢٥٦ ٠

(١٢٣) العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٧ ٠

(١٢٤) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٢٩ ٠

(١٢٥) ن ٠ م ٠ ، ص ١٢٣٢ - ٣ ٠

نعلم انه حول للافشيين في عام ٢٢٢هـ / ٨٣٧م ثلاثين مليون درهم (١٢٦) ، حتى ان الذهبي يتصور ان المعتصم انفق بيوت الاموال في حرب بابك (١٢٧) . لقد كان المعتصم سخيا في بذله للاموال من اجل القضاء على انتفاضة اذربيجان الخرمية ، وقد جهز قائده الافشين بالجيش والمؤن ولم يتركه تحت غائلة الجوع او الاحتياج ، وقد امده بخيرة القواد ، اذ كان يعمل مع الافشين ، حسب روايات المؤرخين ، قادة ذوي خبرة وصلابة وجلد كابي سعيد محمد بن يوسف بن عبد الرحمن الطائي وابي دلف القاسم بن عيسى العجلي (١٢٨) وجعفر بن دينار الخياط والهيثم الغنوي وعلوية الاعور والفضل بن كاؤوس الاشروسني ومحمد بن خالد بخاراخذاه واحمد بن الخليل بن هشام (ابن اخت علي بن هشام ، والمي الجبال زمن المأمون) وبو زباره (١٢٩) وبغا الكبير وداود سياه وبشير التركي وجناح الاعور السكري وابن جوشن ومظفر بن كيدر وصالح آب كش (السقاء) وظفر بن العلاء والحسين بن خالد المدائني ومعاذ بن محمد (١٣٠) وايتاخ (في الحقيقة ان ايتاخ جاء بالمؤن والاموال وعاد الى سامراء) (١٣١) .

موقف الاقطاعيين المعادي للانتفاضة :

ومن العوامل التي اضعفت البابكيين وبالتالي ادت الى اندحارهم معاداة الاقطاعيين لهم ، فالاقطاعيون المجاورون كانوا بموقف معادي للحركة وهم وان لم ينضموا الى جانب الخلافة في بداية الامر لضعف مركز الخلافة وانقطاع الصلة بينها وبينهم ، غير انهم وقفوا بوجه الانتفاضة ، ولم يكن ذلك غير اعتيادي لانهم كانوا يخشون على مصالحهم ونفوذهم واستغلالهم من الضياع ، لهذا كان طبيعيا ان يعلنوا الحرب على الحركة التي تهددهم وكان بابك مرغما على خوض المعارك مع هؤلاء الذين يهددون مواقعهم من الخلف سواء كانوا متفقين مع الخلافة ام غير متفقين معها ، فسيان

(١٢٦) ن ٠ م ، ص ١١٩٥ .

(١٢٧) دول الاسلام : « وقد انفق المعتصم بيوت الاموال في حرب هذا فانفق في ذلك في هذا

العام (٢٢٢هـ) نحو من الف الف دينار » ، ج ١ ، ص ٩٧ .

(١٢٨) البغدادي ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٨٤ .

(١٢٩) ذكره الطبري بوزباره ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٢٥ ، بينما يذكره الدينوري ،

يوباره ، الاخبار الطوال ، ص ٣٣٩ .

(١٣٠) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ص ١٢٢٦ ، والطبري غير متأكد من الاسم حيث يقول

« محمد بن معاذ » .

(١٣١) ن ٠ م ، ص ١١٩٥ ، ابن الاثير : « ووجه اليه ايتاخ ٠٠٠ فأوصل ذلك للافشيين وعاد » ،

الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١٨ .

لدى بابك • انهم كانوا خطرا على الحركة ولهذا كان الخرميون يحاربون على جبهتين :
جبهة الخلافة وجبهة الاقطاعيين سواء منهم الذين في اذربيجان او في ارمينيا (١٣٢) •

هروب الاقطاعيين من صفوف الانتفاضة والتجاؤهم الى صفوف جيش الخلافة :

التجأ الى الانتفاضة في ايام انتصاراتها المتلاحقة فريق من الاقطاعيين من مختلف
الاقوام بدافع الخوف وعدم التمكن من الوقوف بوجه تيار الانتفاضة العارم او بسبب
كره السلطة العباسية او لشعورهم بأن ايام العباسيين قد انتهت • الا ان هؤلاء اصبحوا
مصدر خطر للانتفاضة بحكم مركزهم وكثرة اتباعهم ومناعة قلاعهم ومعرفتهم للبلاد •
ولهذا اعتبر الطبري خيانة ابن البعيث لبابك كهزيمة حلت ببابك لا تختلف عن الهزائم
العسكرية الاخرى (١٣٣) • لان ابن البعيث غدر بأحد قادة بابك ، عصمة الكردي
واتباعه ، وقتل قسما من الاتباع وارسل عصمة مخفورا الى المعتصم ، وقد شاهدنا
كيف ان عصمة اضطر الى الاعتراف والادلاء بما يعرف من عورات البلاد ، وقد ظل
عصمة مسجوناً حتى ايام الواثق ، ولم يكتف ابن البعيث بذلك ، بل انضم الى جيش
الخلافة حيث ساهم في الحملة ضد بابك واشترك في معركة هشتادسر الثانية (١٣٤) •
ان خيانة الاقطاعيين (الملتجئين الى الانتفاضة خوفاً) للحركة لم يكن نادراً كما يقول
بيلايف (١٣٥) وقد علل يامبولسكي غدر هؤلاء للحركة وطعنهم بسكين من الخلف الى
ان الدهاقنة والبطارقة (الاقطاعيين) شعروا بأنفسهم عمق الحركة الاجتماعية
الفلاحية (١٣٦) • ويرى ايفانوف ان انتقال الخلافة في بداية ثلاثينيات القرن التاسع
من الاندحارات الى النجاحات في الاعمال العسكرية قد ساعد على خيانة الاقطاعيين
لبابك ، هؤلاء الاقطاعيين الذين انحازوا في البداية الى المنتفضين (١٣٧) • بينما جاء
في تاريخ اذربيجان « خيانة الحلفاء المؤقتين - اضعفت الخرميين وساعدت العرب على
بلوغ نقطة التحول في كفاحهم ضد حركة الشعب التحررية » (★) • والواقع ان

.....

(١٣٢) انظر الدينوري ، الاخبار الطوال ، ص ٢٣٨ ، المقدسي ، البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص

١١٦ ، ليو ، تاريخ ارمينيا ، م ٢ ، ص ٤٣١ ، يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ٢٠ •

(١٣٣) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧١ - ٢ •

(١٣٤) ن ٠ م ٠ ، ص ١١٩٠ - ١ •

(١٣٥) تاريخ بلدان الشرق الاجنبية ، ص ٢١٦ •

(١٣٦) انتفاضة بابك ، ص ١٥ - ٦ •

(١٣٧) مختصر تاريخ ايران ، ص ٤٠ ، وجاء في الموسوعة التاريخية السوفيتية « اندحار بابك

ساعد على خيانة الاقطاعيين ٠٠ » ، م ٢ ، ص ١٤ •

(★) م ١ ، ص ١٢١ •

هروب الاقطاعيين ساعد في اضعاف الحركة ، علما بأنه لم يكن في امكانهم الهروب ايام انتصارات البابكيين الاولى ، فابن البعيث لا بد وانه قد شعر برجحان كفة الخلافة فسارع في عرض خدماته على الخليفة ، فيذكر اليعقوبي : « وكان ابن البعيث قد كتب الى المعتصم يعلمه انه في الطاعة وانه في التدبير على بابك واصحابه » (١٣٨) . ولم يكن ابن البعيث الا واحدا من عديدين انحازوا الى جبهة الخلافة . ان انصراف هؤلاء الاقطاعيين قد احدث ثغرات في مناطق دفاع البابكيين حيث فقدوا مواقع محصنة كثيرة كانت تحمي ظهورهم .

ج - العناصر التخريبية ودورها التخريبي في سير الحركة :

كأية حركة جماهيرية واسعة لا بد وان تتسلل الى صفوفها الجماعات الانتهازية ولا سيما في ايام نجاحاتها ، وما اطولها بالنسبة لهذه الانتفاضة ، وكان من الصعب الكشف عن هوية هؤلاء لسعة المناطق التي شملتها الانتفاضة ولبراءة هؤلاء الانتهازيين في اخفاء هويتهم لخشيتهم المحاسبة والانتفاضة في عنفوانها ولصعوبة التعرف على خفايا الناس بسرعة ، الا ان هؤلاء لم يتورعوا عن القيام بأخس الاعمال حينما يأمنون شر الملاحقة فكانوا يسرقون ويقتلون ويتجسسون لحساب الطرفين ويلتجئون بالتالي الى الطرف القوي فيلعبون على الحبلين . واطخطر هذه الجماعات هم : قطاع الطرق واللصوص . وتشير بعض المصادر الى انضمام هؤلاء اللصوص وقطاع الطرق للانتفاضة ، فالمقدسي المطهر بن طاهر يقول : « وانضوى اليه القطاع والحراب والذعار واصحاب الفتن ٠٠ » (١٣٩) ، وكتب ابن العبري : « واحتوى اليه القطاع واصحاب الفتن » (١٤٠) ، بينما يرى جوزي ان انضمام هؤلاء كان لاسباب « لاغراض سافلة معلومة » (١٤١) ، ويعلل الدوري انضمامهم (طمعا في الفوائد المادية) (★) . وقد ادى انضمام هؤلاء الى صفوف الحركة الى تشويه سمعتها باضفاء صفات النهب والسلب والقتل على رجال الحركة من اجل المنافع المادية ، هذا بالاضافة الى ان هؤلاء كانوا عناصر خطرة في صفوف الحركة اذ انهم يثيرون الفزع والتطير ويحرضون على الهرب وعدم الصمود اذ انهم لا يفكرون الا بالمغانم ، اما اهداف الحركة فتلك امور لا يفقهونها ولن يفكروا بها ، ولهذا ينهزمون في اولى النزالات وفي اخف المعارك .

(١٣٨) التاريخ ، ص ١٩٩ ، ج ٦ . انظر الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧١ ٠ ٢

(١٣٩) البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٥ .

(١٤٠) تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٤١ .

(١٤١) من تاريخ الحركات الفكرية ، ص ١٠١ .

(★) العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٥ .

المترددون والطامعون : في عنفوان المد الثوري والانتصارات الباهرة والهيّاج الجماهيري تنضم الالوف من الناس التي تغمرها موجة الفوران غير مدركة ولا مفكرة بمستقبلها ولا منطلقة من مصالحها لقلّة وعيها وإدراكها وتفهمها لواقع حالها ، وإنما تبهرها الانتصارات وتخشى عدم مجاراة الانتفاضة ، لهذا لا تخلو حركة جماهيرية من انضمام هؤلاء المترددون القلقين ، ولكن هؤلاء لا نفع فيهم بقدر ما يجلبون الضرر، إذ أنهم كثيرا ما يحجمون في اللحظات الحاسمة فتضيع الفرصة فيسدّدون طعنة للحركة من حيث يشعرون أو لا يشعرون ، إذ أنهم يرجحون مصالحهم الشخصية الآنية على مجموع مصالح المنتفضين ، وبسبب من خوفهم من سطوة الطبقة السائدة وعقوبة السلطان فهم لا يسهمون في مجمل نشاطات الحركة وإن ساهموا فبتحوط وحذر وتردد .

أما الطامعون المتسللون إلى صفوف الحركة فهؤلاء لا تسيّرهم إلا مصالحهم الشخصية الآنية واطماعهم الذاتية وفي عداد هؤلاء يدخل النفعيون وفئات من الاقطاعيين الصغار وكل الذين يفكرون بالحصول على المغنم عند انتصار الانتفاضة ، ومن الطبيعي أن تأثير هؤلاء يكون ضعيفا عندما تحرز الانتفاضة الانتصارات ، ولكن هؤلاء سرعان ما يقلبون ظهر المجن للانتفاضة ويولوها الأدبار ويذهبون عنها بعيدا عند أول انكسار يصيبها ، وحينذاك يأتي الخطر من تخلي هؤلاء حيث يضعفون معنويات الثائرين ويثبطون عزائمهم ، بل ويسارعون بالتودد إلى الطرف الآخر المنتصر .

عدم مساهمة جميع فلاحى مناطق الانتفاضة : صحيح أن انتفاضات الخرمية قامت على اكتاف الفلاحين ولكن ليس كل الفلاحين قد ساهموا فيها ، فبالرغم من عناية القائمين بالانتفاضة البابكية بمشاكل الفلاحين إلا أن فلاحى المناطق التي عمّتها الانتفاضة لم تساهم بمجموعها في الانتفاضة البابكية ولا سيما في الآونة الأخيرة، حيث فترت عزائمهم وعادوا إلى قراهم ، فيذكر تومارا : « أن الاخفاقات التي بدأت تصيب بابك قد ساهمت في برودة الفلاحين من الحركة ، وأن الكثيرين منهم بدأوا يتخلون عنه ويعودون إلى قراهم (★) » ولقد وضعنا سابقا الأسباب التي تدعو إلى أحجام الفلاحين في القرون الوسطى عن المساهمة في الانتفاضات مسترشدين بتحليل انكلز لذلك عند بحثه الحروب الفلاحية في ألمانيا (★) ، ولا حاجة بنا لتكراره (★) ، غير أننا نود أن نقول بأن أحجام أقسام واسعة من الفلاحين عن المساهمة في الانتفاضة البابكية ، ولا سيما في العهد الأخير ، قد أثر فيها تأثيرا واضحا بينما كان للخلافة إمكانياتها الواسعة في أعداد جيوشها الغفيرة وزجها في الجبهة الأذربيجانية .

(★) بابك ، ص ١١٨ .

(★) الحرب الفلاحية في ألمانيا ، ص ٢١ .

(★) راجع الصفحة ١٥٨ من بحثنا هذا - الهامش ٣٥٠ .

تباطؤ الروم في مساعدتهم للمتفضين بسبب تخوفهم من توسع الانتفاضة ذات البرامج الاجتماعية :

مر بنا ان الخرميين الناجين من معركة همذان (٢١٨ هـ) قد التجأوا الى الروم ، وان الروم كانوا يهاجمون الثغور الاسلامية كمساعدة منهم لبابك ونكاية بالمسلمين الذين آزروا المنتفض توما الصقلي . والملاحظ ان الصلات بين بابك وبيزنطة لم تتوسع اكثر من ذلك ، فان اتصال بابك بتيوفيل بن ميخائيل لم يتعد الطلب منه في مهاجمة الحدود الاسلامية المكشوفة له (★) بعد ان زج العباسيون كل قواهم في اذربيجان ، وكان طلب بابك من اجل تخفيف الضغط (★) عليه وكانت مصالح الطرفين في القضاء على الجيوش العباسية وتحطيم السيادة العربية تدعو الى قيام تحالف بينهما ، ولكن الواقع اثبت على ان امبراطور الروم كان لا يميل الى نجاح الانتفاضة وانما كان يريد لها وسيلة لضعاف العباسيين ، والا بماذا يفسر ذلك الهدوء النسبي الذي شمل الجبهة البيزنطية قرابة الاعوام الاربعة لا سيما وخلو الجبهة من أي اثر للجيوش العباسية ، اللهم سوى حاميات ضئيلة في ثغور مبعثرة ؟ لم أحجم تيوفيل عن مهاجمة الحدود الاسلامية بعد انسحاب الجيوش العباسية منها وانتقالها الى اذربيجان ؟ لماذا هاجم امبراطور القسطنطينية الثغور الاسلامية بعد سقوط البند ؟ لماذا لم يستجب تيوفيل لنداء بابك بمهاجمة الحدود الاسلامية وقد اخبره بعدم قدرة الخليفة على ملاقاته لانه زج بكل جيوشه حتى ارسل خياطه وطباخه لمحاربة بابك في اذربيجان ؟ (★) هل كان يجهل أمور الحرب بحيث يترك المسلمين ينتصرون على الخرمية ثم يغزوهم وبذلك تكون للجيوش الاسلامية القدرة على التفرغ له ومنازلته ودحره ؟ اسئلة كثيرة تواجه المعني بهذه القضية حول احجام تيوفيل خلال أربع سنوات كاملات عن غزو الحدود الاسلامية ولا جواب لها الا ان الامبراطور كان يكره كل انتفاضة شعبية ولا سيما اذا كانت ذات برامج اجتماعية ، أما قبوله للخرميين الفارين من ايران فلكي يستخدمهم في حروبه مع المسلمين ، وأما مساعداته السابقة في مهاجمة المسلمين فكانت نكاية بالمسلمين وليس

(★) امير علي ويذكر مازندران بدلا من اذربيجان كمحل للحركة وهو مخطيء ولا شك ،

مختصر تاريخ العرب ، ص ٢٧٢ ، ص ٢٨٤ ، فازيليف ، بيزنطة والعرب ، ص ١١٣-٤

(★) تومارا ، بابك ، ص ١١٨ . ليو ، تاريخ ارمينيا ، م ٢ ، ص ٤٣٥ .

(★) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١٢٣٤ ، انظر فازيليف حيث كتب : « لقد

وقع بابك مع تيوفيل اتفاقا وكان يأمل الآن في هذا الطرف العصيب ان يقوم تيوفيل

بغزو على حدود العرب في الوقت الذي ارسل فيه المعتصم كل الجيش ضد بابك ومن

ناحية حدود بيزنطة لم يكن باستطاعة الخليفة القيام بأي مقاومة لانه بعث حتى خياطه

وطباخه ، بيزنطة والعرب ، ص ١١٣ - ٤ .

كواجب تجاه الحليف ٠ لقد اثبت تيوفيل (او تيوفيلوس) (١٤٤) انه لم يكن صادق النية تجاه حليفه بابك ، ان لو كان مخلصا لسارع لانقاذه من محنته وذلك بتخفيف الضغط عنه بمهاجمة الحدود الاسلامية ابان اشتداد الحملة ، ولكنه على العكس أعطى الامكانية الواسعة للمعتصم ليسحب جيوشه ويزج بها الى آذربيجان (١٤٥) ، وحتى في هجومه على زبطرة (٢٢٣ هـ) جاء بعد سقوط البذ ، وقد يعملل بأنه تأخر في استلام استنجا بابك ولكن الحوادث تدلنا على انه أخبر بعد وصول امدادات الخليفة عام (٢٢٢ هـ) حيث جاء ذكر جعفر وايتاخ في رسالة بابك اليه ، ويذكر الطبري تلك الرسالة : « ان ملك العرب قد وجهه عساكره ومقاتلته اليه حتى وجهه خياطه يعني جعفر بن دينار وطباخه يعني ايتاخ ولم يبق على بابك احد فان أردت الخروج اليه فاعلم انه ليس في وجهك احد يمنحك » (١٤٦) ، وبالرغم من توضيح بابك له فانه لم يقدم على مهاجمة زبطرة الا في عام (٢٢٣ هـ) وبذلك برهن لا على حقه وكراهيته للانتفاضة فحسب وانما على جهله بأبسط أمور الحرب ، ان أنه ترك الجيوش الاسلامية تقضي على الانتفاضة ومن ثم بدأ بهجومه ، وما أحسبه الا انه كان يتصور ان جيش المسلمين قد أنهك بالحروب مع الخرمية ، ولكن كم كان واهما فقد تيسر للمعتصم بسهولة توجيه ثلاثة جيوش (١٤٧) ألحقت به شر هزيمة عند عمورية التي ذكر وقائعها أبو تمام وأشاد بانتصار المعتصم الذي قاد الجيش بنفسه يعينه الافشين ومن كان معه ، لقد انشد أبو تمام قصيدته المشهورة عن عمورية والتي مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب في حده الحد بين الجد واللعب

وما كان بمقدور المعتصم ان يفتح عمورية ويوجه تلك الضربة القوية لتيوفيل ايام محاربة جيوشه لبابك ، وقد أشار الطبري الى ذلك عند توضيحه الاسباب التي دفعت بابك الى ان يطلب من تيوفيل مهاجمة المسلمين ان قال : « طمعا منه و (يقصد بابك) بكتابه ذلك اليه في ان ملك الروم ان تحرك انكشف عنه بعض ما هو فيه بصرف المعتصم بعض من بازائه من جيوشه الى ملك الروم واشتغاله به عنه » (١٤٨) ، ولما لم يقم بذلك الهجوم الا متأخرا فقد جنى نتيجة حمقه وتهوره ٠

(١٤٤) تيوفيل في المصادر العربية وقد ورد لدى رستم ، اسد ، باسم « تيوفيلوس ، اي حبيب

الله » ، الروم ، ج ١ ، ص ٣٢٤ ٠

(١٤٥) بونياتوف ، انريجان ، ص ٢٥٦ ٠

(١٤٦) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٣٤ ٠

(١٤٧) رستم ، اسد « ولكن المعتصم استطاع ان يقضي على ثورة بابك في اواخر ٨٣٧م ففرغ

للمروم واعد ثلاثة جيوش سير احدها بقيادة الافشين عبر طوروس من درب الحدث وقاد

هو الجيوشين الآخرين وعبر بهما من ابواب قليقية » ، الروم ، ج ١ ، ص ٣٢٦ ٠

(١٤٨) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٣٤ ٠

٣ - فترة النضال المسلح تحت قيادة بابك ومجريات الحوادث :

الفترة بين ٢٠١ هـ / ٢١٨ هـ ، ٨١٦ م / ٨٣٣ م :

في هذه الفترة الطويلة التي توافق سني حكم الخليفة المأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ / ٨١٣ - ٨٣٣ م) كان الفوز دائماً حليف بابك ، حيث كانت تنتصر جيوشه على الجيوش التي كان يبعثها الخليفة وتتفق غالبية المصادر (١٤٩) على بدء الفعاليات في سنة ٢٠١ هـ - (٨١٦ م) ، ولا شك ان للمجاعة (١٥٠) التي أصابت مناطق مختلفة من شمال وغرب ايران من اثر في التجاء جموع الفلاحين الجائعين المعدمين الى الانتفاضة .

لكن المصادر لا توضح نوعية الفعاليات التي قام بها بابك سوى ذكرها لقيامه بقيادة الخرمية من جماعة جاويدان في منطقة البتد . وتصف هذه الفعاليات بالعبث والفساد (١٥١) ، غير ان الدينوري يشير الى ما يفهم منه احتلال بابك للحصون المجاورة له وتهديمها (١٥٢) ، ومنذ عام ٢٠٤ هـ (٨١٩ م) تبرز الحوادث في المصادر وتظل الى النهاية . ففي عام ٢٠٤ هـ حصلت معركة بين يحيى بن معاذ بن مسلم وبين بابك ولكن دون ان يظفر اي منهما بنصر حاسم (١٥٣) على خصمه فاضطر المأمون سنة ٢٠٥ هـ (٨٢٠ م) الى ان يعهد الى عيسى بن محمد بن خالد (١٥٤) ولايسة أرمينيا وأذربيجان

(١٤٩) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٨٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٢ ، ج ٢ ص ١٠١٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٨٤ .

(١٥٠) يشير الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠١٥ ، وابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ،

ص ١٨٩ الى ان المجاعة حدثت سنة ٢٠١ هـ ، وينفرد المسعودي ، مروج ، ج ٤ ، ص ٢٩

بأن المجاعة حدثت سنة ٢٠٤ وان خروج بابك كذلك عام ٢٠٤ هـ . ورواية الطبري وابن

الاثير اذق من رواية المسعودي .

(١٥١) اليعقوبي ، الطبري ، ابن الاثير .

(١٥٢) الاخبار الطوال ، ٣٣٨ .

(١٥٣) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٨٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص

١٠٣٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ١٩٦ ، الموسوعة الاسلامية (الانكليزية) ،

م ١ ، ص ٨٤٤ ، (الالمانية) - ص ٥٦٩ ، رايت ، مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨

لسنة ١٩٤٨ ، ص ٥٠ ، يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ٢٠ ، بونياتوف ، اذربيجان،

(١٥٤) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٨٩ ، لقد ورد في تاريخ اذربيجان « وجسه الخليفة

المأمون جيشاكبيراً ضد الخرمية تحت قيادة عيسى بن محمد في معركة قُرب بردة

كسر الثائرون العدو وحطموا الخصم ، وكان القائد العربي قد قتل » ، ويذكر التاريخ

عام ٨٢٢ م ، ج ١ ، ص ١٢٠ ، ولا ادري علام يحسد تاريخ اذربيجان ! فلم تحدث

الواقعة في ٨٢٢م وانما في ٨٢١م وثانياً فر القائد عيسى بجلده ولم يقتل ، وثالثاً من

اين جاء بمدينة بردة ؟ لا ادري . انظر يامبولسكي ، حيث يسميه عيسى بن محمد

ابن ابي حامد ، والصواب ابي خالد ، انتفاضة بابك ، ص ٢٠ .

ويطلب منه محاربة بابك فتوجه بجموع الحربية من بغداد حتى اذا كان في أرمينيا انضم اليه الاقطاعيون « كمحمد بن الرواد الأزدي وجميع رؤساء تلك البلاد » (١٥٥)، ورغم تلك الحشود فقد ألجأه بابك الى أحد المضائق حيث انقض عليه بشدة أذعرتة فولى عيسى هاربا من آذربيجان الى ارمينيا وهو يقول : « ليس لنا في قتال هؤلاء بخت انما نخشى في قتال المسلمين » (١٥٦) ، واشغل هذا القائد الكبير نفسه بمشاكل أرمينيا ولم يتجاسر ثانية على مواجهة بابك الذي استعظم امره وبدأ الولاة يتهيبونه ونتيجة لتلك عيسى في محاربة بابك طيلة ثلاثة اعوام اضطر المأمون الى تكليف علي بن صدقة المعروف بزريق الأزدي (١٥٧) (٢٠٩ هـ/ ٨٢٣ - ٨٢٤ م) ، ولما لم يقم علي بن صدقة بأي شيء ضد بابك عزله المأمون وعين محله ابراهيم بن الليث بن الفضل التجيبي فيذكر الطبري في حوادث سنة ٢٠٩ هـ : « وفي هذه السنة ولى المأمون صدقة بن علي المعروف بزريق ارمينيا وآذربيجان ومحاربة بابك وانتدب للقيام بأمره أحمد بن الجنيد بن فرزندى الاسكافي ثم رجع أحمد بن الجنيد بن فرزندى الى بغداد ثم رجع الى الخرمية فأسره بابك فولى ابراهيم بن الليث بن الفضل التجيبي آذربيجان » (١٥٨) ، وبعد ثلاثة أعوام من الفشل والهزائم وتهرب الوالي علي بن صدقة بن زريق من مواجهة بابك اضطر الخليفة الى عزله ، فعصى فأصدر المأمون أمره بتعيين محمد بن حميد الطوسي (١٥٩) واليا وقائدا لمحاربة بابك والعاصي علي بن صدقة بن زريق وذلك عام ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م (١٦٠) .

(١٥٥) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٨٩ .

(١٥٦) ن ٠ م ، ص ١٨٩ .

(١٥٧) ن ٠ م ، ص ١٩٠ ، ويسميه زريق بن علي بن صدقة الأزدي ، اما الطبري فيسميه تارة صدقة بن علي وتارة علي بن صدقة بن زريق واخرى يسميه زريق بن علي بن صدقة ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠٧٢ ، ص ١٠٩٩ ، ص ١٢٣٣ ، انظر نظام الملك ، ويسميه خطأ « زريق بن علي بن صادق » ، سياست نامه ، النص الفارسي ، ص ٢٩٢ . (١٥٨) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠٧٢ ، عن احمد بن الجنيد بن فرزندى ، انظر البلاذري ، فتوح ، ج ٢ ، ص ٤٠٥ ، انظر بونياتوف ، حيث يذكر تعيين ابراهيم بن الليث بن الفضل بعد مصرع محمد بن حميد الطوسي في سنوات ٨٢٩-٨٣٠ م (اي في عام ٢١٤ هـ) ، اذربيجان ، ص ٢٤٨ .

(١٥٩) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٠٩٩ .

(١٦٠) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٩ .

معركة هشتادسر الأولى (١٦١) (٢٥ ربيع الاول ٢١٤ هـ / ٣ حزيران ٨٢٩ م) :

انصرف الوالي الجديد محمد بن حميد الطوسي الى تثبيت مركزه في آذربيجان وتقوية جيشه قبل أن ينازل خصمه بابك فلما تم له أسر علي ويعلى بن مرة وغيرهما من القائمين بوجه الخلافة جهز جيشا وسار به لمواجهة بابك ، وكان معه مهدي بن اصرم السعدي (١٦٢) (وهو قريب لمحمد الطوسي ، وتولى قيادة الجيش بعد مقتل محمد) ومحمد بن يوسف بن عبد الرحمن الطائي والعباس بن عبد الجبار اليعقوبي . وقد عبأ جيشه تعبئة جيدة فكان على القلب محمد بن يوسف وعلى الميمنة مهدي بن اصرم وعلى الميسرة العباس بن عبد الجبار اليعقوبي (١٦٣) اما القائد محمد بن حميد نفسه فقد ظل في المؤخرة يحمي المواقع ويسد الثغرات التي قد تحصل فسي صفوف جيشه ، ورغم تحوطه الشديد حيث كان يترك في كل مضيق او عقبة جماعة من رجاله لحفظ مؤخرته وتجنباً للمباغطة وكان يحفر الخنادق ، وهكذا فعل حينما وصل هشتادسر (١٦٤) ، ولكن يؤتى الحذر من مكمنه ، فقد كان بابك مشرفا على تحركاته بحكم سيطرته على القمم العالية كما وانه كان قد خبأ الكمائن في الاودية وراء الصخور ، فلما توغل محمد ابن حميد وجيشه (٢١٤ هـ - ٣ حزيران ٨٢٩ م) (١٦٥) بعيدا عن مناطق تحصنهم ، وكانت غايتهم الاستحواذ على البذ (١٦٦)، وبلغوا بعض المضائق الوعرة ، خرج عليهم الكمناء من اسفل وانقض عليهم بابك من الاعلى (١٦٧) في آن واحد ، فذعر جيش

(١٦١) هشتادسر - جبل ووادي . يقع الجبل الى الشرق من البذ على بعد اقل من فرسخ (حوالي سبعة كيلومترات) ذو موقع ستراتيحي حيث يسيطر على السبل المؤدية الى البذ ، والكلمة فارسية تعني ستين رأسا لتدل على مناعة المنطقة وكثرة القمم ويسمى اليعقوبي (ساد راسد) الكلمة دون نقط ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، ويسميه ابن خرداذبة في المسالك والممالك (سادارسب) ، ص ١٢٠ . وجاء في العيون والحدائق ذكرها بـ(هشنادس) ، ونعتقد ان تسمية الطبري (هشتادسر) اصحها .

(١٦٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١٧ .
(١٦٣) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٠ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٠٢ .

(١٦٤) يتصور تاريخ آذربيجان ان هشتادسر تقع بقرب المراغة والمراغة تقع الى الجنوب الشرقي من بحيرة اورمية . بينما يقع جبل هشتادسر الى الشرق من البذ . تاريخ آذربيجان ، م ١ ، ص ١٢٠ .

(١٦٥) بونياتوف ، آذربيجان ، ص ٢٤٨ .
(١٦٦) ن . م . ، ص ٢٤٨ .

(١٦٧) يقول ابن الاثير : « فلما تقدم اصحاب محمد وصعدوا في الجبل مقدار ثلاث فراسخ (حوالي ٢٤ كيلومترا) خرج عليهم الكمناء وانحدر بابك اليهم فيمن معه وانهمزم الناس ٠٠ ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١٨ .

المسلمين (وكانت غالبيتهم من متطوعة الامصار المختلفة) (١٦٨) وارتبكت صفوفه ولم يثبت رغم صيحة قائده الذي ثبت في المعركة الى آخرها ولما اراد الهرب بعد ان يؤس لحه الخرميون فانقضوا وارذوه قتيلا ودفن على سفح هشتادسر (١٦٩) . ترك فشل هذه الحملة ومصرع قائدها اثرا كبيرا لدى الخليفة المأمون كما اثارت مخاوف من ولاهم المأمون امر محاربة بابك بعد محمد بن حميد الطوسي اذ يقول الدينوري : « وقد عظم امر بابك وتهيبه الناس » (١٧٠) ، فعبيد الله بن طاهر الذي عين بعيد مصرع محمد بن حميد الطوسي واليا على اذربيجان ومحاربة بابك تلكا في سيره نحو بابك رغم حسن تجهيزه وآثر البقاء في الدينور ، وكتب الى مهدي بن اصرم ان يتولى قيادة الجيش (١٧١) مما اضطر المأمون ان يبعث اليه من يخيره بين خراسان ومحاربة بابك ، فأثر العافية وفضل خراسان على محاربة بابك (١٧٢) . ولقد توهم الدينوري بأن عبد الله سار من الدينور الى محاربة بابك وان محمد بن حميد الطوسي قد قتل في تلك المعركة فقد كتب : « حتى وافى (يقصد عبد الله) البذل وقد عظم امر بابك وتهيبه الناس فحاربوه فلم يقدروا عليه ففض جمعهم وقتل صناديدهم وكان ممن قتل في تلك الواقعة محمد بن حميد الطوسي » (١٧٣) . ان كلام الدينوري غير صحيح لان عبد الله لم يبرح الدينور الى اذربيجان وانما سار منها الى خراسان . يقول ابن الاثير : « وفيها خرج عبد الله بن طاهر الى الدينور فبعث المأمون اليه اسحاق بن ابراهيم ويحيى بن اكثم يخيرانه بين خراسان والجلال وارمينية واذربيجان ومحاربة بابك فاخترار خراسان وشخص اليها » (١٧٤) ، فاذن لم يذهب عبد الله الى اذربيجان وانما سار الى خراسان كما وان محمد بن حميد كان قد قتل قبل مجيء عبد الله . يقول رايت ان المأمون بعث عبد الله بن طاهر لمحاربة بابك في عام ٢٠٧هـ (١٧٥) وهذا غير صحيح لان عبد الله كان يحارب في سورية نصر بن شبيب (١٧٦) ولم يعين لمحاربة بابك الا بعد مصرع محمد بن حميد الطوسي . لقد امتنع عبد الله من السفر الى اذربيجان وفضل خراسان رهبة من بابك ورغبة في تثبيت مركز آل طاهر بعد وفاة اخيه (١٧٧) ، واضطر المأمون بعد رفض

(١٦٨) ن . م . ، ص ٢١٨ . ويقول عنهم « وهؤلاء ليس لهم ثابت في الحرب » .

(١٦٩) الطبري ، م ، ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٠١ .

(١٧٠) الاخبار الطوال ، ص ٣٣٨ - ٩ .

(١٧١) البيهقي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٠ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١٨ .

(١٧٢) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ، ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٠٢ .

(١٧٣) الاخبار الطوال ، ص ٣٣٨ - ٩ .

(١٧٤) الكامل ، ج ٥ ، ص ٢١٨ .

(١٧٥) مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٥٠ .

(١٧٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٠٧ .

(١٧٧) يقول بونياتوف : « ان عبد الله كان مرغما على تولي ادارة خراسان بعد وفاة اخيه » ،

اذربيجان ، ص ٢٤٩ .

عبد الله الى تعيين علي بن هشام واليا على الجبل وارمينيا واذربيجان ومحاربة بابك،
الا ان عليا لم يجسر على محاربة بابك مما اثار حفيظة الخليفة عليه بالاضافة الى سوء
سلوكه . وهكذا ظل جيش الخليفة غير قادر على مواجهة بابك في معارك كبيرة حتى
وفاة المأمون عام ٢١٨هـ / ٨٣٣م .

الفترة ما بين ٢١٨هـ - ٢٢٢هـ / ٨٣٣م - ٨٣٧م :

في هذه الفترة حكم فيها الخليفة المعتصم (٢١٨هـ - ٢٢٧هـ / ٨٣٣م - ٨٤٣م)
(١٧٨) وحصل تحول بالنسبة للموقف في اذربيجان فأخذت الجيوش الاسلامية تنتقل
من الهزائم الى الانتصارات ، وقد بينا اسباب الاخفاقات التي منيت بها جيوش الخرمية
واهم تلك الهزائم :

معركة همذان ٢١٨هـ / ٨٣٣م :

أشرنا كثيرا الى هذه المعركة التي ألحقت بخرمية الجبال (في ايران) هزيمة منكرة
الا اننا نشير اليها هنا لأهمية الضرر الذي لحق بخرمية آذربيجان من هذه الهزيمة ،
فالطبري يذكر عدد القتلى في المعركة ٦٠ الفا ، ويذكر ان مجموع القتلى بما
فيهم الصبيان والنساء قد بلغ مائة الف (١٧٩) وهرب الكثير من الناجين الى بيزنطة .
لقد ادت هذه المعركة التي فاز بها القائد اسحق بن ابراهيم بن مصعب بعد ان فشل
قادة آخرون منهم هاشم بن باتيجور ، لقد ادت الى ضعفة جيش بابك ، فاقترنت
فعالياته على اذربيجان وقل اعتماده على خرمية ايران ولا سيما بعد ترميم الحصون
ما بين زنجان وارديبل . والملاحظ ان نظام الملك لا يضبط الارقام فقد جعل عدد الخرمية
في هذه المعركة ٢٥ الفا بينما يوصل ارقام القتلى الى ١٠٠ الف ويعتبر الحادثة في زمن
المأمون (١٨٠) .

جبهة آذربيجان ٢١٨هـ - ٢٢٠هـ / ٨٣٣م - ٨٣٥م :

انحسرت مواقع الخرميين بعد معركة همذان فاقترنت على اذربيجان وكان القائد
العام للجيوش العباسية ابو سعيد محمد بن يوسف الطائي وقد امره المعتصم بترميم

(١٧٨) بويغ لابي اسحاق محمد بن هارون الرشيد - المعتصم بالخلافة - الخميس ١٨ رجب

٢١٨هـ (الطبري ١١٦٤) / ١٠ آب ٨٣٣م (بونياتوف ، اذربيجان ، ٢٥٣) .

(١٧٩) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٦٦ .

(١٨٠) سياست نامه ، النص الفارسي ص ٢٩٢ والنص الروسي ص ٢٢٥ .

الحصون بين زنجان واربيل والتحصن بها وذلك من اجل حراسة طريق تموين اربيل،
وقد اثر ذلك في اضعاف الاتصال بين من بقي من خرمية ايران والبابكيين .

هزيمة القائد معاوية :

ورغم قيام محمد بن يوسف بتحسين الحصون وحشد الرجال فيها فانه لم يجسر
على المبادرة لمهاجمة سرايا بابك ، الا انه قام بغارة معاكسة على اعقاب غارة قامت بها
سرية لبابك يقودها معاوية (يسميه تومارا بـ « مازيا ») (١٨١) ، وقد ابلى محمد ومن
معه في تلك المعركة التي حلت ببابك (١٨٢) حيث استطاع جيش محمد ان يقتل ويأسر
الكثير من الخرميين بالاضافة الى انقاذهم الاسرى المسلمين (١٨٣) .

اسر عصمة الكردي في قلعة شاهي :

ذكرنا ان لمحمد بن البعيث قلعتا تبريز وشاهي ، وقد اتفق مع بابك وكان يمد
سرايا بابك حينما كانت تمر به بما تحتاجه ، وعندما احس ابن البعيث بانتقال الجيوش
العباسية من مواقف الدفاع الى الهجوم وكسبها بعض المعارك (همدان ٢١٨ هـ وانتصار
محمد على معاوية) بدأ بالتفكير بالانتقال الى الجانب القوي . يقول اليعقوبي « كتب
ابن البعيث الى المعتصم يعلمه في الطاعة وانه في التدبير على بابك واصحابه ثم مكر
بعصمة » (١٨٤) . فلما مر به القائد عصمة الكردي امير مرند اهتبلها فرصة للتقرب
واظهار الولاء للخليفة فأسر عصمة بعد ان اسكره وقتل قسما من رجاله ، ان كان يطلب
من عصمة وهو موثوق ان ينادي على رجاله الذين كانوا اسفل القلعة ، واحدا واحدا
بأسمائهم ، وكل من كان يدعى فيرتقي يقتل ، حتى احس البقية بالوقعية فهربوا . وقد
بعث ابن البعيث بعصمة الى المعتصم وبذا طعن بابك من الخلف والحق به ضررا كبيرا
حيث فقد بابك احسن اعوانه ومن اعظم قواد سراياه ، هذا بالاضافة الى اطلاق المعتصم
على خفايا وعورة بلاد اذربيجان من قبل عصمة ، ويعتبر المؤرخون هذا الحدث كهزيمة
ثانية لحقت ببابك بعد هزيمة قائده معاوية (١٨٥) .

(١٨١) بابك ، ص ١١٧ .

(١٨٢) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٥ ، ص ١١٧١ .

(١٨٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٤ .

(١٨٤) التاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٩ .

(١٨٥) ن . م . ، ص ١٩٩ ، الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧١ ، انظر المراجع

ايضا - يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ٢١ ، رايت ، بابك البذي والافشين ، مجلة
العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٥١ ، بونياتوف ، اذربيجان ، ص ٢٥٨ .

الفترة ٢٢٠هـ - ٢٢٢هـ / ٨٣٥م - ٨٣٧م :

وهذه الفترة الحافلة بالمعارك الجسام هي الفترة التي قاد فيها الافشين ، حيدر ابن كاؤوس الاشروسني ، جيوش الخلافة الحاربية في اذربيجان ضد بابك ، وكانت الحرب سجالات بين قائدين عظيمين الافشين وبابك ، فقد حقق بابك فيها بعض الانتصارات ولكنه اضطر في الاخير نتيجة شدة الضربات ومقتل اعدائه الى اللجوء الى قلعته البذ حيث سقطت في الاخير بيد الافشين . لقد ارخت المصادر العربية تاريخ توجيه المعتصم للافشين لمحاربة بابك في عام ٢٢٠هـ ، فقد ذكر الطبري « وجه به لحرب بابك وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الآخرة فعسكر بمصلى بغداد ثم صار الى برزند » ، وذلك في حوادث سنة ٢٢٠هـ . ولكن زاخودير ينفرد بذكر تاريخ ٢٢١هـ (٨٣٦م) .

معارك سنة ٢٢٠هـ / ٨٣٥م :

انصرف الافشين في بداية الامر بعد نزوله في برزند الى تحصين القلاع وترميم الحصون بين اردبيل وبرزند ، وبهذا تكتون له خط من القلاع ممتد من زنجان الى برزند (١٨٨) ، فقد رمم قبله محمد بن يوسف الحصون التي بين زنجان و اردبيل . وقد جعل في هذه الاماكن التي حصنها حاميات على رأسها قادة كلفوا بحماية مواقعهم ومراقبة اعدائهم ومحافظة قوافل الميرة والتموين ، وقد مر بنا كيفية ذلك (١٨٩) .

معركة ارشق (١٩٠) :

وهي اول معركة يساهم فيها الافشين ضد بابك . وتفصيل الامر هو ان جاسوسا اسمه صالح قد اعلم الافشين بأن المال الذي بعثه الخليفة اليه مع بغا الكبير قد وصل الى اردبيل وان بابك قد استعد للانقضاض عليه وقد اعد كميناً في مواضع مختلفة

(١٨٦) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧١ ، لاحظ بونياتوف « ٣ حزيران ٨٣٥م عين الخليفة المعتصم الافشين حيدر بن كاؤوس قائداً على كل الجيش المحارب للخرميين » ، اذربيجان ، ٢٥٧ .

(١٨٧) الترجمة الروسية لـ « سياست نامه » - الحاشية رقم ٤٧٦ ، ص ٣٥٠ .
(١٨٨) اليعقوبي ، تاريخ ، ج ٣ ، ص ١٩٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٤ ، العيون والحدائق ، ص ١٠ ، يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ٢٢ ، بونياتوف ، اذربيجان ، ص ٢٥٩ .

(١٨٩) العيون والحدائق ، ص ١٠ .
(١٩٠) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٤ - ٥ ، العيون والحدائق ، ص ١٠٠ .

(١٩١) ، وقد تأكد الافشين من اقوال الجاسوس حيث ارسل الى ابي سعيد يأمره بالتأكد من صحة الخبر فذهب ابو سعيد (محمد بن يوسف) وشاهد بنفسه الكمائن . وبعد تأكد الافشين من صحة الخبر طلب من بغا القريش في اردبيل وانتظار اوامره ، ثم اشار عليه بأن يسير بالمال والرجال في قافلة حتى اذا وصلت القافلة قلعة النهر (حصن النهر) ترك الرجال يستمرون في سيرهم منفردين متجهين نحو برزند (١٩٢) ويؤجل تسفير المال عن القافلة ، وهكذا فعل بغا الكبير حيث رجع بالمال من حصن النهر الى اردبيل واستمرت القافلة وكأن المال معها نحو برزند . وكان الافشين قد خرج بجنده من برزند متجها نحو خُشّ فبلغها عند الغروب وبات خارج معسكر ابي سعيد عند خش ، ثم رحل في اليوم الثاني متجها نحو منطقة ارشق حيث قائد الهيثم الغنوي ، وكانت القافلة الخالية من المال قد خرجت من حصن النهر ومعها آمر حصن النهر علوية الاعور وكان بابك متهيئا لها فانقض عليها وقتل من فيها واستولى على امتعة والبسة وعلى صاحب النهر (١٩٣) فارتدوا البسة جند حصن النهر تنكرا ، ثم توجه بابك الى مقابلة هيثم الغنوي ولم يعلم بابك بالمصيدة التي نصبها الافشين له فلما وصل مكان التقاء فريق قلعتي النهر وارشق لم يعرف الموضع الذي يقف فيه علوية الاعور عادة ، ولهذا وقف في مكان غيره ينتظر دجى هيثم الغنوي ومن معه ، وقد اثار جهل بابك بالموضع المخصص لعلوية الاعور الشك والريبة ، حيث استراب الهيثم بعد وصوله الى المكان واستغرب من وقوف بابك وجماعته (وكان يظنهم جماعة علوية الاعور) في غير موضعهم فارسل طلائع لمعرفة السبب ، وعند عودة الطليعة علم بأن الخرميين فتكوا بزميله علوية الاعور ومن معه فقفز راجعا مسرعا الى حيث توجد قافلته التي اتى بها من ارشق ليسلمها الى علوية الاعور فطلب منها الاسراع بالعودة الى حصن ارشق ، وظل هو مع رجاله يحمي مؤخرة القافلة وارسل فارسين مجدين ليخبرا القائد محمد بن يوسف والافشين بجلية الامر ، وقد استطاع الهيثم ان يدرك وجنوده حصن ارشق ويحتمون به وما كاد يلجأ الهيثم الى الحصن حتى وافقه سرية بابك فأحاطت به واطل بابك من عل وطلب من الهيثم ان يترك الحصن ويستسلم ، ولكن الهيثم (كان معه ستمائة راجل واربعمائة فارس) (١٩٤) كان معتمدا على متانة حصنه الذي كان يحيطه خندق . وكان الفارسان قد ادركا جند الافشين الذي كان متجها بدوره الى ارشق ولم يبق امامه سوى اقل من فرسخ ، فلما علم الافشين بمحاصرة بابك للقلعة اغار برجاله دفعة واحدة واخذ بابك على حين غرة ، فلم يبق بابك الا وجيش الافشين قد احاق به

(١٩١) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٥ .

(١٩٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٥ .

(١٩٣) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٥ .

(١٩٤) ن ٠ م ، ص ١١٧٧ .

وبعد معركة غير متكافئة افلت بآبك مع نفر من اصحابه بعد ان قضى على بقية رجاله المقاومين فهرب الى موقان (١٩٥) الواقعة خلف خطوط اعدائه ، وهناك بعد فترة جاءه فريق من جنده فتسلل معهم عائدا الى البذ (١٩٦) .

كانت هذه المعركة اول نصر احرزه الافشين وقد رفعت من معنويات جنوده .

مهاجمة قوافل المسلمين :

رغم الخسارة الفادحة التي حلت بآبك وبجنده فانه لم يركن الى الدعة بل سارع الى انزال ضربات مقابلة بجند الخلافة وكان يعلم اثر القحط في ارباك الجيش ولهذا اثر الضغط على خصمه من هذه الناحية فقرر استخدام سراياه للتعرض لقوافل تموين الافشين لتجويعه من جهة وليحصل هو على الغنيمة . ومن هذه استيلائه على القافلة المتوجهة من خش الى برزند (١٩٧) وكانت بقيادة صالح آب كش (السقاء) (١٩٨) ، فانقض عليها احد قادة بآبك (١٩٩) واستولى على ما فيها وقتل رجالها ونجا صالح مع نفر من اصحابه وفروا بأرواحهم هاربين وقحط جيش الافشين من جراء ذلك مما اضطر الافشين ان يكتب الى حاكم المراغه ان يجهزه بالميرة . وقد لبي حاكم المراغة (٢٠٠) الطلب وجهاز « قافلة ضخمة فيها قريب من الف ثور سوى الحمر والدواب وغير ذلك تحمل الميرة ومعها جند يبذرقونها » (٢٠١) ، ولم تسلم هذه القافلة حيث انقضت عليها سرية لبآبك بقيادة طرخان (او آذين) (٢٠٢) فاستباحوها ، مما سبب القحط في جيش الافشين ، وقد سارع الافشين في طلب المعونة من آمر الشيروان (او السيروان) (٢٠٣) فأمدّه بالطعام الكثير وبنفس الوقت وصل بغا بامداداه بما يحمل من المال والرجال .

(١٩٥) العيون والحدائق ، ص ١٠ - ١ .

(١٩٦) الكامل ، لابن الاثير ، ج ٥ ، ص ٢٣٥ ، العيون والحدائق ، ص ١١ ، يامبولسكي ،

انتفاضة بآبك ، ص ٢٤ .

(١٩٧) في سنة ٢٢٠ .

(١٩٨) الطبري ، ويقول تفسره السقاء ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٨ .

(١٩٩) يسميه يامبولسكي « سعيد الاصبهذ » ، انتفاضة بآبك ، ص ٢٤ .

(٢٠٠) يامبولسكي ، انتفاضة بآبك ، ص ٢٤ .

(٢٠١) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٥ .

(٢٠٢) الطبري ، تاريخ الرسل ، لم يتأكد فذكرهما معا ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٩ ، يذكر

يامبولسكي ، طرخان فقط ، انتفاضة بآبك ، ص ٢٤ .

(٢٠٣) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٧٩ ، وقد ذكر السيروان فقط . انظر

يامبولسكي ويذكر السيروان فقط ، انتفاضة بآبك ، ص ٢٤ ، انظر بونياتوف ، يذكر

الشيروان والسيروان ، اذربيجان ، ص ٢٥٩ .

معركة هشتادسر الثانية :

مر بنا ذكر معركة هشتادسر الاولى التي اندحر فيها جيش الخلافة وقتل القائد محمد بن حميد الطوسي ، وبعد سبعة اعوام حصلت معركة هشتادسر الثانية وقد اندحر فيها جيش الخلافة ثانية . وتفصيل الامر : بعد وصول بغا الكبير بالامدادات وجهه الافشين (في ربيع سنة ٢٢١هـ بعد عيد النوروز) مع جيش كبير ليدور به حول جبل هشتادسر وينزل في خندق محمد بن حميد الطوسي ليحفره ويحكمه ويخندق فيه ، وكانت خطة الافشين على ما يظهر توجيه ثلاثة جيوش من جهات مختلفة تسير نحو البذ لانزال ضربة قوية محكمة بحيث يسير الافشين من برزند ويسير محمد بن يوسف من خش ويتوجه بغا الكبير من خندقه قرب هشتادسر ، وقد التقى جيشا الافشين ومحمد بن يوسف في موضع يعرف لدى مؤرخي العرب بـ « دروذ » (لا بد وانها دو الروذ) فحفر خندقا وبني سور (٢٠٤) ، الا ان بغا قد تسرع فدار حول جبل هشتادسر القريب من البذ واشرف على البذ دون ان يعلم الافشين بالامر حتى انه وصل الى قرية البذ واقام فيها ثم ارسل الفا من رجاله في عتلافة فانقض عليهم جيش بابك واستباح العتلافة وقتل من قتل واسر من قدر عليه وارسل منهم رجلين للافشين ليطلعاه على جلية الامر فتألم الافشين لتلك الهزيمة ولان بغا بتسارعه قد افسد عليه خطته ، وكان بغا الكبير قد تراجع الى خنادقه متخاذلا وسارع بابلاغ الافشين ويسأله المدد فأمدده الافشين بجيش عليه اخوه الفضل بن كاؤوس واحمد بن الخليل بن هشام وابن جوشن وجناح الاعور السكري وصاحب شرطة الحسين بن سهل فتوجه الجيش من دوالروذ ودار حول هشتادسر والتحق بجيش بغا الكبير المتحصن في الخندق .

ولقد اعلم الافشين بغا الكبير بأنه سيحارب بابك في يوم عينه له وان خطته هي ان يوجه جيشين (ينقضان على بابك من جهتين) . وفي اليوم المقرر خرج الافشين من دوالروذ متجها نحو البذ وخرج بغا الكبير من خنادقه وصعد الى هشتادسر وعسكر عند ربوة بجوار قبر محمد بن حميد الطوسي ، وقد ارغمت رداء الاحوال الجوية ، لا سيما على المرتفعات ، حيث هبت ريح باردة عاصفة مصحوبة بأمطار غزيرة ، جيش بغا الكبير على العودة الى معسكره دون ان يقوم بما اسند اليه من واجب . اما جيش

(٢٠٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٨٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص

٢٣٧ - ٨ ، انظر يامبولسكي ويسميها : درواز ، انتفاضة بابك ، ص ٢٤ ، بونيياتوف :

دولزود ، انزيبجان ، ص ٢٤٤ .

الافشين فقد استطاع ان يلحق ضربة بصفوف جيش بابل ، حتى انه استولى على خيمته وامرأة كانت معه (٢٠٥) . ولكن الافشين وان الحق الهزيمة بغريمه بابل ولكنه لم يسدد الضربة القاضية كما كان يريد لان بغا الكبير قد افسد عليه خطته باستعجاله فلم يطبقا على جيش بابل من ناحيتين وانما تعرض الخرميون لهجوم الافشين فقط ، اما جيش بغا فقد تعذر عليه هذه المرة القيام بواجبه بسبب رداءة الاحوال الجوية . ولقد توجه بغا في اليوم التالي من اجل مقاتلة الجيش الخرمي الذي كان بازائه في هشتادسر ، ولكنه لم يحظ به لانه انسحب في اليوم السابق حسب اوامر بابل الذي قرر الانسحاب والتحصن بقلعته البذ . يؤس بغا من مواجهة عدوه وهو يفتش عنه نهاره كله ولهذا طلب من داود سياه قائد مقدمته ان يفتش عن مكان امين يلتجئون اليه ليلتهم ، ومن ثم ينقضون في اليوم التالي على اعدائهم . فعثر القائد داود على محل مناسب ، وقد تراءت له من بعيد اعلام جيش الافشين (٢٠٦) . وفي تلك الليلة بلغت الاحوال الجوية الى اقصى ما يمكن ان تصل اليه من رداءة حيث العواصف الثلجية والرياح الزمهريرية والضباب الحالك (٢٠٧) . فلم يتمكنوا من مبارحة اماكنهم لثلاثة ايام وقد نفذ زادهم واضطر بغا في اليوم الثالث ، بعد الحاح الناس عليه ، على مغادرة المكان والهبوط الى الوادي . في تلك الفترة التي كان بغا الكبير معتكفا في اعالي جبل هشتادسر كانت جيوش بابل قد قامت بهجوم معاكس اجبرت بقية جيوش الافشين على التراجع الى معسكرها في دواروذ ولم يكن بغا ليعلم ذلك ، فعندما هبط الوادي وتوجه صعدا نحو البذ (لتطبيق الخطة وظنا منه بأن الافشين لا يزان يحارب) حيث لم يبق امامه الا مقدار نصف ميل عرف من طلائع مقدمته ان جيش الافشين قد تراجع تحت تأثير الهجوم المعاكس الذي قام به بابل وان بابل متهيء لملاقاته ، وقد اعد له عسكريين ، لقد عرف ذلك من التحذير الذي حذر به بعض رجال بابل لقريب له في جيش بغا ، من غلمان ابن البعيث ، فيذكر الطبري « وكان على مقدمته جماعة فيها غلام لابن البعيث له قرابة بالبذ فلقيتهم طلائع لبابل فعرف بعضهم الغلام فقال له فلان فقال من ههنا فسمى له من كان معه من اهل بيته فقال ادن حتى اكلمك فدنا الغلام منه فقال له ارجع وقل لمن تعنى به يتنحى فاناقذ بيتنا الافشين وانهزم الى خندقه وقد هيأنا لكم عسكريين فعجل الانصراف لعلك ان تفلت ، فرجع الغلام فاخبر ابن البعيث بذلك وسمى له الرجل فعرفه ابن البعيث فأخبر ابن البعيث بغا بذلك فوقف بغا وشاور اصحابه فقال بعضهم هذا باطل هذه خدعة ليس من هذا شيء ، فقال بعض الكوهبانية ان هذا رأس جبل اعرفه من صعد الى رأسه نظر الى عسكر الافشين فصعد بغا والفضل بن كاؤوس وجماعة منهم

(٢٠٥) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٨٩ .

(٢٠٦) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٨ .

(٢٠٧) ن ٠ م ٠ ، ص ٢٣٨ .

خارطه

ولایات الجبال

وجبال

ومازندران (المیرستان)

وقوق مس

وجرجان

(عن كتاب أراضي الخزانة)

التي قد تم توثيقه في

ليستراچ بنک صفحي

(١٨٥-١٨٤)

The Lands of The

Eastern Caliphate

by G. Le Strange

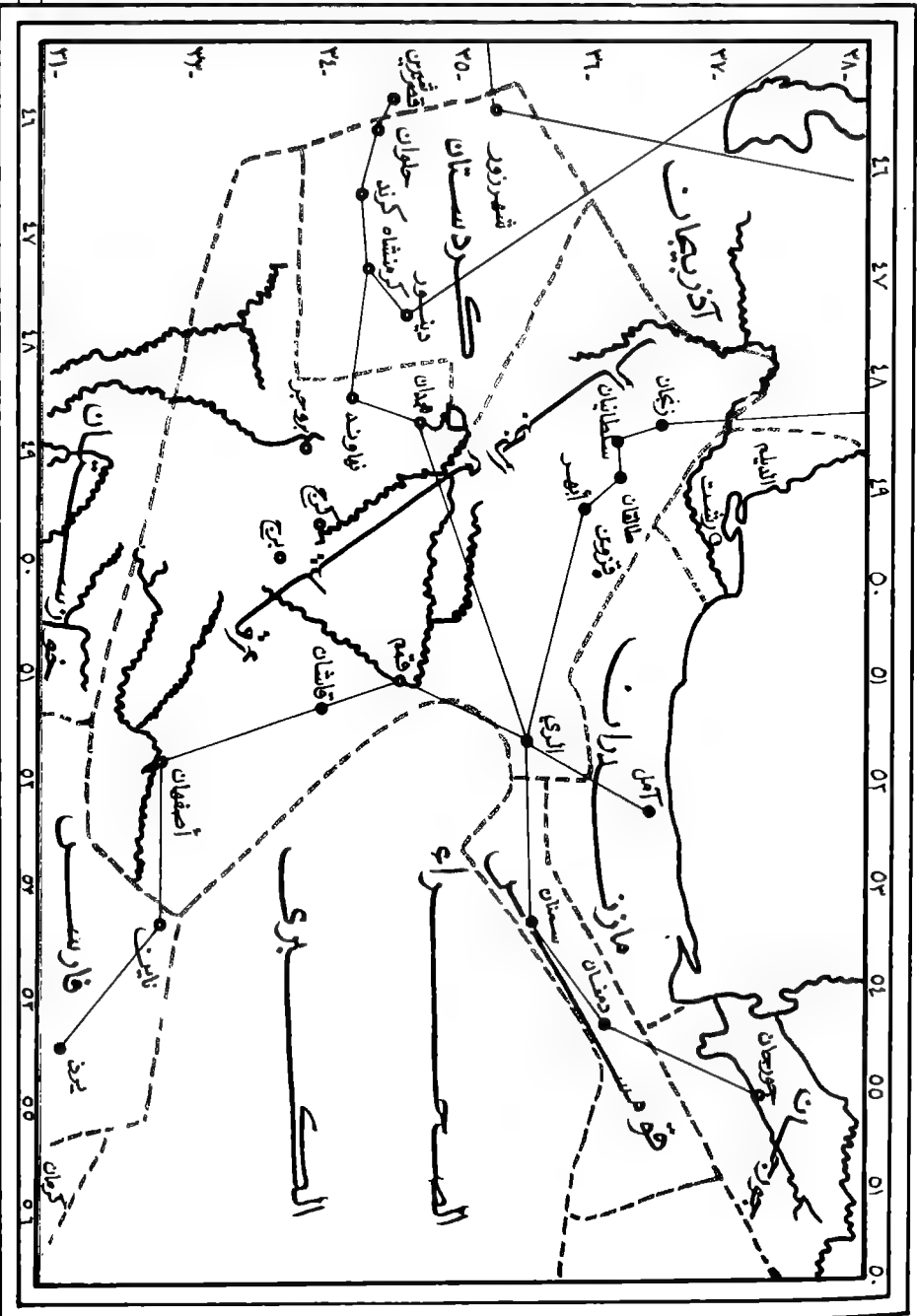
Cambridge at the

University Press

1905 P 184-185

مقياس الميل الانكليزي

٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧



ممن نشط فاشرفوا على الموضع فلم يروا فيه عسكر الافشين فتيقنوا انه قد مضى وتشاوروا فأروا ان ينصرف الناس في صدر النهار قبل ان يجنهم الليل » (٢٠٨) ، ولكن هذا التحذير جاء متأخرا فبغا بعيد عن الافشين وقد توغل بعيدا وطريق عودته محفوف بالمخاطر ، ولكن رغم ذلك صمم العودة الى معسكره عن طريق الاستدارة حول هشتادسر ليتجنب المضايق . وقد سار القائد داود سياه في المقدمة وكان بغا قد حثه على الاسراع بالسير ولكن بعد ان اخذ التعب من الناس مأخذه طلب بغا من داود ان يفتش عن ملجأ يبيت فيه الجيش فلم يعثروا والتجأوا الى جبل شديد الانحدار فاتخذوه سترا يحمون به ظهورهم واقاموا الحراسة والتعبئة من جهة المصعد ، الا ان البابكيين وقد كانوا يراقبون مسيرة الجيش ، حيث كانت طلائعهم غير بعيدة عنهم ، قد شنوا هجوما عنيفا مزقت فيه صفوف الجيش المتهاوي المتعب الجائع وفر القائد بغا على دابة بمساعدة ابن البعيث الذي دله على طريق في هشتادسر نزل منه على معسكره في الخندق وقد خسر بغا كثيرا من رجاله فقد قتل جناح السكري وابن جوشن وجرح الفضل ابن كاؤوس (واخذ الخرمية المال والمعسكر والسلاح والاسير ابن جويدان » (٢٠٩) ، وفرت فلول من الجيش والتجأت الى الخندق وهي منهوكة منهارة مذعورة ، وهناك تخندق بغا خمسة عشر يوما ثم جاءه امر الافشين بالتوجه الى المراغة على ان يعيد المدد الذي امد به ، وهكذا عاد الفضل بن كاؤوس وجميع الذين هم في الاصل من جيش الافشين عادوا بقيادة الفضل الى معسكر الافشين في دواروود . لقد اعتمدنا رواية الطبري (٢١٠) وابن الاثير (٢١١) في تبسيط هذه المعركة ، اما اليعقوبي فلم تكن لديه الفكرة واضحة حيث كتب « فكانت بينه وبين بابك وقائع وكان عسكره بموضع يقال له (برزند) فصار بموضع يقال له (سادراست) (٢١٢) فأقام في محاربته حولا حتى كثرت الثلوج ثم رجع الى برزند ثم وجه بخليفته (٢١٣) الى (سادراست) وزحف وصير في كن ناحية ٥٠٠ وصار به (درود الرود) فخندق وبنى سورا وكنن الكمائن » (٢١٤) .

(٢٠٨) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٩٠ - ١ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٨ - ٩ .

(٢٠٩) انطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١١٩٣ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ص ٢٢٩ ، انظر يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ٢٥ - ٦ .

(٢١٠) تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١١٨٧ - ١١٩٣ .

(٢١١) الكامل ج ٥ ص ٢٣٧ - ٢٣٩ ، أنظر أيضا ، العيون والحدائق ، ص ١٥ .

(٢١٢) الكلمة كما ذكرنا سابقا غير منقطة ولا بد وان اليعقوبي يقصد بها هشتادسر .

(٢١٣) المقصود به بغا الكبير .

(٢١٤) التاريخ ، ج ٣ ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

لقد اثرت معركة هشتادسر في الافشين تأثيرا بليغا دفعته الى التروي والتريث في امر مهاجمة البذ ولهذا فرق الناس الى حصونهم شتاء عام ٢٢١ منتظرا ربيع عام ٢٢٢ هـ (٢١٥) .

مصرع طرخان شتاء ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م :

حينما عمد الافشين الى الهدوء في فصل الشتاء من عام ٢٢١ هـ استعدادا لربيع عام ٢٢٢ هـ وهدأت جبهات القتال طلب طرخان ، اعظم قادة البابكيين الازن من بابك في السماح له بأن يشتي في قريته الواقعة في ناحية هشتادسر (٢١٦) ، فأذن له بابك لاعتقاده بعدم تمكن الافشين من القيام بالحرب - بعد معركة هشتادسر - في فصل الشتاء بعد اشتداد البرد وكثرة الثلوج . وسافر طرخان الى قريته ، وكان الافشين يراقب تحركات قادة الجيش ويتربص بهم الدوائر ، لهذا علم بمغادرة طرخان الى قريته فأرسل الى « ترك مولى اسحاق بن ابراهيم بن مصعب » (٢١٧) وهو في المراغة يأمره بقتل طرخان او اسره وارساله اليه ، وقد تمكن ترك من اغتيال طرخان ليلا وبعث برأسه الى الافشين . وكان لمصرع طرخان اثر كبير في معنوية بابك (٢١٨) وفي صفوف جيشه لمكانته البارزة لدى بابك ولقدرته وقابليته وجراته .

معارك سنة ٢٢٢ هـ / ٨٣٧ م :

اخذ الافشين للهدوء شتاء سنة ٢٢١ هـ (٨٣٦ م) بانتظار تحسن الظروف المناخية وبانتظار الامدادات من العراق ، ولا سيما بعد ان حلت به الخسائر في معركة هشتادسر شتاء ٢٢١ هـ - كما شاهدنا - ، وجاءه المدد من سامراء فقد امده المعتصم بجيش يقوده جعفر بن دينار الخياط (٢١٩) ثم اتبعه بايتاخ ومعه ٣٠ مليون درهم عطاء للجنود وللنفقات « لم يمكث ايتاخ وانما سلم ما لديه وعاد » (٢٢٠) ، وهكذا تهيأت الظروف للافشين ليقوم بزحفه وهو اكثر املا في الفوز من السابق ولا سيما بعد مصرع طرخان . واهم معارك هذا العام التي يسرت وتكللت بالاستيلاء على البذ كانت :

(٢١٥) الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣م ج٢ ص ١١٩٣ ، أنظر يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ٢٦ .

(٢١٦) الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣م ج٢ ص ١١٩٣ ، يامبولسكي ، انتفاضة بابك ، ص ٢٦ ، بونيباتوف ، آذربيجان ، ص ٢٦٠ .

(٢١٧) الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣م ج٢ ص ١١٩٣ - ٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٥ ص ٢٣٩ .

(٢١٨) بونيباتوف ، آذربيجان ، ص ٢٦٠ .

(٢١٩) الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣م ج٢ ص ١١٩٤ .

(٢٢٠) ن.م. ، ص ١١٩٥ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٥ ص ٢٣٩ ، العيون والحدائق ، ص ١٧ .

معركة نهر كلان رود (٢٢١) :

بعد ان استجم الافشين شتاء ٢٢١هـ ، وكمل اعداده خرج في اوائل ربيع ٢٢٢هـ (٨٢٧ م) من برزند وسار حتى نزل على نهر كلان رود « والذي يجري قرب البذ » (٢٢٢) فاحتفر خندقا الى الشمال الشرقي من البذ ، وكان قد كتب الى ابي سعيد ان يوافيه ، فجاء ابو سعيد محمد بن يوسف ونزل بحدائه على نهر كلان رود وعسكر في خندق على بعد ثلاثة اميال من معسكر الافشين ولم يمكث اكثر من خمسة ايام حتى علم بأن جيشا بقيادة آذين نزل قبالة جيش الافشين وقد ارسل هذا القائد عياله الى جبل يشرف على رود الروذ « وتقع هذه القرية الى الشمال من البذ على نهر ليكني على بعد ٦ فراسخ من برزند وعلى بعد فرسخ واحد من البذ » (٢٢٣) وكان من جراء تهوره واستهتاره بمقدرة جيش الخلافة رفض نصيحة بابك بادخال عياله الحصن قائلا « لا اتحصن من اليهود يعني المسلمين » (٢٢٤) ونصيحة بابك ان دلت على شيء فانما تدل على شعور بابك بتعاضد بأس خصمه بحيث اخذ يحسب له حسابه ، الا ان آذين دفع ثمن تهوره ، فان الافشين لما علم بوجود عائلة آذين خارج الحصن ارسل جماعة من الخيالة معهم الكوهبانية بقيادة ظفر بن العلاء السعدي والحسين بن خالد المدائني (٢٢٥) وهم من قواد ابي سعيد ، فخرجوا ليلا من كلان رود وساروا عبر مضائق وعرة ضيقة وعند الفجر وصلوا نهر ليكني (٢٢٦) - قبالة رود الروذ - فعبروه وارتقوا الجبل عند رود الروذ واستولوا على عيال القائد آذين (٢٢٧) وعادوا بهم وكان الافشين قد اتخذ الاحتياطات اللازمة فقد امر قسما من الكوهبانية ان يقفوا على القمم الشاهقة ومعهم الاعلام ليعطوا الاشارة فيما لو تعرض الجند للخطر (٢٢٨) ، فلما عاد الجند من جبل رود الروذ - وقد كان القائد آذين قد علم بأخذ المسلمين لعياله - ارسل كتيبتين احدهما لتسيطر على المضائق وتسد الطريق بوجه الجند المسلمين والاخرى تهاجمهم من الخلف قبل بلوغهم المضائق ، فلما عاد الجند بمن معهم من عيال آذين تعرضت لهم الكتيبة الثانية فقتلوا قسما من جند المسلمين وانقذوا بعض النساء ، وقد لاحظ الكوهبانون الذين على القمم ذلك فحركوا اعلامهم منذرين بالخطر ، وكان الافشين قد هيا كتائب عديدة لمواجهة خطر تعرض جنده لهجوم مفاجيء ، فسارت الكتيبة الاولى مسرعة بقيادة مظفر بن كيدر ثم

(٢٢٢) بونيياتوف ، اذربيجان ، ص ٢٤٤ .

(٢٢٣) ن.م. ، ص ٢٤٤ .

(٢٢٤) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١١٩٦ .

(٢٢٥) ن.م. ، ص ١١٩٦ .

(٢٢٦) ن.م. ، ص ١١٩٦ ، بونيياتوف ، اذربيجان ، ص ٢٤٤ .

(٢٢٧) توهه يامبولسكي بأنهم عائلة طرخان ، انتفاضة بابك ، ص ٢٦ .

(٢٢٨) كجنود المخابرة في أيامنا ، ولا بد انها أول مرة تستخدم الاعلام للاشارة .

اتبعها الافشين بكتيبة يقودها محمد بن يوسف ، ثم بثالثة يقودها بخاراخذاه - وهذا يظهر ان الافشين كان يرمي الايقاع بجند الخرمية ومعرفة مدى شدة بأسهم اكثر من اهتمامه بالاستيلاء على عيال اذين - فلما اقتربت الكتائب الثلاث من المضائق هرب الخرميون الذين كانوا مسيطرين على المضائق وانضموا الى جماعتهم الذين يحاربون، ولكن الكتائب الثلاثة سارعت الى نجدة جند المسلمين المشتبكين مع الخرميين وادركتهم قبل ان يتمكن الخرميون منهم فألقذوهم وعادوا جميعا الى معسكر الافشين ومعهم بعض عيال اذين (٢٢٩) . لقد ادت هذه المعركة ، التمهيدية للاستيلاء على البذ - كما قال يامبولسكي (٢٣٠) - ، الى رفع معنوية جند الخلافة وازالة تلك المخاوف التي كانت تسيطر على اذهان الناس من ان الخرميين لا يقهرون وانهم شياطين الجبال، فقد غزوه في مقراتهم وسلبوهم في عقر دارهم وانتصروا عليهم بعد كسرهم اسطورة التفوق .

حصار قلعة البذ والهجوم عليها :

تقع قلعة البذ الحصينة ، وهي معقل بابك ومركز الانتفاضة (٢٣١) ، كما يعتقد بونيياتوف ، على جبل قرداغ الى الجنوب من نهر اراكس والى الشرق من نهر كيرخو (بيفان) الذي هو احد روافد اراكس (٢٣٢) .

الحركات التمهيدية :

كان كسب الافشين معركة كلان روز مقدمة لزحفه على البذ ، فقد شجع هذا الكسب القائد المحنك الافشين على المضي قدما نحو غايته ، وهي سحق الانتفاضة والقضاء على

(٢٢٩) الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣م ٢٦ ص ١١٩٦ .

(٢٣٠) انتفاضة بابك ، ص ٢٦ .

(٢٣١) ذكر أبو دلف مسعر بن المهلهل الخزرجي عن البذ « وبالبذين موضع ٠٠٠ وفيه تعقد اعلام المحمرة المعروفين بالخرمية ومنه خرج بابك ٠٠ » ، الرسالة الثانية ، ص ١٢-٣، وكتب ياقوت الحموي « بذ بتشديد الذال المعجمة كورة بين آذربيجان وأران بها كان مخرج بابك الخرمي أيام المعتصم » ، ١ كراسة رقم ٣ ص ٣٦١ ، ويقول سورديل في الموسوعة الاسلامية (بالانكليزية) ، بأن موقع البذ لم يتحقق لحد الان ، يقع في المنطقة الجبلية من أران ليس بعيدا عن أراكس ، ١م ص ٨٤٤ (ط لندن ، ١٩٦٠ م) ، أنظر حول موقع البذ ، مينورسكي ، دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ١٠٤ ، يامبولسكي - انتفاضة بابك ص ٢٧ - ٨ ، رايت ، بابك البذي والافشين ، مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٢٨ لسنة ١٩٤٨ ص ٤٦ .

(٢٣٢) أنظر مناقشة بونيياتوف لاختلاف الآراء المتضاربة حول تحديد مكان مدينة البذ، آذربيجان ، ص ٢٤٠ - ٤ ، ومقالته عن مدينة وقلعة البذ في مجلة أخبار المجمع العلمي الآذربيجاني ، العدد ٥ لسنة ١٩٥٩ ، ص ٢٧ - ٣٢ .

بابك والاستيلاء على البذ • غير ان الملاحظ ، برغم ازدياد الامل في الانتصار والذي خلقه مصرع طرخان وكسب معركة كلان روذ ، فان الافشين ، على غير ما كان يتوقعه جنده والقادة الذين معه ، اخذ يبطل في زحفه حتى اثار الريبة والشكوك لديهم ، ولعل وعورة المنطقة وعدم سيطرة جيش الخلافة على كل المسالك والمنافذ المؤدية للبذ وتلافي الوقوع في كمائن مهلكة ، قد دفعت الافشين الى اللجوء الى ذلك ، فقد سار بتؤدة وبطء وحذر وتحوط شديد (٢٣٣) بالرغم من ازدياد امله في النصر عما كان عليه قبلا ، وهناك قول بأنه كان يرغب في اتاحة الفرصة لبابك ليستعيد بأسه ويتمكن من المقاومة وانه كاتب بابك في ذلك عارضا عليه ميله اليه ويناشده عدم التورط في اعمال حربية قد تعود عليه (على بابك) بالخسران • فالبغدادى يذكر مثلا « وذكروا انه دخل في دعوتهم (الخرمية) » الافشين « صاحب جيش المعتصم وكان مراهننا لبابك الخرمي » (٢٣٤) ، وذكر ايضا « واخرج الخليفة لقتالهم (الخرمية) الافشين فظنه ناصحا للمسلمين وكان في سره مع بابك وتواني في القتال معه ودله على عورات عساكر المسلمين » (٢٣٥) • ولكن الوقائع تدحض تلك الاتهامات وتثبت على ان الافشين كان مجبرا على التآني اذ انه كان يدرك خطورة المسالك الجبلية الوعرة « وكان الافشين ابدا يخاف من كمين بابك وكانت الخرمية تستبطن الاودية » (٢٣٦) والتي كانت خطوط دفاع طبيعية لعاصمة الخرميين ومهاك خطيرة بالنسبة للمسلمين ، هذا بالاضافة الى ان الخليفة قد اشار على الافشين بالتحوط التام والتآني • ويرى بونياتوف ان الزحف البطيء (٣٢ كيلومترا في العام) والتريث في الزحف كان نتيجة الاوامر المختلفة المتناقضة الصادرة من الخليفة (٢٣٧) • ولقد اجاب الافشين على تذر جنده من الابطاء في مواجهة العدو رغم تهيؤهم واستعدادهم التام ليل نهار ، اجاب بقوله « انا والله اعلم ان ما تقولون حق ولكن امير المؤمنين امرني بهذا ولا اجد منه بدا » (٢٣٨) • بدأ الافشين زحفه متجها نحو المضيق المؤدي الى روذ الروذ ، وكان يعسكر في المناطق الجبلية الشائكة ويجبر الرجال والخيالة على ان يبقوا على اهبة الاستعداد اذ كان يخشى البيات وكان الخليفة قد اشار عليه بذلك وطلب منه ان يستمر الجند بالاستعداد التام بالمناوبة بالرغم من ابتعادهم عن جند

(٢٣٣) وعلى الضد من قولنا يذكر روبرت باين « بعد عدة معارك سريعة استولى الافشين على قلعة الثائر وجاء ببابك الى سامراء اسيرا » ، السيف الذهبي ، ص ١٧٨ ، فهو يرى ان الافشين سار بمعارك سريعة نحو هدفه ، وهو يذكر اسم بابك دائما باسم (بابريك) •

(٢٣٤) الفرق بين الفرق ، ص ٢٨٤ •

(٢٣٥) ن.م. ، ص ٢٨٤ •

(٢٣٦) العيون والحدائق ، ص ١٨ •

(٢٣٧) آذربيجان ، ص ٢٦٠ •

(٢٣٨) الطبري ، تاريخ الرسل ، ٣ ج ٢ ص ١١٩٨ •

اعدائهم بحوالي ٣٢ كيلومترا (اربعة فراسخ) (٢٣٩) ٠ وقد تمكن مع قليل من رجاله ان يبلغ قريبا من الربوة التي جرت عليها معركته مع بابه عام ٢٢١ هـ ، وقد شاهد عليها كتيبة خرمية ولكن لم تجر بينه وبينهم معركة وعاد الى معسكره ، وقد كرر التوغل الى هناك مرات وكان يقوم بتلك الجولات حسب ما يرى للاستطلاع والتعرف على اماكن عدوه وقواه ، وامر الكوهبانية بالتفتيش عن القمم التي يمكن استخدامها كمراكز اشراف للاستطلاع والتحذير ، فاختروا له ثلاثا ، فسار الافشين الى روذ الروذ مع الكلغرية (فرقة مؤلفة من العمال تستخدم لبناء الحصون او المسالك او لحفر الخنادق او ما اشبه) وامر ابا سعيد بأن يشاغل كتيبة الخرميين حتى يستطيع الكلغرية بناء استحكامات على طول الطرق المؤدية الى القمم الثلاث وحفر الخنادق وراء الاستحكامات وسد المسالك الاخرى المؤدية الى القمم فتم له ذلك واصبح الطريق الى القمم عبر استحكامات المسلمين فقط ، ونقل الى تلك القمم الرجال والمؤن والاغذية والعمال لبناء الاستحكامات عليها زيادة في الحيلة ٠ وتم حفر خندق واسع لمعسكره وكان ابو سعيد يشاغل الخرمية ايضا اثناء حفر الخندق الواسع ، وبهذا اصبحت لدى الافشين اربعة خنادق (٢٤٠) محكمة اساسية ، واحد في برزند وآخر في كلان روذ والثالث في دروذ (دواروذ) والرابع عند روذ الروذ ، هذا بالاضافة الى تحصن الرجال في القمم العالية الثلاث وتحصن بخاراخذه على رأس العقبة القريبة من الربوة التي لا تبعد عن روذ الروذ تركها لحماية مؤخرته عند زحفه من روذ الروذ الى البذ ، لانه كان يخشى هجوم البابكيين من واد قرب تلك الربوة على جيش المسلمين عند زحفه نحو البذ وبذلك ينحصر الجيش العباسي بين فكين (كماشة) (٢٤١) وكان بابه بالفعل قد امكن قسما من جيشه هناك ٠ وبتحصن بخاراخذه في مكانه ذاك حرم بابه من الاستفادة من ذلك الموقع الاستراتيجي ٠ وكان يقع بالقرب من البذ واد وهو كخندق (٢٤٢) طبيعي يعزل البذ عن جيش المسلمين ، ولكي يقلل الافشين من اهمية هذا الحائل الطبيعي فقد أجرى تطبيقا لاحتلال ثلاثة اطراف منه عدا الطرف القريب من الطريق المؤدي الى باب قلعة البذ ، فقد امر ابا يوسف ان يعبر الى الجانب الثاني من الوادي (٢٤٣) ويحتل موضعا عليه ، وامر جعفر الخياط واحمد الخليل بن هشام ان يعبرا ويحتلا مواضع اخرى (٢٤٤) ،

(٢٣٩) ن ٠ م ، ص ١١٩٩ ٠

(٢٤٠) بونياتوف ، اذربيجان ص ٢٤٤ ٠

(٢٤١) الكماشة اداة من حديد تشبه الملقط لمسك المسامير وغيرها ويستعمل في الجيش كاصطلاح

حين الهجوم على جيش ما من ناحيتين ٠

(٢٤٢) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١٢٠٤ ٠

(٢٤٣) ن ٠ م ، ص ١٢٠٤ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ص ٢٤١ ٠

(٢٤٤) ن ٠ م ، ص ١٢٠٤ ٠

هذا بالاضافة الى ان بخاراخذاه كان يشرف من ربوته على جهة من ذلك الوادي ، اما الافشين نفسه فكان يحتل جانب الوادي الذي يحاذي معسكره . اما الطريق المؤدي من الوادي الى باب قلعة البذ فان بابك قد حشد فيه اهم جيوشه بقيادة آذين ليمنع وصول جند الخلافة الى باب الحصن . وكان تطبيق هذه الخطة قد جرى كثيراً حيث تنزل الجيوش العباسية صباحا وتسير باتجاهات مختلفة عابرة الوادي وتحتل مواقعها من دون ان تقدم على مهاجمة البذ او التعرض للخرمية (٢٤٥) ، واما جند بابك الذين هم خارج القلعة فانهم كانوا يتوارون مختفين حسب تعليمات بابك ولا يظهرون انفسهم ، وتبقى جيوش الخلافة حتى العصر ثم تقفل راجعة ، واول من يعبر عائدا الى روذ الروذ جيش ابي يوسف ثم يليه جيش احمد الخليل ثم جيش جعفر الخياط (٢٤٦) ، اما الجيش الذي مع الافشين على الطرف الثاني فانه يبقى لحماية مؤخرة الجيوش العابرة وكاحتياطي لها واما الجيش الذي مع بخاراخذاه (قوامه ١٠٠٠ فارس و ٥٠٠ مشاة) (٢٤٧) فانه كان لحماية مؤخرة الجيش برمته وكانت التعليمات المبلغة الى بخاراخذاه ان يظل في موقعه ولا يتحرك وانما يحمي مؤخرة الجيش ويحافظ على خط الرجعة ويمنع احتمال قيام الخرميين بالانقضاض على الجيوش العباسية عند توجهها نحو البذ . لقد اجري الافشين هذه التطبيقات مرارا ليطلع على مخابىء الكمائن ومقدار الجيوش التي اعدھا بابك للدفاع ومواقعها وقد نجح في معرفة تلك الاسرار بمحض الصدفة . ففي احدى التطبيقات وعندما قفل الجيش العباسي عائدا من الجانب الثاني للوادي حسب الترتيب السابق وعبر اقلبه الوادي فتح قليل من الخرمية باب حصن البذ واغاروا على جماعة جعفر الخياط ، فحمل عليهم جعفر واعادهم الى باب حصنهم ، وفي هذه الاثناء ارتفع الصياح (٢٤٨) وظن اناس من كلا الجانبين بأن الحرب قد قامت ، فعبر المتطوعة الذين مع ابي دلف الوادي (٢٤٩) دون امر الافشين وخرجت كمائن الخرمية من مكائنها دون امر من بابك ، وكان الافشين ، الذي لا يزال في موضعه في الجانب الثاني من الوادي ، يستشيط غضبا على جعفر ويعد عمله خروقا لاوامره حتى انه قال : « لقد افسد علي تعبيتي » (٢٥٠) لان الافشين لم يصمم على الزحف نحو البذ بعد لانه لا يزال يخشى المباغطة وقطع الطريق عليه من قبل الجيوش الكامنة خارج القلعة ، ولهذا وبالرغم من بلوغ المتطوعة والجند الذي مع جعفر اسوار القلعة فان الافشين اصر

(٢٤٥) ابن الاثير ، الكامل ، ج٥ ص ٢٤١ .

(٢٤٦) الطبري، تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١١٠٤ .

(٢٤٧) ن ٢٠٠ ، ص ١٢٠٣ .

(٢٤٨) ن ٢٠٠ ، ص ١٢٠٦ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٥ ص ٢٤١ .

(٢٤٩) ابن الاثير ، الكامل ، ج٥ ص ٢٤١ .

(٢٥٠) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١٢٠٦ .

على عدم جدوى ذلك الهجوم • ولقد استنجد جعفر بالافشين ان يمهده بـ ٥٠٠ رجل من الناشبة ، غير ان الافشين امره بتلافي الخطر والتخلص من المازق والانسحاب المنتظم « فبعث اليه الافشين انك افسدت علي امري فتخلص قليلا قليلا وخلص اصحابك وانصرف » (٢٥١) • وطبيعي لم يدرك جعفر خطة قائده وتحوطه الشديد الا ان الافشين قد اطلع في حينه على مخابيء الخرمية حيث هبت منها الكمائث عند سماعها الصباح عند باب القلعة كما وادرك الافشين اهمية الموقع الذي يحتله بخاراخذاه في حفظ مؤخرة الجيش العباسي برمته فقد كان ذلك الموقع يشرف على واد آخر اختبأ فيه جيش آخر للخرمية كان مهياً من بابك للانقضاض على جيش الخلافة كله فيما لو تحرك نحو البذ بما فيهم بخاراخذاه ، غير ان ابقاء بخاراخذاه في محله حال دون قيام جيش الخرمية ذاك بتنفيذ ما اوكل اليه ، ولكن موقع هذا الجيش قد انكشف للافشين ايضا فقد تحرك عند سماعه الصيحة عند ابواب البذ • لقد عاتب جعفر الافشين بشدة على عدم تلبية استنجاهه بارسال المدد اليه والذي كان حسب تصوره قادرا على فتح البذ بهم • ولقد جرت مشادة بين جعفر والفضل بن كاؤوس حول الموضوع • عندئذ افهمه الافشين بأنه لو سار اليه المدد وترك بخاراخذاه محله لحلت بهم الكارثة بعد احتلال الخرمية لموقع بخاراخذاه • لقد كان لقصر مدة بقاء جعفر ولعدم اطلاعه الكافي على مجمل سير الحركات ما دفعه لان يتصور بأن الافشين لا يرغب جديا بالقضاء على بابك مما اتاح الفرصة للكتاب والمؤرخين ان يصوروا ذلك ، ولا سيما بعد تطاولات المتطوعة على الافشين لقلعة اصطبارهم ، بأنه دليل على خيانة الافشين وتباطئه كما لاحظنا ذلك عند البغدادى مثلاً • لكن الافشين كما يتضح لنا لم يتخذ ذلك الموقف الا لشعوره بجسامة الخطر فيما لو جازف بقذف كل جيوشه لاحتلال البذ ذلك اليوم ، ولم يكن موقفه مبنيًا على عطفه على بابك او ميله نحوه بل العكس فانه كان صارما مع بابك حتى انه عرض عليه مرة الامان فطلب بابك ان يمهله يوما واحدا فرفض الافشين واصر عليه الآن والا فلا (٢٥٢) •

لقد كان لتلك الخطيئة التي ارتكبها بعض الخرمية بفتحهم باب القلعة ومهاجمتهم مؤخرة جيش جعفر ، اثرها فقد اطلعت الافشين على كثير من الاسرار الخطيرة ومهدت السبيل لاحتلال البذ فيما بعد •

(٢٥١) ن.م. ، ص ١٢٠٦ - ٧ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج٥ ص ٢٤١ •

(٢٥٢) اليعقوبي ، التاريخ ، ج٣ ص ٢٠٠ •

احتلال البذ :

الزحف الاول :

بعد ان اطلع الافشين على مكان الخرمية واجرى تطبيقات كثيرة على عبور الوادي الفاصل بينه وبين البذ وتعرفت فصائل جيشه ووحداته على مواقعها وكيفية عبورها وعودتها والواجبات الملقاة عليها ، استراح في معسكره عند روذ الروذ في انتظار ذوبان الثلوج ، غير ان المتطوعة ، وهم جند غير نظاميين برموا من الانتظار والابتعاد عن المغانم ، فضجوا بالشكوى وحتى التطاول ، فزجرهم الافشين قائلا : « من صبر منكم فليصبر ومن لم يصبر فالتريق واسع فليصرف بسلام » (٢٥٤) . فاتهموا الافشين بأنه يشتهي الماطلة ، ولكن الافشين لم يعر لهم اذنا صاغية ولم يلتفت لتلك الاحتجاجات والاقاويل بل صمم على انتظار اليوم الذي استعد له فلما قرب الموعد المحدد جهز جيشه بكامل عدته وسلاحه ومؤنثته وما يحتاج اليه من ادوات الحفر والهدم والحرق كالعرايدات والمجانيق والنفط والصلال والفؤوس والمعاول وادوات تطبيب الجرحى والاغذية . وزحف الجيش نحو البذ تاركا بخاراخذاه محتلا موقعه المعين ، وعبرت الجيوش الثلاثة باتجاهاتها المعينة بعد ان ابلغ جعفر بأنه مفوض بأن يأخذ ما يشاء من الجند وان بقية الجيش الذي سيمكث مع الافشين على الجانب الثاني من الوادي سيكون احتياطيا له وهكذا ابقى جيش ابي سعيد وجيش احمد الخليل على اهبة الاستعداد للنجدة كما وابلغ ابا دلف بأن على المتطوعة الذين هم اضعفه جيش الافشين ان يحاربوا في اخف المناطق عليهم . فلما بدأ الزحف وسارت الجيوش العباسية متجهة نحو باب القلعة لاقت مقاومة عنيفة من الجيش الذي كان يقوده آدين ، وقد استخدم الخرميون كل ما امكنهم استخدامه للدفاع ، ولكن مقاومتهم لم تمنع المسلمين من ادراك باب القلعة كما وادرك قسم من الكلغرية والمتطوعة السور ، ولكن الخرميين الذين في الداخل خرجوا من باب القلعة وازاحوا الجند المهاجمين وصدوهم ، فتراجع المسلمون وقد أثخنوا بالجراح وعادوا الى معسكرهم في روذ الروذ .

(٢٥٣) الاسبوع الاول من شهر رمضان سنة ٢٢٢ هـ الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١١٩٧ .

(٢٥٤) ن ٠ م ، ص ١٢٠٩ .

(٢٥٥) ن ٠ م ، ص ١٢١٤ ، وجاء في الموسوعة الاسلامية (باللغة الالمانية) : « وبعد محاولات غير موفقة في احتلال البذ من قبل قوات المتطوعة من البصرة جاءت القوات الفرغانية واحتلت مدينة البذ وابتحت ونهبت » ، م ١ ص ٥٦٩ ، والملاحظ ان القوات المهاجمة في الزحف الاول لم تكن من المتطوعة فقط .

الزحف النهائي :

بعد اسبوعين من الحملة الفاشلة (٢٥٥) عاود الافشين الزحف ثانية على البذ ، غير انه فكر هذه المرة في التغلب السريع على مقاومة الجيش الذي يحمي الطريق المؤدي من الوادي الى باب القلعة والذي يقوده آذين ، لهذا وضع خطة محكمة للاجهاز على هذا الجيش فأرسل عند الغروب جندا من الناشبة يقدرهم الطبري بألف (٢٥٦) معهم اعلام سود وزودهم بالغذاء وكلف الادلاء ان يدوروا بهم من الجهة الثانية وان يصعدوا بهم الى اعالي الجبل الذي يشرف على موقع جيش آذين وطلب منهم ان ينحدروا ظهرا بعدما يرون اعلام العباسيين زاحفة على الخرميين ، وعند هبوطهم على جيش آذين عليهم ان يرموهم بالنشاب والصخور وهم رافعون الاعلام العباسية السوداء (٢٥٧) . كما وامر الافشين بشيرا التركي وبعض قواد الفراغة ان يكمنوا في الوادي الذي يقع اسفل جيش آذين (٢٥٨) ليحولوا بين الكمائن التي وضعها بابك في اسفل الوادي من الهجوم المباغت على جيش المسلمين ، وليعزلوا هذه الكمائن ويمنعوها من مساعدة جيش آذين عند الحاجة ، فسار بشير والفراغة ليلا وكمنوا في مواقعهم من الوادي .

وفي نهار اليوم التالي (٢٥٩) لذلك التهيؤ الذي جرى ليلا (٢٦٠) زحفت جنود الافشين على غير تعبئتها المعهودة ، فقد عبر الوادي ولاول مرة بخاراخذه مع جنده وساروا في المقدمة مع جعفر الخياط الذي سار معه ايضا ابو سعيد واحمد الخليل ، وبذلك يكون الافشين قد قام بمحاولة انتحارية لفتح البذ ، حيث رمى في جبهة القتال كل جيشه وقواه الاحتياطية والجيش الذي يحمي مؤخرته . ويظهر لنا بأنه لم يقم بتلك المجازفة الا نتيجة اعتقاده بأنه لا يستطيع فتح البذ ما لم يحطم الجيش المدافع خارج اسوار القلعة ، ولا يتم تحطيم هذا الجيش الذي يقوده آذين الا بعزله وارياكه بالهجوم الصاعق عليه من الاعلى والاسفل والامام ، وهذا يتطلب منه زج كل قواه . وبالفعل فقد ارتبكت صفوف ذلك الجيش حيث هوجم من اماكن لم يكن ليتوقعها ، كما وشلتت كمائن بابك من القيام بما اسند اليها من مهام ، حيث واجهت بشيرا التركي مع الفراغة .

وقد لجأ الخرميون الى كل ما ادخلوه لاجل دفاعهم فاستخدموا حتى الاكداش الهائلة من الحجارة اهملت على جند الافشين ، ولكن دون جدوى ، فهي وان اخرت الجند قليلا عن زحفهم ، ولكنهم استمروا في زحفهم وادركوا السور والباب ، ولما

(٢٥٦) تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١٢١٤ .

(٢٥٧) ن ٠ م ، ص ١٢١٤ .

(٢٥٨) ن ٠ م ، ص ١٢١٥ .

(٢٥٩) يوم الجمعة ، الطبري « يوم الجمعة لعشر بقين من شهر رمضان في هذه السنة (٢٢٢ هـ) » ،

تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١١٩٧ .

شاهد بابك احاطة الجند بقلعته وضعف مقاومة جماعته تسلل من ناحية مع نفر من رجاله قاصدا الافشين للتفاوض معه على الصلح وطلب الامان ، فترك جيشه يحارب ويقاوم وذهب هو الى الوادي ووقف قبالة الافشين طالبا الصلح والامان ، ويشير الى ذلك اليعقوبي « وزحف الى البذ يوم الخميس لتسع خلون من شهر رمضان سنة ٢٢٢ فأرسل اليه بابك يسأله ان يكلمه فوافقه وبينهما نهر فعرض عليه الافشين الامان فسأله ان يؤخره يومه ذلك فقال له انما تريد ان تحصن مدينتك فان اردت الامان فاقطع الوادي فانصرف واشتدت الحرب ودخل المسلمون مدينة البذ » (٢٦١) . لقد طلب بابك ان يمهل ليتجهز هو وعياله ويغادر المنطقة وكاد الامر ان يتم غير ان الافشين قد ابلغ بأن الفراغنة قد دخلوا البذ وان اعلامهم ترفرف على قصور بابك فعند ذلك هرول الافشين وهو يدعو الناس الى الزحف والاجهاز على البقية وسارع الافشين ليشرف مع جماعته على نهاية البذ . ولدينا صورة اخرى للمقابلة التي تمت بين بابك والافشين وهي اكثر تفصيلا ، ويرويها الطبري « فقال بابك اريد الامان من امير المؤمنين فقال له الافشين قد عرضت عليك هذا وهو لك مبذول متى شئت فقال قد شئت الآن على ان تؤجلني اجلا احمل فيه عيالي واتجهز فقال له الافشين قد والله نصحتك غير مرة فلم تقبل نصيحتي وانا انصحك الساعة خروجك اليوم في الامان خير من غد قال قد قبلت ايها الامير وانا على ذلك فقال له الافشين فابعث بالرهائن الذين كنت سألت قال نعم اما فلان وفلان فهم على ذلك التل فمر اصحابك بالتوقف قال فجاء رسول الافشين ليرد الناس فقبل له ان اعلام الفراغنة قد دخلت البذ وصعدوا بها القصور فركب وصاح بالناس فدخل ودخلوا وصعد الناس بالاعلام فوق قصور بابك » (٢٦٢) . ومن النص الذي اوردناه عن الطبري يتضح بأنه مفاوضات الصلح قد جرت مرارا وكانت هذه هي المرة الاخيرة ويمكن اعتبار المطاعن التي وجهت الى الافشين بأنه يتصل به سرا بنيت على اساس هذه المفاوضات والمفاوضات من الامور الطبيعية بين الاطراف المتخاصمة ، ولكن المؤرخين استغلوها مجالا للطعن كما شاهدنا البغدادي ويشير اليها نظام الملك ايضا (٢٦٣) . لقد سارع الافشين للاشراف بنفسه على نهاية البذ وكان في المدينة بقية من جند يعدمهم الطبري ستمائة رجل « وكان قد كمن في قصوره وهي اربعة ستمائة رجل » (٢٦٤) ، ولكن صاحب العيون والحدائق يعدمهم اربعة آلاف وستمائة « وكان بابك قد كمن في قصوره

(٢٦٠) يوم الخميس ، اليعقوبي « من شهر رمضان سنة ٢٢٢ » ، التاريخ ج٣ ص ٢٠٠ .

(٢٦١) ن.م. ، ص ٢٠٠ .

(٢٦٢) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢١٧ - ٨ ، انظر العيون والحدائق ، ص ٢٠-٢١ .

(٢٦٣) سياست نامه ، النص الفارسي ، ص ٢٩٣ ، والترجمة الروسية ، ص ٢٢٦ حيث يشير

الى وجود اتفاق سري بين بابك والافشين .

(٢٦٤) تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١٢١٨ .

اربعة آلاف وستمئة رجل واشتبك الناس وخرج هؤلاء الكمناء من القصور » (٢٦٥) ، ولا شك بأنه نتيجة التحريف ارتفع العدد الى اربعة آلاف وستمئة لدى صاحب العيون والحدائق . لقد أبى هؤلاء الجند ان يستسلموا فأمر الافشين النفاطين بتوجيه النيران عليهم فوجهت عليهم النيران واحرقوا واهيلت عليهم الدور (٢٦٦) ، وأسر بعض من عثر عليه من عائلة بابك ، اما بابك نفسه فقد استطاع الافلات الى واد يتجه الى هشتادسر ، ولم يمكث الافشين في المدينة المغتصبة وانما قفل بجيشه الى معسكره في روض الروذ ، ولهذا استطاع بابك والذين معه ان يعودوا الى مدينتهم علمهم يعثرون على ما تبقى من مال وطعام ، فاستطاعوا الحصول على ما يرغبون ، وهربوا الى الوادي المطل على هشتادسر ، ثم تعرضت المدينة في اليوم الثاني الى تفتيش دقيق عمن بقي من الاحياء فيها فلم يجدوا أحدا فيها ، فأمر الافشين الكلغرية بتهديم القصور وحرقها ، وجرى ذلك لثلاثة ايام على التوالي ، ويقول الطبري ولم يدع فيها بيتا ولا قصرا الا احرقه وهدمه (٢٦٧) ، وجاء في العيون « ولم يزل الافشين يهدم ويحرق ثلاثة ايام ورجع وقد افلت بابك في بعض اصحابه ٠٠٠ » (٢٦٨) . ولقد تم تحرير الاسرى المسلمين الذين كانوا في البذ ، يعدم اليعقوبي « واخرج من كان بالبذ من اسارى المسلمين فكانوا سبعة آلاف وستمئة » (٢٦٩) ، والطبري وان اتفق مع اليعقوبي في العدد الا انه ذكر الرواية بصيغة اخرى « واستنقذ ممن كان في يده من المسلمين واولادهم سبعة آلاف وستمئة انسان » (٢٧٠) . ولقد تم اسر (٣٣١٩) شخصا (٢٧١) من الخرمية ، ويدخل في هذا العدد بابك وعائلته .

تتفق غالبية المصادر على ان سقوط البذ قد تم يوم الجمعة من شهر رمضان سنة ٢٢٢هـ الا ان تلك المصادر لا تتفق على تاريخ اليوم ، فاليعقوبي يعتبره يوم (١٠ رمضان) وذلك عندما ارجع يوم الهجوم العام السابق للسقوط يوم الخميس فيقول « وزحف الى البذ يوم الخميس لتسع خلون (مضين) من شهر رمضان سنة ٢٢٢ » (٢٧٢) ، واما الطبري فيذكر يوم الجمعة السابق لنهاية شهر رمضان بعشرة ايام « وفي هذه السنة (٢٧٢) فتحت البذ مدينة بابك ودخلها المسلمون واستباحوها وذلك في يوم الجمعة لعشر

-
- (٢٦٥) العيون والحدائق ، ص ٢٠-١ .
 - (٢٦٦) ن ٠٠٠ ، ص ٢١ .
 - (٢٦٧) تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١٢١٩ .
 - (٢٦٨) ص ٢١ .
 - (٢٦٩) التاريخ ، ج ٣ ص ٢٠٠ .
 - (٢٧٠) تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١٢٢٣ .
 - (٢٧١) ن ٠٠٠ ، ص ١٢٢٣ .
 - (٢٧٢) التاريخ ، ج ٣ ص ٢٠٠ .

بقين من شهر رمضان في هذه السنة » (٢٧٣) . ولما كان الشهر العربي بين ٢٨ يوما و ٣٠ يوما فيحتمل ان يكون تاريخ الاستيلاء ، وحسب رواية الطبري هذه ، يوم ١٨ رمضان او ١٩ رمضان او ٢٠ رمضان . اما المسعودي فانه لا يذكر اليوم ولا التاريخ ولا يحدد الشهر وانما جعله بين رمضان وشوال « وكان الفتح وأسر بابك فسي شهر رمضان وقيل شوال سنة ٢٢٢هـ » (٢٧٤) ويكرر ابو الفداء رواية الطبري « وافتتح الافشين البذ مدينة بابك واستباح ما فيها وذلك يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان » (٢٧٥) . ونتيجة لاختلاف المؤرخين في تحديد تاريخ سقوط البذ فان المراجع الحديثة « اختلفت ايضا في تحديد تاريخ الاستيلاء على مدينة البذ ، ففي الموسوعة الاسلامية (بالالمانية) نجد تحديد التاريخ بـ ١٨ رمضان ٢٢٢هـ / ٢٦ نيسان ٨٢٧م (٢٧٦) ، بينما حدد في الموسوعة الاسلامية (بالانكليزية) بـ ٩ رمضان سنة ٢٢٢هـ / ١٥ آب ٨٢٧م (٢٧٧) ، وقد اكتفى كل من تاريخ ايران (٢٧٨) وتاريخ آذربيجان (٢٧٩) بذكر شهر آب ٨٢٧م لتحديد تاريخ سقوط البذ . ونجد الدوري يأخذ بروايتي اليعقوبي والطبري رغم التفاوت بينهما « واخيرا كان الزحف العام على البذ يوم الخميس ٩ رمضان سنة ٢٢٢هـ وفتحت المدينة ودخلها المسلمون لعشر بقين من رمضان » (٢٨٠) ، بينما نجد يامبولسكي حدد تاريخ الاستيلاء على البذ بـ ١٨ رمضان ٢٢٢هـ / ٢٤ آب ٨٢٧م (٢٨١) وقد حدد بونياتوف تاريخ الاستيلاء على البذ بـ ٢٠ رمضان ٢٢٢هـ / ٢٦ آب ٨٢٧م (٢٨٢) .

ان رواية اليعقوبي لا يمكن اعتمادها لان يوم الخميس من شهر رمضان ٢٢٢هـ لا

(٢٧٣) تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١١٩٧ .

(٢٧٤) التنبيه والاشراف ص ٣٥٣ .

(٢٧٥) البداية والنهاية ، ج ١٠ ص ٢٨٣ .

(٢٧٦) م ١ ص ٥٦٩ .

(٢٧٧) م ١ ص ٨٤٤ .

(٢٧٨) ص ١٠٩ .

(٢٧٩) م ١ ص ١٢٤ .

(٢٨٠) العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٨ .

(٢٨١) وهو بهذا يطابق الطبري في اليوم الذي حدده لسقوط البذ ، انتفاضة بابك ، ص ٣٤ .

(٢٨٢) مقاله عن موقع مدينة وقلعة البذ ، مجلة المجمع العلمي الاذربيجاني ، العدد ٥ لسنة

١٩٥٩ ، ص ٢٠ ، وهو محق باعتبار رمضان ٣٠ يوما فعند طرح ١٠ يكون الاحد

المصادف ٢٦ آب ، أنظر كتابه ، اذربيجان ، ص ٢٦٣ ، وهنا اكتفى بـ ٢٦ آب ٨٢٧ م

ولم يشير الى التاريخ الهجري .

(٢٨٣) أخذ بهذه الرواية الدوري والموسوعة الاسلامية (بالانكليزية) .

يصادف ٩ رمضان / ١٥ آب (٢٨٤) وانما يصادف ١٠ رمضان / ١٦ آب حسب جداول يوسف اوربلي (٢٨٤) وان اليعقوبي لا بد وانه يعني الخميس السابق ليوم الجمعة (يوم الفتح) . واذا رجعنا الى جداول اوربلي لوجدنا ان شهر رمضان سنة ٢٢٢هـ يبدأ يوم الثلاثاء المصادف ٧ آب ٨٢٧م وينتهي في يوم الاربعاء ٣٠ رمضان (٢٨٥) المصادف ٥ ايلول ٨٣٢٧م ، وعلى هذا الاساس فان يوم ٢٠ رمضان هو يوم الاحد المصادف ٢٦ آب وهذا ما اخذ به بونيباتوف معتمدا على قول الطبري (لعشر بقين من رمضان) ولكن الطبري ذكر يوم الجمعة لعشر بقين من رمضان ، فاذا رجعنا الى الجداول وجدنا ان الجمعة تصادف يوم ١٨ رمضان ٢٤ آب وهذا ما اخذ به يامبولسكي معتمدا رواية الطبري ايضا ومعتبرا كالطبري شهر رمضان في ذلك العام ٢٨ يوما وليس ٣٠ يوما . ان قول الطبري يوم الجمعة لا يحتمل الشك ، ولما كان الطبري - حسب اعتقادنا - يعلم ان يوم السقوط هو ١٨ رمضان ، لهذا قال لعشر بقين من رمضان ظنا منه ان رمضان ٢٨ يوما . والصواب ان يقول في يوم الجمعة لاثني عشر يوما بقين من رمضان . وعلى هذا الاساس يمكن اعتبار يوم الجمعة ١٨ رمضان ٢٢٢هـ / ٢٤ آب ٨٢٧م تاريخ سقوط قلعة ومدينة البذ على يد الافشين .

(٢٨٤) جداول لتحويل السنوات الهجرية الى السنوات الميلادية ، موسكو ، ١٩٦١ ، ص ٥١ .
(٢٨٥) انظر جدول شهر رمضان لسنة ٢٢٢ ومطابقته لاشهر سنة ٨٢٧م في الملحق رقم - د - .

الفصل الخامس

حَياة بابل وآثار الانقراض
شبت بأسماء المصادر

من القضايا المعقدة في تاريخ الحركة البابكية معرفة حياة قائدها بابك من حيث مولده ونشأته واصله واهله والقادة الذين عمل معهم ، فالآراء متضاربة والاقوال فيها اختلافات واسعة نتيجة تحامل المؤرخين على الحركة ووصمهم اياها بكل ما هو شنيع ، ولأن بابك ولد في وسط معدم لا يأبه افراده بتاريخ ولادة اطفالهم . واقدم رواية كتبت عن بابك هي المنسوبة الى واقد بن عمرو التميمي (١) حيث اشار اليها ابن النديم « وعمل اخبار بابك » (٢) ، غير ان هذا المؤلف لم يصل الينا مع الاسف .

يرجع الدينوري اصل بابك الى ابي مسلم الخراساني حيث كتب عنه : « وقد اختلف الناس في نسبه ومذهبه والذي صح عندنا وثبت انه كان من ولد مطهر بن فاطمة بنت ابي مسلم هذه التي ينتسب اليها الفاطمية من الخرمية » (٣) ، اما الطبري فلا يشير الى هذا النسب بل يعتبر بابك من اصل وضع حيث ينقل رواية مصدرها محمد بن عمران كاتب علي بن مر يقول فيها ان عليا بن مر حدث كاتبه محمدا بأن رجلا من الصعاليك يقال له مطر قال له (اي لعلي بن مر) : « كان والله يا ابا الحسن (يعني عليا ابن مر) بابك ابني قلت : وكيف ؟ قال كنا مع ابن الرواد وكانت امه (بروميد) (٤) العوراء من علوج (فلاحين) ابن الرواد فكنت انزل عليها وكانت مصكة فكانت تخدمني وتغسل ثيابي فنظرت اليها يوما فواثبتها بشبق السفر وطول الغربة فأقررتني في رحمها ثم قال غبنا غيبة بعد ذلك ثم قدمنا فاذا هي تطلق فنزلت في منزل آخر فصارت اليي يوما فقالت : حين ملأت بطني تنزل ههنا وتتركني فأذاعت انه مني فقلت والله لئن ذكرتني لاقتلنك فأمسكت عني فهو والله ابني » (٥) . اما ابن النديم ، الذي اعتمد رواية واقد

-
- (١) الفهرست ، صفحة ٤٩٤ .
(٢) المرجع نفسه ، صفحة ٤٩٤ .
(٣) الاخبار الطوال ، صفحة ٣٣٨ .
(٤) جاء في الهامش «يومئذ» والكلمة غير واضحة ولا بد انها اسم أم بابك ، تاريخ الرسل ، المجلد ٣ الجزء ٢ الصفحات ١٢٣٢ ، يسميها بونياثوف (بارومند) تاريخ اذربيجان ، صفحة ٢٣٧ .
(٥) ٣م ج ٢ الصفحة ١٢٣٢ .

فيما كتبه عن بابك ، وعن الفهرست تناقلت المصادر (٦) والمراجع (٧) اخبار بابك ، يذكر في الفهرست : قال واقد (وكان ابوه رجلا من اهل المدائن - دهانا - نزع الى ثغر اذربيجان فسكن قرية تدعى بلال آباد من رستاق ميمد . وكان يحمل دهنه في وعاء على ظهره ويطوف في قرى الرستاق فهوى امرأة عوراء وهي ام بابك . وكان يفجر بها برهة من دهره فينما هي وهو منتبذان عن القرية ، متوحدان في غيضة ومعهم شراب يعتكفان عليه اذ خرج من القرية نسوة يسقين الماء من عين الغيضة فسمعن صوتا نبطيا يترنم به . فقصدن اليه فهجمن عليهما . فهرب عبد الله واخذن بشعر ام بابك وجئن بها الى القرية وفضحنها فيها . قال واقد : ثم ان ذلك الدهان رغب الى ابيها فزوجه منها فأولدها بابكا ثم خرج في بعض سفراته الى جبل سبلان واعترضه من استقفاه وجرحه فقتله فمات بعد مديدة » (٨) ، واخذ بهذه الرواية مع الايجاز والتحوير من تلا ابن النديم من المؤرخين والمؤلفين ، فالمقدسي كتب عن اصل بابك « ذكروا انه كان لغير رشدة وان امه كانت امرأة عوراء فقيرة من قرى اذربيجان فشغف بها رجل من نبط السواد يقال له عبد الله فحملت منه وقتل الرجل وبابك حمل » (٩) ، ويقول ابن الجوزي عنه « واصله انه ولد زنا » (١٠) . وقد ذكر المؤرخ فارदान « رجل من الفرس المسمى بساب (١١) الخارج من بغداد ٠٠ » (١٢) وينسبه المؤرخ السرياني ميخائيل الى ابي مسلم « وان اتباعه اعتبروه كملك وينتظرونه وهذا يعني انه المهدي المنسوب الى ابي مسلم الخراساني » (١٣) . وكتب تومارا عن بابك « من الممكن انه ولد ٧٩٨ - ٨٠٠ واسم ابيه كان عبد الله . كان عبد الله نبطيا من المدائن الاسم العربي الاصل عبد الله يشير الى انه كان مسلما . مات عبد الله تاركا زوجه وطفلين حسن وعبد الله الابن الاكبر

- (٦) يشير فلوكل الى ان الشهرستاني أهمل ذكر بابك - مقالة بابك صفحة ٥٣١ .
(٧) اعتمد ، تومارا ، بابك صفحة ٣٣ - ٤ ، ورايت مجلة العالم الاسلامي العدد ٢٨ لسنة ١٩٤٨ ، صفحة ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، على رواية الفهرست ، ولقد وردت لدى الخصري مشوهة (نشأ بابك بن بهرام بقرية تدعى بلال آباد من رستاق ميمتد ثم اتصل بجاويدان ابن سهرك ملك جبال البد ورئيس من بها من الخرمية) ، تاريخ الامم الاسلامية ، ط ٩ ص ١٩٧ ، ولا نعلم من اين اتى باسم بهرام والدا لبابك .
(٨) الفهرست ، ص ٤٩٤ .
(٩) البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٤ - ٥ .
(١٠) نقد العلم والعلماء ، ص ١٠٠ .
(١١) يسميه المؤرخون السريان والارمن (باب ، وبابان) بدلا من بابك .
(١٢) بازمافيب ، صفحة من تاريخنا في القرون الوسطى ، ص ١٥ .
(١٣) ن ٠٠ ، ص ١٤-٥ ، أنظر ذلك لدى المؤرخ ابن العبري (بار - أبروس) ن ٠٠ ، ص ٧٣ ، أنظر ليو ، تاريخ أرمينيا ، م ٢ ص ٤٢٧ .

حسن سمي بعدئذ بالتسمية الايرانية بابك » (١٤) ، ويذكر عنه مارغليوث (وتاريخه الخاص كتب بواسطة واقد بن عمرو التميمي الذي لوحظ في الفهرست ، وقد ترجم بواسطة فلوكس في ZDMGXXIII . هذا الكتاب يتفق مع الطبري الذي يعتبره خلفا لجاويدان . البغدادي (الفرق بين الفرق ، ص ٢٥٢) يؤكد ان اتباع بابك يجعلون مؤسس دينهم اميرهم الذي عاش قبل الاسلام المدعو شارون Sharwin الذي كان ابوه زندي Zandi (١٥) . بينما والدته كانت ابنة ملك فارسي . وهذا يظهر شكلا آخر لقصة ابن اسفنديار (ترجمة بروان ص ٢٢٧) ذلك ان شارون من بيوتات بابا Baw (الذي يسمى في الطبري شارون بن سورخاب بن باب Bab) على انه اول شخص يلقب بملك الجبال (١٦) . ويعتمد رايت رواية ابن النديم وينقلها بحذافيرها (١٧) . ويذكر بونياتوف (خلال عام توفي عبد الله فانطلقت برومند مع ابنها بابك الى سراب » (١٨) .

امامنا اذن ثلاث روايات حول اصل ومنشأ بابك . اولها رواية ترجع اصله الى ابي مسلم الخراساني وهذه الرواية التي اول من ذكرها الدينوري ، الذي لم يحاول المس بسمعة بابك وطعن نسبه بالرغم من اطلاعه على مختلف الروايات التي طعنت بابك ، ان هذه الرواية تستند على الآراء التي تعزو ظهور الخرمية الى مقتل ابي مسلم وظهور حفيده كمطالب بالتأثر لجدّه ، وقد اشرنا سابقا الى ضعف الآراء وبيننا ان الخرمية فرقة متطورة عن المزدكية وسابقة لعهد ابي مسلم . ورغم تأكيد الدينوري (والذي صحح عندنا وثبت) على صحة روايته فانه ، كما يرى ، يصعب الاخذ بها . وقد ردد هذه الرواية بشكل او آخر المؤرخون السريان والارمن فهم يذكرون مؤسس الخرمية جاويتان (جاويدان) ثم هارون ثم المهدي ، والذي هو بابان (بابك) ، وهذا الخلط العجيب تجده ايضا لدى الكاتب الارمني المعاصر ليو (١٩) . والرواية الثانية تجعل بابك ابنا غير

(١٤) بابك ، ص ٣٣-٤ . بينما تشير غالبية المصادر الى ان عبد الله خلف وراءه زوجته وطفلا واحدا وليس طفلين .

(١٥) هكذا وردت لديه . أما لدى البغدادي فقد وردت كآلاتي (والبابكية ينسبون أصل دينهم الى أمير كان لهم في الجاهلية اسمه شروين ، ويزعمون ان اياه كان من الزنج ، وأمه بعض بنات ملوك الفرس) ، الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٩ ، فهنا وردت الزنج بينما وردت لدى مارغليوث زندي Zandi وهناك فرق كبير ولا شك بينهما .

(١٦) الموسوعة الاسلامية المختصرة ، ص ٢٥٨ .

(١٧) مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٢٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ .

(١٨) آذربيجان ، ص ٢٣٦-٧ ، وقد أشار الى اختلاف المؤرخين في تسمية والد بابك .

(١٩) لاحظ أقوال فاردان ص ١٤ وميخائيل ص ١٤-١٥ (وبار - أبراس) ص ٧٢ في كتاب بازمافيب ، صفحة من تاريخنا في القرون الوسطى ، باللغة الارمنية ، أنظر أيضا ليو ، تاريخ أرمينيا ، م ٢ ص ٤٢٦-٧ .

شرعي لصعلوك اسمه مطر وقد ظل هذا الاب منكرا لابنه حتى ذاع صيته (بابك) فأسر هذا الصعلوك يوما عليا بن مر بأن بابك ابنه . هذه الرواية التي اوردها الطبري يتضح فيها طابع الاختلاق والطنع ويصعب الاخذ بها لان المصادر الباقية تشير الى ان والد بابك (والذي هو من العراق) توفي بعد زواجه من ام ابنه بابك وبعد ولادته بمدة قصيرة ، اثر طعنة قاتلة . فالطبري لم يذكر موطن هذا الصعلوك وقد اعتبره حيا حتى ذاع اسم بابك ، بينما نجد المقدسي الذي اعتمد روايتي الطبري وابن النديم حدد موطن الرجل وأشار الى مصرعه وذكر ان ذلك حدث قبل ولادة بابك ، ويشير المؤرخون الى ان عبد الله (نبطيا او ايرانيا ، من أهل العراق) وتجد ترديد اسم عبد الله وموطنه العراق في الادبيات المعاصرة ، ويثار هنا سؤال وهو : كيف يصح ان يكون اسم والد بابك عبد الله واسم أخيه الذي أسرمعه عبد الله ؟ ألا يكون ذلك تناقضا او اضطرابا في المصادر ؟ اعتقد انه من الميسور افتراض زواج ام بابك برجل ثان بعد مصرع زوجها الاول الذي ترك لها طفلا واحدا هو الحسن (بابك فيما بعد) ومن الزوج الثاني خلقت الآخرين حيث هناك عبد الله ومعاوية . ان تسمية الطبري لوالد بابك بمطر لا تعطي مسوغا لقبول روايته على انها أقرب للقبول على أساس ان رواية الفهرست التي تذكر اسم والد بابك عبد الله تناقض تسمية أخيه عبد الله .

أما الرواية الثالثة فتجعل بابكا اليتيم الابن الوحيد الشرعي لكاسب عراقي اسمه عبد الله . وهذه الرواية التي ينقلها ابن النديم عن واقد بالرغم من التشويش والطنع والمس بسمعة بابك فانها كما يرى اكثر الروايات قبولا لا لان الكثير من المصادر والمراجع اعتمدتها ولكنها تحوي وقائع اكثر احتمالا للصدق من الروايتين الاخريتين . اما أم بابك فلا تختلف الروايات على كونها امرأة فقيرة من فلاحات آذربيجان يسميها الطبري (بروميد) وتذكر المصادر على أنها عوراء فقيرة امتهنت حرفا عديدة كمرضعة وغسالة وخادمة لتربي ابنها اليتيم حسن (بابك فيما بعد) . يمكننا ان نتوصل على ضوء المصادر العربية بأن بابك الخرمي عراقي الاصل (من ناحية أبيه) آذربيجاني المولد والمنشأ وانه تربى ونشأ في أحضان الفقر وذاق مرارة العوز والفاقة وانحدر من فئة الكسبة وعاش وسط الفلاحين ، لهذا كان متفهما وشاعرا بأحاسيس ومشاكل مجتمعه ، أما عن أصله فالآراء متضاربة أيضا فهل هو من أصل عربي أم من النبط أم من الايرانيين الساكنين في العراق أم آذربيجاني ؟ أكثرية المصادر تشير الى ان والده من نبط العراق أو من نبط السواد أو المدائن ، الا ان الطبري لم يحدد أصله واكتفى الفهرست بقوله بأنه من أهل المدائن ، وهنا لا يمكن تحديد أصله ، لأن في المدائن كان يعيش السكان الاصليون (النبط) والايرانيون والعرب . أما الدينوري فيشير الى ان أصله من الايرانيين وهذه الرواية ضعيفة كما قلنا . وحتى يتم العثور على ما كتبه واقد التميمي ، والذي فصل فيه أخبار بابك كما يظهر من أقوال ابن النديم ، وعلى ما يعثر عليه من أخبار في صفحات

مطوية ، فانه من الصعوبة تحديد اصل بابك (عنصره) على ضوء ما لدينا من مصادر ، اما اعتباره اذربيجانيا من ناحية الام ، فان ذلك راجع لجهل المصادر لاصل والد بابك لان العادة الجارية ان ينسب الولد الى اصل والده ولا ينظر الى أمه فأولاد الاماء اعتبروا عربا ولو ان امهاتهم اجنبيات حتى لدى الامويين المتعصبين ، لان آباء هؤلاء من العرب • ولكن لا يعني هذا اننا لا نعتبر بابك اذربيجانيا من حيث الموطن والوسط الذي عاش فيه ، فهو قد عاش وسط المجتمع الاذربيجاني وكان يمت لهم بصلة من ناحية أمه ويشعر بشعور وأحاسيس الشعب الاذربيجاني ولا يستبعد ان والدته قد اطلعت على اصل والده وموطنه الاصلي غير ان ذلك لم يخلق لديه شعورا وتحسسا نحو اصل وموطن والده كالشعور والتحسس الذي تولد لديه نحو موطنه وابناء الشعب الاذربيجاني •

واما محل ولادة وسكنى بابك فالاراء متضاربة أيضا اذا لم يحدد محل سكنى والدة بابك وان اتفق الجميع على انها من اذربيجان ، فابن النديم ينفرد بتحديد سكنها في قرية بلال آباد في رستاق ميمد بينما يعتبرها الطبري من سكان منطقة تبريز ، لأنه ذكر بأنها كانت من علوج ابن الرواد ، وابن الرواد كان ينزل تبريز كما يذكر البلاذري (واما تبريز فنزلها الرواد الأزدي ثم الوجناء بن الرواد وبنى بها وأخوته بناء وحصنها بسور فنزلها الناس معه) (٢٠) • ولهذا لا يمكن تحديد المكان الذي قضى فيه بابك طفولته وردحا من شبابه وذلك لانه نشأ يتيما (٢١) معدما لا يعنى بمولده ومنشأه أحد • واما لغته فهي الآذرية ، يقول اليعقوبي : (وأهل مدن آذربيجان وكورها أخلاط من العجم الآذرية والجاودانية القدم أصحاب مدينة البذ التي كان فيها بابك ثم نزلتها العرب لما افتتحت) (٢٢) ، واما ابن حوقل فلا يذكر الآذرية وانما يعد العربية والفارسية فقط من اللغات الموجودة في آذربيجان وأرمينيا (فأما لسان أهل آذربيجان وأكثر أهل أرمينية فالفارسية والعربية) (٢٣) ، ويشير ابن النديم الى ما يفهم منه بأن أم بابك كانت تفهم النبطية (لغة سكان العراق القدماء) (٢٤) ، ويذكر في مكان آخر (وناطقه « يشير الى اتصال جاويدان ببابك » فوجده على رداءة حاله وتعد لسانه بالاعجمية فهما ورآه خبيثا) (٢٥) • وأما ياقوت الحموي فيقول عن أهل آذربيجان : (ولهم لغة يقال لها الآذرية لا يفهمها غيرهم) (٢٦) • ولقد أشار مينورسكي عند كلامه عن

(٢٠) فتوح البلدان ، ص ٣٣٠ •

(٢١) يتيما حسب رواية ابن النديم والمقدسي ، وأما رواية الطبري فتعتبر بابك غير يتيم حيث ظل مطر والد بابك عائشا حتى عرف بابك ، وهذه الرواية ضعيفة كما قلنا •

(٢٢) البلدان ، ص ٢٧١ •

(٢٣) المسالك والممالك ، ص ٢٥٠ •

(٢٤) الفهرست ، ص ٤٩٤ •

(٢٥) ن ٢٠٠ ، ص ٤٩٥ •

(٢٦) معجم البلدان ، ج ١ ص ١٢٨ •

لغات ولهجات آذربيجان الى وجود الآذرية : (ويتكلمون العديد من اللهجات « آذرية تاليشي Talishi ») (٢٧) التي بقي قسم منها كجزر عائشة وسط متكلمي التركية ، هذه هي القاعدة التي اعتمد عليها بآبك في انتفاضته ضد الخلافة (٢٨) ، اذن فلغة بآبك الاصلية هي الآذرية ويعرف الفارسية والعربية ، ومعرفته للفارسية يمكن استخلاصها من رواية ابن النديم (وتعتقد لسانه بالاعجمية) ، وأما معرفته للعربية فبحكم اشتغاله أثناء طفولته مع سادة عرب فقد عمل حسب رواية واقد مع (الشبل بن المنقي الأزدي برستاق سراة) (٢٩) ، واشتغل مع محمد بن الرواد الأزدي نحو سنتين في تبريز (٣٠) ، لقد قضى بآبك طفولته وردحا من شبابه في أعمال جسمانية مرهقة بعيدا عن والدته ثم عاد اليها وسكن معها بعد بلوغه الثامنة عشرة من عمره ثم التحق بجماعة جاويدان الخرمية . اما ديانته فقد كان مسلما قبل ان ينضم الى الخرمية حيث تخلى تدريجيا عن الاسلام .

اتصال بآبك بالمقادة الخرميين :

تشير المصادر الى وجود خصومات فردية بين قادة الخرمية السابقين لرئاسة بآبك ، وكان للضربة القوية التي وجهت للخرميين أيام هارون الرشيد من أثر في تفكك وحدة الخرميين وضعفها ، وقد أشار ابن النديم الى ان جاويدان كان يحاذر من عقد اجتماع موسع للخرمية خشية شر العرب (٣١) ، فكانت الخرمية ضعيفة منقسمة الى جماعات حتى أخذنا نسمع وحسب أقوال المؤرخين الى وجود قائد باسم أبي عمران وآخر جاويدان وكانا متنازعين تقوم الحروب بينهما ، يقول ابن النديم حسب رواية واقد : (وكان بجبل البذ وما يليه من جباله رجلان من العلوج متحرمين (٣٢) ولهما جدة وثروة وكانا متشاجرين في التملك على من بجبال البذ من الخرمية ليتوحد احدهما بالرياسة يقال لأحدهما جاويدان بن سهرك والآخر غلبت عليه الكنية يعرف بأبي عمران

(٢٧) أشار مينورسكي في الهامش الى (الآن مثل هذه اللهجات عادة تسمى شمالية غربية ومن المحتمل انها تكمل التقاليد الميدية كمناض للتقاليد (الجنوبية) الفارسية ، واعتمادا على ابن حوقل ٢٤٩ (باعثناء كريم ج ٢ ، ٣٤٧) فيما جاور جبل سيلان Sablan (سافالان Savalan) قرب أردبيل كل قرية امتلكت لهجة خاصة ، دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ١١٢ - ٣ .

(٢٨) ن ٣٠٠ ، ص ١١٢-٣ .

(٢٩) الفهرست ، ص ٤٩٤ .

(٣٠) ن ٣٠٠ ، ص ٤٩٥ .

(٣١) ن ٣٠٠ ، ص ٤٩٦ .

(٣٢) يسمى ابن النديم الخرمية بحرمة (بالحاء دون الخاء) ولا بد ان ذلك تحريف للكلمة .

وكانت تقوم الحرب بينهما صيفا وتحول بينهما الثلوج في الشتاء لانسداد العقاب (٣٣) فاذن كان هناك خصام وحروب مستمرة ويظهر ان هؤلاء كانوا منصرفين لاعمالهم وأشغالهم أكثر من انصرافهم لشؤون الانتفاضة الخرمية أو ان الاطماع الشخصية كانت طاغية لديهم بحيث دفعت بهم الى شن الحرب بعضهم ضد بعض ويتضح انصرافهم الى الاعمال الخاصة من ان جاويدان بن سهرک (حسب رواية ابن النديم (٣٤) أما الطبري فيسميه جاويدان بن سهل (٣٥) والمسعودي جاويدان بن شهرک (٣٦) وابن الاثير يسميه جاويدان بن سهل (٣٧)، وفي المصادر الارمنية (٣٨) والسريانية (٣٩) جاويتان بن سهل أو سحل (ذهب مرة الى زنجان لبيع هناك ٢٠٠٠ شاة له ، وعند عودته تعرف على بابک ، وتصف الرواية العربية هذا اللقاء بأن جاويدان بعد ان عاد من زنجان مر ليلا بقرية أم بابک (كان بابک يبلغ الثامنة عشرة) (٤٠) فنزل مع غلمانه لديها فهيأت لهم بمساعدة بابک ما استطاعت تهيئته وقام بابک ، بنشاط ملحوظ ، في خدمة جاويدان فأعجب جاويدان به لذكائه وبراعته وعرض على والدته بابک موافقتها في استخدامه بمرتب قدره ٥٠ درهما شهريا (٤١) ، هكذا تصور الرواية العربية اتصال بابک بالخرمية صحيح ان بابک كان فقيرا معدما وكان مرغما على القيام بمختلف الاعمال لمساعدة والدته ومنها الخدمة لدى الاغنياء ولكن رواية اتصال بابک بالحركة الخرمية وبرئيسها جاويدان على تلك الصورة لا يمكن قبولها ، لأنه 'عقب اتصال بابک بجاويدان تعرض الاخير لطعنة قاتلة في احدى حروبه مع أبي عمران (الذي قتل هو الآخر في تلك المعركة) وبعد وفاة القائد جاويدان انتخب الخرمية بابک رئيسا لهم . فكيف يا ترى تيسر للخرمية اكتشاف المواهب والميزات العظيمة لدى خادم يافع حديث العهد بخدمة رئيسهم ؟ لكي ينتخبوه خلفا لرئيسهم الراحل هل اجدت الخرمية الى ذلك القدر وبحيث استعصى عليها ان تجد ضالتها المنشودة بين رجالها البارزين حتى راحت تفتش عن الخدم ؟ هنالك احتمالات للقضية اما ان بابک عمل في خدمة سيده مدة طويلة واكتسب احترام وثقة جاويدان وأهله والمقربين اليه ورؤساء الخرمية ، واما ان بابک عمل مع الخرمية كعضو بارز في الفرقة ساهم في فعاليتها بنشاط وتحمس مما جلب الانتباه اليه وكان في مركز أرفع من خادم ، وهذا الاحتمال الاخير هو المقبول بنظري لأن اتصال بابک (حسب الروايات) بخدمة جاويدان كان قصيرا لا يتيح الفرصة لكسب الثقة والاحترام لخادم يافع ولهذا يستبعد انتخاب الخرمية لخادم شاب مع احتمال وجود من

(٣٣) الفهرست ، ص ٤٩٥ .

(٣٤) ن.م. ، ص ٤٩٥ .

(٣٥) تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١٠١٥ .

(٣٦) مروج الذهب ، ج ٤ ص ٢٩ .

(٣٧) الكامل ، ج ٥ ص ١٨٤ .

(٣٨) أنظر الهامش رقم ١٩ الفصل الرابع .

(٣٩) أنظر الهامش ١٩ الفصل الرابع .

(٤٠) وذلك سنة ٢٠١ هـ ٨١٦ م .

(٤١) الفهرست ، ص ٤٩٥ .

هم أعلى منه مركزا وشانا، ومهما يعزو ابن النديم لزوجة جاويدان الشابة من دور في تفضيل بابك على غيره على أساس انه كان عشيقها - حسب مزاعمه من أجل الطعن وتشويه السمعة - فان ذلك لا يعطي مبررا لتخطي مساعدي جاويدان والرؤساء الذين كانوا يعملون معه وانتخاب غلام حديث العهد بخدمة رئيسهم ، اذن ، لا بد وان بابك قد انضم الى فرقة الخرمية كفرد مساهم في نشاطاتها وأعمالها (على ضعفها في ذلك الحين) تحت قيادة جاويدان وان الأخير وجد (أثناء الحروب وفي الحياة العامة) في الشاب المتحمس من القابلية والشخصية ما يؤهله لقيادة الفرقة ولا بد وانه أسر بذلك الى خلسائه ومن بينهم زوجته الشابة ، فلما مات من جرحه البليغ دعت زوجته الى انتخاب بابك حسب وصية زوجها الراحل ولاقت هذه الدعوة استحسان الجميع لما عهدوا في بابك من الاهلية لذلك ولما سبق وان سمعوه من رئيسهم جاويدان من اطراء لشجاعة واقدام وقابلية بابك للرئاسة .^٥ قد يقال بأن في حروب القرون الوسطى كان العبيد والخدم يحاربون مع أسيادهم (٤٢) وهذا صحيح ولكن هذا لا يبرر سرعة انتخاب الخرمية لخدام ، ان وصية جاويدان لانتخاب بابك من بعده لتتفي رواية استخدام جاويدان لبابك لان جاويدان وزوجته وبقية الخرمية لمسوا شدة بأس وجراءة واقدام بابك وحسن تصريفه للامور وهذه تلمس في الحروب والاعمال العامة وقلمما تكتشف في الخدمات الخاصة التي يقدمها الخدم .

زوجات بابك :

ترد بين دفات المصادر أسماء أو ذكر لزوجات بابك، فالطبري يذكر عن هرب بابك: (فخرج هو وأخواه عبد الله ومعاوية وأمه وامرأة له يقال لها ابنة الكلندانية) (٤٣) ، ولدينا قصة واقعة عن زواج بابك بأرملة رئيس الخرمية الشابة (٤٤) . فمن هاتين الروايتين يفهم على ان بابك باشر الحياة الزوجية بامرأة واحدة وانتهى ولديه زوجة واحدة ولكن هنالك روايات تفيد بوجود زوجات عديدات لدى بابك فهل كان يباشر تعدد الزوجات ؟ أم كان يعاشر زوجة واحدة ؟^٦ الطبري يذكر ما يفهم منه وجود زوجات

(٤٢) هكذا كان المؤلف حسب قوانين القرون الوسطى ، لاحظ اشارة ولها وزن حول استخدام

العرب للموالي ، الدولة العربية ، ص ٢٠٠ .

(٤٣) تاريخ الرسل ، م ٢ ج ٢ ص ١٢٢١ ، ويقول بونياتوف (من الواضح ان ابنة الكلندانية

ربما كانت ابنة فاساك أمير سونيك التي تزوجها بابك بعد مساعدته لفاساك ضد العرب،

فيعد أن حطم بابك العرب في ٨١٨ م أخذ بابك أبنته (فاساك) ومد سلطنته على هذه

المنطقة (سونيك) وهذه هي التي أغرته على الهرب عبر موطنها الى بلاد بيزنطة ،

أنريجان ، ص ٢٦٦ ، أنظر مينورسكي ، دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ٦٩ .

(٤٤) الفهرست ، ص ٤٩٦ .

عديدات عند تفسيره لقول سهل بن سنباط لبابك (وكل من ههنا (في أرمينيا) من البطارقة انما هم أهل بيتك قد صار لك منهم أولاد) (٤٥) فهو يفسر قول سهل هذا ، هكذا : (وذلك ان بابك كان اذا علم ان عند بعض البطارقة ابنة أو أختا جميلة وجه اليها يطلبها فاذا بعث بها اليه والا بيته وأخذها وأخذ جميع ما له من متاع وغير ذلك وصار به الى بلده غصبا) (٤٦) ، ان تفسير الطبري لقول سهل بن سنباط يشم منه رائحة الطعن اذ لا يعقل زواج بابك من كل بنات أو أخوات البطارقة ورؤساء الارمن وانما أشار سهل الى زواج بابك من ابنة سافاك وبهذه الصورة اعتبره الارمن قريبا لهم ولربما كان لزواج بابك ببعض بنات وأخوات البطارقة في فترات متفاوتة خلال الاعوام العشرين وعلى انفراد وليس بصورة مجتمعة . هذا التفسير من جانب الطبري قد أوحى للكثيرين بأن لدى بابك كان الكثير من الزوجات ، يذكر كورديان في (بازما فيب) عن زوجة باباك التي هربت معه (ومع واحدة من زوجاته الخالندانية « الكلندانية ») (٤٧) ويقول عنها أيضا : (لم يذكر ابن خلدون عنها أي شيء ولم يسمها الطبري . فمن كانت هي من بين زوجات بابك الكثيرات التي نالت ذلك الشرف . ممكن التفكير بأن هذه الابنة الخالندانية (الكلندانية) يمكن أن تكون ابنة سافاك التي تزوجها بابك والتي أيدت مساعدتها لزوجها في انقاذه ٠٠) (٤٨) لا يمكن التصديق بأن بابك قد جمع لديه ذلك الحشد من الزوجات كما يصوره الطبري في تفسيره لقول سهل ، وذلك لان الخرميين كانوا يدعون الى الاكتفاء بأمرأة واحدة وذلك بموجب دعوتهم لاحترام مركز المرأة ، يقول تومارا : اننا لم نواجه مشاعية النساء طيلة تاريخ الحركة الخرمية بل على العكس شاهدنا حتى القادة كانت لكل واحد منهم زوجة واحدة) (٤٩) ، كما

(٤٥) تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١٢٢٣ .

(٤٦) ن ٠ م ، ص ١٢٢٣ .

(٤٧) مجلة بازما فيب ، بابك وسهل بن سنباط ، صفحة من تاريخنا في القرن التاسع ، ص ٩ ،

هل هناك علاقة بين تسمية كورديان لآخر زوجات بابك بالخالندية وبين الدولة الكردية الخلدية (نسبة الى الهم القومي) والتي تعرف بالدولة الأاراتية (نسبة لموقعهم الجغرافي في منطقة أرارات - أراراتو) أيضا ، لا سيما وان اراضي الامير فاساك الذي تعاقد مع بابك في نفس منطقة الدولة الخلدية التي ظهرت في القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد (٨٨٣ ق م - ٧١٤ ق م) التي عاصرت الدولة الاشورية من عهد الملك الاشوري آشور ناصربال الى الملك الاشوري سرجون الثاني الذي غزا الدولة الخلدية وقضى عليها الى الابد عام ٧١٤ ق م . فهل كان فاساك منحدرا من أسرة تمتد جذورها الى الخلديين الاكراد حتى يطلق على ابنته : ابنة الخالندانية ؟

(٤٨) ن ٠ م ، ص ٢٠ .

(٤٩) وردت الكنتات محرفة عند الخضري على شكل (الكتاب) ، تاريخ الأمم الاسلامية ، ط ٩

ص ١٩٩ .

وان الحوادث تشير الى ان بابك هرب مع زوجة واحدة وليس مع زوجات ، قد يقال بانها المفضلة ولكن لم لم يشير الى البقية حتى ولو بحرف واحد ؟ فعند ذكر المطبري للأسرى من عائلة بابك بقوله : (وعدة من صار في يد الأفشين من بني بابك سبعة عشر رجلا ومن البنات والكنات (٤٩) (زوجات الابناء او الاخوة) ثلث وعشرون امرأة) (٥٠) ، قد أشار الى بنات بابك وبنات اخوته وأولاده وزوجات أخوة بابك وابنائهم ولم يشير الى زوجات بابك وإنما سبق وأن أشار الى أسر زوجة بابك ابنة الكلدانية مع والدته، وهذا يعني وجود امرأة واحدة لدى بابك في أيامه الأخيرة .

هروب بابك :

اضطر بابك بعد سقوط البذ الى الهرب وسلك وادي هشتادسر المكتظ بالأدغال وقد هرب معه أخواه عبد الله ومعاوية (٥١) وأمه وزوجته و غلام له وبعض خاصته ولما علم الأفشين بافلات بابك شدد الحراسة على المسالك والطرق المؤدية للغيضة التي التجأ اليها الفارون فقد كان الأفشين يخشى من لجوء بابك الى مكان أمين منيع يستعيد فيه قواه ويجدد نشاطه ويعود فيهدد الخلافة بالخطر (٥٢) ولهذا حرص على أن لا يفلت من قبضته فأرسل الكتائب العديدة (٥٣) وكتب الرسائل الى جميع الجهات (٥٤) ، ووعد بالمبالغ الطائلة (٥٥) . ولما كاد الزاد يفنى لدى بابك ورهطه في الغيضة صمم بابك على اختراق الطوق المضروب عليه فاجتاز مسلكا خلوا من الحراس لتطرفه وقلة المياه فيه فعبره مسرعا غير ان هروبه قد انكشف بعد هنيئة من قبل بعض المراقبين الذين كانوا يراقبون ذلك المسلك من بعيد فأخبروا بأنهم رأوا جماعة يغادرون الغيضة ووصل الخبر الى الجند فانطلقوا في اثرهم وكان على رأس الجند ابو الساج (٥٦) فأدركوهم واسروا معاوية وام بابك وزوجته واقلت بابك واخوه عبد الله و غلام لهم واجتازوا

(٥٠) تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١٢٣٣ .

(٥١) يقول رايت عن معاوية ، الذي هو اخو بابك ، بأنه احد جنرالاته ، وهذا التباس وقع فيه ولا شك ، مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٥٢ .

(٥٢) أنظر المسعودي ، مروج ، ج ٤ ص ٥٦ .

(٥٣) قدرها المطبري بـ ١٥ كتيبة ، م ٣ ج ٢ ص ١٢١٩ ، ويقول رايت بأن الأفشين أرسل ٥٠٠٠ رجل على شكل جماعات في كل جماعة ١٠٠ أو ٢٠٠ للبحث في المسالك ومراقبة الهاربين ، مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٣٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٥٢ .

(٥٤) الدينوري (وقد كان الأفشين كتب الى أصحاب تلك النواحي والى الاكراد بأرمينية والبطارقة بأخذ الطرق عليه ، الاخبار الطوال ، ص ٣٤٠ .

(٥٥) اليعقوبي ، وضمن لمن جاء به ألف ألف درهم والصفح عن بلادهم ، التاريخ ، ص ٢٠٠ .

(٥٦) يسميه ابن خلدون : (أبا السفاح) ، العبر ، ج ٣ ص ٢٩١ ، وهذا تحريف ولا شك .

الحدود الى أرمينيا (٥٧) . ورد أمان الخليفة لبابك في الفترة التي كان فيها مختبئاً في الغيضة ، فبعثه الافشين مع اثنين من البابكية الاسرى لديه وقد أرفقه بكتاب من ابن بابك لابيه يناشده الرضوخ والانصياع للامر الواقع وقد خاف الجميع عدا هذين الاسيرين من توصيل كتاب الأمان والرسالة الى بابك لما يعلمونه من أنفته ، فقد وافقا على نقل الامان الى بابك في الغيضة بعد ان وعدهما الافشين بتأمين عيش ذويهما ، ولقد أوصلا الأمان والرسالة الى بابك ، الذي تأثر جدا من انهيار ابنه الاسير ، ورفض الأمان واجاب ابنه بتوبيخ شديد (٥٨) . ويعتقد رايت بأن الامان قد وصل ولما يمض على هروب بابك اكثر من عشرة أيام . سلك بابك طريقه في الهرب عبر أرمينيا متجها نحو الشمال ويشير قسم من المصادر الى انه كان يروم الذهاب الى بلاد الروم ، فالدينوري يقول : (توجه الى أرمينية وسار حتى عبر نهر الترس متوجها الى الروم) (٥٩) ، ويذكر الطبري ان سهل بن سنباط سأل بابك عن وجهته فأجابته (قال اريد بلاد الروم او موضعا سمناه) (٦٠) ، ويقول ابن العبري (فلما ضاق أمره خرج هاربا ومعه أهله الى بلاد الروم) (٦١) . فهل يا ترى فكر بابك باللجوء الى امبراطور الروم علته يجد لديه بارقة من أمل في معاودة نشاطه بعد ان يلم شعثه ؟ ولكن لم أتجه شمالا عبر سونيك ولم يسر غربا نحو بيزنطة ؟ قد يقال بأن المطاردة أجبرته ان يسلك هذا الطريق ، ولكن بعد أن عبر نهر أراكس وأمن الطرد لماذا استمر شمالا أيضا ؟ قد يقال ان زوجته أوحث اليه بالامان الذي يلاقيه عند السونيكيين لو وصل اليهم ؟ ولكن بابك اجتاز القسم الشرقي من سونيك ولم يسر غربا بل سار شمالا ودخل مقاطعة أران حيث وقع في أراضي سهل بن سنباط . يخيّل الي بأن بابك لم يفكر جديا في موضوع اللجوء الى بيزنطة والاعتماد على امبراطورها تيوفيل وانما كان يريد اللجوء الى مكان أمين يخفي فيه ويكون قريبا من اتباعه الذين تبعثروا ونستدل على ذلك من تجاهل العديد من المصادر (٦٢) لذكر الروم أو اللجوء الى امبراطور الروم ومن أقوال بابك وآماله في معاودة النضال والاهتمام بشؤون فرقة الخرمية فقد جاء على لسان بابك بأنه لا يحبذ بقاء اخيه عبد الله معه في قلعة سهل بن سنباط اذ قال له : (ليس يستقيم ان أكون أنا وأخي في موضع واحد فلعله ان يعثر بأحدنا فيبقى الآخر ولكن أقيم عندك أنا ويتوجه عبد الله

(٥٧) العيون والحدائق ، ص ٢١-٢٠ .

(٥٨) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١٢٢٠-١٠ .

(٥٩) الاخبار الطوال ، ص ٣٤٠ .

(٦٠) تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١٢٢٣ .

(٦١) تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٤١ . ويأخذ بهذه الاقوال جوزي ، من تاريخ الحركات ، ص

١١٣ والدوري ، العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٥ .

(٦٢) لم يذكر اليعقوبي والمسعودي وابن النديم وصاحب العيون والحدائق موضوع اللجوء الى بيزنطة .

أخي الى ابن اصطفانوس لا ندري ما يكون وليس لنا خلف يقوم بدعوتنا (٦٣) فنرى تأكيده على الاستمرار في الدعوة ويقول يامبولسكي (وهذا يعني انه لم ينفض فكرة استمرار النضال في ذات الموضوع الذي حارب من أجله الخرميون بتقان) (٦٤) . لهذا فان تفكير بابك في اللجوء الى الروم لم يكن واضحا أو لم يكن ليحظى باهتمامه بصورة رئيسية ولا سيما وقد تباطأ الامبراطور تيوفيل ولم يصغ الى استنجاذه بالضغط على المسلمين من ناحية ليخفف من شدة الحملة على بابك ويتضح كذلك من ذكر بابك لاسم محل آخر غير بلاد الروم في جوابه لسهل بن سنباط ويعتقد يامبولسكي ان بابك لم يذكر بلاد الروم امام سهل الا تملصا من الجواب (٦٥) .

اجتاز بابك الحدود الأذربيجانية الارمنية بعد عبوره نهر أراكس في نقطة التقائه برافده نهر كيرخسو ودخل أراضي سونيك من طرفها الشرقي ولكنه لم يلبث في مقاطعة سونيك رغم وجود حلفائه (٦٦) فيها ولكنه غادرها الى أرآن حيث بلغ أراضي سهل بن سنباط صاحب قلعة شاكي (٦٧) Waku وهناك تعرف عليه ابن سنباط الارمني بعد ان أعلمه أتباعه بوجود بابك وأخيه وغلّامه ، وبخطة بارعة في التمويه والخداع استطاع سهل أن يقنع بابك بالذهاب معه الى قلعته والاختفاء فيها وكان ابن سنباط من الأمراء الارمن الذين سبق وأن تحالفوا مع بابك ولكنهم أنجزوا بعد تغير الموقف وشاهدوا رجحان كفة الخلافة الا ان سهلا (المستلم رسالة مغربية جدا من الافشين) أخفى نواياه عن بابك وأظهر انه لا يزال على موقفه السابق من السلطة وبهذا استدرج بابك الى النزول في قلعته وسار بابك معه وهو غير مطمئن على سلامته فقد أصر على أن ينزل هو لدى سهل ويذهب أخوه عبد الله الى عيسى بن اصطيفانوس صاحب قلعة كتيش (٦٨) في البليقان وكان بابك يثق به ، وكان سهل يحاول ان يثني بابك عن رأيه ويهون لديه الامر الا ان بابكا أفهمه بخطورة بقائهما في محل واحد (٦٩) وهكذا غادر

(٦٣) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١٢٢٤ .

(٦٤) انتفاضة بابك ، ص ٣٦ - ٧ .

(٦٥) ن ٠ م ، ص ٣٦ .

(٦٦) أنظر ليو ، تاريخ أرمينيا ، م ٢ ص ٤٣٦ .

(٦٧) جوزي ، من تاريخ الحركات ، ص ١١٣ ، يرى بونياتوف ان قلعة شاكي العائدة لسهل بن سباط تقع في القرية التي تحمل نفس الاسم ، شاكي (في مقاطعة سيسيان الارمنية السوفياتية) وليس في مدينة نوخا الأذربيجانية السوفياتية ، معلومات جديدة عن موقع قلعة شاكي ، مجلة المجمع العلمي الأذربيجاني ، العدد ٩ لسنة ١٩٥٩ ، ص ٨٧١ .

(٦٨) بونياتوف ، ن ٠ م ، ص ٨٦٩ - ٨٧٠ ، وذكرت القلعة في تجارب الامم المحق بكتاب

العيون (كبيش ، وفي الهامش كيس ، كيش ، كيش) ، ص ٥٤٨ .

(٦٩) انظر هامش الفصل الرابع رقم ٦٣ .

عبد الله في اليوم الثاني قلعة شاكي وتوجه الى ابن اصطيافانوس . أما ابن سهل فلم يتوان حيث أخطر الافشين بوجود بابك لديه واتفق الطرفان بعد تأكد الافشين من الخبر على ارسال قوة تسير حسب مشورة ابن سنباط لالقاء القبض على بابك وقد أبلغ سهل القائدين اللذين بعثهما الافشين على رأس القوة وهما أبو سعيد وبوزيارة (٧٠) أبلغهما سهل بأنه يفضل اللقاء القبض على بابك خارج قلعته ويامبولسكي على صواب حين يعمل سبب ذلك (بأن سهلا كان يخشى من بطش الخرمية ان هو سلم بابك في قلعته) (٧١) . وكان ان دبر سهل الخروج الى الصيد وعرض فكرة الخروج على بابك الذي وافق دون تردد بعد أن ذكر له سهل أهمية التنزه والتخلص من جو القلعة الذي يدعو الى السأم وكان قد بعث برسله الى أبي سعيد وبوزيارة يعلمهما عن خروجه مع بابك في اليوم التالي وعين لهما الوادي الذي سيكونان فيه وطلب منهما أن ينقضا عليهما من سفحي الجبل المشرف على الوادي ويقبضا عليهما وقد نفذت خطة سهل بحذافيرها غير ان بابك قد عرف في آخر لحظة خيانة سهل حيث بادره بالقول عند القبض عليه انما بعثني لليهود (يقصد المسلمين) بالشئ الميسر (٧٢) . أراد سهل ان يظهر الحادثة وكأنما وقعت صدفة ولكنها لم تتطل على بابك . وكوفي سهل على ذلك حيث أنعم عليه بالامارة (البطرقه) وأعفيت بلاده مما عليها من واجبات ومنح مليون درهم ومنطقة مغرقة بالجوهر (٧٣) . أقتيد بابك أسيرا وأوصل بحراسة شديدة الى الافشين بمعسكره في برزند ، واذا أخذنا برواية الطبري (٧٤) فإن وصوله الى الافشين يكون يوم السبت ١٠ شوال ٢٢٢ هـ المصادف ١٥ ايلول ٨٢٧ م ، فتكون المدة بين هروبه ووصوله الى الافشين اقل من شهر ، وان دل هذا على شيء فانما يدل على شدة اهتمام الافشين بأمر اللقاء القبض على بابك ، والى اي مدى كان تأثير الوعيد والاعراء قويا ! اعلم الخليفة بالامر بأسرع وقت ويشير السعودي الى استخدام الحمام الزاجل لذلك الغرض (٧٥) . وكان

(٧٠) الطبري، تاريخ الرسل، م ٣ ج ٢ ص ١٢٢٥، يسميه السعودي (يوماده) المروج، ج ٤ ص ٥٦ .

(٧١) انتفاضة بابك ، ص ٣٧ .

(٧٢) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١٢٣١ .

(٧٣) ن ٢٠٠ م ، ص ١٢٢٢ ، انظر أيضا بارتولد، المؤلفات، المجلد الثاني القسم الاول (بالروسية)،

موسكو ، ١٩٦٢ ، ص ٦٨١-٢٠٠ .

(٧٤) تاريخ الرسل ، ويقول : (وكان وصول بابك الى الافشين ببرزند لعشر خلون من شوال

(سنة ٢٢٢ هـ) بين بوزباريه وديودان) م ٢ ج ٢ ص ١٢٢٨ ، وديودان هو أبو الساج ،

ويعتبر المقدسي (المطهر) تاريخ اللقاء القبض على بابك يوم الجمعة ١٤ رمضان سنة

٢٢٢ هـ ، البدء والتاريخ ، ج ٦ ص ١١٨ ، وهو مخطئ ولا شك ان بابكا قد أعدم قبل

هذا التاريخ ، انظر أوربلي ، يوسف ، جداول لتحويل السنوات الهجرية الى السنوات

الميلادية ، ص ٥١ .

(٧٥) المروج ، ج ٤ ص ٥٦ ويشير حتي ، فيليب ، الى أن أول ذكر لاستخدام الحمام الزاجل ورد

←

للخبر وقع عظيم لدى الخليفة والخاصة لزوال ذلك الخطر الجسيم ولدى سكان العاصمة الذين اكتوى ذوهم بنار الانتفاضة وفقدوا الكثير من اهلهم في معاركها ، فكان يوما مشهودا - كما تصف المصادر - او عيدا كبيرا ، ضج الناس فيه بالتكبير ، وكتب الخليفة الى الامصار معلنا فرحته بالانتصار ولأجل بعث الثقة واعادة الهيبة لسمعة الخلافة المتداعية . ان استقبال الخبر بذلك الوقع وبذلك الصورة ليدلان على عظم جسامه خطر الانتفاضة البابكية على الخلافة (٧٦) . ولما استلم الافشين بابكا بمفرده علم بأن عبد الله لا يزال طليقا وهو لدى عيسى بن اصفيفانوس (يسميه الطبري : عيسى بن يوسف المعروف بابن اخت اصفيفانوس ملك البيلقان (٧٧) ، وفي المصادر الارمنية يعرف بـ ياي ابو موسى) (٨٧) ، فأرسل الافشين الى عيسى يأمره بإرسال عبد الله اليه فبعثه اليه ، وللمسعودي رواية اخرى عن اسر بابك لا تحتل التصديق وتحتوي كثيرا من الطرف قد ضللت بعضا من المؤرخين والمؤلفين يقول فيها : « وقال له : ايها الملك ، قم الى قصرك الذي فيه وليك وموضع يمنعك الله فيه من عدوك فसार معه الى ان اتى قلعتي واجلسه على سريرته ورفع منزلته ووطأ له منزله ومن معه وقدمت المائدة وقعد سهل يأكل معه فقال له بابك بجعله وقلة معرفته بما هو فيه وما دفع اليه : امثلك يأكل معي ؟ فقام سهل عن المائدة وقال : اخطأت ايها الملك ، وانت احق من احتل عبيده ، اذ كانت منزلتي ليست بمنزلة من يأكل مع الملوك ، وجاءه بحداد ، وقال له : مد رجلك ايها الملك واوثقه بالحديد فقال له بابك اغدرا يا سهل ؟ قال يا ابن الخبيثة انما انت راعي غنم وبقر ، ما انت والتدبير للملك ونظم السياسات وتدبير الجيوش ؟ . وقيد من كان معه وارسل الى الافشين يخبره الخبر وان الرجل عنده فسرجه اليه الافشين اربعة آلاف فارس عليهم الحديد وعليهم خليفة يقال له بوماده ، فتسلموا بابك ومن معه واتى به الافشين ومعه سهل بن سنباط » (٧٩) ، وقد اعتمد هذه الرواية المقدسي (٨٠) ، وابن



في نقل خبر القاء القبض على بابك ، تاريخ العرب (المطول) ج ١ ط ٢ لسنة ١٩٦١ ، ص ٤٠٠ .

(٧٦) يقول المسعودي : (وأطلقت الطيور الى المعتصم ، وكتب اليه بالفتح فلما وصل اليه ذلك ضج الناس بالتكبير وعمهم الفرح) ، المروج ، ج ٤ ص ٥٦ ، ويقول المقدسي (وكان ذلك من اعظم الفتوح في الاسلام) ، البدء والتاريخ ، ج ٦ ، ص ١١٨ .

(٧٧) تاريخ الرسل ، م ٢ ج ٢ ص ١٢٣٢ ، كذلك التسمية في تجارب الامم الملحق بكتاب العيون ، ص ٥٤٨ .

(٧٨) بازماقيب ، صفحة من تاريخنا في القرن التاسع ، ص ١٣٤ ، بارخوداريان ، تاريخ اغوان ، م ١ ص ١٣٦ .

(٧٩) المروج ، ج ٤ ص ٥٦ .

(٨٠) البدء والتاريخ ، ج ٦ ص ١١٧-٨٠ .

العبري (٨١) بشيء من التحوير ، ويظن جوزي بأن سهلا قد سلم بابكا واخاه « فقبض عليه وعلى اخيه عبد الله ومن كان معهما من الاهل والاصدقاء وسلمهم جميعا بعد ان امنهم ، الى رسول الخليفة » (٨٢) ، لكن مصادر اخرى غير المسعودي والمقدسي وابن العبري تذكر عن لجوء عبد الله الى قلعة كتيش العائدة لعيسى بن اصفيفانوس ، بعد ان بات ليلة واحدة مع اخيه في قلعة شاكي عند سهل .

استقبل الافشين بابكا بعرضه بين صفين من جنده لا احتراماً لمقام بابك ولكن ليظهر للجند عظمتهم وفخره بقره بابك الذي روع الجميع ، ثم حبسه في دار منتظرا مقدم اخيه عبد الله فلما قدم عبد الله مرسلا من عيسى اودعه الدار التي حبس فيها بابكا ، فلما جاءه امر الخليفة بالشخص الى اخبر بابكا بأمر السفر وعرض عليه انه يوسع له ان يعلن رغبته في شيء قبل مغادرته اذربيجان فرجاه بابك ان يسمح له بالقاء آخر نظرة على مركز الحركة البذ فسمح له ليلا وسار به الحراس بخشوع في ليلة هادئة مقمرة من ليالي خريف ٢٨٧م وتجول البط في قلعة الخاوية المهذمة ومرت بخاطره سني النضال المريعة الطويلة وكيف كانت البذ على طرف كل لسان وكان منظرها الكئيب وهي خاوية على عروشها تحت ظلال اشعة البدر الباردة لا يمكن احتماله فقفل راجعا بصمت مهيب ولم يجسر الحرس على تكبير ذلك الصمت كأنهم في موكب جنازتي واخبر الافشين بأنه لم يبق لديه مطلب آخر فعزم الافشين على السفر وكان طيلة ايام السفر من برزند الى سامراء يخبر الخليفة اذ كانت رسله تترى وقد جئنا سابقا على وصف سعاة البريد المنتشرين على طول الطريق والذين نصبهم الخليفة خصيصا للاطلاع على اخبار بابك اولا بأول .

متى ابتدأ الركب يغادر برزند وهو محمل ببابك واخيه عبد الله ؟ هذا امر لم يعن به المؤرخون الا انهم يشيرون الى تاريخ وصول الركب الى سامراء وان اختلفوا في تاريخ اليوم الا انهم يكادون يجمعون على شهر صفر سنة ٢٢٣هـ ، فاليعقوبي يذكر « وقدم (يقصد الافشين) على المعتصم وهو بسر من رأى فتلقيه القواد والناس على مراحل ودخلها لليلتين خلتا من صفر سنة ٢٢٣ » (٨٣) ، اي في ٢ صفر بينما يقول الطبري « ذكر ان قدومه عليه به كان ليلة الخميس لثلث خلون من صفر بسامرا » (٨٤) اي ٣ صفر ، اما المسعودي فيقول : « دخل سامراء يوم الخميس لليلتين خلتا من صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين » (٨٥) ، ولما كان اليوم الثاني من صفر سنة ٢٢٣هـ يصادف

(٨١) تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٣-٤٠

(٨٢) من تاريخ الحركات ، ص ١١٣

(٨٣) التاريخ ، ج ٢ ص ٢٠٠

(٨٤) تاريخ الرسل ، ج ٢ ص ١٢٢٩

(٨٥) المروج ، ج ٤ ص ٥٧

الخميس ٣ كانون الثاني عام ٨٢٨م لهذا فان روايتي اليعقوبي والمسعودي اضبط من رواية الطبري وان اتفق الطبري مع المسعودي بذكر الخميس ٠ ولما بلغ الموكب قناطر حذيفة استقبلهم هارون بن المعتصم وآخرون من عائلة الخليفة ثم انزل الافشين بابكا في قصره بالمطيرة عند بلوغهم سامراء وزاره الوزير احمد بن ابي داود متذكرا وكان الخليفة يتلهف لرؤية بابك فلما عاد وزيره واخبره بما رأى لم يصطبر الى غد وانما سار اليه في جوف الليل متذكرا وسأله بعض الاسئلة اجاب عليها دون ان يميز سائلها وفي اليوم الثاني نقل بابك من قصر الافشين الى الدار العامة باستعراض مهيب كما يصفه الطبري « واصطف الناس من باب العامة الى المطيرة واراد المعتصم ان يشهره ويريه الناس ٠٠٠ فأمر بتهيئة الفيل وأمر به فجعل في قباء ديباج وقلنسوة سمور مدورة وهو وحده فقال محمد بن عبد الملك الزيات

قد خُضِبَ الفيل كعادته يحمل شيطان خراسان
والفيل لا تخضب اعضاؤه الا لذي شأن من الشأن

فاستشرفه الناس من المطيرة (حيث قصر الافشين) الى باب العامة فأدخل الدار العامة « (٨٦) ، اما المسعودي ، حيث يُطلب في الوصف ، فيذكر ان العرض بدأ من القاطول (على بعد خمسة فراسخ من سامراء = ٤٠ كيلومترا) حيث استقبلهم هارون (٨٧) ، ولكن رواية الطبري اقرب الى التصديق اذ لا يعقل ان يستعرض ببابك هذه المسافة الطويلة والفيل لا يسير الا على مهل والخليفة متلهف لرؤية اسيره بابك ٠

لم يمهل بابك طويلا اذ نطق الخليفة باعدامه فور وصوله لديه وقد قطعت اطرافه اولا فلطخ وجهه لكي لا يترك شحوب وجه اثر نزف دمه انطباعا بأن ذلك الشحوب من خشية الموت ٠ هكذا اجاب بابك حينما سئل عن سبب صبغه وجهه بدمائه (٨٨) ٠ ثم علق جسده على خشبة طويلة في طرف من سامراء ظن يحمل اسم بابك ، اما رأسه فقد ارسل الى بغداد برفقة اخيه عبد الله حيث علق رأس بابك هناك (٨٩) ومنها الى

(٨٦) تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١٢٣٠ ، والشعر الذي يرويه هنا قد ذكره أيضا عن حادث وصول المازيار الى بغداد ، في ص ١٣٠٣ (قد خضب الفيل كعادته - يحمل كيلان خراسان) ، وأعتقد ان الشعر يخص فقط المازيار ولا ينطبق على بابك ، والا فما علاقة خراسان ببابك ؟

(٨٧) المروج ، ج ٤ ص ٧٠٥٦ ٠

(٨٨) حول هذه الحادثة راجع ، التنوخي ، جامع التواريخ ، ج ١ ص ٧٥ ، سياست نامه، لنظام الملك ، ص ٢٩٥ (الترجمة الروسية ص ٢٢٧) ، المقدسي، البدء والتاريخ ، ج ٦ ص ٨٠١١٧ ٠

(٨٩) حسب رواية المسعودي ، المروج ج ٤ ص ٥٨ ، وأما الطبري فلا يشير الى بغداد وانما يذكر خراسان مباشرة ، تاريخ الرسل م ٣ ج ٢ ص ١٢٢١ ، ويقول باين ، روبرت (ثم

خراسان . متى اعدم بابك ؟ المصادر لا تحدد اليوم والتاريخ فالطبري يقول كان ذلك يوم الاثنين او الخميس (٩٠) الا ان المصادر تشير الى انه اعدم بعد العرض . فحسب رواية الطبري كان يوم العرض هو اليوم التالي لبلوغ موكب الافشين مدينة سامراء ، ولما كان يوم البلوغ هو الخميس (٣ كانون الثاني ٨٢٨م - ٢ صفر ٢٢٣هـ) فان يوم اعدام بابك على هذا الاساس يكون الجمعة (٣ صفر ٢٢٣هـ / كانون الثاني ٨٢٨م) ولقي عبد الله المصير نفسه في بغداد على يد اميرها اسحاق بن ابراهيم (٩١) ، حيث امر اسحاق بقطع اربعة عبد الله وصلب في الرصافة (الجانب الشرقي من بغداد) على رأس الجسر (٩٢) وقد ابدى عبد الله شجاعة وجلدا كأخيه بابك حيث اشار الطبري الى انه لم ينطق ولم يتكلم حينما قطعت اطرافه (٩٣) .

هل كان بابك ملكا او اميرا اقطاعيا ؟ ام ظل قائدا ثوريا (فكريا وسياسيا وعسكريا) للانتفاضة البابكية ؟ واذا كان رئيسا او قائدا ثوريا في اول ايامه ألم يتحول تدريجيا وبمرور الزمن الى امير اقطاعي او ملك في الجزء المحرر من اراضي الخلافة؟ هذه من المسائل المعقدة ايضا في تاريخ الانتفاضة البابكية وذلك لان غالبية المصادر لم تتطرق الى نوعية الحكم او تصريف الامور او شكل الادارة في الاجزاء التي حررتها الانتفاضة فليست هنالك صورة واضحة عن ماهية الحكم طيلة السنوات العشرين ، ومن ناحية ثانية ترد في بعض المصادر كلمات (ملك ، تملك ، ملوكية) عند وصفها لبابك او اسلافه والشيء الثالث عدم ورود تلك الكلمات التي تشير الى الملوكية في اقرب المصادر زمنا للانتفاضة . فالدينوري (ابو حنيفة) واليعقوبي لم يشيرا بأدنى كلمة او اشارة الى الملوكية او التملك وهما اقرب المؤرخين عهدا بالانتفاضة بل ان الصورة التي تعكسها رواياتهما عن بابك كقائد ثوري للحركة فحسب . واما الطبري فقد وردت لديه رواية تفيد بأن بابكا كان ملكا اذ يقول ان بابكا قد بعث بجوابه الى ابنه (السذي كتب الى ابيه عندما كان في الغيضة يطلب من ابيه ان يستجيب للامان الذي بعثه اليه الافشين) ويقول بابك في جوابه « عسى ان اعيش بعد اليوم قد كنت باسم هذه الرياسة وحيث ما



قطع رأس باريك (يقصد بابك) وعلق على جسر بغداد لأخطار الثوار البغداديين بينما قرر الخليفة ارساله بعد ذلك الى خراسان) ، السيف المقدس ، ص ١٧٨ ، ولا أجد معنى (لأخطار الثوار البغداديين) هنا حيث لم تكن في بغداد أية ثورة في عهد المعتصم ؟

(٩٠) تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١٢٣٠ .

(٩١) ن م . ، ص ١٢٣١ .

(٩٢) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ص ٢٠٠ ، أما الطبري فيذكر انه شنسق في الرصافة بين

الجسرين ، تاريخ الرسل ، م ٣ ج ٢ ص ١٢٣١ .

(٩٣) الطبري ، المصدر السابق ، ص ١٢٣١ .

كنت او ذكرت كنت ملكا ولكنك من جنس آخر ٠٠ « (٩٤) ٠ وبالرغم من انها الحالة الوحيدة التي يذكر الطبري فيها كلمة ملك فان بابك قد قدم موضوع الرئاسة على الملكية وهذا يعني انه رئيس الطائفة البابية ، الا ان الناس يذكرونه كملك وبابك يؤكد كثيرا على موضوع رئاسة الحركة للفرقة الخرمية فقد اصر عند التجائه الى قلعة سهل بن سنباط على ان يظل هو لدى سهل ويذهب اخوه الى عيسى بن اصطيفانوس ، وقد علل ذلك « فلعله ان يعثر بأحدنا فيبقى الآخر ولكن اقيم عندك انا ويتوجه عبد الله اخي الى ابن اصطيفانوس لا ندري ما يكون وليس لنا خلف يقوم بدعوتنا فقال له ابن سنباط ولذك كثير قال ليس فيهم خير وعزم » (٩٥) فهنا تأكيد على رئاسة الفرقة الخرمية (وليس لنا خلف يقوم بدعوتنا) فحتى الايام الاخيرة ظل بابك يعتبر نفسه رئيسا روحيا وقائدا فكريا لفرقة الخرمية اخذا على نفسه مهمة نشر دعوتها ٠ ويذكر الطبري في مجال آخر بصورة غير مباشرة ما يوهم بأن بابك كان من الاقطاعيين ، فقد ذكر ان عبد الله سأل ابن شروين الطبري (الذي اقتاده من سامراء الى بغداد) عشية اعدامه ان يطعمه فالودجة ويسقيه خمرا ثم سأل (من انت ؟ فقال : ابن شروين ملك طبرستان ٠ فقال الحمد لله الذي وفق لي رجلا من الدهاقين يتولى قتلي ٠٠ ثم قال يا ابا فلان ستعلم غدا اني دهقان ان شاء الله » (٩٦) ، واما السعودي الذي لا يلتزم الدقة في تعابيره واقواله فقد وردت لديه اقوال تشير بصراحة الى الملكية فهو يذكر عن سهل بن سنباط « ٠٠ ترجل له ودنا منه وسلم عليه بالملك ، ٠٠ وقال له : ايها الملك قم الى قصرك اخطأت ايها الملك وانت احق من احتمل عبده اذ كانت منزلتي ليست بمنزلة من يأكل مع الملوك ٠٠ مد رجلك ايها الملك ٠٠٠ ما انت والتدبير للملك ونظم السياسات وتدبير الجيوش ؟ » (٩٧) ، ويذكر الاقوال هذه عند المقابلة الاولى وفي القصر لكن هذه الاقوال لا يمكن ان تؤخذ اساسا للحكم ، لانها من تصورات السعودي ومن بنات افكاره ٠ اما ابن النديم فيورد نصوصا كثيرة تذكر الملكية والتملك فهو يذكر عن جاويدان وأبي عمران من قادة الخرمية السابقين لبابك (وكان بجبل البذ وما يليه من جباله رجلا من العلوج متخرمين ولهما جدة وثروة وكانا متشاجرين في التملك على من بجبال البذ من الخرمية ليتوحد أحدهما بالرئاسة يقال لاحدهما جاويدان بن سهرك والاخر غلبت عليه الكنية يعرف بأبي عمران) (٩٨) الا ان كلمة التملك هنا لا تعني حسب رأينا سوى الاستحواذ ولا تعني الملكية ولان جاويدان قد سافر بعد ذلك الى زنجان ليبيع فيها أغنامه وليس من

(٩٤) ن.م. ، ص ١٢٢١

(٩٥) ن.م. ، ص ١٢٢٤

(٩٦) ن.م. ، ص ١٢٣١

(٩٧) المروج ، ج ٤ ص ٥٦ ، ابن أبي السرور ، عيون الاخبار ، مخطوط الورقة ١٥٦ ، ب .

(٩٨) الفهرست ، ص ٤٩٥

عادة الملوك التنقل بين المدن لبيع الاغنام . اذن فالنزاع كان بينهما للانفراد برئاسة
الفرقة . لذا لم يكن جاويدان ملكا حتى يورث من بعده ، ولهذا لم يرث بابك الملوكية عن
أحد وانما تولى قيادة فرقة الخرمية بعد مقتل رئيسها ، ويشير ابن النديم الى ان زوجة
جاويدان قالت عن بابك . (وانه يملك الارض) (٩٩) ويذكر عن لسانها انها قالت
بان زوجها أخبرها قبل وفاته (. ١٠٠) وقد رأيت أن أملكه على أصحابي (١٠٠) والظاهر
من القولين ان بابك يملك الارض ويكون ملكا على اصحاب جاويدان ولكن لا يصح
اعتبار هذين القولين اساسا لافتراض ملوكية بابك على رقاب الناس او تملكه للارض،
فقد سبق وان دحضنا ملوكية جاويدان فلا يمكن والحالة هذه ان يرث كملك على الناس
او مالك على الارض . فما تفسير قولها اذن ؟ بيتنا سابقا ان قولها . ١٠٠ وانه يملك الارض
. ١٠٠ يفسر على انه يستحوذ على الاراضي من الاقطاعيين ويتم ذلك بمساعدة الخرمية له
ويتم توزيعها على الفلاحين مشاعا حسب برامج الخرمية وأما قولها . ١٠٠ وقد رأيت أن
أملكه على اصحابي . ١٠٠ فهذا القول يستعمل مجازا على ان يعني ترأسه للجماعة ايضا
كما يعني تملكه على الجماعة ولهذا فان جاويدان لم يعن الا الاستعمال المجازي لقوله .
ولقد وردت اشارات في المراجع أيضا على انه ملك فقد وردت لدى سيل (١٠١) ورأيت
(١٠٢) ، ويقول شلبي عنه (وبابك هو زعيم الخرمية بعد جاويدان بن سهرك ملك جبال
البذ ورئيس الخرمية الاكبر) (١٠٢) ، فهو يرى ان بابك جاء بعد ملك جبال البذ .

علاقة المازيارية بالبابية :

يرد ذكر الانتفاضة التي قامت في طبرستان (٢٢٤ هـ / ٨٣٩ م) مقرونا بالانتفاضة
البابية على أساس الاتصالات والمراسلات بين المازيار وبين بابك وعلى أساس اتفاقهما
مع الافشين على الانتفاض بوجه الخلافة ، فمن هو المازيار ؟ وما علاقة الانتفاضة
الطبرستانية المعروفة بالمازيارية بالبابية ؟ وما هو طابعها ؟ المازيار وأسمه محمد بن
قارن بن بنداد هرمز (١٠٤) أصبهد طبرستان من الامراء المحليين وكان ذا طموح في
التخلص من السلطة الاجنبية ولما كانت المناطق الشمالية من ايران مسرحا للانتفاضات
والحروب التي قامت بوجه الخلافة العباسية في العصر العباسي الاول كما مر بنا في

(٩٩) ن . م . ، ص ٤٩٦ .

(١٠٠) ن . م . ، ص ٤٩٦ .

(١٠١) القرن ، ص ١٣٠ .

(١٠٢) مجلة العالم الاسلامي ، العدد ٢٨ لسنة ١٩٤٨ ، ص ٥٣ .

(١٠٣) في قصور الخلفاء العباسيين ، ص ١٠١ .

(١٠٥) تاريخ الرسل ، م ٢ ج ٢ ص ١٢٧٨ .

الفصل الثاني (١٢١ ص - ١٢٧ ص) ولا سيما انتفاضات الخرمية في اقليم الجبال او في جرجان وطبرستان وخراسان ، فان بلاده ظلت تحتفظ بذكرى الانتفاضات الفلاحية وظل فلاحو طبرستان يشكون من التعسف والارهاق وكانت الارستقراطية الاقطاعية من العرب أو من الابناء (الارستقراطية الايرانية) قد ربطت مصيرها مع السلطة العباسية . يقول الطبري ان سرخاستان أحد ولاة المازيار أعلم الفلاحين بأن الارستقراطية المحلية (الابناء) يكونون خطرا عليهم فقال لهم (ان الابناء هواهم مع العرب والمسودة (العباسيين) ولست آمن غدرهم ومكرهم وقد جمعت أهل الظنة ممن اخاف ناحيته فاقتلوهم لتأمنا) (١٠٥) ، ولما كان المازيار قد وطد نفسه على الانفصال وكانت الارستقراطية متعاونة مع الخلافة لهذا لم يكن امامه الا ان يلتجئ الى الجماهير الشعبية ، الساخطة على السلطة وعلى الاقطاعيين ، فتعاون معها لاجل تحطيم القوة المحلية التي تعتمد الخلافة عليها وهي الارستقراطية وتذكر المصادر بأنه كاتب بابك وشجعه في المضي في انتفاضة الاذربيجانية ضد السلطة وكان يرمي من كل ذلك الى اضعاف السلطة لكي يتسنى له من ناحيته النهوض بوجه الخلافة فهو قد سعى لاضعاف الخلافة من الداخل وشجع على اضعافها من الخارج ، يقول الطبري: (ان المازيار لما عزم على الخلاف دعا الناس الى البيعة فبايعوه كرها وأخذ منهم الرهان فحبسهم في برج الاصبهذ (الكلام عن الارستقراطية) وأمر أكرة الضياع (الفلاحين) بالوثوب بأرباب الضياع وانتهاب أموالهم وكان المازيار يكتب بابك ويحرضه ويعرض عليه النصرة) (١٠٦) . لقد استغل المازيار النزاع القائم بين الفلاحين والملاكين حول الارض من أجل مطامحه ووجهته نحو السلطة وذلك بتشجيعه هو وأعوانه للفلاحين بنهب الضياع وقتل أصحابها لتضعف شوكة الارستقراطية ، السند الرئيسي للخلافة هناك ، يذكر الطبري (ان سرخاستان كان معه ممن أختار من أبناء القواد وغيرهم من اهل امل ٠٠ في داره مئتان وستون فتى ممن يخاف ناحيته ٠٠ ثم امر بكتفهم ودفعهم الى الأكرة ليلا فدفعوهم اليهم وصاروا بهم الى قناة هناك فقتلوهم ورموا بهم في أبار تلك القناة) (١٠٧) ، ويذكر الطبري عن المازيار نفسه انه طلب من الفلاحين قتل الامراء الاقطاعيين (وقال لهم صيروا الى الحبس فاقتلوا ارباب الضياع جميعهم قبل ذلك ثم حوزوا بعد ذلك ما وهبت لكم من المنازل والحرم ، فجبب القوم عن ذلك وخافوا وحذروا فلم يفعلوا ما أمرهم به) (١٠٨) . وكان خوف الفلاحين مبعثه ما تراكم لديهم من تهيب الارستقراطية وخشية نفوذها، ولو انصاع الفلاحون لأوامر المازيار لربما كان للانتفاضة

(١٠٦) ن.م.٠ ، ص ١٢٦٩ .

(١٠٧) ن.م.٠ ، ص ١٢٧٨ .

(١٠٨) ن.م.٠ ، ص ١٢٧٨ - ٠٩ .

نتيجة أخرى ، ولكن الفلاحين لم يذهبوا كثيرا مع الانتفاضة ، وهذا كان أحد عناصر ضعفها .

أما اتصال الانتفاضة بالافشين فالمصادر تشير الى المكاتبات التي قامت بين الطرفين وكان كلاهما يسعى لاتخاذ الاخر وسيلة لتحقيق مطامحه ، فالافشين كان يطمح بولاية خراسان التي أصبحت وقفا على آل طاهر وكان يسمع تدمير المعتصم من عبد الله بن طاهر ولما كانت طبرستان تابعة في ادارتها الى خراسان فكان يتصور في حالة اشتداد الخصومة بين المازيار وعبد الله أن يعجز الأخير عن القضاء على الانتفاضة ، وحينئذ يعهد اليه الخليفة بمحاربة المازيار ويوليه خراسان ، وكان قد بعث بالرسائل المشجعة للمازيار على عصيان أوامر عبد الله ولقيت هذه التشجيعات قبولا لدى المازيار واعتبرها ركيزة آماله في تعجيز السلطة والتحرر من نفوذها لاعتقاده بأن عبد الله اعجز من أن ينتصر عليه وإذا اضطّر الخليفة أن يرسل جيوشا غير الخراسانية فمن المحتم انه سيعهد بقيادتها الى الافشين الذي يطمئن اليه حسب ما اتفقا عليه وهناك آراء وأقوال للطبري حول سعي الافشين وبابك والمازيار على تقويض السلطة العربية والدين الاسلامي واعادة الامور الى الاكاسرة والديانة القديمة ، وتنسب هذه الاقوال تارة الى بابك وأخرى الى الافشين وتارة الى المازيار ، بل وأشرك معهم خاش أخو الافشين وفوهار أخو المازيار كالرسالة التي قيل ان خاش بعثها الى فوهار والتي جاء فيها (٠٠) انه لم يكن ينصر هذا الدين الابيض غيري وغيرك وغير بابك ٠٠ ويعود الدين الى ما لم يزل عليه أيام العجم (١٠٩) ، وهذه المزاعم وان تكررت لدى المسعودي « فأقر (المازيار) على الافشين : انه بعثه على الخروج والعصيان لمذهب كانوا اجتمعوا عليه ودين اتفقوا عليه من مذاهب الثنوية والمجوس » (١١٠) وما يرويه ابن اسفنديار وكلامه مليء بالاطحاف والتلفيقات ويسرد الحوادث المسهبة على شكل قصص ، يقول عن المازيار « قال المازيار وهو مأسور عند عبد الله - أنا والافشين حيدر بن كاؤوس وبابك قد اتفقنا اربعتنا (لم يخبرنا براون لماذا هم اربعة) على اخذ الامبراطورية من العرب واعادتها لأكاسرة الفرس » (١١١) ، هذه الاقوال والآراء والتهم التي وجهت للافشين من أجل الاطاحة به والقضاء عليه وان تكررت ولكن من الصعوبة تصديق قيام تفاهم بين بابك والافشين ، وعلى ماذا ؟ على اعادة الكسروية والمجوسية ؟ وكلنا يعلم ان المزدكية خاصمت الكسروية والديانة الزرادشتية ، فكيف يسعى الخرميون لاعادة ذلك

(١٠٩) ن م ٠ ، ص ١٣١١ - ٠٢

(١١٠) المروج ، ج ٤ ص ٦١ ، أنظر الدوري الذي آمن بهذه الاقوال ، العصر العباسي الاول ،

ص ٢٤١ - ٠٢

(١١١) تاريخ طبرستان ، ترجمة بروان ، ص ١٥٥

والخرميون متطورون عن المزدكية ؟ ٠ فلا يمكن قيام تفاهم بين بابك والافشين حيث كانا على طرفي نقيض ، لقد تكونت لدى الافشين (الذي هو تركي وليس ايراني) مطامح وميول في السيطرة وقديكون اسلامه ضعيفا ويرغب في العودة الى دينه السابق ولكن اتفاق الثلاثة على اعادة مجد الاكاسرة والديانة المجوسية لا يمكن قبوله ، اما مكاتبات المازيار الى بابك والافشين وان ائكرها المازيار نفسه فيمكن قبولها وكان الدافع له في ذلك من أجل توطيد حركته ٠ متى بدأت الحركة ؟ وأين ؟ هنالك اختلافات في المصادر عن تأريخ الحركة فالبلاذري يقول عن المازيار انه قام (بعد ست سنوات وأشهر من خلافته «المعتصم») (١١٢) ، أي في عام ٢٢٤ هـ ٨٣٩ م ، ويذكر عنه انه ضرب بالسياط فلما رفعت السياط عنه مات فصلب بسر من رأى مع بابك الخرمي وذلك سنة ٢٢٥ (١١٣) ولا يشير الدينوري الى السنة ولكنه يذكر انه قام في طبرستان (حتى قتله وصلبه الى جنب بابك) (١١٤) ولا شك ان المقصود الى جانب خشبة بابك وليس في زمن واحد حيث صلب بابك في عام ٢٢٣ هـ ٠ أما اليعقوبي فيذكر روايتين يعتبر المازيار أولا انتفض في عهد المأمون (١١٥) وفي الثانية في عهد المعتصم ويقول فيها (٠٠٠) وقدم به سنة ٢٢٦ ف ضرب بالسياط حتى مات وصلب الى جانب بابك (١١٦) ، أما الطبري فيعتبر الانتفاضة في طبرستان فقط وبدأت في عام ٢٢٤ هـ (١١٧) ويعتبر وفاته تحت السياط سنة ٢٢٥ هـ (١١٨) ، أما المسعودي فيذكر في عام ٢٢٥ هـ صلب المازيار الى جانب بابك (١١٩) ، وأما البغدادى فلا يذكر السنوات وقد ذكر جرجان كميدان لحركة المازيار بالاضافة الى ذكره طبرستان ، يقول البغدادى (وأما المازيارية منهم فهم اتباع مازيار الذي أظهر دين النحمة بجرجان) (١٢٠) وله أيضا (وكانت فتنة مازيار قد عظمت في ناحيته الى أن أخذ في أيام المعتصم وصلب بسر من رأى بحذاء بابك الخرمي) (١٢١) ، ويظل البغدادى يصبر على ذكر جرجان فعند كلامه عن المتأخرين من الخرمية يقول (واتباع مازيار اليوم في جبلهم أكرة من يليهم من سواد جرجان) (١٢٢) ، ثم يعود

.....
(١١٢) فتوح البلدان ، ص ٣٣٩ ٠

(١١٣) ن ٠ م ، ص ٣٤٠ ٠

(١١٤) الاخبار الطوال ، ص ٣٣٨ ٠

(١١٥) التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٠٢ ٠

(١١٦) ن ٠ م ، ص ٢٠٢-٣ ٠

(١١٧) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ص ١٢٧٤-٥ ٠

(١١٨) ن ٠ م ، ص ١٣٠٣ ٠

(١١٩) المروج ، ج ٤ ، ص ٦١ ٠

(١٢٠) الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٨ ٠

(١٢١) ن ٠ م ، ص ٢٦٨ ٠

(١٢٢) ن ٠ م ، ص ٢٦٩ ٠

فيذكر طبرستان مع جرجان وذلك عند كلامه عن عبد الله أخي بابك (ثم أخذ أخوه اسحاق وصلب ببغداد مع مازيار صاحب المحمرة بطبرستان وجرجان) (١٢٣) ، وقد وقع البغدادي في أخطاء كثيرة هنا فقد أورد النص على شكل يظهر فيه اسحاق كأثما هو أخو بابك ، بينما اسحاق هو أمير بغداد الذي عهد اليه صلب عبد الله كما مر بنا ، ثم يذكر ان المازيار صلب في بغداد وكل المصادر تشير الى صلبه في سامراء ، ان جملة أخذ أخوه اسحاق لا يمكن ان تعني سوى ان اسحاق هو أخو بابك لان الفعل صيغ على هيئة المبني للمجهول ولهذا يتعذر اعتبار اسحاق فاعلا وكان الصحيح ان يكتب واخذ أخاه اسحاق . لقد انفرد البغدادي بجعل جرجان ميدانا لفعاليات المازيار وأظنه حسب محاولة غزو جرجان من قبل اتباع المازيار ، والتي لم يكتب لها النجاح كما يوضح الطبري (١٢٤) ، حسب ذلك توسعا لفعاليات المازيارية حتى شملت جرجان ، ولوجود بقايا الخرمية (المحمرة) والذين لعبوا دورا انشط من خرمية طبرستان فيما مضى غير انهم لم يستطيعوا الانضمام الى خرمية طبرستان ابان انتفاضة المازيار ، لقد أخذ باقوال البغدادي كل من يامبولسكي (١٢٥) والدوري (١٢٦) وبونياتوف (١٢٧) ، ولكني لا أميل الى الاخذ به لأن غالبية المصادر ذكرت طبرستان دون غيرها ميدانا للحركة ، الا الذهبي ، وهو من المتأخرين ، فقد ذكر جرجان (١٢٨) ايضا ، ولأن عبد الله بن طاهر والي خراسان الدائم كان قد سارع في ارسال جيش الى حدود طبرستان ليمنع قوات المازيار من التوغل في الاراضي الجرجانية ، لأنه كان يخشى من انتشار الحركة بين محمرة جرجان حيث كانوا ذا عدد يحسب له حسابه . ولقد وفق في صد القوات الزاحفة نحو جرجان وأوقفها عند الحدود كما يروي ذلك الطبري : (ثم وجه مازيار اخاه فوهيار الى مدينة طميس وهي على حد جرجان من عمل طبرستان فخرّب سورها ومدينتها ٠٠٠ ثم توجه بعد ذلك الى طميس سرخاستان وانصرف عنها فوهيار فلحق بأخيه المازيار ٠٠٠ وانتهى الخبر الى عبد الله بن طاهر والي المعتصم فوجه اليه عبد الله بن طاهر عمه الحسن بن الحسين بن مصعب وضم اليه جيشا كثيفا يحفظ جرجان وأمره أن يعسكر على الخندق الذي عمله سرخاستان في طميس الى البحر على الحدود بين طبرستان وجرجان ، فنزل الحسن بن الحسين معسكرا على الخندق الذي عمله سرخاستان وصار بين العسكرين عرض الخندق) (١٢٩) .

(١٢٣) ن ٠ م ، ص ٢٨٤ .

(١٢٤) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٧٥ .

(١٢٥) انتفاضة بابك ، ص ٤١ .

(١٢٦) العصر العباسي الاول ، ص ٢٣٤ .

(١٢٧) انزبيجان ، ص ٢٤٦ .

(١٢٨) دول الاسلام ، وذكر خروجه عام ٢٢٤ هـ ونهايته ٢٢٥ هـ ، ج ١ ، ص ٩٨ .

(١٢٩) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٧٥ .

من المصادر المتقدمة نعلم ان الانتفاضة كانت قصيرة الامل حيث اتفقت غالبية المصادر على ان عام ٢٢٤ هـ هو بداية الانتفاضة وان المازيار صلب في سامراء بعد ان مات تحت السياط في عام ٢٢٥ هـ ، ولا شك ان المازيار لم يحسن توقيت انتفاضه اذ انه لو قام بها في سنوات سابقة ايام كانت جهود الخلافة كلها موجهة للقضاء على الانتفاضة البابكية في آذربيجان لربما كانت الظروف مواتية له أكثر من التاريخ الذي قام به ، هذا الى ان المازيار لم يكن زعيما روحيا أو رئيسا لفرقة الخرمية في طبرستان كما كان بابك ، وانما كان اميرا ذا مطامح في التحرر من نفوذ السلطة استخدم حقد الخرمية على الاقطاع والسلطة ، لهذا لم يكن هنالك تجاوب روحي تام بينه وبين الجماهير المنضمة الى حركته . ان استغلاله حقد خرمية طبرستان وقيادته لانتفاضة الفلاحين الخرمية وتشجيعه لبابك قد أوحته مصالحه الشخصية والا فبماذا يبرر تفاهمه مع الافشين والذي هو عدو الخرمية وعدو الجماهير المنتفضة سواء في شمال افريقيا بما فيها مصر أم في ايران وأرمينيا وآذربيجان ، اليس هو الذي قضى على الانتفاضة البابكية ؟ وما كان الافشين مخلصا أبدا لقضايا الجماهير وانما كان في اتفاقه مع المازيار يسعى لاغراضه الشخصية . لقد قاد المازيار الحركة الفلاحية وشجع الفلاحين على قتل ونهب أملاك الاقطاعيين من أجل تحطيم ركائز السلطة والقضاء على الخطر الذي يهدده من الخلف ، ان المازيار وان قاد حركة فلاحية اجتماعية سعت الى تحرر الفلاحين من ربقة الاقطاعيين الا ان تلك الحلول بالنسبة له كانت وسائل لتحقيق أغراضه لا غايات سعى لها من أجل تحقيق اهداف جماعته ولهذا وجدنا تقاعس الفلاحين وترددهم وعدم مشاركتهم بصورة اجماعية ، ولهذا كان عمر الانتفاضة قصيرا ، أما السبب الذي ادى الى قيام المازيار بالانتفاض حسب رأي المصادر فانه كان يطمع بالتخلص من نفوذ السلطة ويكره ويحسد آل طاهر ولادة خراسان ، حيث كان يتبعهم مباشرة ، ولهذا استنكف من تحويل الضرائب السنوية الى خراسان ، وبدأ بتوجيهها الى العاصمة . الا ان المعتصم كان يعيدها من منتصف الطريق الى عبد الله بن طاهر والي خراسان ، مما كان يثير حقد عبد الله على المازيار حتى اذا اطمأن الى الافشين وشجعه هذا الاخير انتفض . ولم تشر المصادر الى تعاظم جور الاستغلال الاقطاعي ، والذي ادى الى اشتداد حقد المستغلين ونفرتهم من التسلط ، وكان المازيار بين امرين : اما الوقوف مع الارستقراطية المساندة للسلطة ، واما مع الجماهير ، فمال الى استغلال حقد الجماهير وتحويله لمصلحه .

علاقة منكجور الفرغاني خال ولد الافشين بالبابكية :

في نفس العام الذي انتفض فيه فلاحو طبرستان بقيادة المازيار حصل تمرد منكجور الفرغاني وكيل الافشين على آذربيجان . وكان الافشين قد عين واليا على

اذربيجان ، وبعد أن تم له اخماد الانتفاضة البابكية قفل راجعا الى العراق واصطحب معه بابكا وبقية الاسرى بعد ان وضع يده على جميع خزائن واموال البابكية وترك منكجور الفرغاني وكيلا عنه على ولاية اذربيجان ، وبعد عامين (٢٢٤هـ / ٨٣٩م) تمرد منكجور على الخلافة ، وقد انضمت اليه فلول الخرمية التي نجت من الموت وأفلتت من الاسر ولم يكن انضمام بقايا البابكية لتمرد منكجور بسبب تأييدهم له وموافقتهم لنهجه ومطلبه ولكن كما يخيل لنا - انضموا بدافع اخذ الثأر وبسبب تعاضم حقدهم على ازدياد الجور والتعسف . اما اسباب تمرد منكجور فهناك روايتان ، يذكر اليعقوبي (وكان اول سبب حبس الافشين ان منكجور الفرغاني خال ولد الافشين وخليفته بأذربيجان خلع هناك وجمع اليه اصحاب بابك وسار الى ورثان فقتل محمد بن عبيد الله الورثاني وجماعة من اولياء السلطان ، فقال المعتصم للافشين احضر منكجور فوجه اليه المعتصم بأبي الساج المعروف بديوداذ في جيش عظيم ثم بلغ المعتصم ان منكجور انما خلع بأمر الافشين وانما وجه اليه بأبي الساج مددا ، فوجه محمد بن حماد على البريد ووجه بغا التركي فحارب منكجور فطلب الامان فأعطى وجيء به الى سامراء » (١٣٠) ، فاليعقوبي لم يوضح بدقة سبب تمرد منكجور وانما عزاه الى الافشين وان الخليفة سخط عليه لما قتل محمد الورثاني وجماعة الخليفة في مدينة ورثان . اما الرواية الثانية التي يرويها الطبري تقول « خالف منكجور الاشروسني قرابة الافشين باذربيجان ٠٠٠ فأصاب في قرية بابك في بعض منازلها مالا عظيما ، فاحتجزه لنفسه ولم يعلم به الافشين ولا المعتصم ، وكان على البريد باذربيجان رجلا من الشيعة يقال له عبد الله بن عبد الرحمن فكتب الى المعتصم بخبر ذلك المال وكتب منكجور يكذب ذلك ، فوقعت المناظرة بين منكجور وعبد الله بن عبد الرحمن حتى هم منكجور بقتل عبد الله بن عبد الرحمن ، فاستغاث عبد الله بن عبد الرحمن بأهل اردبيل فمنعوه مما اراد به منكجور فقاتلهم وبلغ ذلك المعتصم فأمر الافشين ان يوجه رجلا بعزل منكجور ووجه رجلا من قواده في عسكر ضخم فلما بلغ منكجور ذلك خلع وجمع اليه الصعاليك وخرج من اردبيل فرآه القائد فواقعه فانهمزم » (١٣١) يجعل الطبري سبب الخلاف هنا هو عثور منكجور على اموال وامتناعه عن تسليمها . هاتان الروايتان وان اختلفتا بالاسباب لكنهما صورتا حقيقة الوضع المتردي في اذربيجان . وان انضمام البابكية للمتمرد الفرغاني عكس التذمر الشعبي ودل على ان انتصار الخلافة على بابك لم يمهز النزاع ولم يضع حدا لسخط الجماهير على الاستغلال والارهاق .

(١٣٠) التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٠٢ ، يعتبر الطبري ان الورثاني قد امتنع عن الخلافة في ورثان (تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٥ ، ص ١٣٠) وبهذا يكون قد خالف ما ذهب اليه اليعقوبي .

(١٣١) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٥ ، ص ١٣٠ .

نهاية الافشين :

ارتبط اسم الافشين بالانتفاضة البابكية حيث تم على يده - كما مر بنا - سقوط البذ واسر بابك ، ولأن لنهايته علاقة بالانتفاضة البابكية ، لا بد لنا ان نطلع على نهايته .
حكّم الافشين متهما بالزندقة والاحاد وبسرقة الاموال التي وضع يده عليها بعد احتلال البذ وبالاخيانة بممالآته بابك وتهاونه مع وكيله على انذريجان منكجور وتشجيعه للمازيار على الانتفاض . ولم يشفع له اخلاصه ولا حسن بلائه في الحروب التي قادها ظافرا منتصرا سواء في اخماده الانتفاضات الجماهيرية في شمال افريقيا بما فيها مصر او في انذريجان او في حروبه مع الروم فقد حكم عليه بالحبس ومات في سجنه وصلب وأحرقت جثته (١٣٢) وانتهى نتيجة صراع الارستقراطية الملتفة حول القصر .
يقول الدينوري « ثم ان احمد بن ابي داود وجد على الافشين لكلام بلغه عنه فأشار على المعتصم ان يجعل الجيش نصفين نصف مع الافشين ونصف مع اشناس وفعل المعتصم ذلك فوجد الافشين منه وطال حزنه واشتد حقه » (١٣٣) ، ونتيجة اطماعه الشخصية فقد اثار خصما عنيدا هو عبد الله بن طاهر والي خراسان ويرجع الطبري الخصومة بينهما الى ايام حروبه باذريجان (١٣٤) وكان في اطماعه يمثل بداية محاولات تسلط الامراء الاتراك وقد اشار الذهبي « وخافه ايضا المعتصم » (١٣٥) ، ولم يكن الافشين ليعدم منافسين له من بين الاتراك انفسهم ، ولقد ابدى ملاحظته حينما اقتاده بغا الكبير الى السجن حيث قال « قد كنت اتوقع هذا منك قبل اليوم » (١٣٦) . ويشير ليفي الى ان الافشين « قد اثار غيرة منافسيه وعداوتهم فعملوا على اسقاطه باتهامه بالزنديق » (١٣٧) . قام بمحاكمة الافشين جماعة على رأسهم احمد بن داود ومحمد بن عبد الملك الزيات ، وقد وجهت اليه تهم عديدة وجوبه بشهود عديدين منهم المازيار صاحب طبرستان والموبذ والمرزيان بن تركش امير من الصفد ومسلمان من الصفد احدهما مؤذن المسجد والآخر امام فيه ، ويفصل الطبري المحاكمة (١٣٨) وملخصها : سأل محمد بن عبد الملك الزيات الافشين عن سبب جلده لامام ومؤذن جامع الصفد ، فأجاب

(١٣٢) اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ ، المسعودي ، المروج ، م ٤ ، ص ٦١ - ٢ ، ابن

ابي السرور ، عيون الاخبار ، مخطوط ، الورقة ٥٦ ب ، بارتولد ، المؤلفات ، المجلد

الثاني / القسم الثاني (بالروسية) ، موسكو ، ١٩٦٤ ، ص ٤٩٦ .

(١٣٣) الاخبار الطوال ، ٣٤١ .

(١٣٤) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٣٠٣ - ٤ ، انظر العيون والحدائق ، ص ٦١ .

(١٣٥) دول الاسلام ، ج ١ ، ص ٩٨ .

(١٣٦) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٣١٣ .

(١٣٧) تراث فارس ، ص ١١٦ .

(١٣٨) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ٣٠٤ الى ١٣١٣ .

الافشين بأنه ضرب كل واحد منهما الف سوط (الرقم مبالغ فيه كثيرا) بأنهما بنيا مسجدا بأشروسنه وبينه وبين ملوك الصغد عهدا وشرطا ان يترك كل قوم على دينهم . سأل محمد عن سبب احتفاظه بكتاب الحاد مزين بالذهب والجواهر والديباج . اجاب عليه الافشين بأنه ورثه عن ابيه وكان يعنى بأدبه ويهمل كفره وكان في غنى عما فيه من الجواهر ثم طعن بشهادة الموبدان (الذي ذكر بأن الافشين كان يأكل المخنوقة وهو غير مطهر) وقال عنه بأنه لم يكن ثقة ولما تقدم المرزيان بشهادته التي جاء فيها ان الافشين كان يستلم رسائل الاشروسنيين التي يبدأونها الى الاله من عبده فلان بن فلان، صرخ محمد بوجه الافشين : فماذا ابقيت لفرعون ؟ فأجابه الافشين : هذه عادة القوم لأبي وجدي من قبل ولي قبل ان ادخل الاسلام فكرهت ان اضع نفسي دونهم فتفسد علي طاعتهم . ثم جيء بالمازيار وسئل عن الرسائل المتبادلة بينهما فأنكرها المازيار ولكنه قال بأن خاش اخا الافشين كتب الى اخي قوهيار (لم يكن ينصر هذا الدين الابيض غيري وغيرك وغير بابك . . . ويعود الدين الى ما لم يزل عليه ايام العجم) (١٣٩) فاستغرب من تحمله مسؤولية رسالة بين اخويهما وحتى لو صدرت منه فهي وسيلة لاستدراك المازيار . وتوجه بالسؤال الاخير اليه احمد بن ابي داود فسأله امطهر انت ؟ فأجاب بالنفي . فسأله احمد ولكن ذلك يكمل اسلامك ؟ فأجاب ان الذي منعه من ذلك هو الخوف . وقال فيما بعد انه خشي ان يقول نعم فلا يصدق وتكشف عورته . وبعد ان طرح احمد سؤاله الاخير اعلن للحكام : قد بان لكم امره . يا بغا عليك به فضرِب بيده بغا على منطقته فجذبها (١٤٠) ولم يسأل الافشين عن ممالته لبابك او تهاونه مع منكجور ، ولكن المؤرخين يوجهون هذين الاتهامين اليه في مناسبات عديدة ويروي الطبري رواية عن محاولة الافشين لسم المعتصم او كبار القواد الاتراك في وليمة يعدها لذلك الغرض (١٤١) ، ولقد صورها ابن اسفنديار في كتابه تاريخ طبرستان وأشار الى ان المازيار اعلم عبد الله بن طاهر بقرب نهاية المعتصم على يد الافشين ولما سقاه كثيرا من الخمر وسكر ذكر تفاصيل المؤامرة (١٤٢) . ولكن طابع الاختلاق فيها واضح ، اذ كيف تسنى للمازيار ان يعرف نوايا الافشين واليوم الذي ستم فيه المؤامرة كما وانه يسمى اولاد المعتصم بألقابهم (الوائق والمتوكل) مع العلم بأن هذه الالقاب لقبوا بها عند توليهم الخلافة اي بعد ممات المازيار (١٤٣) . لا يستبعد ضعف ايمان الافشين بالاسلام ولا مجال لنكران مطامحه ومساهمته مع ارسنقراطيين في دس الدسائس بناء

(١٣٩) ن . م . ، ص ١٣١١ ، العيون ، ص ٦٥ .

(١٤٠) ن . م . ، ص ١٣١٣ .

(١٤١) ن . م . ، ص ١٣٠٦ .

(١٤٢) تاريخ طبرستان ، ص ١٥٥ .

(١٤٣) ن . م . ، ص ١٥٥ .

على تنافس الارستقراطيات الثلاث (العربية والارانية والتركية) وتشجيعه للمازيار على الانتفاض ومنكجور الفرغاني على التمرد ولكن مما لآته لبابك لا اساس لها من الصحة وان وردت في كثير من المصادر العربية كما مر بنا - ونورد على سبيل المثال اقوال البغدادي في الافشين : « واتهم افشين الحاجب بممالة بابك في حربه وقتل لأجل ذلك » (١٤٤) ، « وذكروا انه دخل في دعوتهم (الخرمية) الافشين صاحب جيش المعتصم وكان مراهنا لبابك الخرمي ٠٠٠ واخرج الخليفة لقتالهم الافشين فظنه ناصحا للمسلمين وكان في سره مع بابك وتواني بالقتال معه ودله على عورات عساكر المسلمين وقتل الكثيرين منه ٠٠٠ ولما قتل بابك ظهر للخليفة غدر الافشين وخيانتة للمسلمين في حروبه مع بابك فأمر بقتله وصلبه فصلب لذلك » (١٤٥) . ولقد بينا في حينه خطأ هذه الآراء وان الافشين كان جادا في حربه مع بابك وان الظروف الطبيعية والمناخية وتمرس الخرميين في القتال بمناطقهم الوعرة قد اجبرت الافشين على التواني كما وان المعتصم انعم على الافشين بأعظم التقدير والتبجيل وأمر الشعراء بمدحه ، فيذكر الطبري « فتوج المعتصم الافشين وألبسه وشاحين بالجواهر ووصله بعشرين ألف ألف درهم (عشرين مليوناً) منها عشرة آلاف الف صلة وعشرة آلاف الف درهم يفرقها في اهل عسكره وعقد له على السند وادخل عليه الشعراء يمدحونه » (١٤٦) ، ويقول المسعودي « وتوج الافشين بتاج من ذهب مرصع بالجواهر واكليل ليس فيه من الجواهر الا الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر قد شبك بالذهب ، وألبس وشاحين وزوج المعتصم الحسن بن الافشين بأترجة بنت اشناس وزفت اليه » (١٤٧) ، فلا يعقل ان يكرم المعتصم الافشين بعد تهادنه او تعاونه مع عدوه بابك . وقد يقال ان ذلك التعاون ربما كان في الخفاء ، ولكن الم يكن للخليفة العيون والارصاد ؟ وهؤلاء منبثون بين الجند والثوار ويخبرون الخليفة بكل شيء . ولم لم يرد ذكر الخيانة في المحاكمة ؟ ان ابن ابي داود وابن الزيات وغيرهم لم يشيروا الى تعاونه مع بابك . لكن ذلك الاتهام جادت به قرائح المؤرخين لتبرير الحكم اكثر . ان السبب المباشر والحقيقي هو تنافس الارستقراطيين المتلفين حول القصر ومعاداة آل طاهر ولاطماع الافشين وتخوف المعتصم من تعاظم نفوذ الافشين كما قال الذهبي « وخافه ايضا المعتصم » (١٤٨) .

(١٤٤) الفرق بين الفرق ، ص ٢٦٨ .

(١٤٥) ن ٠ م ٠ ، ص ٢٨٤ .

(١٤٦) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٣٣ .

(١٤٧) المروج ، ج ٤ ، ص ٥٩ .

(١٤٨) دول الاسلام ، ج ١ ، ص ٩٨ .

اثر الانتفاضة البابكية في النظام الاجتماعي والسياسي للخلافة

بالرغم من ان الانتفاضة البابكية ، التي دامت عشرين عاما ، لم تستطع ، شأنها شأن باقي انتفاضات الخرمية ، وكل انتفاضات مجتمع العبودية والاقطاع ، ان تضع حدا للاستغلال وذلك لعدم نضوج الشروط الضرورية لمثل هذا الامر . فمستوى الانتاج لم يكن يسمح بعد بالانتقال الى نظام خال من الاستغلال والاضطهاد . لانها كانت تفتقر الى التنظيم . ولم يكن لدى المنتفضين انفسهم ادراك واضح لا لاهداف النضال ولا لطرق تحقيقها . فلم يكن المنتفضون في تلك العهود يملكون نظرية تقدمية تنير طريقهم في النضال ولا حزبا . وهذان الشرطان الاخيران تكونا فقط في عهد الرأسمالية (★)، ولكن الانتفاضة البابكية لم تمر كسحابة عابرة في سماء الخلافة العباسية دون ان تحدث تأثيرا ، بل انها تركت آثارا جسيمة في النظام الاجتماعي والسياسي معا اذ انها زعزعت كيان الخلافة وكبدتها الخسائر الفادحة في الاموال والارواح ، والتي تضاربت اقوال المؤرخين في تقديرها بين ربع مليون الى مليون قتيل ، مما اضعف معنويتها واهبط سمعتها ونفوذها فتقلص نفوذها المركزي على الاطراف مما شجع الامراء الارستقراطيين على الاستقلال المحلي ، كالمطاهريين ، كما وتشجع الاتراك ، فيما بعد ، على التناول على شخص الخليفة بل ان المعتصم خشي من زعماء الاتراك وكان قد خشي الافشين كما مر بنا .

نشوء وتوطد الامارات الاقطاعية وتطور الاقطاع :

واكبنا - سابقا - مسيرة الاقطاع ونموه ، وقلنا ان عدم تطور الاقطاع بوتائر اسرع كان يعود الى عدم اكتمال شروط التملك الاقطاعي للارض وهذا يرجع ، عدا العوامل الطبيعية وطريقة الارواء ، الى قوة السلطة المركزية والى غياب الامراء الاقطاعيين عن اراضيهم وسكناهم في العاصمة ، غير ان هذه الحال لم تدم بعد تعرض الخلافة للهزة العنيفة التي حلت بها من جراء الحروب المهلكة التي خاضتها لاختفاء الانتفاضة البابكية ، فقد اظهرت الخلافة طيلة عشرين عاما عجزها عن القضاء على بابك بل كانت جيوشها في اغلب الاحيان تنهزم امام قوات البابكيين مما ترك انطباعا سيئا حول مقدرة الخلافة وزعزع هيبتها لدرجة تجرأ فيها الكندي على الطعن بمقدرة الجيوش العباسية والتهكم عليها نتيجة انتصارات جيوش بابك عليها . ولهذا وجدت الامكانيات الطبيعية لتقليص الارتباط بالمركز . ومهما عد المؤرخون والباحثون عصر المأمون من العصور الزاهية العظيمة فان في ذلك العصر بالسذات نشأت الامارات

(★) ق . افاناسييف ، اسس الفلسفة الماركسية ، ترجمة عبد الرزاق الصافي ، بيروت ، ص ٢٢١ .

الاقطاعية نتيجة ضعف السلطة المركزية في بغداد حيث نشأت الامارة الطاهرية في خراسان والمازارية في طبرستان وبعد وفاته (المأمون) بطرقية سهل بن سنباط في آران ولم يغير انتصار الخلافة على بابك من الموضوع شيئاً فان هبة الخلافة السابقة ونفوذها السابق لم يعودا للوجود . فيذكر مینورسكي « بالرغم من اعدام بابك فان احتلال العباسيين للقفقاز قد ضعف تدريجيا كما ظهر من تطور الابتعاد عن السلطة المركزية في العائلة الساجية » (١٤٩) . ويعزو خدابخش نجاح الطاهريين في جعل الولاية وراثية في اسرتهم في عهد المأمون الى السياسة وليس الى القوة (١٥٠) ، ولكن فات خدابخش ان الخلافة كانت مكرهة على قبول امارة الطاهريين وان لا سبيل لها في ازاحتهم لضعفها فلم يحتاجوا للقوة .

تسلط الاثراك على الخلفاء :

كان الصراع بين الارستقراطيتين العربية والایرانية قد بلغ اوجسه في الحرب الاهلية بين الامين والمأمون ، وانعكس هذا الصراع على الجيش العباسي فلم يأمن المعتصم الاعتماد على الجيش المؤلف بصورة رئيسية من العرب والایرانيين ومعهم البربر واسرى الحروب ، والذي انقسم على نفسه وقل احترامه لرؤسائه وفقد الثقة بنفسه ، نتيجة الانكسارات والاندحارات والهزائم المتلاحقة في الجبهة الازربيجانية مع الخرميين ، ولجهل غالبية افراد الجيوش العباسية الحرب في الجبال دفع المعتصم الى ان يستعمل غلمانه الاثراك الذين كان قد استجلبهم لاستخدامهم كرقيق وحرس له . دفعته الاسباب الآتفة الى ان يستعمل غلمانه الاثراك ويزج بهم في حروب اذربيجان ضد بابك ، وكانت براعتهم في قتال الجبال وتمرسهم فيها خير معين لهم في كسب المعارك ، وكانت هزيمة بابك وانتصار القادة الاثراك المساهمين في الحملة وعلى رأسهم الافشين قد تركا لديهم انطباعاً بأن لهم الفضل وحدهم في ذلك الانتصار الحاسم يضاف الى ذلك مساهمتهم في فتح عمورية فتكونت لديهم دالة على الخلافة وبدأوا يساهمون في الخصومات الدائرة بين الارستقراطيين الملتفين حول القصر ، كاشتراك

(١٤٩) دراسات في التاريخ القفقاسي ، ص ١١١ ، ويقول ماكوفلسكي « ومع ان انتفاضة بابك قد أخذت الا انها وجهت للخلافة البغدادية (كانت العاصمة حينذاك سامراء) تلك الضربة التي لم تصح منها » ، اعمال القسم الفلسفي ، المجلد السادس ، ١١ باكو ، ١٩٦٠ ، من التاريخ الفلسفي في اذربيجان في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ، ص ٥ (بالروسية) .

(١٥٠) الحضارة الاسلامية ، ص ١٤٢ - ٣ .

خليفة في قفص بين وصيف وبغا
يقول ما قال له كما تقول البغا

ولقد ضاع امر الناس حيث يسوسهم
واني لأرجو ان ترى من مغيبها
وهمك تركي عليه مهانة

وصيف واشناس وقد عظم الخطب
مطالع شمس قد يغص بها الشرب
فأنت له ام وانت له اب (١٥٢)

فاستنصروا العبد من ابناء دولتكم
من يازمان ومن بلج ومن تور
ومن شناس وافشين ومن قرچ
العلمين بديساج وابسريز (١٥٣)

(١٥١) انظر الطبري (عن حوادث سنة ٢٢٣هـ) ويفصل المؤامرة التي ساهم فيها الامراء الاتراك الذين منهم عمرو الفرغاني واحمد بن الخليل ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٥٦ - ١٢٦٦ .

(١٥٢) ابن الساعي البغدادي ، مختصر اخبار الخلفاء ، ص ٥٩ .
(١٥٣) الطبري ، تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١١٦٩ ، ابن الاثير ، الكامل ، ج ٥ ، ص ٢٣٣ - ٤ .

۲۶۲

ومن آثار الانتفاضة العميقة في الحياة السياسية للخلافة هي :

انقسام الامبراطورية الاسلامية العظيمة اثناء وبعد انتهاء الانتفاضة :

قبل مجيء المأمون كانت الخلافة العباسية امبراطورية شاسعة مترامية الاطراف لم يخرج من حوزتها الا الاندلس (شبه جزيرة ايبيريا) وكانت تمتاز بقوة السلطة المركزية وبهيبة السلطان ، ولكن الحروب المستمرة التي خاضها الخرميون والمككلة بالانتصارات دوما اضعفت قوة السلطة المركزية فبدأت تظهر الامارات الاقطاعية الوراثية المستقلة في الولايات حيث نشأت الطاهرية (٨٢١ - ٨٧٣ م) اثناء الاندحارات والهزائم التي منيت بها الخلافة ، وبالرغم من تمكنها اخيرا من الاجهاز على بابك الا ان تأثير الانتفاضة ظل يعمل في زعزعة نفوذ السلطة المركزية وهكذا نشأت الامارة الصفارية (٨٧٦ - ٩٠٣ م) والسامانية (٨٧٥ - ٩٩٨ م) والغزنوية (٩٦٢ - ١١٨٦) في الجهات الشرقية من الخلافة والطولونية (٨٦٨ - ٩٠٥) في الجهات الغربية من الخلافة (مصر) ولا يخفى ان نشوء هذه الامارات الارستقراطية الوراثية كان مرجعه ضعف نفوذ الخلفاء وتقلص سلطانهم عن الاطراف بسبب من عجزهم عن مقاومة الانتفاضة الخرمية في حينه ، ولهذا فنشوء الامارات هو اسلوب تطور الاقطاع ونمو اللامركزية . ولم تعد عاصمة الخلافة سامراء او بغداد فيما بعد لتفري الطامعين من الامراء على المكوث فيهما والتردد على السلطان بل اخذ هؤلاء يتوجهون الى الاطراف لتكوين كيانات مستقلة لها عواصمها وجيوشها ونقودها وسجونها مكتفية بالاعتراف الاسمي بسيطرة الخلافة ، اما من الناحية الفعلية فلم يكن للخلافة اي نفوذ عليها . ولقد شجع هذا الاستقلال على تطوير الاقطاع بوتائر اسرع مما كان عليه في بداية العصر العباسي الاول .

سقوط هيبة الخلافة :

كان للخلافة قبل الانتفاضة سمعتها وقديسيتها وهيبتها لدى الشعوب وكان اسم الخلافة يتردد بهيبة وخشوع ، ولئن تعرضت الخلافة العباسية الى انتفاضات وتمردات وحروب واسعة الا ان سمعة الخلافة وجلال السلطان ظل مرتفعين . ولئن هددت الانتفاضات والحروب امن الخلافة وسلامة البلاد بالخطر فان هيبة الخلافة ظلت محافظة على مكانها المرموق . الا انه في الانتفاضة البابكية لم تتعرض سلامة الخلافة للخطر فقط بل ارتعش جلال السلطان وسقطت هيبة الخلافة من عليائها من جراء تخاذلها وعجزها عن كسب المعارك مع المنتفضين رغم توفر الامكانيات الواسعة لديها ، وقد ولد عجز الخلافة عن احراز النصر انطباعا سيئا لدى الشعوب نجم عنه استصغار شأن الخلافة وعدم المبالاة بسلطانها وسطوتها وهذا ما جراً الكندي المسيحي على ان يقف في

بلاط المأمون وامام علماء المسلمين ليتناول على اقدس ما يعتز به المسلمون ، وكانت حججه الدامغة انتصارات بابك نفسها وعجز جيوش المسلمين عن الوقوف امامه . يقول الكندي : لو كان الله مع المسلمين والمسلمون على حق فلماذا ينصر الله بابك الكافر ؟ (١٥٧) ، وبمرارة واسى ابلغ المأمون اخاه المعتصم بأن يبذل قصارى جهوده لاعادة هبة الخلافة وذلك بالقضاء على الخرمية ، ولم يكن المعتصم بحاجة الى من يوصيه بخطر الانتفاضة البابكية وتأثيرها البالغ في هبة الخلافة وما تسببه من تنامي فرص التخلص من نفوذ السلطة المركزية لدى الاطراف ، وان استقلال الامارات الوراثية لدليل على فقدان الخلافة لهيبتها وسلطانها ، لقد فكر المعتصم بكل شيء واستخدم جل طاقاته للقضاء على الانتفاضة ولم يبخل بمال او اي شيء فيقول الذهبي : « وقد انفق المعتصم بيوت الاموال في حرب هذا (يقصد بابك) » (١٥٨) . لقد اراد ان يستعيد هبة الخلافة وجلال السلطان بأي ثمن ، ولكنه وان حقق النصر على بابك فانه لم يستطع ان يعيد للخلافة رونقها وصيتها وجلالها . لقد فقدت ذلك الى الابد . وكان هؤلاء الغلمان الاتراك الذين استخدمهم للقضاء على الانتفاضة قد اجهزوا على ما تبقى من هبة مهلهلة متداعية ، فكان تسلط الاتراك على الخلفاء الضربة القاضية التي سددت الى سمعة الخلافة المتدنية .

ولئن تيسر للخلافة بعدئذ الفرصة لان تتظاهر بالوقوف على قدميها ، ولو على وهن ، فانها دون شك لم تعد ذلك الجبار المارد المهيب الذائع الصيت وانما كيانا هزيلا واهيا ومعتمدة على ما لها من سابق عز ومجد ، فلهذا لم يبق للخلافة بعد خروجها من الانتفاضة البابكية وما رافقها من ارهاصات ، لم يبق لها رونقها وصيتها المجلجل المدوي .

بقايا الخرمية :

هل قضي على الخرميين عند القضاء على انتفاضة بابك بعد سقوط البذ ؟ هل ركدوا وسكنوا ؟ ام حافظوا على تقاليدهم الثورية ؟ يخبرنا اليعقوبي عن انضمام الخرمية بعد عامين من سقوط البذ الى تمرد منكجور الفرغاني (١٥٩) ، وما كان انضمامهم الى هذا التمرد الذي يخالفونه في العقيدة والاهداف الا لطلب الثار ومقاومة التعسف والاستغلال ، وفي الرسالة الثانية لابي دلف الذي سافر وتجول في تلك المناطق بين ٣٣١ - ٣٤١ هـ / ٩٤٢ - ٩٥٢م يرد كلام عن جبل البذ (وفيه تعقد اعلام المحمرة

(١٥٧) محاوراة الكندي ، الصفحات ٤٥ - ٤٦ .

(١٥٨) دول الاسلام ، ج ١ ، ص ٩٧ .

(١٥٩) التاريخ ، ج ٢ ، ص ٢٠٣ .

المعروفين بالخرمية ومنه خرج بابك وفيه يتوقعون المهدي ٠٠ « (١٦٠) ، ولقد ذكر المسعودي انه زار مناطق الخرمية - والتي ذكرناها في مناسبات سابقة - في عام ٣٢٢هـ (اي بعد مائة وعشرة اعوام من سقوط البذ) فوجد اكثر هؤلاء الخرمية في القرى والضياح وسيكون لهم عند انفسهم شأن وظهور يراعونه وينتظرونه في المستقبل من الزمان الآتي (١٦١) . كما وان المقدسي المتوفي ٥٠٧هـ ذكر بأنه زارهم في مناطقهم وشاهدهم وناقشهم (١٦٢) فمن هذه الاخبار نعلم أن الخرمية ظلوا بعقائدهم وآرائهم . واذا لم يكتب للانتفاضة البابكية ، رغم عمقها وشمولها واتساع ميادينها واستطالة فترات ازمانها ، اذا لم يكتب لها النجاح لاسباب موضوعية وذاتية لاحظناها ، واذا لم تستطع شأن كل الانتفاضات والثورات التي قامت في عهود الرق والاقطاع ان تضع حدا للاستغلال ، فان هذه الانتفاضة الواسعة لم تفقد ولا شك التأثير الكبير المدوي الذي لازمها فجأة وانما تناقص ولا ريب ذلك التأثير الذي كان لها تدريجيا وخلال عدة قرون ، اذ لا يمكن قلع جذور حركة اجتماعية من محيطها بمجرد كسب معارك حربية على معتنقي مبادئها ، ولهذا ظلت الخرمية وظل انصارها لاحقاب وان لم يكن لهم ذلك التأثير . ونتيجة عدم الدقة في استخدام التعابير والمصطلحات الحديثة واطلاقها على عهود سابقة لأوانها وقع جوزي في ارتباك فكري حينما يقول : « ان البابكيين غلبوا على امرهم وماتوا كحزب اشتراكي (؟) الا انهم عاشوا الى ايام سلجوق ومن ورثتهم من سلاطين خوارزم كحلة دينية لا اهمية لها كبرى » (١٦٣) . وعلى النقيض من هذه الاقوال المرتبكة استخلص يامبولسكي عدم فقدان تأثير اي حركة اجتماعية في مسيرة تطور المجتمع . فقد كتب عن نهاية الانتفاضة البابكية : « فشل اي حركة اجتماعية واسعة لا ينهي تأثيرها الجدي في مسيرة تطور المجتمع الذي نمت ونضجت وتوسعت فيه (١٦٤) ، وهذا ما اكدته الحوادث وما اشرنا اليه سابقا . وقد نفت الموسوعة الاسلامية ان تكون نهاية بابك قد وضعت حدا لحركة الخرمية (١٦٥) ، وقد اشار بونيباتوف الى ان تلك النهاية لا تعني ان جماهير اذربيجان والمناطق المجاورة قد سكنت وهدأت (١٦٦) ، ويخبرنا جوزي بأن المتأخرين من الخرمية اضطروا ان يتستروا

(١٦٠) ص ١٣ .

(١٦١) المروج ، ج ٣ ، ص ٣٠٥ - ٦ ، التنبيه ، ص ٣٥٣ - ٤ .

(١٦٢) البدء والتاريخ ، ج ٤ ، ص ٣٠ .

(١٦٣) من تاريخ الحركات ، ص ١١٧ .

(١٦٤) انتفاضة بابك ، ص ٣٩ .

(١٦٥) م ١ ، ص ٨٤٤ (بالانكليزية) .

(١٦٦) اذربيجان ، ص ٢٧٠ .

ويخفوا دعوتهم وان ينشروها بطرق خفية (١٦٧) • ويتوصل يامبولسكي من دراسته للشاعر نظامي (١٦٨) ، وفي اعتماده على آراء كريمسكي في تحليل الصوفية (١٦٩) ، على انه دخل في صوفية اذربيجان الكثير من البابكيين – الخرميين بعد اندحار الانتفاضة الاذربيجانية (١٧٠) • ان تقوقع الخرمية وتسربلهم بلباس الصوفية حصل تدريجيا مع ذوبان الروح الثورية لديهم بمرور الزمن ، ولا ريب انهم نقلوا معهم الى الصوفية بعضا من مفاهيمهم الاجتماعية حيث تركت انطبعا او تأثيرا لدى هذا الشاعر او ذاك •

(١٦٧) من تاريخ الحركات ، ص ١١٧ •

(١٦٨) نظامي ، الياس يوسف اوغلي (ولد حوالي ١١٤٤م وتوفي حوالي ١٢٠٣) مسن كبار

شعراء ومفكري اذربيجان •

(١٦٩) مختصر تطور الصوفية ، موسكو ، ١٨٩٥ ، ص ٦ •

(١٧٠) انتفاضة بابك ، ص ٤٢ •

اِخْتِصَات

لم تكن البابكية - انتفاضة الشعب الأذربيجاني بمعونة شعوب أخرى ضد الخلافة العباسية - وليدة الصدفة ، وإنما هي نتيجة حتمية طبيعية ولها جذورها العميقة في التاريخ . فمن أجل تشخيص أسبابها الحقيقية ودوافعها الرئيسية وأهدافها وبرامجها التي سعت إلى تطبيقها تحتم الضرورة دراسة الفرقة الخرمية التي تنتمي إليها البابكية . ولما كانت الخرمية متطورة عن المزدكية اقتضى الأمر دراسة أحوال معتنقي أفكار هذه الفرقة وأهم مبادئها لكي تتوضح المعتقدات والمبادئ والبرامج في تسلسلها التاريخي وتطورها الزمني . لأن الانتفاضة البابكية وإن كانت انتفاضة فلاحية ضد الجور والاستغلال الطبقي الإقطاعي والتسلط الحكومي ، فإنها اتخذت التعاليم الخرمية الدينية إطاراً أيديولوجياً لها . وكما هو معروف فإن المعارضة الثورية ضد الإقطاع كانت تتخذ أحياناً - كما بين أنكلز - شكلاً دينياً (١٧١) . لقد قامت الانتفاضة البابكية في أذربيجان وفي جزء من أرمينيا وفي الجزء الشمالي الغربي من إيران ، فمن أجل معرفة ظروف وأحوال سكان تلك المناطق الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ولأجل دراسة سير تطور أساليب الإنتاج وأثر ذلك في تغيير العلاقات الانتاجية ومشاهدة أثر كل ذلك في تغيير بناء المجتمع وتكوينه الاجتماعي والسياسي وتشخيص الصراع الطبقي والمفاهيم التي استغلت في تلك الميادين ، حتمت الضرورة دراسة الوضع الاقتصادي والاجتماعي والسياسي لتلك البلدان قبل وبعد الفتح الإسلامي ومن ثم في العصرين الأموي والعباسي .

نشأت في تلك الأقطار ، بأوقات متفاوتة نسبياً ، بعد انحلال المشاعية ، مجتمعات العبيد ومن ثم مجتمعات الإقطاع ، وقد ظهرت الديانة الزرادشتية في إيران لمساندة الملاك ولتحجيز الطاعة وخدمة الأسياذ فناهضتها المانوية بفرديتها السلبية وتكشفها وزهداها وكان المجتمع الإيراني والأذربيجاني والأرمني ، بحكم السيطرة الساسانية ، يئن طيلة عهود مجتمع الرق من الظلم والاستغلال الطبقي المرهق ، فلما بلغت أزمة مجتمع العبيد ذروتها وكانت قد نمت الحرف والتجارة إلى جانب الزراعة ، تصدت

(١٧١) الحرب الفلاحية في المانيا ، ص ٣٤ .

المزدكية ، التي كانت تعبيراً لازمة مجتمع العبيد ، تصدت لمحاربة الاستغلال البشع وناهضت الزرادشتية ، دين الدولة الساسانية الرسمي ، المؤيدة لتسلط الاشراف . وكان الصراع سجالاتاً حقق فيه الشعب بفلاحيه وعبيده وكسبته بعض المكاسب وأذعنّت الارستقراطية ومعها الملك قبائلاً للواقع ولاقى المقاومون مختلف المصائر من قتل وتشريد ونهب أملاك، ولكن الارستقراطية التي ضربت مصالحها وولي العهد (كسرى أنوشروان فيما بعد) الحاقّد على المزدكية دبّروا مؤامرة للقضاء على الحركة المزدكية وبرضى من قبائلاً وتحت علمه فأجهزوا على قسم من المزدكيين ، بضمنهم مزدك ، وأجهز أنوشروان على من تبقى عقب توليه الحكم . لقد نادت المزدكية بمشاعية الارض الزراعية واحترام مركز المرأة اضافة الى اهتمامها بقضايا فلسفية دينية ، وكانت برامجها الاجتماعية عناصر جذب قوية وسط الفلاحين المعدمين والعبيد والكسبة وفقراء المدن وصغار التجار ، ولئن أجهز على الغالبية من معتنقي المزدكية ، لكن المزدكية كفرقة لم تمت وعاشت سرية حيث ظهرت متطورة في العهد الاسلامي باسم الخرمية ، لقد ساهمت المزدكية في الاجهاز على عهد الرق وساعدت على نشوء الاقطاع ، وكانت الضرائب التي وضعها أنوشروان وتوزيعه الاراضي على الاشراف ومساعدتهم مالياً نتيجة الحركة المزدكية وقد ساعدت أعماله هذه على الاسراع في نشوء الاقطاع ايضا .

لقد كانت آذربيجان وأرمينيا وإيران مسرحاً للحروب بين الامبراطوريتين الساسانية والرومانية – البيزنطية وكان المجتمع يئن من نير الاستغلال الاقطاعي الذي

نشأ ونما أبان الحركة المزدكية وفي أعقابها . وقد أنهكت الحروب كلتا الامبراطوريتين مما ساعد على تقدم الفتوحات الاسلامية بسرعة . ومن جراء محاولة العرب فرض الارستقراطية القبلية ولطبيعة الارض ولعوامل المناخ وأثر ذلك في طريقة الارواء وابتعاد الملك عن أملاكهم فإن الاقطاع سار بوتائر أبطأ بالرغم من أن الخلفاء كانوا يقطعون الارض لاعوانهم ، فلم تظهر الاراضي المكتملة فيها شروط التملك الاقطاعي حتى نهاية العصر العباسي الاول ، ومع ذلك فإن المجتمع كان اقطاعياً ، ومن أجل ذلك تتوجب دراسة الاقطاع ونموه في العهد الاسلامي ودراسة المجتمع وطبقاته الاساسية والثانوية المختلفة ودراسة الضرائب التي هي استمرار لأنظمة الضرائب البيزنطية والساسانية مع بعض التغيرات ، ودراسة معاملة أهل البلد المفتوح الموالي (المسلمين) والذميين (غير المسلمين) . ولقد عانت شعوب تلك البلدان من نير الاستغلال الاقطاعي والجور الحكومي المتمثل بفداحة الضرائب وازديادها على مر الاعوام ، فقد استسلمت المدن على قدر معين وحددت الجزية على الافراد بالنسبة الى دخولهم ولكن الامويين زادوا في كمية الضرائب على المدن وعلى الافراد فجعلوها (على قدر الطاقة) بالرغم من انها كانت محدودة (على قدر مسمى) مما أثار حفيظة الشعوب على الضرائب المتزايدة . ولقد احتقرت الشعوب الحكومة غير العربية ، ولهذا ساهم أبناء الشعوب

المغلوبة (مسلمون وذميون) في انتفاضات عديدة من أجل تخفيف الضائقة الاقتصادية ومن أجل المساواة ، لقد ناضلت الشعوب سياسيا وفكريا (الشعبوية) من أجل تخلصها من نير الاستغلال الاقطاعي والجور والاحتقار الحكومي ، وأبرز مساهماتهم كانت مساهمة الشعب الايراني في الدعوة العباسية ، ولما لم يحقق العباسيون الوعود التي وعدوا بها انتفضت جماهير الفلاحين والكسبة والعبيد ضد السلطة بقيادة الخرميين ، الذين باشرُوا بدعايتهم الى مشاعية الاراضي الزراعية والتخلص من الضرائب المتزايدة والى احترام مركز المرأة ، منذ أواخر الحكم الاموي . وقد تميزت في العصر العباسي الصفات الطبقيّة في انتفاضات الخرميين أكثر من الانتفاضات التي ساهمت فيها الشعوب في العصر الاموي حيث كانت الارستقراطية المحلية، المتضررة مصالحها، مساهمة غالبا في الانتفاضات ضد الامويين ، أما في انتفاضات الفلاحين الخرمية فكانت الارستقراطية المحلية مع السلطة وقد رفعت هذه الارستقراطية لواء الشعبوية بطابع رجعي ومعاد للعرب فتخلت عنها الجماهير اذ اعتمدت على النضال المسلح دون النضال الفكري . لقد قمعت الانتفاضات الفلاحية الخرمية الواحدة تلو الاخرى لكن أعظمها كانت الانتفاضة البابكية التي أنهكت قوى الخلافة العباسية طيلة عشرين عاما وكان النجاح في سنوات (٢٠١ هـ - ٢١٨ هـ) حليف البابكيين بسبب درايتهم بحروب الجبال وتمتعهم في المناطق المنيعّة ولانهماك الجيش العباسي الضعيف في قمع انتفاضات فلاحي مصر والزلط في العراق وخرمية ايران ولانشغاله في حروب الروم ، وكان ذلك في عهد الخليفة المأمون ، فلما جاء المعتصم وقد أخدمت الانتفاضات وأهمّل شأن الجبهة البيزنطية ، تيسر للجيش العباسي ، الذي طعم بعناصر كفوة متدربة على قتال الجبال وأسندت قيادته الى قائد محنك تحت تصرفه ما يبتغي من الاموال والرجال هو الافشين، وقد تم بناء الحصون والقلاع وترميمها من قبل قادة سبقوا الافشين في أعوام ٢١٨ - ٢٢٠ هـ ، فتمكن الجيش بقيادة الافشين ومعه قادة ذوو مهارة وجلد ، في حروبه ٢٢٠ - ٢٢٢ هـ ان يحقق انتصارات ويقلل من رقعة الارض التي تحتلها الانتفاضة تدريجيا حتى تيسر للافشين أخيرا محاصرة البذ ، قلعة البابكيين الحصينة ومركزهم المنيع ، وفتحها وكان الانتقال الاقطاعيين ، المنضمين الى الانتفاضة خوفا ، من صفوفها الى صفوف جيش الخلافة وتهاون امبراطور الروم في مساعدة الانتفاضة ، ذات البرامج الاجتماعية الخطرة على مصالحه ، كان لذلك أثر أيضا في اندحار الانتفاضة ، أما بابك ، الذي التجأ الى أرمينيا هربا ، فقد سلمه غدرا أمير أرميني اقطاعي (سهل بن سنباط) ، الذي كوفيء على خيانتة لحليفه السابق . وقد أعدم بابك في سامراء وأخوه عبد الله في بغداد واعتبر يوم القاء القبض عليه يوما عظيما وعيدا كبيرا ونصرا مؤزرا لجسامة الانتفاضة البابكية على الخلافة . لقد صوّرت الانتفاضة الفلاحية الأذربيجانية أبشع تصوير من لدن المؤرخين الحاقدين على كل انتفاضة جماهيرية ضد السلطة،

الملاحق

تتمة - قائمة الجهشباري

اسم المنطقة	مجموع الدراهم	مصادر اخرى
خراسان	٢٨٠٠٠٠٠٠	نقر الفضة الامناء الف نقرة • البراذين ٤ الاف برزون ، الرقيق الف رأس ، المتاع ٢٧ الف ثوب ، الاهليلج ٣٠٠ رطل ، الابريسيم الف منا • الابريسيم الف منا •
جرجان	١٢٠٠٠٠٠٠	نقر الفضة الامناء الفا نقرة • الاكسيصة سبعون كساء •
قومس	١٥٠٠٠٠٠	نقر الفضة الامناء الفا نقرة • الاكسيصة سبعون كساء •
طبرستان والدوبان ودونباوند	٦٣٠٠٠٠٠	الفرش الطبري ستمائة قطعة ، الاكسية مائتا كساء ، الثياب خمسمائة ثوب ، المناديل ٣٠٠ منديل ، الجامات ٦٠٠ • الرمان مليون رمانة ، الخوخ الف رطل •
الري	٠١٢٠٠٠	العسل عشرون الف رطل ، الشمع عشرون الف رطل •
اصفهان (سوى خمتش ورساتيق عيسى واويس)	١١٠٠٠٠٠٠	رب والريقاس الف منا ، العسل الازونسي عشرون الف رطل •
همدان ودستبي	١١٨٠٠٠٠٠	العسل الابيض عشرون الف رطل
ماهي البصرة والكوفة	٢٠٧٠٠٠٠٠	
شهرزور وما يليها	٢٤٠٠٠٠٠٠	
الموصل وما يليها	٢٤٠٠٠٠٠٠	
الجزيرة والديارات والفرات	٣٤٠٠٠٠٠٠	
آذربيجان	٠٤٠٠٠٠٠٠	
موقان وكرخ	٣٠٠٠٠٠	
جيلان	_____	من الرقيق مائة رأس
التر والطيلسان	_____	من العسل اثنا عشر زقا ومن البزاه عشرة بزاه ومن الاكسية عشرون كساء البسط المحفورة عشرون بساطا ، الرقم خمسمائة وثمانون قطعة ٠٠٠ البغال ٢٠٠ بغلا •
ارمينية	١٣٠٠٠٠٠٠	
قنسرين والعواصم	٤٩٠٠٠٠	
حمص	٣٢٠٠٠٠	الزبيب الف راحلة •
دمشق	٤٢٠٠٠٠	
الاردن	٠٩٦٠٠٠	
فلسطين	٣٢٠٠٠٠	ومن جميع أجناد الشام من الزبيب ٣٠٠ الف رطل •
مصر	١٩٢٠٠٠٠	
سوى تنيس ودمياط والاشمونين (فان هذا وقفت للنفقات)	١٠٠٠٠٠٠	
برقه	١٣٠٠٠٠٠٠	ومن البسط مائة وعشرون بساطا
افريقيا		

تتمة - قائمة الجهشباري

اسم المنطقة	مجموع الدراهم	موارد اخرى
اليمن (سوى الثياب)	٨٧٠٠٠٠	
مكة والمدينة	٣٠٠٠٠٠	

المجموع :

العملة الورقية :	٤٠٨ ٤١٤ ٠٠٠ درهم
العينية وقيمتها :	١١٠ ٠٠٠ ٠٠٠ درهم
	<hr/>
	٥٢٤ ٤٠٨ ٠٠٠ درهم

لقد ورد في الصفحة ٢٣٥ ما يلي : فذلك العين خمسة آلاف دينار قيمتها حساب اثنين وعشرين درهماً بدينار ما تة الف درهم وخمسة وعشرون الف الف وخمسمائة واثنان وثلاثون الف درهم . الورق اربعمائة الف الف واربعة الاف الف وسبعمائة الف وثمانية آلاف درهم . يكون الورق مع قيمة العين - خمسمائة الف الف وثلاثين الف الف وثلثمائة الف واثنى عشر الفا . اي = ٣١٢ ٠٠٠ ٥٣٠ درهم وهذا غير صحيح من حيث الجمع اذ يجب ان يكون = ٤٠٨ ٤٢٤ ٠٠٠ درهم .

٤ - قائمة قدامة بن جعفر ، كتاب الخراج وصناعة الكتابة (١)

اسم المنطقة	المبالغ المستحصلة درهم	ارقام مختلفة للمبالغ المستحصلة
الاهواز	١٨٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٢)	وورد في ص ٢٤٩ وارد الاهواز ٢٣٠٠٠٠٠٠ درهم
فارس	٢٤٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٢)	
كرمان (مقاطعة في السنة)	٠١٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٢)	وورد في ص ٢٥٠ وارد كرمين ٠٦٠٠٠٠٠٠ درهم
اصبهان	١٠٥٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٢)	
سجستان	٠١٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٢)	
خراسان (والارتفاع خراسان على ما كان عليه عبد الله بن طاهر لسنة ٢٢١ هـ مع ثمن السبي والغنم والكرايبس)	٣٨٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٣)	وورد في ص ٢٥٠ وارد خراسان ٣٧٠٠٠٠٠٠ درهم (٢)
ماه الكوفة	٠٥٠٠٠٠٠٠	
ماه البصرة	٠٤٨٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٣)	
ماسبدان	٠١١٠٠٠٠٠٠	وورد في ص ٢٥٠ وارد ماسبدان ٠١٢٠٠٠٠٠٠ درهم
مهرجان قذق	٠١١٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٣)	
الايفارين	٠٣١٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٣)	
آذربيجان	٠٤٥٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٤)	
قم وقاشان	٠٣٠٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٤)	
الري	٢٠٢٠٠٠٠٠٠ (ص ٢٤٤)	وورد في ص ٢٥٠ وارد الري ودماوند ٢٠٠٨٠٠٠٠٠٠ درهم

- (١) ملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة باسم ، نبذ من كتاب الخراج وصناعة الكتابة
لابي الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي ، ليدن ، ١٣٠٦ هـ / ١٨٨٩ م .
(٢) لا بد ان العلي نقل هذا الرقم عن وارد خراسان وظن ان هذه قائمة ابن خرداذبة - انظر
القائمة رقم ٣ .

تقمة - قائمة قدامة بن جعفر

اسم المنطقة	المبالغ المستحصلة	ازقام مختلفة للمبالغ المستحصلة
قزوين على عبره	٠١٦٢٨٠٠٠	ورد في ص ٢٥٠ قزوين وزنجان وابهر
سنة ٢٣٧ هـ	(ص ٢٤٤)	١٨٢٨٠٠٠ درهم
قوس	٠١١٥٠٠٠٠	
	(ص ٢٤٤)	
جرجان	٠٤٠٠٠٠٠٠	
	(ص ٢٤٥)	
طبرستان على عبره	١١٦٣٠٧٠	ورد في ص ٢٥٠ وارد طبرستان
سنة ٢٣٤ هـ	(ص ٢٤٥)	٤٢٨٠٧٠٠ درهم
أرمينيا	٤٠٠٠٠٠٠	
	(ص ٢٤٦)	
السواد على عبره	١٣٠٢٠٠٠٠٠	
سنة ٢٠٤ هـ	(ص ٢٤٩)	
حلوان (المكتوب عن وارد حلوان في ص ٢٥٠		
بانه ٩٠٠٠٠٠٠٠٠ وهذا غير صحيح واظنه		
٩٠٠٠٠٠٠ درهم)		
تكريت والطيرهان	٩٠٠٠٠٠٠	
والسن والبوازيج	(ص ٢٥١)	
كورة الموصل	٦٣٠٠٠٠٠٠	
	(ص ٢٥١)	
قردي ويزيدي	٣٢٠٠٠٠٠٠	
	(ص ٢٥١)	
ديار ربيعه	٩٦٣٥٠٠٠	
ارزن ومياقارقين	٤٢٠٠٠٠٠	
مقاطعة طرون	١٠٠٠٠٠٠	
ارمينيا	٤٠٠٠٠٠٠٠	
أمد	٢٠٠٠٠٠٠٠	
ديار مضر	٦٠٠٠٠٠٠٠	
اعمال طريق الفرات	٢٩٠٠٠٠٠٠	
قنسرين والعواصم	٣٦٠٠٠٠٠	
	(ص ٢٥١)	
جند حمص	٢٢٨٠٠٠٠	
	(ص ٢٥١)	
جند دمشق	١١٠٠٠٠٠	
	(ص ٢٥١)	

تتمة - قائمة ابن خلدون

اسم المكان	المبالغ	المواد المعينة وغيرها	الاحتفاظات	وكما وردت لدى الجهشيلاري
قوس	مليون درهم مرتين و ٥٠٠ الفدرهم	من ثمر الفضة (?)	مليون درهم مرتين و ٥٠٠ الفدرهم	بدون مرتين ٠ من ثمر الفضة الفاقرة ٠
طبرستان والرويان ونهاوند	٦ ملايين درهم وثلاثمائة الفدرهم	ومن الفرش المطيري ٦٠٠ قطعة ومن الأكسية ٢٠٠ والثياب ٥٠٠ ثوب ومن التبادل ٣٠٠ ومن الجامات ٣٠٠ ٠	٦ ملايين درهم وثلاثمائة الفدرهم	طبرستان والرويان وندناوند بدون مرتين ٦٠٠ جام
الري	١٢ مليون مرتين	ومن العسل ٢٠ الف رطل ومن الرماطين الف رطل ومن العسل ١٢ الف رطل ومن الرمانين الف رطل ومن العسل اثنا عشر الف رطل	١٢ مليون مرتين	بدون مرتين بدون عسل
همدان	١١ مليون درهم مرتين وثلاثمائة الف درهم		١١ مليون درهم مرتين وثلاثمائة الف درهم	١١٨٠٠٠٠٠ بدون مرتين رب والرياس الف منا والعسل ٢٠ الف رطل
ما بين البصرة والكوفة	١٠ ملايين درهم مرتين و ٧٢٠ الف درهم		١٠ ملايين درهم مرتين و ٧٢٠ الف درهم	ماهي البصرة والكوفة ٢٠٧٠٠٠٠٠ درهم لا وجود لهما عند الجهشيلاري ٢٤٠٠٠٠٠٠ درهم عند الجهشيلاري
ماسيندان والدينبار شهرزور	٤ ملايين درهم مرتين ٦ ملايين درهم مرتين و ٧٠٠ الف درهم		٤ ملايين درهم مرتين ٦ ملايين درهم مرتين و ٧٠٠ الف درهم	بدون مرتين ٢٠ الف رطل
الوصل وما اليها	٢٤ مليون مرتين	ومن العسل الابيض عشرون مليون رطل	٢٤ مليون مرتين	بدون مرتين والعسل ٢٠ الف رطل
انديجان	٤ ملايين درهم مرتين	ومن الرقيق الف رأس ومن العسل ١٢ الف رق ومن البزاه عشرة ومن الأكسية عشرون	٤ ملايين درهم مرتين ٢٤ مليون درهم مرتين	بدون مرتين وجود لها لدى الجهشيلاري
الخزيرة وما يليها من اعمال الفرات				

تقمة قائمة ابن خلدون

اسم المكان	المبلغ	المواد العينية وغيرها	كمما وردت لدى الجهشيارى	اللاحظات
اربنيا	١٣ مليون درهم مرتين	ومن القسط المحفور عشرون ومن الزقم خمسمائة وثلاثون رطلا ومن البغال ٢٠٠ ومن الهر ٣٠ ومن الزيت الف حل	بدون مرتين . البسط المحفورة ٢٠ والرقم ٥٨٠ قطعة والبنزاة ٣٠ بيازيا ٤٩٠ الف دينار بدون زيت .	

قنسرين	٤٠٠ الف دينار	ومن الزيت ٢٠٠ الف رطل	٩٦ الف دينار	بدون مرتين
دمشق	٤٢٠ الف دينار		٢٢٠ الف دينار ومن الزيت	١٣ مليون درهم
الاردن	٩٧ الف دينار			٨٧٠ الف دينار
فلسطين	٣٦٠ الف دينار			
محصر	١٩٢٠٠٠٠ دينار			
برقه	مليون درهم مرتين			
افريقيا	١٣ الف درهم مرتين			
اليمن	٣٧٠ الف دينار			
الحجاز	٣٠٠ الف دينار			

(١) كتاب العبر وديوان البيتاء والخبر ، ج ١ ، القاهرة ١٢٨٤هـ ، ص ١٥٠ - ١ ، وطبع القاهرة

ابن محمد بن عبد الحميد عمل بما يحمل الى بيت المال ببغداد ايسام الامون من جميع النواحي نقلته من جراب الدولة . ولا بد ان ابن خلدون قصد نقل هذه القائمة عن الجهشيارى ، ولكنه وقع في اخطاء كثيرة ولهذا اوردنا ما جاء لدى الجهشيارى مع العلم ان الجهشيارى اعتبر القائمة مقدمة ايام الرشيد ، وابن خلدون قد ظننا ايام الامون . ولقد نقل زيدان ، جرجي عن قائمة ابن خلدون (التمدن الاسلامي ، ج ٢ ، مصر ، ١٩٠٢ ، ص ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥) واعتبرها برغم اخطائها ممثلة لعهد الامون ، وكذلك اعتبرها حتى ، فليب (تاريخ العرب ، مطول ، ج ١ ، ط ٣ ، ص ٣٩٦) ، بالرغم من اعتراقه بعدم جلائها وضبطها - ممثلة لعهد الامون . واللاحظ على قائمة ابن خلدون ذكره كلمة مرتين ولا تدري ما المقصود بها هل المبلغ مضاعف اما يدفع على وجبتين بالسنه ؟ ومن اين جاء بهذه الكلمة ؟

الملحق - ب -

الزندقة والغنوص

١ - الزندقة :

الزندقة حركة ذوي الآراء الحرة من الملحدين لمناهضة الأديان . ويعرف الاشخاص بالزندقة (جمع زنديق) - نسبة الى كتاب الزند - وهو تفسير كتاب (الافستا المجوسي) ، وقد اختلف العلماء والمؤرخون والباحثون قديما وحديثا في اصل اشتقاق الكلمة ، وعلى اي الجماعات تطلق ، هل ينفرد بها المانيون - اتباع ماني - ؟ ام كل الذين يبتنون الشرك ويظهرون التوحيد ؟ . ولكنهم - اي العلماء - لم يختلفوا على حقيقة ان الكثيرين من ذوي الآراء الحرة والافكار الجريئة اتهموا جزافا بالزندقة . وارى بأن الزندقة لم تناهض الاسلام كدين، وانما ناهضت السلطة الاسلامية الحامية لمصالح الطبقة السائدة والمضطهدة لكل معارضة ، ولو ان مناهضة الزندقة للسلطة كانت سلبية ضعيفة وفردية ليست جماهيرية . ذكر الالوسي ، محمود شكري : والزنديق بكسر الزاي من الثنوية او القائل بالنور والظلمة او من يبطن الكفر ويظهر الايمان او من لا يؤمن بالآخرة والربوبية (١) ، وقد ذكر كولدتسبير عن الزندقة « وكانت تطلق في العصر العباسي على من ينحو من المسلمين في تفكيره الديني نحو العقائد الزرادشتية والمانيوية » (٢) ، يقول ابن كمال باشا : لفظ الزنديق ، فارسي معرب ، على ما نص ائمة اللغة - اصله زنده ، او زندي ، على اختلاف القولين ، والراجح هو الاول على ما حققناه في مسالتنا المعمولة في تحقيق التعريب ، وعلى الوجهين نسبتبه الى زند (٣) . وقد اورد محفوظ ، حسين علي في تعليقه على هذا النص (٤) ، مختلف الآراء حول كلمة زنديق اذ يقول : وقد اختلفوا في اصله اختلافا كبيرا ففي جمهرة اللغة - ابن دريد الازدي (٥) : زنده كر ، وفي المخصص - ابن سيده، مصر ١٣٢٠هـ ج ١٤ ص ٤٣ : زندكر ، وفي لسان العرب - ابن منظور الافريقي - مصر ١٣٠٢هـ ج ١٢ ص ١٢ : زندكر ، وفي المزهري في علوم اللغة وانواعها - جلال الدين

(١) بلوغ الارب، ج ١ ، ص ١٧٧ .

(٢) العقيدة والشرعية في الاسلام ، ص ٢٧٩ .

(٣) محفوظ ، حسين علي ، رسالة في تحقيق لفظ الزنديق لابن كمال باشا (متوفي ٩٤٠هـ) ، بغداد ، ١٩٦٢ . وفي هذه الكراسة بحث لختلف آراء العلماء والفقهاء والمؤرخين الاسلام حول كلمة زنديق ، وخاصة في الصفحة الاولى من الكراسة حيث نقلنا رأي ابن كمال باشا .

(٤) ن . م . هامش الصفحة الاولى .

(٥) حيدر آباد الدكن ، ١٣٤٥هـ ، ج ٣ ، ص ٥٠٤ .

السيوطي - مصر (طبعة البجاوي) ج ١ ص ٢٧٨ - ٩ : زنده كرد ، وفي المحيط -
 صاحب بن عباد (مخطوط ١٣٥٤هـ كتبه الشيخ محمد السماوي بالنجف) ج ١ ص
 ٤٤٠ : زنده ، وفي شفاء الغليل فيما في كلام العرب من دخيل - الخفاجي - مصر
 ١٢٨٢هـ ص ١١٢ : زنده كرد زند زندى زن دين زنده ، وفي تاج العروس - السيد
 مرتضى الزبيدي - مصر ط ١ - ١٣٠٦ - ٧هـ ج ٦ ص ٣٧٣ : زن دين ، وفي المغرب من
 الكلام الاعجمي على حروف المعجم - الجواليقي - مصر - ١٣٦١هـ ص ١٦٦ - ٧ :
 زنده كرد ، زنده ، وفي منتهى الارب في لغة العرب - الصفي بوري - طهران -
 ١٢٩٦هـ ج ١ ص ٥١٨ - ٩ : زن دين ، وفي مجمع البحرين - الطريحي - طهران -
 ١٢٩٨هـ (مادة زن دق) زند زندا زن دين ، وفي القاموس - الفيروزآبادي - مصر -
 ١٣٥٢هـ ج ٣ ص ٢٤٢ : زن دين ، وفي اقرب الموارد في فصيح العربية والشوارد -
 الشرتوني بيروت ١٨٨٩م ج ١ ص ٤٧٧ : زنده ، وفي محيط المحيط - المعلم بطرس
 البستاني - بيروت ١٨٦٧م ج ١ ص ٨٨٩ : زن دين ، وفي البستان - الشيخ عبد الله
 البستاني - بيروت ١٩٣٧م ج ١ ص ١٠١٧ : زن دين ، راجع المصباح المنير - الفيومي
 - مصر - ١٩٣٩م ج ١ ص ٢٤٩ ، وصحاح اللغة - الجوهري - مصر - ١٢٩٢هـ ج ٢
 ص ٨٨ ، ودائرة المعارف - البستاني - بيروت - ١٨٨٧م ج ٩ ص ٢٧٠ ، ودائرة معارف
 القرن الرابع عشر - محمد فريد وجدي - مصر - ١٣٤٢هـ ج ٤ ص ٦٠٨ ، وفرنود سار
 - ناظم الاطباء - طهران - ١٣١٩ - ١٣٢٠هـ ج ٣ ص ١٧٨٣ ، وبرهان قاطع - محمد
 حسين بن خلف التبريزي - طهران - ١٣٣١ ش ج ٢ ص ١٠٣٩ ، وكتاب صديقي - ص
 ٢١ و ٩٠ ، والبديع في معرفة اللغة - السيد علي المبيدي - طهران - (؟) - ص ٩٥ ،
 والالفاظ الفارسية العربية - ادي شير - بيروت - ١٩٠٨م ص ٨٠ - ١ ، وترجمان ولغة
 - محمد يحيى بن محمد شفيق القزويني - طهران ١٢٧٣هـ : مادة (زن ديقي) ،
 والانساب - السمعاني - ليدن - ١٩١٢م (ورقة ٢٨٠/ب) في مادة الزندي ، وجامع
 التعريب بالطريق القريب (مخطوط ١٢٠٢هـ) نسخة (مكتبة الاوقاف العامة ببغداد)
 المرقومة ٦٠١٥ (ورقة ١٧١ - ورقة ١٧٢) ، وضياء العلوم المختصر من كتاب شمس
 العلوم - محمد بن نشوان بن سعيد الحميري (نسخة خزنة المشكاة بطهران) مخطوط
 ج ٢ (ورقة ٥٠/ب) ، (١) انتهى تعليق محفوظ .

حول الزنادقة راجع ايضا الدوري ، عبد العزيز في كتابه العصر العباسي الاول
 (٢) الصفحات ١٠٩ - ١١٦ ويذكر في ص ١١١ ما يلي : ولكن يجب ان نلاحظ ان

-
- (١) محفوظ ، رسالة في تحقيق لفظ الزنديق لابن كمال باشا ، هامش ص ١ .
 - (٢) بغداد ، ١٩٤٥ .
 - (١) بيروت ، ١٩٦٢ .
 - (٢) بغداد ، ١٩٤٩ .

الزنادقة لم يكونوا جميعا ماثوية وان الاسم تدرج معناه فشمّل جميع اقباع الديانات الفارسية الذين يظهرون الاسلام ، ثم صار يشمل الملحدين او المتشككين في الدين . ويعرض الدوري آراء براون Browne وبيفن Deven وفون كريمر Von Kremer ، القائلة بأن الزنادقة هم من الماثوية .

وذكر الدوري في كتابه « الجذور التاريخية للشعبوية » (١) : « وقد استمرت الحركة الماثوية باسم الزنادقة في المجتمع الاسلامي » - ص ٢٤ ، كما وذكر الدوري في كتابه مقدمة في تاريخ صدر الاسلام (٢) : « وانتشرت الزنادقة وهي تمثل نزاعا سياسيا دينيا بين الديانات الفارسية ، والطموح الفارسي وبين الروح العربية والدين الاسلامي » ص ٩١ . راجع ايضا جب H. A. R. Gibb في كتابه Studies on the civilisation of Islam (٣) وفيه فصل عن الشعبوية والزنادقة العربية ص ٨٢ - ٩٤) .

اما في المصادر العربية فيمكن مراجعة الملطي ، كتاب التنبية والرد على اهل الاهواء والبدع ، طبع استانبول ، ١٩٣٦م ص ٧٢ . والجاحظ - البيان والتبيين ، ج ٣ ، ولو اننا لا نتفق مع قوله : فانما عامة من ارتاب بالاسلام انما جاءه هذا عن طريق الشعبوية فاذا ابغض شيئا ابغض اهله وان ابغض تلك اللغة ابغض تلك الجزيرة فلا تزال الحالات تنتقل به حتى ينسلخ من الاسلام اذ كانت العرب هي التي جاءت به وكانوا السلف ، الجزء الثالث طبع القاهرة ، ١٩٣٢م ص ١٤ ، اذ ان بين الزنادقة كان هناك عرب ، مثل صالح بن عبد القدوس ومطيع بن اياس ، كما وان الجاحظ ارجع الزنادقة الى العنصرية وهذا غير صحيح . وابن النديم ، الفهرست (٤) ص ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، والجهشياري ، الوزراء والكتاب (٥) ، والمسعودي ، مروج الذهب ج ١ ص ٢٥٠ (٦) ، والبغدادي ، الفرق بين الفرق (٧) ، والشهرستاني ، الملل والنحل (٨) وابن الطقطقي ، الفخري في الاداب السلطانية (٩) .

راجع : حتي ، فيليب ، تاريخ العرب (مطول) (١٠) حيث يذكر: زنادقة في العربية

-
- (١) بيروت ، ١٩٦٢ .
 - (٢) بغداد ، ١٩٤٩ .
 - (٣) بوسطن ، ١٩٦٢ .
 - (٤) طبع القاهرة (؟) .
 - (٥) القاهرة ، ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م .
 - (٦) القاهرة ، ٤ اجزاء ، ١٩٥٨م .
 - (٧) القاهرة (؟) .
 - (٨) القاهرة ، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م .
 - (٩) بيروت ، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م .
 - (١٠) بيروت ، دار الكشف ، ١٩٦١م .

مأخوذة من زنديك الفارسية - مجوسي عباد نار ، - ج ١ ط ٣ لسنة ١٩٦١ ص ١١٤ ، هامش رقم ٢ ، وذكر ايضا : اطلق قدماء العرب لفظة زنديق (وهي مشتقة من زنديك البهلوية) على كل مسلم اظهر عقائد الفرس لا سيما المانوية وصارت لفظة زنديق فيما بعد تدل على من اتصف بالحرية الفكرية . ص ٤٤٠ هامش رقم ٢ . راجع ايضا بارتولد ، الحضارة الاسلامية (١) (مترجم للعربية) ص ١١ - ١٢ ، ويذكر شلبي ، احمد : وقد ظهرت الزندقة قبل ان يظهر الاسلام فالزندقة ليست خروجاً على الاسلام خاصة وانما هي خروج على جميع الاديان وعلى كل القيم والمعايير الاخلاقية السليمة ، في قصور الخلفاء العباسيين (٢) ، - ص ٣٤ .

ب - الغنوصية :

يقترن بذكر ماني والتعاليم المانوية ذكر اسم الغنوصية والديصانية والمريونية . فما هي الغنوصية ؟ وما علاقة الغنوص بكل من الديصانية والمريونية ؟ ومن ثم بالمانوية ؟

ذكر ابن النديم عن الديصانية : انما سمي صاحبهم بالديصان باسم نهر ولد عليه ، وهو قبل ماني ، والمذهبان (يقصد الديصانية والمانوية) قريب بعضهما من بعض ، وانما بينهما خلف (اختلاف) في اختلاط النور بالظلمة ، فان الديصانية اختلفت في ذلك على فرقتين : فرقة زعمت ان النور خالط الظلمة باختيار منه ليصلحها ، فلما حصل فيها ورام الخروج عنها امتنع ذلك عليه ، وفرقة زعمت ان النور اراد ان يرفع الظلمة عنه لما احس بخشونتها ونفثها ، شابكها بغير اختياره وزعم ابن ديسان ان النور جنس واحد والظلمة جنس واحد ، الفهرست (٣) ص ٤٨٨ . ويقول الشهرستاني عن الديصانية - وهو تقريبا يردد اقوال ابن النديم : « اصحاب ديسان اثبتوا اصلين ، نورا ، وظلاما . فالنور يفعل الخير قصدا واختيارا والظلام يفعل الشر طبعاً واضطراراً . فما كان من خير ونفع ، وطيب وحسن فمن النور . وما كان من شر وضرر ، وتتن وقبح ، فمن الظلام . وزعموا ان النور : حي ، عالم ، قادر ، حساس ، دراك ، ومنه تتكون الحركة والحياة . والظلام ميت ، جاهل ، عاجز ، جماد ، موات ، ولا فعل له ولا تمييز - الملل والنحل (٤) ، ج ١ ص ٢٥٠ . وكتب ابن النديم عن المريونية: اصحاب

(١) ترجمة حمزة طاهر ، القاهرة ،

(٢) القاهرة ، ١٩٥٤ .

(٣) طبع القاهرة ، (٩) .

(٤) طبع القاهرة ، ١٣٨١ هـ ، ١٩٦١ م .

مرقيون ، وهم قبل الديصانية ، وهم طائفة من النصارى ، اقرب من المانية والديصانية ، وزعمت المرقيونية ان الاصلين القديمين النور والظلمة ، وان ههنا كونا ثالثا مزجها وخلطها ٠٠٠ واختلفوا في الكون الثالث ما هو ، فقالت منهم طائفة هو الحياة ، وهو عيسى ، وزعمت طائفة ان عيسى رسول ذلك الكون الثالث - الفهرست ص ٤٨٨ - ٠٩ وبشيء من التفصيل يضيف الشهرستاني الى اقوال ابن النديم عن المرقيونية ، فيقول : اصحاب مرقيون اثبتوا اصلين قديمين متضادين : احدهما النور والثاني الظلمة . واثبتوا اصلا ثالثا هو المعدل الجامع وهو سبب المزاج . فان المتنافرين المتضادين لا يمتزجان الا بجامع . وقالوا : ان الجامع دون النور في المرتبة ، وفوق الظلمة ، وحصل من الاجتماع والامتزاج هذا العالم ٠٠٠ وهذا خلاف ما قالته المانوية ، وان كان ديصان اقدم ، وانما اخذ ماني منه مذهبه وخالفه في المعدل . وهو ايضا خلاف ما قال زردشت ، فانه يثبت التضاد بين النور والظلمة ، ويثبت المعدل كالحاكم على الخصمين ، الجامع بين المتضادين . - المل والنحل - ج ١ ص ٢٥٢ .

ويذكر ابن النديم عن ماني : « واستخرج ماني مذهبه من المجوسية والنصرانية » - الفهرست ص ٤٧٢ . ويذكر البيروني عن ماني : وكان عرف مذهب المجوس والنصارى والثنوية - الآثار الباقية - (١) ص ٢٠٧ . وقال عنه الشهرستاني : احدث دينا بين المجوسية والنصرانية - المل والنحل - ج ١ ص ٢٤٤ .

اما الغنوص فهو مجموعة آراء وثنية ذات اصول مختلفة لهذا احتوى على عقائد مختلفة بضمنها ثنائية الوجود وقد تسربت هذه الآراء الى المسيحية والى المانوية . يذكر كريستنسن ، آرثر عن ماني : وقد نشأ الطفل الصغير (يقصد ماني) على مذهب المغتسلة (يقصد الصابئة) . ولكنه تعمق بعد ذلك في درس اديان زمانه الزرادشتية والمسيحية والمذاهب الكنيسيتيكية (الغنوصية) وخاصة مذهبي ابن ديصان ومرقيون فترك مذهب المغتسلة - ايران في عهد الساسانيين (٢) - ص ٢٧١ - ٢ ، ٠٠٠ ولا يستطيع الباحث ان يغفل الاصل الكنوستيكي (الغنوصي) لخلق الدنيا والمعاد عند ماني . وقد وجد شيدر في ملخص عقائد ماني الذي ذكره الكسندر الليكوبوليسي في صورة فلسفية (يحتمل ان يكون حوالي سنة ٣٠٠) اساس الفلسفة الهيلينية التي بني عليها ماني ، تلميذ ابن ديصان ، نظريته - ايران في عهد الساسانيين (٣) - ص ١٧٩ وقد اشار بارتولد ، فاسيلي فلاديميروفيتش الى تأثير الغنوصية في المانوية : ان آراء بردسان الكاتب السرياني الذي حاول التآليف بين الفلسفة الوثنية المسماة الغنوصية

(١) ليبزك ، ١٨٧٨م .

(٢) ترجمة يحيى الخشاب ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

(٣) ن . م .

(الغنوصية) Gnosticism و بين بعض آراء النصرانية ، ولا ريب قد اثرت في المانوية التي ظهرت في القرن الثالث (١) . ويعلق المؤرخ التركي كوبريلي ، محمد فؤاد على كلام بارتولد ، ف . فيقول : ٠٠٠ فالغنوص gnosis معناها (المعرفة العليا ذات الاسرار) وتسمى العقائد الدينية الفلسفية المختلفة التي تتصل بـ (غنوص) الغنوصية ٠٠٠ ومع وجود اسرار مشتركة بين الغنوصيين الذين يؤمنون بوقوفهم على معرفة عالية ذات اسرار لا يطلع عليها غيرهم ، فان هنالك مذاهب غنوصية قد نشأت من اصول مختلفة و متميزة عن بعضها من حيث عقائدها . وتشاهد تحت هذا الاسم مذاهب مختلفة نشأت من الوثنية واليهودية والمسيحية ، اختلطت عقائدها بعضها ببعض ونشأت من اصول قديمة جدا (٢) .

ويرى الدوري ، عبد العزيز : ان كلا من ابن ديسان ومريقيون سبق مانوي في المزج بين الزردشتية والمسيحية وتكوين مذهب خاص من الاثنين ، العصر العباسي الاول (٣) ، اما بروكلمان ، كارل فيقول : ظهر مانوي كمؤسس لديانة غنوصية جديدة متأثرة بالنصرانية من ناحية وببابل وايران من ناحية اخرى ، تاريخ الشعوب الاسلامية (٤) .

(١) الحضارة الاسلامية ، ترجمة حمزة الطاهر ، القاهرة ، ص ١١ - ٢ .

(٢) ن . م . ص ١١ - ٢ .

(٣) بغداد ١٩٤٥ م ، ص ١١٢ .

(٤) ترجمة فارس ، د . نبيه امين ، وبعلبكي ، منير ، ج ١ ، ط ٢ ، بيروت ١٩٥٣ ، ص ١٠٨ .

الملحق - ج -

القصائد والاشعار التي قيلت بمناسبة الانتفاضة وما يتعلق بها

١ - الشاعر علي بن الجهم ، ابو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود القرشي الشامي ، ١٨٨ هـ ، ٩ ، ٢٤٩ هـ .

قال (★) علي بن الجهم بن بدر يمدح المعتصم بالله (١) :

- ١ - متى عطلت رباك من الخيام
سقيت معاهدا صوب الغمام - ٣ -
- ٣٦ - وليت (فلم) (٢) تدع لدين ثأرا
سيوفك والمثقلة الدوامي - ٩ -
- ٣٧ - نصبت المازيار على سحوق
وبابك والنصارى في نظام (٣) - ٩ -
- ٢٨ - مناظر لا يزال السدين منها
عزيز النصر ممنوع المرام - ٩ -
- ٤٢ - وجمع الزط حين عموا وصموا
عن الداعي الى دار السلام - ١٠ -
- ٤٤ - اطل عليهم يوم عبوس
(تعوذ) منه ايام الحمام - ١١ -

★ ★ ★

(★) ملاحظة : ان الارقام التي تسبق بيت الشعر تعود الى تسلسل الابيات في القصيدة بينما الارقام التي في نهاية بيت الشعر فتعود الى صفحات الديوان او المصدر المنقولة عنه القصيدة .

- (١) ديوان علي بن الجهم ، عني بتحقيقه خليل مردم بك ، دمشق ، ١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م . والمعتصم بالله ، الخليفة العباسي .
- (٢) في الاصل (ولم) والفاء في هذا الموضع احكم .
- (٣) السحوق - الطويل ، ويريد بالنصارى هنا الروم والذي صلب منهم ناطس (وسماه الطبري باطس) .
- (٤) حنا الفاخوري ، تاريخ الادب العربي ، لبنان ، ١٩٥١ م ، ص ٥٠٦ .

٢ - الشاعر البحتري ، ابو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى ،
٢٠٦هـ / ٨٢١م - ٢٨٤هـ / ٨٩٧م (٤)

قال يمدح ابا سعيد (١) (القائد محمد بن يوسف) :

- ١ - زعم الغراب منبىء الانبياء
ان الاحبة آذنوا بتناء - ٢٢٧ -
- ٢٢ - ثار محمد (٢) لهم على
كلب العدى وتخاذل الاحياء - ٢٢٨ -
- ٣٣ - ما انفك سيفك غاديا او رائحا
في حصد هامات وسفك دماء - ٢٢٨ -
- ٣٤ - حتى كفيتهم الذي استكفوك من
امر العدا ووفيت اي وفاء - ٢٢٨ -
- ٣٥ - ما زلت تقرر باب بابك بالقنا
وتزوره في غارة شعواء - ٢٢٨ -
- ٣٦ - حتى اخذت بنصل سيفك عنوة
منه الذي اعيأ على الامراء - ٢٢٨ -
- ٣٧ - اخليت منه البيت وهي قراره
ونصبه علما بسامراء - ٢٢٨ -
- ٣٨ - لم يبق فيه خوف بأسك مطمعا
للطير في عود ولا ابداء - ٢٢٨ -
- ٣٩ - فتراه مطردا على اعواده
مثل اطراد كواكب الجوزاء - ٢٢٨ -
- ٤٠ - مستشفا للشمس منتصبا لها
في اخريات الجذع كالحرباء - ٢٢٨ -

وقال يمدح اسحاق بن ابراهيم (٣) :

- ١ - عارضننا اصلا فقلنا الريبوب
حتى اضاء الاقحوان الاشنب - ١٨٧ -

(١) ديوان البحتري ، ط القسطنطينية ، جزءان ، سنة ١٣٠٠ ، ص ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٢٧٩ ، م ٠٢
(٢) يقصد القائد محمد بن حميد الطوسي .
(٣) المجلد الثاني، ص ١٨٧ - ٠٨ واسحاق بن ابراهيم بن مصعب هو القائد الذي انتصر على
الخرمية في معركة همدان ٢١٨هـ - ٨٢٣م .

- ٢٧ - ولحربة الاسلام حين يهزها
 حول يراع له النفاق ويرعب - ١٨٨ -
 ٢٨ - تلك الحمرة الذين تهافتوا
 فمشرق في غيه ومغرب - ١٨٨ -
 ٢٩ - والخرمية اذ تجمع منهم
 بجبال قران الحصى والاثلث - ١٨٨ -
 ٣٧ - سلبوا واشرقت الدماء عليهم
 محمرة فكأنهم لم يسلبوا - ١٨٨ -

وقال يمدح محمد بن يوسف (١) (أبا سعيد) :

- ١ - فيم ابتداركم الملام ولوعا
 ابكيت الا دمنة وربوعا - ١٦٧ -
 ٢٥ - لله درك (٢) يوم يابك فارسا
 بطلا لأبواب الحتوف قروعا - ١٦٨ -
 ٢٦ - لما اتاك يقود جيشا ارعنا
 يمشي اليه كثافة وجموعا - ١٦٨ -
 ٢٧ - وزعتهم بين الاسنة والظبي
 حتى ابدت جموعهم توزيعا - ١٦٨ -
 ٢٨ - في معرك ضنك تخال به القنا
 بين الضلوع اذا انحنين ضلوعا - ١٦٨ -
 ٢٩ - ما ان ثنى فيه الاسنة والظبي
 لطللي الفوارس سجدا وركوعا - ١٦٨ -
 ٣٠ - جلبتـه بشـاع رأس رده
 لبس الترائك للهيـاج صليعا - ١٦٨ -
 ٣١ - فدعوتهم بظبي السيوف الى الردى
 فأتوك طرا مهطعين خشوعا - ١٦٨ -

(١) المجلد الاول ص ١٦٧ - ٨٠

(٢) ذكر ياقوت الحموي هذا البيت من القصيدة محركا كلمة درك ، معجم البلدان ، م ١ ،
 كراسة ٣ ، ص ٣٦١ .

٣٢ - حتى ظفرت بيذهم فتركته
للذل (١) جانبه وكان منيعا - ١٦٨ -

★ ★ ★

وقال البحتري يرثي بني حميد ويخص ابا مسلم (٢) :

- ١ - اقصر حميد لا عزاء لمفرم
ولا قصر عن دمع وان كان من دم - ٥٥ -
- ٩ - بشاهقه البذنين قبر محمد
بعيد عن الباكين في كل مأتم - ٥٥ -
- ١٠ - تشق عليه الريح كل عشية
جيوب الغمام بين بكر وايم - ٥٥ -

★ ★ ★

وقال يمدح ابا سعيد محمد بن يوسف (الصامتي) (٣) :

- ١ - لا دمنة بلوى خبت ولا طلل
يرد قولاً على ذي لوعة يس - ١٧٥٨ -
- ٢٩ - تهفوبه راية صفراء تحسبها
اردية صبغتها الهون والشلل - ١٧٦٢ -
- ٣٠ - امسى يرد حريق الشمس جانبه
عن (بابك) ، وهي في الباقيين تشتعل - ١٧٦٣ -
- ٣١ - كأنهم ركبوا للحرب وهو لهم
بند ، فما لف مذ اوفى ولا نزلوا - ١٧٦٣ -

★ ★ ★

(١) ذكره ياقوت محركا للذل ، معجم البلدان ، م ١ ، فراسة ٣ ، ص ٣٦١ .
(٢) المجلد الثاني ، ص ٥٥ .
(٣) تحقيق حسن كامل الصيرفي ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ج ٣ ، ص ١٧٥٨ - ١٧٦٥ ، (هذه
الابيات لم تدرج سابقا في هذا الملحق وانما اضيفت فيما بعد) .

ذكر ابن الاثير - في الكامل (١) - عن الزط بعد اندحارهم لما جلبهم عجيف بن
عنبسه اسرى بسفنتهم الى بغداد ، ذكر كما يلي : واقام الزط في سفنتهم ثلاثة ايام ثم
نقلوا الى الجانب الشرقي وسلموا الى بشر بن السميدع ، فذهب بهم الى خانقين ثم
نقلوا الى الثغر الى عين زربة فأغار الروم عليهم فاجتاحوهم فلم يفلت منهم احد .
فقال شاعرهم في ذلك (٢) :

يا اهل بغداد موتوا دام غيظكم
شوقا الى تمر برنزي وسهريز - ٢٢٣
نحن الذين ضربناكم مجاهرة
قسرا وسقناكم سوق المعاجيز - ٢٢٣
لم تشكروا الله نعماه التي سلفت
ولم تحوطوا اياديه بتعزيز - ٢٢٣
فاستنصروا العبد من ابناء دولتكم
من يازمان ومن بلج ومن توز - ٢٢٣
ومن شناس وافشين ومن فرج
المعلمين بسديياج وابريز - ٢٢٣
واللابسين كمخان الصين قد خرطت
اردانه درز برواز الدخاريز - ٢٢٣
والحاملين الشكى نيطت علائقها (٣)
الى مناطق خاص غير مخروز - ٢٢٣
يغرى ببيض من الهند هامهم
بنو بهلة في ابناء فيروز (٤) - ٢٢٣
فوارس خيلها دهم مودعة -
علقى الخراطيم منها والفراريز (٥) - ٢٢٣
مسخرات لها في الماء اجنحة
كالاينوس اذا استحضرن والشيز - ٢٢٣
متى ترموا لنا في غمر اجتنا
حذرا نصيدكم صيد المفاقيز - ٢٢٣

(١) القاهرة ، ج ٥ ، ١٩٣١ - ١٩٤٠ م ، ص ٢٢٣ .
(٢) ن ٠ م ، هامش ص ٢٢٣ ، وكذلك الطبري ، م ٢ ، ج ٢ ، ص ١١٦٩ - ٧٠ .
(٣) في الطبري علائقها .
(٤) في الطبري ص ١١٦٩ .
(٥) في الطبري ، ص ١١٧٠ .

او اختطافا وارها كما اختطفنت
 طير الرجال حثانا بالشناقيز - ٢٣٤
 ليس الجلال جلال الزط فاعترفوا
 اكل الثريد ولا شرب القواقيز - ٢٣٤
 نحن الذين سقينا الحرب ذرتها
 ونقفينها مقاسات الكوالييز - ٢٣٤
 لنسفعنكم سفعا يذل له
 رب السرير ويشجى صاحب التيز - ٢٣٤
 فابكوا على التمر ابكى الله اعينكم
 في كل اضحى وفي فطر ونيروز (١) - ٢٣٤

ذكر الدينوري ، ابو حنيفة احمد بن داود في كتابه « الاخبار الطوال » (٢) : ولما
 قدم الافشين ومعه بابك اجلسه المعتصم على سرير امامه وعقد التاج على رأسه وفي
 ذلك يقول اسحاق بن خلف الشاعر في قصيدته التي مدح فيها المعتصم بالله (٣) :

ما غبت عن حرب تحرق نارها
 بالبد كنت هنا وانت هناك - ٣٤١
 عزت بأفشين حسامك اممة
 والدين ممسك به استمساكا - ٣٤١
 لما اتاك ببابك توجته
 وأحق من اضحى له تاجاك - ٣٤١

وذكر الدينوري ، ابو حنيفة ايضا (٤) : ان ابا تمام رثى محمد بن حميد الطوسي
 بقصيدة يقول فيها :

كأن بني نبهان يوم وفاته
 نجوم سماء خر من بينها البدر - ٣٣٩

.....
 (١) في الطبري ، ص ١١٧٠ .

(٢) القاهرة (٩) ، ص ٣٤١ .

(٣) ن ٠ م ٠ ص ٣٤١ .

(٤) ن ٠ م ٠ ، ص ٣٣٩ .

وفيها يقول :

فاثبتت في مستنقع الموت رجله
وقال لها من تحت اخمصك الحشر - ٣٣٩

★ ★ ★

قصيدة ابراهيم بن المهدي

ذكر السعودي في « مروج الذهب » (١) : ولما قتل بابك واخوه وكان من امره ما تقدم ذكره قام في مجلس المعتصم الخطباء فتكلموا وقالت الشعراء فممن قام في ذلك اليوم ابراهيم بن المهدي فقال شعرا بدلا من الخطبة وهو :

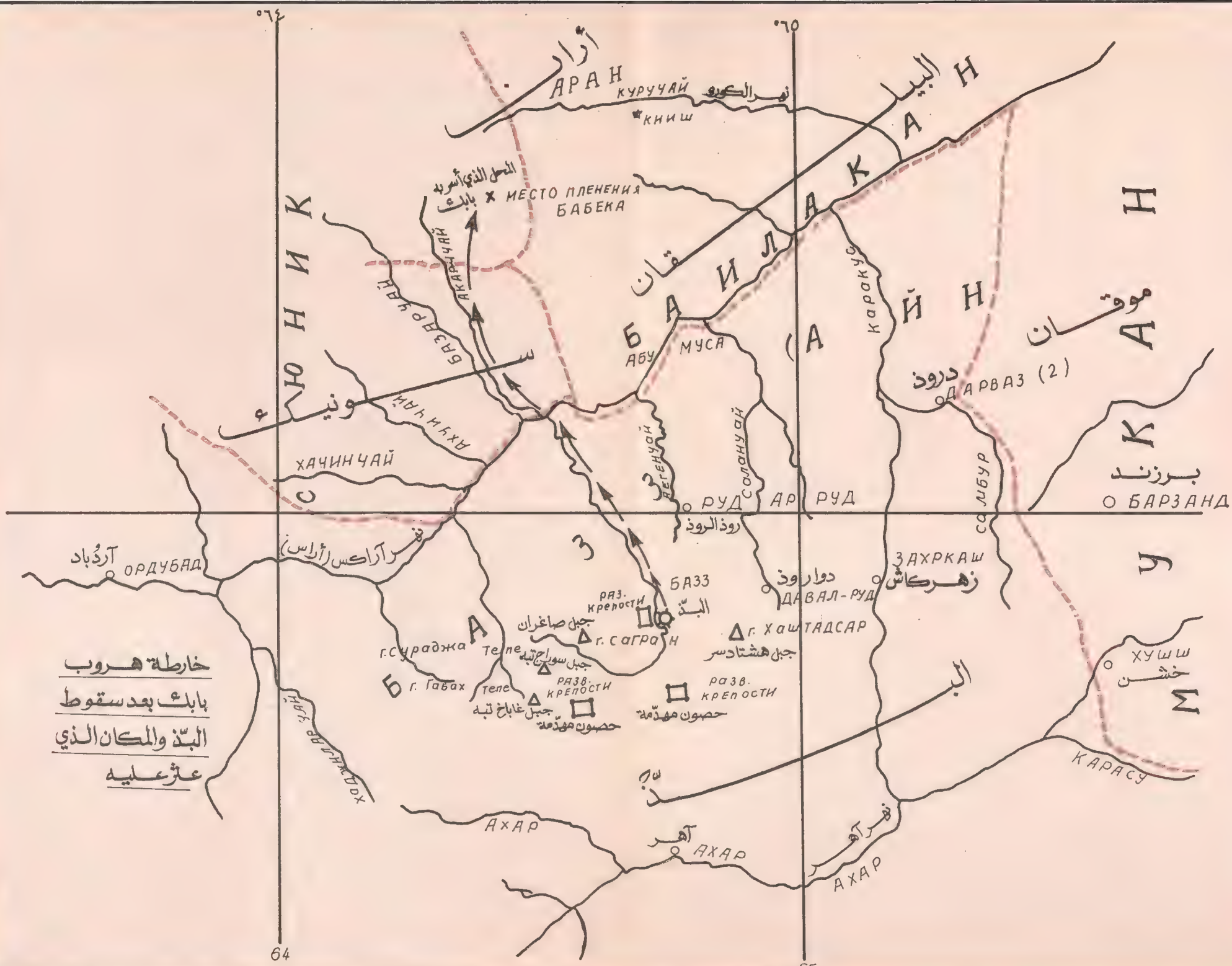
- ١- يا امين الله ان الحمد لله كثيرا - ٥٨
- ٢- هكذا النصر ، فلا زال لك الله نصيرا - ٥٨
- ٣- وعلى الاعداء اعطيت من الله ظهيرا - ٥٨
- ٤- وهنيئا هيا الله لك الفتح الخطيرا - ٥٨
- ٥- فهو فتح لم ير الناس له فتحا نظيرا - ٥٨
- ٦- وجزى الافشين عبدا الله خيرا وحبورا - ٥٩
- ٧- فلقد لاقى به بابك يوما قمطيرا - ٥٩
- ٨- ذاك مولاك الذي السيفه جلدا صبورا - ٥٩
- ٩- لك حتى ضرج السيف له خدا نظيرا - ٥٩
- ١٠- ضربة القت على الدهر له في الوجه نورا - ٥٩

★ ★ ★

أورد ابن خرداذبة ، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله ، في المسالك والممالك (٢) بيتا للشاعر الحسين بن الضحاک :

(١) الجزء الرابع ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٨ م ، ص ٥٨ - ٥٩ ، ورد في كتاب بابك لمؤلفه سعيد نفيسي المترجم عن الفارسية الى الاذربيجانية ذكر هذا الشعر محرفا : يا امير المؤمنين بدلا من يا امين الله، طهيرا بدلا من ظهيرا، ص ٨٠، وهنا الله بدلا من هيا الله ، وهو فتح بدلا من فهو فتح ، نظيرا بدلا من نظيرا ، قهطيرا بدلا من قمطيرا، السيك بدلا من السيف ، والبيت الاخير على هذه الصورة :

ضربة ابقت على الدهر في الوجه نورا
ص ٨١ ، ونعتقد ان لجهل الطبايع الباكوي من اثر في هذا التحريف .
(٢) ليدن ، ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٩ م ، ص ٢٢٠ .



خارطة هروب
بابك بعد سقوط
البذ والمكان الذي
عثر عليه

لم يدع للبذ من ساكنه
غير امثال كأمثال ارم - ٢٢٠

وقد اورد هذا البيت مع بيتين آخرين ، المقدسي ، المطهر بن طاهر في كتابه
« البدء والتاريخ » (١) دون ان يذكر قائله اذ كتب : وامر (الخليفة) بمدحه (للافشين)
وجعل صلتهم عنده فمما قيل فيه :

كل مجد غير ما اثلته
لبني كاوس اولاد العجم - ١١٧
انما الافشين سيف سله
قدر الله لكف المعتصم - ١١٧
لم يدع في البذ من ساكنه
غير امثال كأمثال ارم - ١١٧

كتب الطبري يصف عرض بابك في سامراء حيث اركبوه على فيل : وامر به
فجعل في قباء ديباج وقلنسوة سمور مدورة وهو وحده فقال محمد بن عبد الملك
الزيات (٢) :

قد خضب الفيل كعادته
يحمل شيطان خراسان - ١٢٣٠
والفيل لا تخضب اعضاؤه
الا لذي شأن من الشأن - ١٢٣٠

قال المسعودي (٣) - في التنبيه والاشراف - ليدن ، ١٨٩٣ :

-
- (١) طهران ، ج ٦ ، ١٩٦٢ م ، ص ١١٧ .
(٢) تاريخ الرسل ، م ٣ ، ج ٢ ، ليدن ، ١٨٨١ م ، ص ١٢٣٠ .
(٣) (لم تدرج ابيات الحسين بن الضحاك التي اوردها المسعودي في التنبيه والاشراف ، لـ
تدرج في الملحق سابقا واضيفت فيما بعد) .

ولحق الافشين بالمعتصم فنزل معه على عمورية وفي ذلك يقول الحسين بن الضحاك الخليع الباهلي في قصيدة طويلة يمدح ابا الحسن الافشين :

اثبت المعتصم عزاً لأبي	حسن اثبت من ركن أضم
كل مجد دون ما أثله	لبنى كاوس املاك العجم
لم يدع بالبذ من ساكنه	غير أمثال كأمثال أرم
وقر توفيل طعنا صادقاً	فض جميعه جميعاً وهزم

ص ١٧٠

وقال الحسين بن الضحاك في كلمة له طويلة يخاطب المعتصم :

لم تبق من انقرة نقرة	واجتحت عمورية الكبرى
ان يشك توفيل بتأريخه	فحق ان يعذر بالشكوى

ص ١٧٠

وقال :

تفنى بنو العيص وأيامهم	وذكر أيامك لا تفنى
يا رب قد أملكك من بابك	فاجعل لتوفيلهم العقبى

ص ١٧٠

★ ★ ★

ذكر ابن اسفنديار ، محمد بن الحسن في كتابه (تاريخ طبرستان) (١) قصيدة لم يذكر قائلها (٢) :

- ١ - وقايله جرتم غداة يسوقكم
اسارى الى اللفور قلف الاساور - ١٥٣
- ٢ - لعمرك لو شئنا امتنعنا واصبحت
بنو قارن فينا طحين الدوائر - ١٥٣
- ٨ - ايرضى امير المؤمنين بما نرى
وليس امير المؤمنين بجائر - ١٥٣

(١) ترجمة براون الى الانكليزية ، لندن ، ١٩٠٥ م.
(٢) ن ٠ م ص ١٥٣ .

٩ - ايجعلنا نهب المجوس وما نرى

اليهم سوى دين الهدى من جرائر - ١٥٣

فان ينج مثل المازيار ولم يندق

سلافة موت من كؤوس البواتر - ١٥٣

وانسي الاقي المازيار كائنني

أرى رأسه تاجبا لرمح بن طاهر - ١٥٣

★ ★ ★

٣ - الشاعر ابو تمام ، حبيب بن اوس الطائي ، يذكر بأنه ولد ١٨٠هـ ، ٧٩٦م او

١٨٨هـ / ٨٠٤م والراجح ١٩٠هـ / ٨٠٦م ، وتوفي ٢٢٨هـ / ٨٤٣م ، وهو اكثر الشعراء

ذكرا للانتفاضة ومواقعها ومعاركها .

وقال يمدح ابا دلف القاسم بن عيسى العجلي (١) :

١ - على مثلها من اربع وملاعب

اذ علت مصونات الدموع السواكب - ٢٠٥

٣١ - وقد علم الافشين وهو الذي به

يصان رداء الملك عن كل جاذب - ٢١٧

٣٢ - بانك لما أسحنك الأمر واكتسى

اهابة تسفر في وجوه التجارب - ٢١٨

٣٣ - تجللت به بالرأي حتى اريت به

به ملء عينيه مكان العواقب - ٢١٨

٣٤ - بأرشق اذ سالت عليهم غمامه

جرت بالعوالي والعناق الشواذب - ٢١٨

★ ★ ★

يمدح ابا سعيد محمد بن يوسف ويذكر وقعته مع الخرمية (٢) :

١ - ابي فلا شنباً يهوى ولا فلجاً

ولا احورارا يراعيه ولا دعجاً - ٣٣٣

٢ - كفى فقد فرجت عنه عزيمته

ذاك الولوع وذاك الشوق فانفرجا (٣) - ٣٣٣

(١) ديوان ابي تمام ، بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ، مصر ، ١٩٥١م ،

م ١ ، ص ٢٠٥ ، ٢١٨ ، وايضا ديوان ابي تمام ، القاهرة ، ١٩٤٢م ، ص ٣٥ - ارشق

قال ياقوت الحموي ، جبل بأرض موقان من نواحي اذربيجان عند البذ مدينة بابك الخرمي ،

معجم البلدان ، م ١ ، كراسة ٢ ، ص ٦٥٢ (طبعة بيروت ، ١٩٥٧) .

(٢) ديوان ابي تمام ، مصر ١٩٥١م ، م ١ ص ٣٣٣ ، ص ٣٣٩ . وطبعة القاهرة ١٩٤٢ ، ص

٥٣ - ٥٤ .

(٣) ط القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ٥٤ .

- ٣ - كانت حوادث في موقان ما تركت
للخرمية لا رأسا ولا ثجبا (١) - ٣٣٣
٥ - ابلغ محمدا الملقى كلاله
بأرض خش امام القوم قد لبجا - ٣٣٤
١٢ - ويوم ارشق والآمال مرشقه (٢)
اليك لا تبتغي عنك منرجبا - ٣٣٥
١٤ - لله ايامك اللاتي اغرت بها
ضفر الهدى وقديما كان قد مرجبا (٣) - ٣٣٦
١٥ - كانت على الدين كالساعات من قصر
وعدها بابك من طولها حجبا (٤) - ٣٣٦
٢٨ - ان ينج منك ابو نصر فعن قدر
تنجو الرجال ولكن سله كيف نجا (٥) - ٣٣٩
٢٩ - قد حل في صخرة صماء معنقة (★)
فانحت برأيك في اوعارها درجا - ٣٣٩

★ ★ ★

قال ابو تمام يمدح ابا سعيد محمد بن يوسف الثغري (٦) :

- ١ - حمته فأحتمى طعم الهجود
غداة رمته بالطرف الصيد - ٨١
٢٤ - أليس بأرشق كنت المحامي
عن الاسلام ذا بأس شديد - ٨٣
٢٥ - رآك الخرمي عليه نارا
تلهب غير خامدة الوقود - ٨٣

- (١) الثبج الظهر ، وثبج كل شيء معظمه .
(٢) ارشقت المرأة والظبية اذا ادامت النظر .
(٣) مرج الدين : اضطرب .
(٤) طبعة ١٩٤٢ ، ص ٥٤ .
(٥) (ابو النصر) : قيل هو بابك ، وقيل من اصحابه ، اي نجا مسلوبا . وطبعة القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ٥٥ .

- (★) معنقة مرتفعة واصل ذلك في طول العنق .
(٦) ديوان ابي تمام ، ط القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ٨١ - ٨٤ .

- ٢٦ - دلفت لهم بأبناء المنايا
على العقبان في خلق الأسود - ٨٣
- ٢٧ - رجبا صيدا فردته المنايا
الى انياب مقتنص الصيد - ٨٣
- ٢٨ - وقد كان الجليد ففادته
رماحك غير مصطبر جليد - ٨٣
- ٢٩ - وفي موقان كنت غداة ماقوا
اشد قوى من الحجر الصلود - ٨٣
- ٣٤ - ويوم البتد لما يبق حقد
على الاعداء في قلب حقود - ٨٣
- ٣٥ - حططت ببابك فانحط لما
رأى أجل الشقي مع السعيد - ٨٣
- ٣٦ - وما ان زلت تأنسه بوعد
وتوحشه بانثاذان الوعيد - ٨٣
- ٣٧ - فطورا تجلب الدنيا عليه
بخيل في السروج وفي اللبود - ٨٣
- ٣٨ - وطورا تستثير عليه رايا
كحد السيف في جبل الوريد - ٨٣
- ٣٩ - تمثّل نصب عينيه المنايا
فيرغب في القيام وفي القعود - ٨٣
- ٤٠ - وما شيء من الاشياء اقضى
على المهجات من رأي سديد - ٨٣
- ٤١ - فما ندري أحّدك كان أمضى
غداة البتد أم حد الحديد - ٨٣
- ٤٢ - لأن طلعت نجومهم بنحس
لقد طلعت نجومك بالسعود - ٨٤

وقال يمدح ابا سعيد محمد بن يوسف الطائي (١) :

- ١ - سرت تسجير الدمع خوف نوى غد
وعاد قتادا عندها كل مرقد - ٢٢

(١) ديوان ط ١٩٥١ ، ص ٢٢ - ٣١ .

- ١١ - رمى الله منه بابكا وولاته
 بقاصمة الاصلاب في كل مشهد (١) - ٢٤
 ١٤ - فتى يوم بئذ الخرمية لم يكن
 بهيابة نكس ولا بمعبرد (٢) - ٢٤
 ١٥ - قفا سندبایا والرماح مشیحة
 تهدى الى الروح الخفي فتهدى (٣) - ٢٥
 ١٦ - عدا الليل فيها عن معاوية الردى
 وما شك ريب الدهر في انه ردى - ٢٥
 ١٩ - وفي أرشق والهجاء والخیل ترتمی
 بأبطالها في جماجم متوقد - ٢٦
 ٢٠ - عططت على رغم العدا عزم بسابك
 بصبرك عتط الا تحمى المعضد (٤) - ٢٦
 ٢٣ - وموقان كانت دار هجرته فقد
 توردها بالخیل ای توردد - ٢٦
 ٣١ - وللكذج العلیاء سمت بك همّة
 طموح يروح النصر فيها ويغتدي (٥) - ٢٨
 ٣٤ - وبالهضب من أبرشتوم و درود
 علت بك اطراف القنا فاعل وازدد - ٢٨
 ٤٢ - جلوت الدجى عن انزبجان بعدما
 تردت بلون كالغمامة أربدد - ٢٩
 ٤٤ - رأى بابك منك التي طلعت له
 بنحس وللبدین الحنیف بأسعد - ٣٠



- (١) طبعة ١٩٤٢ ، ص ٧٦ - ٧٩ واورد باقوت تسلسل ١١ - ١٤ - ١٥ ، معجم م ١١ ، ص ٢٦٧ ،
 وجاء في ديوان ١٩٤٢ بابكا وجيوشه ، ص ٧٧ ، وورد في كتاب بابك لسعيد نفيسي
 المترجم الى الانريجانى عن الفارسية بقاصمة بدلا من بقاصمة ، ص ٦٩ وهذا خطأ
 مطبعي .
 (٢) المعرد الهارب ، ط ٤٢ ، ص ٧٧ ، وفي ترجمة بابك للانريجانى بهياته بدلا من بهيابة ،
 ص ٦٩ ، وهذا خطأ مطبعي ولا شك .
 (٣) ورد في ط ٤٢ والنایا مشیحة ، ص ٧٧ .
 (٤) الغط الشق والا تحمى ضرب من البرد والمعضد الذي فيه خطوط تخالف لونه ، ورد هذا
 البيت في ط ٤٢ ، ص ٧٧ .
 (٥) الكذج بالفارسية البيت المسكون فكان هذا الموضع سمي بذلك . ورد هذا البيت في ط ٤٢ ،
 ص ٧٨ . وورد في معجم البلدان ، م ١٦ ، ص ٤٤٢ . واورد ديوان ط ٤٢ بيتا (حططت
 بها يوم العروبة عزه - وكان مقيما بين نسر وفرقد) بيت ٢٤ ص ٧٧ .

وقال يمدح ابا سعيد (١) (محمد بن يوسف) :

- ١ - داع دعما بلسان هاد مرشد
- فأجاب عزم هاجد في مرقد - ١٠٢
- ٢١ - ان الخلافة لو جزتك بموقف
- جعلت مثالك قبلة للمسجد - ١٠٣
- ٢٢ - وسعت اليك جنودها حتى اذا
- امتك خر ليدك كل مقلد - ١٠٣
- ٢٣ - والله يشكر والخليفة موقفا
- لك شائعا بالبنذ صعب المشهد - ١٠٤
- ٢٤ - في مأزق (٢) ضحك المكلا مغمص
- ارز المجال من القنا المنقص - ١٠٤
- ٢٧ - يا فارس الاسلام انت حميته
- وكفيته كلب العدو المعتدي - ١٠٤
- ٣٠ - ادركت فيه دم الشهيد وثأره
- وقلجت فيه بشكر كل موحد - ١٠٤
- ٣١ - ضحكت له اجيال مكة ضحكا
- في يوم بدر والعتاد الشهيد - ١٠٤
- ٣٢ - احييت للاسلام نجده خالد
- وفسحت فيه لمتهم ولنجد - ١٠٤

★ ★ ★

وقال يمدح ابا سعيد ، محمد بن يوسف الطائي (٣) :

- ١ - بأبعد غاية دمع العين بعدوا
- هي الصبابة طول الدهر والشهد - ١٠
- ٣٤ - تركت منهم سبيل النار سابلة (★)
- في كل يوم اليها عصابة تفد - ١٨

(١) ديوان ابي تمام ، ط القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ١٠٢ - ١٠٥ .

(٢) مأزق كمجلس المضيق .

(٣) ديوان ابي تمام، ط ١٩٥١ ، م ٢ ، ص ١٠ ، وط القاهرة ، ١٩٤٢ ، ص ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ،

٧٦ ، وقدورد في ص ٧٥ تسلسل ٢٧ ما يلي :

٢٧ - اعياء على وما اعياء بمشكلة بسندبايا ويوم الروع محتشد - ٧٥

(★) سابلة عامرة : يقول تركت سبل جهنم منهم عابرة ، لانهم يصيرون اليها اذا قتلوا .

- ٣٥ - كأن بآبك بالبذين بعدهم
 نؤى اقام خلاف الحي او وتد (١) - ١٨
 ٤٢ - وأهل موقان اذ ما فوا فلا وزر
 انجاءهم منك في الهجاء ولا سند (٢) - ٢٠
 ٤٤ - لم تبك مشرقة الا وقد علمت
 ان لم تبك ان للسيف ما تلد (٣) - ٢٠
 ٤٥ - والبير (٤) حين اطلخهم الامر صبحهم
 قطر من الحرب لما جاءهم خمدوا - ٢٠

★ ★ ★

وقال ابو تمام يمدح ابا سعيد محمد بن يوسف الطائي (٥) :

- ١ - اظن دموعها سنن الفريد
 وهي سلكاه من نحر وجيد - ٣٢
 ٦ - بأرض البذل في خيشوع حرب
 عقيم من وشيك ردى ولود - ٣٤
 ١٧ - قضى من سنبايا كل نصب
 وارشق والسيوف من الشهود (٦) - ٣٦
 ١٨ - وارسلها على موقان رهوا
 تثير النقع اكدر بالكديد (٧) - ٣٧
 ٢٥ - وفي ابرشتويم وهضبتيهما
 طلعت على الخلافة بالسعود (٨) - ٣٨
 ٢٧ - وبينت البيات بعقد جأش
 اشد قوى من الحجر الصلود - ٣٨

- (١) اورد ياقوت هذا البيت في معجم ، م ٣ ، ص ٣٦٠ ، وفي ديوان ابي تمام ، ط ٤٢ ، الابيات تسلسل ٣٤ ، ٣٥ ، ٤٣ ، في ص ٧٥ .
 (٢) تقابل ص ٧٥ . وقد وردت كلمة تنبت بدلا من تنب ، تسلسل ٤٤ ، ط ٤٢ ، ص ٧٥ .
 (٣) ص ٧٦ ، والبير جنس من العجم .
 (٤) ديوان ط ١٩٥١ ، م ٢ ص ٣٢ - ٤١ ، وط ١٩٤٢ ، ص ٧٩ - ٨١ .
 (٥) طبعة ١٩٤٢ ، ص ٨٠ ومعجم ، م ٢ ، ص ١٩٥٢ ، والنحب النذر .
 (٦) ط ١٩٤٢ ، ص ٨٠ ومعجم ، م ٢ ، ص ١٥٢ ، ورد فيه - الى موقان . وبالكديد ، بالكسر .
 (٨) ط ٤٢ ص ٨٠ ومعجم م ١ ، ص ٦٥ .

- ٣١ - ويوم القتل تل البذ ابنا
ونحن قصار اعمار الحقود - ٣٩
- ٣٢ - قسمناهم فشطير للعوالي
وآخر في لظى حرق الوقود - ٣٩
- ٣٤ - ويوم انصاع (١) بابك مستمرا
مباح العقر مجتاح العبيد - ٤٠
- ٣٥ - تأمل شخص دولته فعنت
بجسم ليس بالجسم المديد - ٤٠
- ٣٦ - فازممع نية هربا فحامت
حشاشته على اجل بليد (٢) - ٤٠
- ٣٧ - تقنصه بنو سنباط اخذا
باشراك الموائق والعهود - ٤٠
- ٣٨ - ولولا ان ربحك دربتهم
لأجمت الكلاب عن الاسود - ٤٠
- ٣٩ - وهرجاما (٣) بطشت به فقلنا
خيار البذ كان على القعود - ٤٠
- ٤٠ - وقائع قد سكبت (٤) بها سوادا
على ما احمر من ريش البريد - ٤١

★ ★ ★

وقال ابو تمام يمدح المعتصم ويذكر امر الافشين (٥) وهو خيذر بن كاوس :

١ - الحق ابـلج والسيوف عوار (٦)

فحذار من اسد العرين حذار - ١٩٨

- (١) ط ٤٢ ص ٨١ وانصاع ذهب في ناحية .
(٢) ط ٤٢ ، ص ٨١ ، والبليد المتباطيء المتحير اي حامت نفسه على اجله البليد حتى لم يقتل يومئذ .
(٣) هرجام اسم رئيس ، وفي ط ٤٢ . . . كان على القعود . وهرجام ملك الصيادنة ولقد روى هذا البيت بعد ٠٠ وقائع قد سكبت بها ، ص ٨١ .
(٤) اشار في الهامش (كان البريد اذا جاء وعليه السواد كان ذلك دليل الظفر واذا كان عليه الحمرة كان ذلك خلاف الظفر) ، وفي ط ٤٢ وقائع قد سكبت ، ص ٨١ .
(٥) ط ٥١ ، م ٢ ، ص ١٩٨ - ٢٠٨ ، وط ٤٢ ، ص ١١٣ - ١١٦ ، والافشين هو حيدر بن كاوس .
(٦) اورد اليعقوبي هذا البيت وفيه (والسيوف عواري) ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ .

- ١٩ - ما كان لولا فحش عذرة خيذر
ليكون في الاسلام عام فجار - ٢٠٢
- ٢٠ - ما زال سر الكفر بين ضلوعه
حتى اصطلى سر الزناد الواري - ٢٠٣
- ٢١ - نار ايساور جسمه من حرها
لهب كما عصفت شق ازار - ٢٠٣
- ٢٢ - طارت لها شعل يهدم لفحها
اركانه هدمها بغير غبار - ٢٠٣
- ٢٣ - مشبوبة رفعت لأعظم مشرك
ما كان يرفع ضوءها للساري - ٢٠٣
- ٢٤ - صلى لها حيا وكان وقودها
ميتا ويدخلها مع الفجار - ٢٠٣
- ٢٩ - يا قابضا يد آل كاوس عادلا
اتبع يميننا منهم بيسار - ٢٠٦
- ٤٤ - ولقد شفى الاحشاء من برحائها
ان صار بابك جار مازيار (١) - ٢٠٧
- ٤٥ - ثانيه في كبء السماء ولم يكن
لاثنين ثان اذ هما في الغار (٢) - ٢٠٧
- ٤٦ - وكأئما انتبذا لكىما يطويا
عن ناطس (٣) خبرا من الاخبار - ٢٠٧
- ٤٧ - سود الثياب (٤) كأئما نسجت لهم
ايدي السموم مدارعا من قار - ٢٠٨
- ٤٨ - بكروا واسروا في متون ضوامر
قيدت لهم من مربوط النجار - ٢٠٨

(١) (٢) اوردهما اليعقوبي ، التاريخ ، ج ٣ ، ص ٢٠٣ ، ديوان ط ٤٢ ، ص ١١٥ .
(٣) جاء في شرح هذا البيت (عن العبيدي) - : (ناطس) بطريق عمورية ، وفي نسخة
(ياطس) بالياء ملك ٠ وفي الهامش قال المرتزقي : يعني بابك والمازيار ، وكأنا لما صلبا
قرب احدهما من الآخر وتنحى عنهما ناطس الرومي فقال كأئما تنحيا عن ناطس ليكتما
عنه سرا ويطويا دونه خبرا ولا يريدان وقوفه عليه ٠ ورواية الصولي (ناطس) وجاء في
ط ٠ في حاشية الخارزنجي ابو يحيى : حكى ان جذعي مازيار وافشين كانا فوق جذع
باطس وكلا الجذعين مائل وفي اصل الخارزنجي (ياطس) بالياء اخر الحروف ٠٠ هامش
ص ٢٠٧ ، وفي طبعة ٤٢ ورد هذا البيت :
وكأئما ابتدرا لكىما يطويا عن باطس خبرا من الاخبار - ١١٥
(٤) المقصود ٠٠ الافشين وبابك والمازيار ٠ واراد بسواد ثيابهم اسوداد جلودهم بالشمس
والرياح ، وورد هذا البيت في ط ١٩٤٢ سود اللباس بدلا من سود الثياب - ١١٥ ٠

- ٤٩ - لا يبرحون ومن رآهم خالهم
 ابدا على سفر من الاسفار - ٢٠٨
 ٥٠ - كادوا النبوة والهدى فقتطعت
 اعناقهم في ذلك المضمار - ٢٠٨
 ٥١ - جهلوا فلم يستكثروا من طاعة
 معروفة بعمارة الاعمار - ٢٠٨

★ ★ ★

- قال ابو تمام يمدح ابا دلف القاسم بن عيسى العجلي (١) :
 ١ - اما الرسوم فقد اذكركن ما سلفا
 فلا تكفن عن شأنك او يكفا (٢) - ٣٥٩
 ٢٥ - ان الخليفة والافشين قد علما
 من اشتفى لهما من بابك وشفى - ٣٦٧
 ٢٦ - في يوم اشرق والهيحاء قد رشقت
 من المنية رشقا وابلا قصفا - ٣٦٧
 ٣٢ - وممر بابك مر العيش منجما (٣)
 محلولا دمه المعسول رشفا - ٣٦٩
 ٣٣ - حيران يحسب سجع النفع من دهن
 طودا يحاذر ان ينقض او جرفا - ٣٦٩
 ٣٤ - ظل القنا يستقي من صفه مهجا
 اما ثمادا واما ثره خسفا - ٣٦٩
 ٣٩ - ورب يوم كأيام تركت به
 متن القناة ومتن القرن منقصفا - ٣٧١
 ٤٠ - ازرت (٤) ابرشتويما (٥) والقنا قصد
 غيابه الموت والمقورة الشسفا - ٣٧١

(١) ديوان ط ٥١ ، م ٢ ، ص ٣٥٩ - ٣٨٥ ، وط ٤٢ ، ص ١٥٠ - ١٥٣ .
 (٢) شأنك تشنية شأن وهي مجاري الدمع ، ويروى عن (شأنك) ، ورد في ط ٤٢ ، ص ١٥٢ .
 (٣) ورد في ط ٣٢ - وممر بابك مر الرياح منجذبا - ص ١٥٢ .
 (٤) (ازرت) من الزيارة وازرت بتشديد الزاي اي جعلت لها كالازار و (الغيابة) كالغمامة
 (والمقورة) الخيل الضامرة وتكون من صفات السمين وهو من الاضداد (الشسف) من
 قولهم شسف الفرس اذا ضمير ضمرا شديدا . وورد في ط ٤٢ والمقورة الشسفا - ص ١٥٢ .
 (٥) جاء في المعجم (معجم البلدان) ابرشتويم - وهو جبل بالبذ من ارض موغان من نواحي
 اذربيجان ، كان يأوي اليه بابك الخرمي .

- ٥٢ - وظل بالظفر الافشين مرتديا
وبات بابكها بالذل ملتخفا (١) - ٣٧٤
٥٣ - اعطى بكتها يديه حين قيل له
هذا ابودلف العجلي قد دلفا - ٣٧٤
٥٤ - تركت اجفانه مغضوذة ابدا
ذلا تمكن من عينيه ، لا وطفا - ٣٧٥

★ ★ ★

وقال يمدح ابا سعيد محمد بن يوسف (٢) :

- ١ - اما انه لولا الخليط المودع
وربع خلا منه مصيف ومربع - ١٤٢
٣٢ - ويوم يظل العز يحفظ وسطه
بسمر العوالي ، والنفوس تضيع (٣) - ١٤٣
٣٦ - شققت الى جباره حومة الوغى
وقنعتة بالسيف وهو مقنم (٤) - ١٤٤
٣٧ - لدى سندبايا لا تهاب وارشق
وموقان والسمر والملاذن ترزعز (٥) - ١٤٤
٣٨ - وابرشتويم والبيات وملتقى
سناكبها والخيل تردى وتمزع (٦) - ١٤٤

★ ★ ★

وقال يمدح المعتصم ويذكر الافشين (٧) : وقال غير ابي بكر كان ابو تمام
بنيسابور على باب عبد الله بن طاهر (والي خراسان) فخرج ابو العميثل حاجبه
برقعة فيها بيتان من شعر قالهما عبد الله فقال لابي تمام يقول لك الامير قل في معنى
هذين البيتين ووزنهما وهما في الافشين وكان يحارب بابك في مدينة ارشق والبيتان
هما :

- (١) ورد في ط ٤٢ (فظل بالظفر الافشين ٠٠٠) ، ص ١٥٣ .
(٢) ديوان ط ٤٢ ، ص ١٤٢ - ١٤٤ والابيات غير محررة ، واعتمدنا تحريكها على ياقوت
الحموي .
(٣) ذكره ياقوت ، معجم ، م ١ ، ص ٦٥ .
(٤) ذكره ياقوت (شققت الى جباره) ، معجم ، م ١ ، ص ٦٥ .
(٥) ذكره ياقوت (يززعز) ، معجم ، م ١ ، ص ٦٥ .
(٦) ذكره ياقوت (والكذاج) ، معجم ، م ١ ، ص ٦٥ .
(٧) ديوان ط ٤٢ ص ١٨٦ - ١٨٨ .

لعمرى لنعم السيف سيف بأرشق
نضى الجفن عنه خير حاف وناعل
تمنى به ضربا دراكا فأجفلت
نعامتهم عن بيضها المتقابل

فقال ابو تمام هذه القصيدة :

- ١ - غدا الملك معمور الحرا والمنازل
منور وحف الروض عذب المناهل - ١٨٦
- ٩ - لقد لبس الافشين قسطلة الوغى
محش بنصل السيف غير مواكل - ١٨٦
- ١٢ - رأى بابك منه التي لا سوى لها
سوى سلم ضيم او صفيحة قاتل - ١٨٧
- ١٧ - فلما رآه الخرميون والقنا
بوبل اعاليه مغيث الاسافل - ١٨٧
- ١٩ - عشية صد البابكي عن القنا
صدود المثالي لا صدود المجامل - ١٨٧

★ ★ ★

وقال يمدح المعتصم ويذكر اخذ بابك (١) :

- ١ - آلت امور الشرك شر مآل
واقربعد تخبط وصيال (٢) - ١٩٦
- ٢ - غضب الخليفة للخلافة غضبة
رخصت لها المهجات وهي غوال - ١٩٦
- ٣ - لما انتضى جهن السيوف لبابك
اغمدن عنه جهالة الجهال - ١٩٦
- ٤ - فلأذريجان اختيال بعدما
كانت معرس عبرة ونكال - ١٩٦
- ٢١ - فرماه بالافشين بالنجم الذي
صدع الدجى صدع الرداء البالي - ١٩٧

(١) ديوان ط ٤٢ ص ١٩٦ - ٢٠٠ .

(٢) نقل هذا البيت في شرح تاريخ اليعقوبي ، ج ٣ ، ص ٢٠٠ .

- ٢٣ - يا يوم ارشق كنت رشق منية
للخرمية صائب الآجال - ١٩٧
- ٢٧ - لما رآهم بابك دون المنى
هجر الغواية بعد طول وصال - ١٩٧
- ٢٨ - اتخذ الفرار أخا وابقن انه
جرى عزم من ابي سمال - ١٩٧
- ٣١ - ووردنا موقانا عليه شوازيبا
شعثا بشعث كالقطا الارسال - ١٩٧
- ٣٥ - وانصاع عن موقان وهي لجنده
وليه اب بر وأم عيال - ١٩٧
- ٤١ - وبهضبتني ابرشتويهم ودروذ
لقحت لقاح النصر بعد حيال - ١٩٨
- ٤٤ - فليشكروا جنح الظلام ودروذا
فهم لدروذ والظلام موال (١) - ١٩٨
- ٥٣ - فالبذ اغبر دارس الاطلال
ليد الردى اكل من الآكال - ١٩٨
- ٥٤ - السوت به يوم الخميس كتائب
ارسلنه مثلا من الامثال - ١٩٨



وقال يمدح ابا سعيد (٢) :

- ١ - عسى وطن يمدنو بهم ولعلمنا
وان تعتب الايام فيهم فربما - ٢٢٢
- ١٨ - جدعت لهم انف الضلال بوقعه
تخرمت في غمائها من تخرما - ٢٢٣

(١) جاء في شرح تاريخ اليعقوبي ، ط النجف ص ٢٠٠ :

لولا الظلام وقلة علقوا بها باتت رقابهم بغير قلال
فليشكروا جنح الظلام ودروذا فهم لدروذ والظلام موال
وورد في كتاب بابك لسعيد نفيسي المترجم الى الاذربيجانية عن الفارسية هذا البيت :

فليشكر واجنح الظلام ودروذا فهم لدروذ والظلام موال
ص ٦٩ وسببه كما نطن جهل الطباع الباكووي باللغة العربية .

(٢) ديوان ط ٤٢ ، ص ٢٢٢ - ٢٢٥ .

- ١٩ - لئن كان امسى في عقر قس اجدعا
 فمن قبل ما امسى بميمذا خرما - ٢٢٣
 ٢١ - قطعت بنان الكفر منهم بميمذ
 واتبعها بالروم كفا ومعصما - ٢٢٣
 ٢٢ - وكم جبل بالبذ منهم هددته
 وغاو غوى حلمته لو تحلما - ٢٢٣

★ ★ ★

وقال يمدح اسحاق بن ابراهيم المصعبي (١) :

- ٤٠ - غادرت بالجبل الالهواء واحده
 والشمل مجتمعا والشعب ملتئما - ٢٣٠

وقال يمدح اسحاق بن ابراهيم المصعبي (٢) :

- ٢٢ - نفسي فداؤك والجبال واهلها
 في طرمساء من الحروب بهيم - ٢٣٢
 ٢٣ - بالداودويه وخيـزج وذواتها
 عهد لسيفك لم يكن بزميم - ٢٣٢

★ ★ ★

وقال يمدح الافشين (٣) :

- ١ - بذ الجلال البذ فهو دفين
 ما ان به الا الوحوش قطين (٤) - ٢٤٧
 ٢ - لم يقر هذا السيف هذا الصبر
 في هيجاء الا عز هذا الدين (٥) - ٢٤٧
 ٣ - قد كان عذره مغرب فاقتضها
 بالسيف فحل المشرق الافشين (٦) - ٢٤٧

(١) ن ٠ م ٠ ، ص ٢٢٨ - ٢٣١ .

(٢) ن ٠ م ٠ ص ٢٣١ - ٢٣٤ .

(٣) ن ٠ م ٠ ص ٢٤٧ - ٢٤٩ .

(٤ - ٥) الطبري ، م ٣٠ ، ج ٢ ، ص ١٢٣٣ . وقد كتب الطبري هذا البيت وذكر العجز : ما ان

بها ٠٠٠ بدلا من (به) .

(٦) ذكره الطبري قد كان عذره سؤدد فاقتضها ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٣٣ - ٤ .

- ٤ - فاعادها تعوي الثعالب وسطها
ولقد ترى بالامس وهي عرين (١) - ٢٤٧
- ٥ - جادت عليها من جماجم اهلها
ديم امارتها طلي وشؤون (٢) - ٢٤٧
- ١٣ - قاد المنايا والجوش فأصبحت
ولها بأرشق قسطل عثون - ٢٤٨
- ١٤ - فتركت ارشق وهي يرقى باسمها
صم الصفا فتفيض منه عيون - ٢٤٨
- ١٦ - لاقاك بابك وهو يزأر وانثنى
وزئيره قد عاد وهو انين - ٢٤٨
- ٢٠ - اوقعت في ابرشتويم وقائعا
اضحكن سن الدهر وهو حزين - ٢٤٨
- ٣٠ - واخذت بابك حائلا دون المنى
ومنى الضلال مياهن اجون - ٢٤٨
- ٣١ - طعن اللهف قلبه ففؤاده
من غير طعنة فارس مطعون - ٢٤٨
- ٣٢ - ورجا بلاد الروم فاستعصى به
اجل اصم عن النجاء حرون - ٢٤٩
- ٣٣ - هنيات لو يعلم بائك لو شوى
بالصين لم تبعد عليك الصين - ٢٤٩
- ٣٤ - ما نال ما قد نال فرعون ولا
هامان في الدنيا ولا قارون - ٢٤٩
- ٣٥ - بل كان كالضحك في سطواته
بالعمالين وانت افريذون (٣) - ٢٤٩
- ٣٦ - فسيشكر الاسلام ما اوليته
والله عنه بالوفاء ضمين - ٢٤٩

(١) الطبري ، ص ١٢٣٤ .
(٢) رواه الطبري - هطلت عليها من جماجم اهلها ، م ٣ ، ج ٢ ، ص ١٢٣٤ .
(٣) رواه الجاحظ : وكأنه الضحك في فتكاته بالعمالين وانت افريذون ، المحاسن والاضداد ،
طبع القاهرة ، ١٣٥٠هـ - ١٩٣٢م ، ص ٢٧٤ .

الملحق - د -

جدول مقابلة التاريخ الهجري بالميلادي (١)
شهر رمضان لسنة ٢٢٢ هـ

١	رمضان	يصادف	الثلاثاء	٧	آب	٨٣٧ م
٢	»	»	الأربعاء	٨	»	»
٣	»	»	الخميس	٩	»	»
٤	»	»	الجمعة	١٠	»	»
٥	»	»	السبت	١١	»	»
٦	»	»	الأحد	١٢	»	»
٧	»	»	الاثنين	١٣	»	»
٨	»	»	الثلاثاء	١٤	»	»
٩	»	»	الأربعاء	١٥	»	»
١٠	»	»	الخميس	١٦	»	»
١١	»	»	الجمعة	١٧	»	»
١٢	»	»	السبت	١٨	»	»
١٣	»	»	الأحد	١٩	»	»
١٤	»	»	الاثنين	٢٠	»	»
١٥	»	»	الثلاثاء	٢١	»	»
١٦	»	»	الأربعاء	٢٢	»	»
١٧	»	»	الخميس	٢٣	»	»
١٨	»	»	الجمعة	٢٤	»	»
١٩	»	»	السبت	٢٥	»	»
٢٠	»	»	الأحد	٢٦	»	»
٢١	»	»	الاثنين	٢٧	»	»
٢٢	»	»	الثلاثاء	٢٨	»	»
٢٣	»	»	الأربعاء	٢٩	»	»
٢٤	»	»	الخميس	٣٠	»	»
٢٥	»	»	الجمعة	٣١	»	»
٢٦	»	»	السبت	١	أيلول	٨٣٧ م
٢٧	»	»	الأحد	٢	»	»
٢٨	»	»	الاثنين	٣	»	»
٢٩	»	»	الثلاثاء	٤	»	»
٣٠	»	»	الأربعاء	٥	»	»
١	شوال	يصادف	الخميس	٦	»	»

- ب -

تقويم شهر شوال سنة ٢٢٢٢ هـ / ايلول ٨٣٧ م
٢٢٢٢ هـ ٨٣٧ م

٣٠	رمضان يصادف	الاربعاء	٥	ايلول ٨٣٧ م
١	شوال يصادف	الخميس	٦	»
٢	»	الجمعة	٧	»
٣	»	السبت	٨	»
٤	»	الاحد	٩	»
٥	»	الاثنين	١٠	»
٦	»	الثلاثاء	١١	»
٧	»	الاربعاء	١٢	»
٨	»	الخميس	١٣	»
٩	»	الجمعة	١٤	»
١٠	»	السبت	١٥	(وصول بابك برزند)
١١	»	الاحد	١٦	»
١٢	»	الاثنين	١٧	»
١٣	»	الثلاثاء	١٨	»
١٤	»	الاربعاء	١٩	»
١٥	»	الخميس	٢٠	»
١٦	»	الجمعة	٢١	»
١٧	»	السبت	٢٢	»
١٨	»	الاحد	٢٣	»
١٩	»	الاثنين	٢٤	»
٢٠	»	الثلاثاء	٢٥	»
٢١	»	الاربعاء	٢٦	»
٢٢	»	الخميس	٢٧	»
٢٣	»	الجمعة	٢٨	»
٢٤	»	السبت	٢٩	»
٢٥	»	الاحد	٣٠	»
٢٦	»	الاثنين	٣١	»
٢٧	»	الثلاثاء	١	تشرين الاول ٨٣٧ م
٢٨	»	الاربعاء	٢	»
٢٩	»	الخميس	٣	»
٣٠	شوال يصادف	الجمعة	٤	»
١	ذي القعدة يصادف	السبت	٥	»

تقويم شهر صفر ٢٢٣ هـ / كانون الثاني ٨٣٨ م
٢٢٣ هـ ٨٣٨ م

٣٠ محرم يصادف الثلاثاء	١	كانون الثاني ٨٣٨ م	
١ صفر يصادف الاربعاء	٢	»	»
٢ » » الخميس	٣	»	»
٣ » » الجمعة	٤	»	»
٤ » » السبت	٥	»	»
٥ » » الاحد	٦	»	»
٦ » » الاثنين	٧	»	»
٧ » » الثلاثاء	٨	»	»
٨ » » الاربعاء	٩	»	»
٩ » » الخميس	١٠	»	»
١٠ » » الجمعة	١١	»	»
١١ » » السبت	١٢	»	»
١٢ » » الاحد	١٣	»	»
١٣ » » الاثنين	١٤	»	»
١٤ » » الثلاثاء	١٥	»	»
١٥ » » الاربعاء	١٦	»	»
١٦ » » الخميس	١٧	»	»
١٧ » » الجمعة	١٨	»	»
١٨ » » السبت	١٩	»	»
١٩ » » الاحد	٢٠	»	»
٢٠ » » الاثنين	٢١	»	»
٢١ » » الثلاثاء	٢٢	»	»
٢٢ » » الاربعاء	٢٣	»	»
٢٣ » » الخميس	٢٤	»	»
٢٤ » » الجمعة	٢٥	»	»
٢٥ » » السبت	٢٦	»	»
٢٦ » » الاحد	٢٧	»	»
٢٧ » » الاثنين	٢٨	»	»
٢٨ » » الثلاثاء	٢٩	»	»
٢٩ » » الاربعاء	٣٠	»	»
٣١ ربيع الاول يصادف الخميس	٣١	»	»

(وصول بابك
سامراء)
(اعدام بابك)

ثبت بأسماء المصادر والمراجع

С П И С О К

Использованных источников и литературы

К. Маркс. Капитал, М. 1953

К. Маркс, Ф. Энгельс. Избранные письма, М. 1953

К. Маркс. Британское владычество в Индии.

К. Маркс и Ф. Энгельс. Соч. т. 9, 2 изд.

К. Маркс и Ф. Энгельс. Немецкая идеология, М. 1956

Ф. Энгельс. Крестьянская война в Германии, М. 1952

Ф. Энгельс. Анти-Дюринг, К. Маркс и Ф. Энгельс, Соч. т. 20, 2 изд.

Ф. Энгельс. Происхождение семьи, частной собственности и государства,
К. Маркс и Ф. Энгельс, Соч. т. 21, 2 изд.

В.И. Ленин. Критические заметки по национальному вопросу, Ленин, Соч.
т. 20

ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن علي بن ابي الكرم محمد الجزري :
الكامل في التاريخ ، ٩ اجزاء ، القاهرة ، ١٩٣١ - ١٩٤٠ .

احمد امين ، (الدكتور) :

- فجر الاسلام ، القاهرة ، ١٩٥٠ .
- ضحى الاسلام ، ٣ اجزاء ، القاهرة ، ١٩٥٦ .
- ظهر الاسلام ، ٤ اجزاء ، القاهرة ، ١٩٥٢ - ١٩٥٨ .
- يوم الاسلام ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

احمد ، محمد حلمي محمد :

الخلافة والدولة في العصر العباسي ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

اربري ، ج ١ : .

تراث فارس ، نقله الى العربية محمد كفاقي وجماعته ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

الاسفرائيني ، ابو المظفر محمد بن طاهر :

التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية من الهالكين ، القاهرة ، ١٩٤٠ .

الاشعري ، ابو الحسن علي بن اسماعيل :

مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، باعثناء هلموت ريتير ، الطبعة الثانية ، ويستبادن ، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م .

الاصفهاني ، ابو عبد الله حمزة بن الحسن :

كتاب تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ، برلين ، ١٣٤٠هـ ، ليبزك ، ١٨٤٤م .

الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين :

الاغانى ، ٢١ جزء ، القاهرة ، ١٩٠٤ م .

الاصفهاني ، ابو نعيم احمد بن عبد الله :

ذكر اخبار اصبهان ، مجلدان ، ليدن ، ١٩٣١ م ، ١٩٣٤ م .

الاصطخري ، ابو اسحق ابراهيم بن محمد الفارسي :

مسالك الممالك ، ليدن ، ١٨٧٠ م .

الآلوسي ، محمد شكري :

بلوغ الارب في معرفة احوال العرب ، باعتناء الاثري ، المطبعة الرحمانية ،
القاهرة ، ١٩٢٣ .

بارتولد ، فاسيلي فلاديميروفيتش (المستشرق) :

تاريخ الحضارة الاسلامية ، نقله من التركية الى العربية حمزة طاهر ،
القاهرة .

تاريخ الترك في آسيا الوسطى ، ترجمة احمد العيد سلمان ، القاهرة ،
١٩٥٨ .

المؤلفات ، مجلدات (باللغة الروسية) .

البحثري ، ابو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى ، (الشاعر) :

ديوان البحثري ، الطبعة الاولى ، القسطنطينية ، ١٣٠٠هـ ، وتحقيق حسن
كامل الصيرفي ، القاهرة ، ١٩٦٣ - ٤ .

براون ، ادوارد جرانفيل :

تاريخ الادب في ايران ، (من الفردوسي الى سعدي) ، ترجمة د . ابراهيم
امين الشواربي ، القاهرة ، ١٩٥٤ .

بروكلمان ، كارل :

تاريخ الشعوب الاسلامية ، ترجمة د . نبيه امين فارس ومنير البعلبكي ،
بيروت ، ١٩٥٣ .

البستاني ، بطرس :

دائرة المعارف الاسلامية ، ٩ اجزاء ، بيروت ١٨٧٦ - ١٨٨٧ م .

البغدادي ، ابو منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله الاسفرائيني :

الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، القاهرة .

البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر بن داود :

فتوح البلدان ، ليدن ، ١٨٦٦ م .

انساب الاشراف ، الجزء الاول ، تحقيق محمد حميد الله ، دار المعارف
بمصر ، ١٩٥٩ .

٤ اجزاء ، القدس ، ١٩٣٨ .

الجزء الحادي عشر ، باعتناء اهلوارت ، ليدن ، ١٨٨٣ .

البيروني ، ابو الريحان محمد بن احمد الخوارزمي :

الآثار الباقية عن القرون الخالية ، ليبزك ، ١٨٧٨ .

ترتون ، ا . س . :

اهل الذمة في الاسلام ، ترجمة حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

ابن تغري بردي ، جمال الدين ابو المحاسن يوسف الاتاكي :

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ١٢ جزءا ، القاهرة ، ١٩٢٩ -
١٩٥٦ .

ابو تمام ، حبيب بن اوس الطائي :

ديوان ابي تمام بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام ،
مجلدان ، مصر ١٩٥١ .

ديوان ابي تمام ، قدم له الاستاذان عبد الحميد يونس وعبد الفتاح
مصطفى ، القاهرة ، ١٩٤٢ .

ديوان الحماسة ، مختصر شرح العلامة التبريزي ، جزآن ، القاهرة ،
١٩٥٥ .

التنوشي ، ابو علي المحسن بن علي بن محمد ، القاضي :

جامع التواريخ ، مصر ، ١٩٢١ .

الفرج بعد الشدة ، جزآن ، مصر ، ١٩٠٣ - ١٩٠٤ .

توما ، اميل :

العرب والتطور التاريخي ، ترجمة جبرا نقولا ، حيفا ، ١٩٦٢ .

الثعالبي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل :

غرر اخبار ملوك الفرس وسيرهم ، طهران ، ١٩٦٣ .

الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب :

البخلاء ، تحقيق طه الحاجري ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، والى الروسية ، ترجمة
بارانوف ، موسكو ، ١٩٦٥ .

البيان والتبيين ، ٤ اجزاء ، القاهرة ، ١٩٤٨ - ١٩٥٠ .

ابن الجوزي ، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي :

المنتظم من تاريخ الملوك والامم ، الاجزاء ٥ - ١٠ ، حيدر آباد ، ١٣٥٩ هـ .
تلبيس ابليس ، القاهرة .

جوزي ، بندلي صليبة :

• من تاريخ الحركات الفكرية في الاسلام ، دار الروائع ، بيروت

الجهشياري ، ابو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري :

• الوزراء والكتاب ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٣٥٧ هـ ، ١٩٣٨ م

حتي ، فيليب ، وجرجي ، ادورد ، وجبور ، جبرائيل (الدكاترة) :

• تاريخ العرب (مطول) ، جزءان ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، ١٩٦١

حتي ، فيليب (الدكتور) :

• العرب (تاريخ موجز) الطبعة الثانية ، بيروت ، ١٩٥٤

حسن ، حسن ابراهيم (الدكتور) :

• تاريخ الاسلام السياسي والسيديني والثقافي والاجتماعي ، ٣ اجزاء ،
القاهرة ، ١٩٥٣

حمزة ، عبد اللطيف :

• ابن المقفع ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٤٠

ابن حوقل ، ابو القاسم محمد الحوقلي :

• المسالك والممالك ، ليدن ، ١٨٧٣

خدابخش ، المؤرخ الهندي :

• الحضارة الاسلامية ، ترجمة الخربوطلي ، علي حسني ، القاهرة ، ١٩٦٠

ابن خرداذبة ، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله :

• المسالك والممالك ، ليدن ، ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٩ م

الخربوطلي ، د . علي حسني :

• تاريخ العراق في ظل الحكم الاموي ، القاهرة ، ١٩٥٩

• الدولة العربية الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٠

الخزرجي ، ابو دلف مسعر بن المهلهل :

• الرسالة الثانية ، تحقيق بولغاكوف ، بطرس وخالدوف ، انس ، موسكو ،
١٩٦٠

الخضري ، الشيخ محمد :

الدولة العباسية ، الطبعة التاسعة ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد المغربي :

العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ٧ اجزاء ، القاهرة ، ١٣٨٤ هـ ، المقدمة ، بيروت ، ١٩٥٦ .

خليلي ، عباس :

ايران واسلام ، طهران ، ١٣٣٦ ش (باللغة الايرانية) .

دننت ، دانيل :

الجزية والاسلام ، ترجمة جاد الله ، فوزي فهيم (الدكتور) ، بيروت ، ١٩٦٠ .

الدوري ، عبد العزيز (الدكتور) :

العصر العباسي الاول ، بغداد ، ١٩٤٥ .

دراسات في العصور العباسية المتأخرة ، بغداد ، ١٩٤٥ .

مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ، بغداد ، ١٩٤٩ .

الجنود التاريخية للقومية العربية ، بيروت ، ١٩٦٠ .

الجنود التاريخية للشعبوية ، بيروت ، ١٩٦٢ .

تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، بغداد ، ١٩٤٨ .

بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، بيروت ، ١٩٦٠ .

الجنود التاريخية للاشتراكية العربية ، مجلة الآداب ، العدد الثالث (آذار) ، ١٩٦٥ .

الدينوري ، ابو حنيفة احمد بن داود :

الاخبار الطوال ، تحقيق جرجاس ، ليدن ، ١٨٨٨ ، وطبعة القاهرة .

الذهبي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد :

دول الاسلام ، جزاء ، الطبعة الثانية ، حيدر اباد ، ١٣٦٥ هـ .

تاريخ الاسلام ، ٥ اجزاء ، القاهرة ، ١٩٤٨ - ١٩٥٠ .

المختصر المحتاج اليه من (تاريخ الحافظ ابي عبد الله محمد بن سعيد بن

محمد بن الديلمي) ، وهو بانتقاء الذهبي ، تحقيق مصطفى جواد

(الدكتور) ، جزاء ، بغداد ، ١٩٥١ م ، ١٩٦٣ م .

الرازي ، فخر الدين ابو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين :

اعتقادات فرق المسلمين والمشركون ، القاهرة ، ١٩٣٨ م .

رستم ، أسد :

الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، جزءان ،
بيروت ، ١٩٥٥ - ١٩٥٦ .

ابن رسته ، ابو علي احمد بن عمران :

الاعلاق النفيسة ، المجلد السابع ، ليدن ، ١٨٩١ .

زيدان ، جرجي :

تاريخ التمدن الاسلامي ، ٥ اجزاء ، القاهرة ، ١٩٠٢ - ١٩٠٦ .

زيدان ، د . عبد الكريم :

احكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام ، بغداد ، ١٩٦٣ .

ابن الساعي ، تاج الدين ابو طالب علي بن انجب :

نساء الخلفاء ، تحقيق وتعليق د . مصطفى جواد ، دار المعارف بمصر .
مختصر اخبار الخلفاء (منسوب اليه ، يقول مصطفى جواد في كتاب نساء
الخلفاء - واما هذا المطبوع المسمى (مختصر اخبار الخلفاء) فهو
مدسوس عليه ، نحله اياه بعض المزورين الذين اعتادوا التزوير في كل
امورهم وشؤونهم - ص ٢٤) ، بولاق ، القاهرة ، ١٣٠٩ هـ .

السجستاني ، ابو حاتم سهل بن محمد :

كتاب المعمرين ، ليدن ، ١٨٩٩ .

ابن ابي السرور (١) :

عيون الاخبار (ونزهة الابصار) - مخطوط - المتحف البريطاني ، الرقم
٥٦٣٣ ، الشرق ، لندن .

السمعاني ، عبد الكريم بن محمد :

الانساب ، نشره مرغليوث ، ليدن ، ١٩١٢ .

شاكر ، مصطفى :

في التاريخ العباسي ، الجزء الاول ، دمشق ، ١٩٥٧ .

(١) ورد اسمه في مخطوطة لندن (ابن ابو السرور) ، فقط ، وذكره الدكتور مصطفى جواد ،
معتمدا على مخطوطة دار الكتب الوطنية بباريس (رقم ١٥٦٠) ، الشيخ محمد بن محمد بن
ابي السرور التيمي البكري الصديقي المتوفي ١٠٢٨ هـ . مجلة سومر ، م ١٤ ، ج ١ ، ٢٢ ،
بغداد ، ١٩٥٨ ، ص ٢٤ . وعلى هذا الاساس لا يمكن افتراض اسم المؤلف بـ (الروحي ،
محمد بن ابي السرور بن عبد الرحمن . صاحب كتاب بلغة الظرفاء في ذكرى تواريخ الخلفاء
- القاهرة ١٩٠٩) .

- شريف ، محمد بديع (الدكتور) :
الصراع بين الموالي والعرب ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
- شلبي ، احمد جاب الله (الدكتور) :
في قصور الخلفاء العباسيين ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
- الشهرستاني ، ابو الفتح محمد بن عبد الكريم :
الملل والنحل ، جزءان ، تحقيق محمد سيد كيلاني ، القاهرة ، ١٣٨١هـ -
١٩٦١ م .
- الصولي ، محمد بن يحيى :
ادب الكتاب ، تحقيق محمد بهجت الاثري ، القاهرة ، ١٣٤١ هـ .
- الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير :
تاريخ الرسل والملوك ، طبعة دي غويه ، ليدن - بريل ١٨٧٩-١٨٨٥ ، طبعة
القاهرة ، بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ١٩٦٠ .
اختلاف الفقهاء - نشره شاخت ، ليدن ، ١٩٣٣ م .
- ابن الطقطقي ، محمد بن علي بن طباطبا :
الفخري في الآداب السلطانية ، بيروت ، ١٩٦٠ م .
- ابن طيفور ، ابو الفضل احمد بن طاهر :
كتاب بغداد ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
- طه حسين ، (الدكتور) :
مرآة الاسلام ، القاهرة ، ١٩٥٩ .
الشيخان ، القاهرة ، ١٩٦٠ .
الفتنة الكبرى ، جزءان ، القاهرة ، ١٩٥٥ - ١٩٥٦ .
- ابن عبد ربه ، ابو عمر احمد بن محمد :
العقد الفريد ، ٨ اجزاء ، بتحقيق محمد سعيد العريان ، ط ٢ ، القاهرة ،
١٩٥٣ .
- عبد العال ، محمد جابر (الدكتور) :
حركات الشيعة المتطرفين ، القاهرة ، ١٩٥٤ .
- ابن العبري ، ابو الفرج غريغوريوس بن هارون (الاب القديس) :
تاريخ مختصر الدول ، طبعة اوكونيا ، ١٦٦٣ ، بيروت ، ١٨٩٠ .

ابو عبيد ، القاسم بن سلام :

الاموال ، تحقيق محمد حامد الفقي ، القاهرة ، ١٩٥٣ .

العدوي ، د . ابراهيم احمد :

الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ، القاهرة ، ١٩٥٨ م .

العزیز ، حسين قاسم :

الشعوبية ، مجلة الغد ، العدد الثالث ، براغ (تموز) ١٩٦٤ .

العلي ، د . صالح احمد :

التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الاول الهجري ،
بغداد ، ١٩٥٣ .

علي بن الجهم ، ابو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود :

ديوان علي بن الجهم ، بتحقيق خليل مردم بك ، دمشق ، ١٩٤٦ .

العيون والحدائق في اخبار الحقائق ، الجزء الثالث ، (خلافة المعتصم) ، (المؤلف
مجهول) ، باعتناء ماتهسين ، ليدن ، ١٨٤٩ .

الغزالي ، ابو حامد محمد :

فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ، القاهرة ، ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م .

الفاخوري ، حنا :

تاريخ الادب العربي ، لبنان ، حريصا ، ١٩٥١ .

ابن كثير ، ابو الفداء اسماعيل بن علي :

المختصر في اخبار البشر ، ليبزك ، ١٨٣١ ، بيروت ، ١٩٥٦ - ١٩٦٠ .

ابو الفداء ، عماد الدين ، اسماعيل بن عمر :

البداية والنهاية ، ١٤ جزءا ، القاهرة ، ١٩٣١ م .

فروخ ، عمر (الدكتور) :

ابن المقفع ، بيروت ، ١٣٦٠ هـ .

ابن فضلان ، احمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حماد :

رسالة ابن فضلان ، بتحقيق الدهان ، سامي (الدكتور) ، المطبعة الهاشمية
دمشق ، ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م .

ابن الفقيه ، احمد بن محمد الهمداني :

مختصر كتاب البلدان ، باعتناء دي خويه ، ليدن ، ١٣٠٢ هـ - ١٨٨٥ م .

ابن قتيبة : ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري :
عيون الاخبار ، ٤ اجزاء ، طبعة كوتنكن ، ١٨٩٩ ، وطبعة القاهرة ، ١٩٢٥
- ١٩٣٠ .

المعارف ، ط كوتنكن ، ١٨٥٠ م والقاهرة ، ١٩٦٠ .
انساب العرب في كتاب المغرب وملوك الشام والحيرة ، كوتا ، ١٧٧٥ .
ادب الكاتب ، ليدن ، ١٩٠٠ ، مصر ، ١٣٠٠ هـ .
الامامة والسياسة (منسوب اليه) ، الطبعة الثالثة ، مصر ١٩٦٣ م .
فضل العرب ، نشره كرد علي ، محمد ضمن كتاب رسائل البلغاء .

قدامة بن جعفر الكاتب ، ابو الفرج :
كتاب الخراج وصناعة الكتابة ، نشر دي خويه نبذة منه وألحقه بكتاب
المسالك والممالك لابن خرداذبة ، ليدن ، ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٩ م .

القلقشندي ، ابو العباس احمد :
صبح الاعشى ، ١٢ جزءا ، القاهرة ، ١٩١٣ - ١٩١٨ .

كرد علي ، محمد :
الاسلام والحضارة العربية ، جزآن ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٠ ،
١٩٥٩ .
رسائل البلغاء ، القاهرة ، ١٩١٣ .

كريستنسن ، آرثر :
ايران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحيى الخشاب ، القاهرة ، ١٩٥٧ .

كريم ، فون :
الحضارة الاسلامية ومدى تأثرها بالمؤثرات الاجنبية ، ترجمه من الالمانية
خدابخش الى الانكليزية ، وعربه الدكتور مصطفى طه بدر ، القاهرة ،
١٩٤٧ .

كولدتسهير ، اجناس :
العقيدة والشريعة في الاسلام ، ترجمة الدكتور يوسف موسى وجماعته ،
الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٥٩ .

لوبون ، غوستاف (الدكتور) :
حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر ، الطبعة الثالثة ، القاهرة ، ١٩٥٦ .

لويس ، برنارد (الدكتور) :

اصول الاسماعيلية ، ترجمة جلتو ، خليل احمد والرجب ، جاسم محمد ،
القاهرة ، ١٩٤٧ .

العرب في التاريخ ، ترجمة فارس ، نبیه امین وزایسد ، محمد یوسف ،
بیروت ، ١٩٥٤ .

ليسترانج ، كي :

بغداد في عهد الخلافة العباسية ، ترجمة بشير فرنسيس ، بغداد ، ١٩٣٦ م .

ماجد ، عبد المنعم (الدكتور) :

التاريخ السياسي للدولة العربية ، جزءان ، الطبعة الثانية ، القاهرة ،
١٩٦٠ .

مارغليوث ، د . س . :

دراسات عن المؤرخين العرب ، ترجمة حسين نصار (الدكتور) ، بيروت .

المافروخي ، مفضل بن سعد بن الحسين المافروخي الاصفهاني :

محاسن اصفهان ، طهران ١٣١٢ شمس ، ١٩٣٣ م .

الماوردي ، ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي :

الاحكام السلطانية ، مخطوط في قسم الكتب النادرة بمكتبة علي شير
نوائي ، طاشقند ، رقم PB63 . والطبعة الاولى ، القاهرة ، ١٣٨٠ هـ
- ١٩٦٠ م .

المبـرد ، ابو العباس محمد بن يزيد :

الكامل في اللغة والادب ، ليبزك ، ١٨٦٤ م ، والقاهرة ، ١٩٥٦ ، بتحقيق
محمد ابو الفضل ابراهيم والسيد شحاتة .

محفوظ ، حسين علي (الدكتور) :

حمزه بن الحسن الاصفهاني ، مجلة سومر العراقية ، المجلد التاسع عشر ،
الجزء الاول والثاني ، بغداد ، ١٩٦٣ .

رسالة في تحقيق لفظ الزنديق ، كمال باشا (متوفي سنة ٩٤٠ هـ) ، بغداد ،
١٩٦٢ .

المدور ، جميل نخلة :

حضارة الاسلام في دار السلام ، بولاق ، القاهرة ، ١٩٣٦ .

— ل —

- المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسن بن علي :
مروج الذهب ومعادن الجوهر ، ٤ اجزاء ، القاهرة ، ١٩٤٧ ، وطبعة
١٩٥٨ .
التنبيه والاشراف ، ليدن ، ١٨٩٣ .
اخبار الزمان ومن اباداه الحدثان وعجائب البلدان ، القاهرة ، ١٩٣٨ .
مسكويه ، ابو علي احمد بن محمد بن يعقوب :
تجارب الامم ، ٣ اجزاء ، القاهرة ، ١٩١٤ — ١٩١٥ .
ومخطوط في مكتبة الاستشراق في طشقند ، رقم ٤١ .
المقدسي ، شمس الدين ابو عبد الله محمد بن احمد :
احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ليدن ، ١٨٧٧ .
المقدسي ، المطهر بن طاهر :
البدء والتاريخ ، طهران ، ١٩٦٢ م .
المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي :
اغاثة الامة بكشف الغمة ، القاهرة ، ١٩٤٠ .
كتاب المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار ، القاهرة ، ١٩٠٦ — ١٩٠٨
و ١٩١٣ م .
الملطي ، ابو الحسين محمد بن احمد بن عبد الرحمن :
التنبيه والرد على اهل الاهواء والبدع ، استانبول ، ١٩٣٦ م .
المودودي ، ابو الاعلى :
مسألة ملكية الارض في الاسلام ، ترجمة محمد عاصم الحداد ، دمشق ،
١٩٥٧ .
الانتخابات البهية من الكتب العربية والفارسية والتركية فيما يتعلق بتواريخ طبرستان
وكيلان وجغرافية تلك النواحي ، جمعها ونقحها ابرنهارد دارن ، بطربورغ ،
١٢٧٤ هـ .
النجار ، محمد الطيب :
الموالي في العصر الاموي ، القاهرة ، ١٩٤٩ .
ابن النديم ، محمد بن اسحق :

أبو النصر ، عمر :

الخوارج في الاسلام ، بيروت ، ١٩٥٦ .

نظام الملك ، أبو علي حسن الطوسي (الوزير) :

سياست نامه (بالفارسية) باهتمام هيوبرت دارك ، طهران ، ١٩٦٢ .

نفيسي ، د. سعيد :

أذربيجان قهرمانی بابك خرم دين (بالانديجانية) ، باكو ، ١٩٦٠ .

ولهاوزن ، يوليوس :

الدولة العربية وسقوطها ، تعريب العش ، يوسف (الدكتور) ، دمشق ،
١٩٥٦ .

ياقوت الحموي ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي :

معجم البلدان ، خمس مجلدات ، دار صادر - بيروت ، ١٩٥٥ - ١٩٥٧ .

يحيى بن آدم بن سليمان القرشي الأموي :

الخراج ، القاهرة ، ١٣٤٧ هـ .

اليعقوبي ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر :

تاريخ اليعقوبي ، جزآن ، ليدن ، ١٨٨٣م ، ٣ أجزاء ، النجف ، ١٣٥٨ هـ .

أبو يعلي الحنبلي ، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء :

الاحكام السلطانية ، القاهرة ، ١٣٥٧ هـ .

أبو يوسف ، يعقوب بن إبراهيم (القاضي) :

الخراج ، القاهرة ، بولاق ١٣٠٢ هـ ، والسلفية ١٣٤٦ هـ (١٩٢٨ م) ،

والطبعة الثالثة ١٣٨٢ هـ .

Amer Ali, A Shorter History of the Saracans, New York, 1955.

Arnold, Thomas Walker, The Caliphate, Oxford, 1924.

Бартольд В.В., Ислам (общий очерк), Изд. "Огни", 1918.

Бартольд В.В., Западный Туркестан со времени завоевания арабами до монгольской эпохи, СПб. 1900.

Бартольд В.В., Мусульманский мир, Наука и школа, Изд. 1922.

Бартольд В.В., Культура мусульманства (общий очерк), Изд. 1918.

Бартольд В.В., Иран, Сборник статей, 1927-9.

Бартольд В.В., Иран, Исторический обзор, Ташкент, 1926.

Becker, Carl H., Beiträge zur Geschichte Ägyptens unter dem Islam, Strassburg, 1902-3.

Беляев Е.А., Арабы, Ислам и арабский халифат в раннее средневековье, М. 1965.

Беляев Е.А., Мусульманское сектанство, Ислам, Сборник статей, М. 1931.

Беляев Е.А., Мусульманское сектанство, Исторические очерки, М. 1957.

Беляев Е.А., Ислам, Спутник атеиста, М. 1961.

Browne, Edward G., Ibn Isfandiyar's History of Tabaristan (translation) Leyden-London, 1905.

Бунятов З.М., О термине "Хуррам", Известия АН Азерб. ССР № 2, 1959.

Бунятов З.М., О названии "Мингечаур". Доклады АН Азерб. ССР, т. 15, № 2, 1959.

Бунятов З.М., О локализации города-крепости Базз, Изв. АН Азерб. ССР № 5, 1959.

Буниятов З.М., Еще раз о неизданных страницах (истории - Агван) Моисея Каганкатваци, Изв. АН Азерб. ССР, № 4, 1961.

Буниятов З.М., Бабек и Византия, Доклады АН Азерб. ССР № 7, 1959.

Буниятов З.М., Новые данные о нахождении крепости Шаки, Доклады АН Азерб. ССР, № 9, 1959.

Буниятов З.М., Азербайджан в VII-IX вв., Баку, 1965.

Варга Е., Очерки по проблемам политэкономии капитализма, Москва, 1965.

Вардан, Всеобщая история, перевод с армянского Н. Эмина, М. 1861.

Васильев А.А., Лекции по истории Византии, П.Г., 1917.

Византия и арабы, Спб., 1900.

Гевонд, Вардапет, История халифов, перев. профессора Г. Петерман, Санкт-Петербург, 1862.

Gaetani, L., Annali dell' Islam, Milan, 1905-1918.

Gibb, Hamilton Alexander Rosskeen, Studies on the Civilization of Islam, Boston, 1962.

Gibb, H.A.R., The Arab Conquest of Central Asia, London, 1923.

Gibb, H.A.R., Mohammedanism, an Historical Survey, London, 1950.

Goldzicher, Ignaz, Muhammedanische Studien, Halle, a.s. 1889.

Dennet, Daniel, Conversion and the poll tax in early Islam, Cambridge, Massachusetta, 1950.

Дьяконов М.М., Очерк истории древнего Ирана, М. 1961.

Дозу, Райнхарт Питер, Очерк истории Ислама, перев. В.И. Каменского, Спб., 1904.

Flügel, Gustaf, Babek, Seine Abstammung und erstes Auftreten, Zeitschrift der Deutschen Morgenlandischen Gesellschaft, Leipzig, 1869.

Жузе П.К., Папак и папакизм, Известия Бакинского гос. университета, № I, Баку, 1921.

Заходер Б.Н., История восточного средневековья (халифат и Ближний Восток), М. 1944.

Ибрагимов З., Борьба азербайджанского народа против арабских захватчиков, Баку, 1941 (на азерб. языке).

Ибрагимов З., Бабек, Баку, 1944.

Ибрагимов З., Токарековский Е.О., О доблести и мужестве азербайджанцев, Баку, 1943.

Иванов М.С., Очерк истории Ирана, М. 1952.

Irzi Seipek, Babek, muiz pred kterum se-traslichalifove, Novy Orient, Praha, 1952.

Климович Л.И., Ислам, Очерки, М. 1962.

Климович Л.И., Ислам, изд. второе дополненное, М. 1965.

Kraus, Paul, Les "Controverses" de Fakhr al-Din Razi
В.И.Е. XIX.

Kremer, Alfred von, Culturgeschichte des Orients unter den Chalifen, erster Band Wien, 1875, zweiter Band Wien 1877.

Крымский А.Е., История мусульманства, М. 1904, 1912.

Крымский А.Е., Подзаголовок, Очерки религиозной жизни. Мир Ислама, Спб., 1912-3.

Крымский А.Е., История мусульманских народов, Солодов, 1902-3

Крымский А.Е., Страницы из истории Азербайджана Шеки, Сборник, М. 1939.

Лей, Герман, Очерк истории средневекового материализма, перев. с немецкого Горловой З.В. и Саца И.А., М. 1962.

Лео, История Армении, т. 2, Ереван, 1947 (на армян. яз.).

Le Strange, Guy, The Land of the Eastern Caliphate, London, 1905.

Le Strange, Guy, Bagdad, London, 1900.

Levy, Reuben, The Social Structure of Islam, Cambridge, 1957.

Lokkegaard, Frede, Islamic Taxation in the Classic Period, Copenhagen, 1950.

Массэ А., Ислам, перев. с французского Н.Б. Кобриной и Н.С. Луцкой, М. 1963.

Манандян Я.А. , Народные восстания в Армении против арабского владычества, Ереван, 1939.

Мюллер А., История Ислама, перев. с немецкого Н.А. Медникова, Спб., 1895.

Минорский В.Ф., История Ширвана и Дербенда, М. 1963.

Minorsky, V., Studies in Caucasian History, London, 1953.

Muir, Sir William Temple, The Caliphate, its Rise, Decline and Fall, Edinburgh, 1924.

Muir, Sir W.T., The Apology al Kindy. Written at the Court of al-Mamun, London, 1887.

Низам ал-Мульк, Сиасет-Намэ, перев. профессора
Б.Н. Заходера, М.-Л., 1949.

Nicholson, Reynold, A Literary History of the Arabs,
London, 1923.

Payne, Rober, The Holy Sword, New York, 1959.

Пирен Анри, Средневековые города и возрождение торгов-
ли, перев. с англ. С.И. Архангельского, 1941.

Пигулевская Н.В., Города Ирана в раннем средневековье,
М. 1956.

Пигулевская Н.В., Византия и Иран на рубеже VI и VII
веков, М.-Л., 1946.

Плеханов Г.В., К вопросу о роли личности в истории,
Госполитиздат, 1956.

Плеханов Г.В., Материалистическое понимание истории,
Госполитиздат, 1956.

Полянский Ф.Я., Экономическая история зарубежных стран.
Эпоха феодализма, М. 1954.

Rahmatalh, Malecha, The Treatment of the Dhimmis,
Bâgdad, 1963.

Sadighi G.H., Les Mouvements Religieux Iranians,
Paris, 1938.

Sale G., The Koran, Commonly Called the alcoran of
Mohammed, London, 1857.

Семенов А.А., Маздакизм, Вопросы истории религии и
атеизма, № 5, М. 1958.

Семенов В.Ф., История средних веков, М. 1961.

Ben Shemesh, A., Taxation in Islam, Yahya ben Adam's Kitab al Kharaj, edited trans. and provided, Leiden, 1958.

Томара, М., Бабек, М. 1936.

Wright E.M., Babek of Badhadh and al-Afshin during the years 816-841 A.D., The Muslim World, v. XXXIII N I,2, January, 1948.

Vlioten, G. Van, Recherches sur la Domunation Arabe, Amsterdam, 1894.

Эмин Н.О., Очерк религии и верований язычных армян, Исследования и статьи Н.О. Эмин, М. 1896.

Якубовский А.Ю., Ирак на грани VIII-IX вв. М.-Л. 1937.

Якубовский А.Ю., Восстание муканны - движение людей в белых одеждах, Советское востоковедение, У, М.-Л. 1948.

Ямпольский З.И., Восстание Бабека, Баку, 1941.

х х х

Всемирная история, т. 2-3, М. 1957.

Hudud al-Alam "The Regions of the World", A Persian Geography 372 A.N. 982 A.D. translated and explained by V. Minorsky, London, 1937.

The Geographical works of Sadik Isfahani, translated by J.C. London, 1832.

История Азербайджана, т. I, Баку, 1958.

История Ирана с древнейших времен VI до конца XVIII века, Л. 1948.

История средних веков, т. I, под редакцией Е.А. Косминского, М. 1952.

История средних веков, т. 2, под редакцией А.С. Самойло, М. 1954

История средних веков, Учебник для студентов педагогических институтов, М. 1964.

История СССР, Часть первая, М. 1961.

История стран зарубежного Востока в средние века, М. 1957.

Сочинения В.В. Бартольда, I, М. 1963.

Спутник атеиста, М. 1961.

Худуд ал-Алем, (рукопись Туманского) с введением и указателем В.В. Бартольда, Л. 1930.

The Encyclopedia of Islam, Volume 1, Adharbaudjan,
V. Minorsky, Leiden, 1954, P. 188.

The Encycl. of Islam, 1, Armenia, Canard, Leiden,
1954, Pp. 635-638.

The Encycl. of Islam, Volume 1, new edition, Babek,
D. Sourdel, Leiden, London, 1963, P. 844.

The Encycl. of Islam, Volume II, Djbal, L. Lockhart,
Leiden, London, 1963, P. 534.

Enziklopedie des Islam, Babek, (cl. Huart), Band I,
Leiden, Leipzig, 1913, Pp. 568-9.

Shorter Encycl. of Islam, Khurramiya, D.S. Margoliouth,
Leiden, 1953, P. 257-8.

Большая советская энциклопедия,
Бабек, т. 4, 2 изд., 1950, стр. 4-5.

Б. С. Энци., Ислам в период феодализма, т. I8,
2 изд., 1955, стр. 5I7.

Б. С. Энци., Хуррамиты, т. 46, 2 изд., 1957,
стр. 4I6.

С. И. Энци., Бабек, "Бабека восстание", т. 2,
М. 1962, стр. I4.

الفهرس

صفحة

٣	المقدمة
٨	الفصل الاول : تحليل المصادر
	الفصل الثاني : الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للبلدان الشرقية
٣٧	الخاضعة للنفوذ العباسي (ايران - اذربيجان وارمينيا) :
٤٠	١ - الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي قبل الفتح الاسلامي
٤٩	ب - الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في العهدين الراشدي والاموي
٦٢	ج - الاقطاع (الاقطاع ، الضرائب ، الخراج والجزية)
٨٢	د - التجارة والحرف
٨٦	هـ - نظرة العرب الى سواهم من الامم المغلوبة (الموالي واهل الذمة ، الشعوبية)
٩٧	و - مدى تطبيق العباسيين للشعارات التي رفعوها ابان الدعوة حول اعادة الحقوق الاجتماعية للموالي ورفع الحيف عنهم وانقاذهم من الضائقة الاقتصادية
١٠٣	الفصل الثالث : المبادئ الايديولوجية والحركة البابكية :
١٠٥	١ - المبادئ الايديولوجية للبابكية
١٠٥	أ - الآراء السائدة قبل الانتفاضة
١٠٨	ب - الديانة الايرانية والفرق المناهضة لها وما نشأ عنها من آراء في المشاكل والقضايا الاجتماعية والسياسية والاقتصادية :
١٠٨	(١) الديانة الايرانية
١١٠	(٢) الفرق المناهضة للديانة الايرانية : المانوية ، والمزدكية
١٣٠	ج - الخرمية :
١٤١	الفعاليات والانتفاضات الخرمية :

- ١ - حركة سنباز ١٤٣
- ٢ - حركة استاذسيس ١٤٤
- ٣ - حركة يوسف بن ابراهيم البرم ١٤٤
- ٤ - انتفاضة المقنع ١٤٥
- ٥ - انتفاضة جرجان ١٤٨
- ٦ - انتفاضة خرمية اذربيجان ١٤٨
- و - اهم التهم التي الصقت بالمبادئ والحركة الخرمية ١٤٩
- ٢ - التنظيمات البابكية ١٥٣
- أ - المشكلة الفلاحية ومعالجة قضية الاراضي ١٥٣
- ب - وضع المرأة في المجتمع وتحريرها ١٥٦
- ج - امور عامة : ١٥٨
- (١) الحريات العامة ١٥٨
- (٢) العبادة ١٦٠
- ٣ - القاعدة الاجتماعية والسياسية للحركة البابكية : ١٦١
- أ - التركيب الطبقي للمنتفضين ١٦٤
- ب - مساهمة شعوب مختلفة اخرى : العرب، الاكراد، الايرانيون ١٦٦
- الديالة ، الارمن
- الفصل الرابع : الانتفاضة البابكية المسلحة ضد الخلافة العباسية : ١٧٥
- ١ - العوامل التي ساعدت على قيام ونجاح الانتفاضة المسلحة ١٧٧
- ١ - ضعف جيش الخلافة ١٧٧
- (١) الحرب الاهلية ، فتنة الامين والمأمون وعصيان ابراهيم ١٧٨
- ابن المهدي
- (٢) انتفاضات السلاحين في مصر ١٨٠
- (٣) انتفاضة الزط في العراق ١٨١

صفحة

- ١٨٢ (٤) حروب الروم
- ١٨٤ (٥) انتفاضات خرمية ايران
- ١٨٥ (٦) اضطرابات متعددة
- ١٨٦ ب - الموقع الجغرافي وطبيعة البلاد وحسن الاستفادة منها
- ١٨٨ ج - اساليب القتال :
- ١٨٨ (١) استخدام فصائل وسرايا خفيفة وسريعة
- ١٨٩ (٢) هدم قلاع وحصون الخلافة
- ١٩١ (٣) المباغثة والكمائن
- ١٩٢ (٤) قطع الميره والتموين
- ١٩٢ د - الحلفاء الذين ساندوا الانتفاضة
- ١٩٣ ٢ - اسباب اندحار الانتفاضة المسلحة في الدور الثاني :
- ١٩٣ أ - العوامل العسكرية :
- ١٩٣ (١) عزل خرمية الجبال عن منتفضي اذربيجان
- ١٩٣ (٢) تدريب الجيش العباسي وتمرسه بأساليب القتال في الجبال
- ١٩٣ (٣) حنكة القائد العباسي الافشين
- ١٩٤ (٤) تحصين القلاع وتنظيم الاتصال والتجهيزات
- ١٩٥ (٥) استخدام جماعات متمرسه بقتال الجبال
- ١٩٧ (٦) طول الحصار
- ١٩٧ (٧) استمالة جواسيس بابك
- ١٩٨ (٨) شدة اهتمام الخليفة المعتصم بأمر الخرمية وحسن تجهيزه للجيش
- ١٩٨ ب - موقف الاقطاعيين المعادي للانتفاضة
- ٢٠٠

- هروب الاقطاعيين من صفوف الانتفاضة والتجاؤهم الى
٢٠١ صفوف جيش الخلافة
- ج - العناصر الانتهازية ودورها التخريبي في سير الحركة ،
٢٠٢ المترددون والطامعون
٢٠٣ عدم مساهمة جميع فلاحى مناطق الانتفاضة
٢٠٤ د - تباطؤ الروم في مساعدتهم للمنتفضين
- ٢ - فترة النضال المسلح تحت قيادة بابك ومجريات الحوادث
٢٠٦ الفترة بين : ٢٠١هـ - ٢١٨هـ / ٨١٦م - ٨٢٣م
- ١ - معركة هشتادسر الاولى
٢٠٨ الفترة بين ٢١٨ - ٢٢٢هـ / ٨٢٣ - ٨٢٧م
٢١٠ معركة همذان ٢١٨ / ٨٣٣
٢١٠ جبهة اذربيجان ٢١٨ - ٢٢٠ هـ
٢١٠ (١) هزيمة القائد معاوية ٠ (٢) اسر عصمت الكردي
٢١١ (٢) - الفترة ٢٢٠ - ٢٧٢هـ
٢١٢ (١) معارك سنة ٥٢٢ / ٨٣٥م
٢١٢ معركة ارشق
٢١٤ مهاجمة قوافل المسلمين
٢١٥ (٢) معارك سنة ٢٢١هـ / ٨٢٦م
٢١٥ معركة هشتادسر الثانية
٢١٨ مصرع طرخان
٢١٨ (٣) معارك سنة ٢٢٢هـ / ٨٣٧م
٢١٩ معركة نهر كلان روز
٢٢٠ حصار قلعة البذ والهجوم عليها
٢٢٠ الحركات التمهيدية
٢٢٥ احتلال البذ
٢٢٦ الزحف الاول
٢٢٦ الزحف النهائي

٢٣١ الفصل الخامس : حياة بآبك وآثار الانتفاضة

٢٣٣ ١ - قائد الانتفاضة

- (١) حياته ، والده ، والدته ، منشأه ، أصله ، زواجه ، قادة خرمية
٢٣٣ عمل معهم
(٢) هروبه ، أسره ، علاقته بالروم ، وبسهل بن سنباط الأرمني ٢٤٢
(٣) نهايته ٢٤٧

٢٥١ ب - علاقة المازيارية بالبابية

- ٢٥٦ علاقة منجور الفرغاني خال ولد الأفشين بالبابية
٢٥٨ نهاية الأفشين

٢٦١ ج - أثر الانتفاضة في النظام الاجتماعي والسياسي للخلافة

- (١) نشوء وتوطد الإمارات الاقطاعية وتطور الاقطاع ٢٦١
(٢) تسلط الأتراك على الخلفاء ٢٦٢
(٣) انقسام الامبراطورية الاسلامية العظيمة ٢٦٤
(٤) سقوط هبة الخلافة ٢٦٤

٢٦٥ د - بقايا الخرية

٢٦٩ الخاتمة

الملاحق

٢٧٩ ١ - قوائم الخراج

٢٩٠ ب - الزنادقة والغنوص

٢٩٦ ج - القصائد

٣١٩ د - جدول أيام شهري رمضان ٢٢٢هـ وصفر ٢٢٣هـ

٣٢٢ ثبت بأسماء المصادر

فهرس الخرائط

١٧٩	مقابل صفحة	١ - اراضي الخلافة
١٨٥	»	٢ - مناطق الانتفاضة
٢١٧	»	٣ - خارطة ولايات الجبال وجيلان
٢٢٠	»	٤ - خارطة ولايات الشمال الغربي
٢٦٨	»	٥ - خارطة معركة هشتادسر الثانية
٣٠٢	»	٦ - خارطة حروب بابك

مطبعة الرأي الجديد
خزيرة العمير - جامع تانيق، تللو
تلفون ٢٢٠٠٣١